

# رَسَائِلُ طَيْفِ الْخِيَالِ فِي الْمَجْدِّ وَالْقَهْرِ

للشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى العلوي  
المتوفى ٥٢٦ هـ

والأديب مجاهد الدين عيسى بن عبد الله المنقي  
المتوفى ٦٨٣ هـ

والأديب شمس الدين أبي عبد الله محمد بن داود  
المتوفى ٧١٠ هـ

مقدم من  
سيد كرمي حسن



دار الكتب العلمية  
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah  
أسسها من كتابات بيروت  
سنة 1971 ميلادية - 1412 هـ

# مَسَائِلُ طَيْفِ الْحَيَاةِ فِي الْجَدِّ وَالْمَرْكَاتِ

لِلشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ

المتوفى ٤٣٦ هـ

وَالْأَدِيبِ بِهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْشُورِ

المتوفى ٦٨٣ هـ

وَالْأَدِيبِ سَمْسُ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ دَانِيَالٍ

المتوفى ٧١٠ هـ

تَحْقِيقُ

سَيِّدُ كَسْرَوَيْ حَسَنُ

Shiabooks.net



أَنْشَأَهَا تَرَكَّيْطُ بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٩٧١ بَيْرُوتَ - لُبْنَانُ  
 Ed. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon  
 Traduit par Mohammad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title: **RASĀ'IL ṬAYF AL-ḤAYĀL**  
(Three books in apparition)

Classification : **Literature**

Author : **Al-ŠARĪF Al-MURTADĀ**  
and: **BAḤĀ'UDDĪN Al-MUNŠI**  
and: **MUḤAMMAD IBN DĀNYĀL**

Editor : **Sayyid Kisrawi Ḥasan**

Publisher : **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**

Pages : **392**

Year : **2009**

Printed In : **Lebanon**

Edition : **1<sup>st</sup>**



دار الكتب العلمية  
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah  
**DKI**

أسستها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان  
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon  
Établie par Mohammad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية، الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان  
ييحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تخيد الكتاب كاملاً أو  
جزئياً أو تسجيله على أي وسيلة كانت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على أي أساليب ضمنية أو صريحة النافس عليها.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction  
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite  
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite  
et exposerait le contrevenant à des poursuites  
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,  
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.  
Tel.: +981 5 804 610/11/12  
Fax: +961 5 804813  
P.O. Box: 11-8424 Beirut-Libanon  
Riyad al-Salah Beirut 1107 2290

عمرسون ، القبيّة  
مبنى دار الكتب العلمية  
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤ ٦١٠/١١/١٢  
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤ ٨١٣  
ص. ب: ١١ - ٨٤٢٤ بيروت - لبنان  
رياض الصلاح بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

الكتاب: رسائل طيف الخيال

في الجذ والهزل

التصنيف : أدب

المؤلف : الشريف المرتضى  
وبهاء الدين المنشي  
ومحمد بن دانيال

المحقق : سيد كسروي حسن

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 392

سنة الطباعة: 2009

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة : الأولى

ISBN 978-2-7451-5605-9

ISBN 2-7451-5609-8

9 00000



9 782745 156099

<http://www.al-ilmiyah.com>  
[sales@al-ilmiyah.com](mailto:sales@al-ilmiyah.com)  
[info@al-ilmiyah.com](mailto:info@al-ilmiyah.com)  
[baydoun@al-ilmiyah.com](mailto:baydoun@al-ilmiyah.com)

96

٥٧٧٧٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إهداء**

إلى: كل من سئم من الرقابة في الحياة.

إلى: كل من أصابه الملل من القراءة الجادة.

إلى: كل من أراد فسحة خارج منطقة الجدل برهة.

إلى: كل من أراد أن يمزح ويمرح بغير ملام.

إلى: كل من أراد أن يعرف قيمة ما هو فيه

من نعمة الهدى والصلاح.

أقدم هذا الكتاب

سيد كسروى





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الحق

الحمد لله... ثم الحمد لله... ثم الحمد لله خلق الإنسان وفضله بالعقل على سائر الكائنات فسخرها له منذ وطئه الأرض إلى الممات، وجبله على قدرة التخيل والتفكير في سائر المخلوقات بل وإلى ما وراء الموجودات، ومنحه طاقة غريبة على استحضار المرادات، وكأنها ماثلة أمامه كالمشاهدات المحسوسات.

وأشهد أن لا إله إلا الله عوض عن المفقودات بالأمانى والتخيلات، فكان ذلك منه جبراً للمعاشات واستدراكاً للماضيات.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ أخبرنا بالغيبيات فكانت أمامه أصدق وأيقن من المشاهدات الملموسات، ووصف لنا نعيم الجنات وحببها إلينا، وعرفنا بما فيها من المبهرات والمسرات بما شرح الصدور وكأننا نعيش فيها حيات الساكنين لها والمتبوتين منها الروضات.

ووصف لنا النار وخوفنا منها خوف من عاينها ودخلها وأحس لسعها وألمها وغصص مشروها ونكارة مطعمها وأزعجه قبيح منظرها فأشعرنا وكأننا نسمع من أهلها الصرخات والثأوهات فسَلَّم اللهم منها ومن كل المنغصات والمهلكات.

أما بعد:

فإن حديثنا اليوم عن الخيال وطيفه وما كُتب عنه وما تخيله أهل الأدب والشعر، والبلاغة، والفصاحة، والشيوخ الأتقياء، والسفهاء الهازلين، والخُلعاء الماجنين، وأهل اللغة وقد كان لأهل اللغة في الطيف أقوال فمنهم من قال: أن الطيف هو الخيال نفسه، ومنهم من جعل الطيف غير الخيال، ومنهم من جعل طيف الخيال هو ما ألم بالنوم، ومنهم من جعله الجنون أو المس، وعلى سبيل المثال أذكر بعضاً مما جاء في لسان العرب في هذا الخصوص ففي مادة طيف يقول: طيف الخيال مجيئة في النوم، وطاف الخيال يطيف طيفاً ومطافاً: ألم في النوم.

والطَّيْفُ والطَّيْفُ: الخيال نفسه، والطَّيْفُ: المس من الشيطان، وهما بمعنى.

ويقال: طاف يطيف ويطوف طيفاً وطَوَّفاً فهو طائف ثم سُمِّيَ بالمصدر، ومنه طيف الخيال الذي يراه الناس.

ويقول صاحب اللسان أيضاً في مادة خيل: تَحْيَلُ الشَّيْءَ له: تشبه به، وتخيّل له أنه

كذا أي تشبه وتخايل، يقال: تخيلته فتخايل لي، كما تقول: تصورته فتصور، وتبينته فتبين، وتحققته فتحقق.

والخِْيَالُ والخِْيَالَةُ: ما تشبه لك في اليقظة، والحُلْمُ من صُورَةٍ، قال الشاعر:  
فلست بمنزلة إلا الميت      برحليسي أو خياليتها الكذوب  
وقيل: إنما أنت على إرادة المرأة.  
والخِْيَالُ والخِْيَالَةُ: الشخص، والطيف.

ورأيت خياله أو خيالاته: أي شخصه وطلعته من ذلك. وفي التهذيب: الخيال لكل شئ تراه كالظل، وكذلك خيال الإنسان في المرأة، وخياله في المنام صورة تشاله، وربما مربك الشئ شبه الظل فهو خيال. يقال: تخيل لي خياله.

هذا بعضاً مما قالوه في الطيف والخيال، ثم أنا أضع بين يديك الآن رسائل تناول هذا الموضوع من الناحية الإبداعية إحداها: لرجل عابد زاهد رمز من رموز الشيعة المرموقين الذين انبثقت عنهم الصوفية الشائعة، ومعروف مدى تعلق هؤلاء الشيعة بآل البيت ومدى قدرتهم على الحب والعشق، ووصفهم له في أشعارهم ونثرهم ورجزهم وسجعهم، وهو الشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى القرشي، العلوي، الموسوي.  
والثانية: لرجل عرف بالأدب والشعر والنثر والإنشاء وهو بهاء الدين عيسى بن عبد الله المنشي، الإربلي، الأديب.

والثالثة: لرجل عرف بالأدب كذلك والشعر والنثر، والطب وهو: شمس الدين محمد بن دانيال أبو عبد الله، الكحال، الموصللي.

وإذا تحدثنا عن هذه الكتب الثلاثة أو الرسائل الثلاثة فإنها إجمالاً تدور حول هذا الموضوع وأما تفصيلاً فكتاب طيف الخيال للشريف المرتضى تناول الموضوع من جانب واحد على الخط العام أو الرئيسي فقد اتخذ الخط الغالب على هذا الموضوع وهو خط الحب والعشق والوله وتناول الموضوع بهذه الطريقة من تخيل محبوبه سواء كان رجلاً أو امرأة وأخذ بطريقه وبشي عليه ويستجلب خياله ويناقشه ويسامره ويعتب عليه ويلومه، ويضاحكه، ويباكيه، ويرثيه، وهكذا إلى أن فرغ من الكتاب وأخذ من شعر أخيه ونسب ذلك لأخيه وأجاد في أشعاره وكان دون المستوى في أخرى وهزل في بعضها وجد في البعض الآخر وهكذا.

أما المنشي: فقد جاءت رسالته بين المرتضى وابن دانيال حيث جمع فيها بين الشعر والنثر وقد وازن بينهما وساق رسالته.

وأما ابن دانيال: فقد جاءت رسالته عبارة عن مسرحية شعرية فكاهية مقسمة إلى ثلاثة فصول لعب فيها الدور الأساسي الدواب أو الحيوانات بأنواعها، واشتقت أسماء شخصياتها البشرية من صفاتها الحيوانية هذا في الفصل الأول.

أما الثاني: فتناول فيه أحوال الغرباء المحتالين وبنى ساسان والأدباء القوالين.

وأما الثالث: فجعله في العشق والعشاق والمحبين والغزل وسحر البيان، وطرق من الملاعب والمجون وهو دائر بين يتيم وصائع عاشق متيم به، وأبطال القصة أو المسرحية الخيالية كلهم حيوانات وطيور أيضاً كما هو الحال في الفصل الأول.

وبعد هذا القول الموجز عن طيف الخيال ورسائله هذه يعن للقارئ سؤال هام ألا وهو: ما هو الغرض من تحقيق هذه الكتب الثلاث؟ والإجابة عن هذا السؤال هي: الترويح عن النفس فإن نفس الإنسان وخصوصاً الإنسان المثقف تحتاج من حين إلى آخر إلى نسوع من الفسحة والشروذ والخروج عن عالم الجدليات إلى شئ من السلوى والمرح والهزل البريء الذي لا إتهام فيه ولا حد ولا تعزير، وإنما هو مجرد خيال في خيال، فلاغية فيه لأحد، ولا انتهاك لحرمة من حرمات الله مادية ولا معنوية فقد حفظ الكتاب حاسة السمع عن سماع الحنا، وحفظ العين عن مشاهدة المحرمات، وحفظ البدن عن الحدود، فلا عقوبة بدنية ولا معنوية على القارئ أو المتناول لهذه الأمور.

ولا شطط ولا شطح كما شرد وشطط وقال: على من فعل العادة السرية بأنه يجلد ظله، فهذا شروذ وتشدد وخبيل حقيقي وضياح لمقصود الشارع من الشرع.

وكذا عندما قامت الدنيا ولم تقعد أيام فتنة خلق القرآن حيث انتهت على أرجح الأقوال عندما دخل على الوائى رجل وعزاه في وفاة القرآن وعندها أدرك خطأ قوله بذلك دحض هذه الفتنة وتركها.

فالإسلام يدعونا دائماً إلى استعمال العقل والفكر، ويدفعنا إلى التأمل والتدبر والنظر في الكونيات من حولنا حتى نصل إلى مراد ربنا من خلقنا.

ولإينافي هذا الكتاب الأثر القائل: بأن يكون صمتي فكراً ونظري عبراً ونطقي ذكراً فهذه دعوة إلى المثالية التي يرجو أن يكون عليها المؤمن، ولكن من هذا الملاك الذي لن تشرد نفسه فتكون كل حياته جادة، وهو يتمشى كذلك مع الأثر القائل: ساعة وساعة.

وليس معنى كلامي هذا أن يكون هذا الفكر هو المظلل على حياتك الشاغل لفكرك، ولكن هذا كتاب بين بلايين الكتب التي تتناول الحياة الجادة الهادفة، والحياة الجنسية للإنسان جزء لا يتجزء من حياته ولكن ليس هو المسيطر عليه سيطرة شاملة- وإن كان

من أهم مكوناته وأسباب وجوده في هذا الكون-وللا لفسدت بأكملها وما عَمُرَ الكون وصارت فيه المصانع والمزارع والمراكب والمتاجر وكل ما هو نافع للبشر الذين هم نتاج هذه العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة من الطريق المشروع الم محبوب المقبول.

وعادة المثقف أنه عندما تشرد نفسه فإنها تشرد من كتاب إلى كتاب ومن فكرة إلى فكرة، فأحييت أن يجد في هذا الكتاب شيئاً من السلوى والمرح بعيداً عن هزل الهازلين أو تطاول المتطاولين أو أذى المؤذين وأن يعرف كيف يفكرون وفيما هم لاهون فمعظم ما يجده هنا مسطور هو في حياتهم مفعول ومهما تفرز من هذه الصور فإن مثلها موجود في حياة الناس الهازلين الماجنين بل وأشد منها بكثير، فيعرف واقع هؤلاء الناس دون أن يقترف أو ينحرف.

فاللهم وفقنا إلى الهدى والصلاح وجننا الضلال والطلاح إنك على ما تشاء قدير واحتم لنا بخير حتام يا رب الأنام.

والآن أشرع في سرد تراجم أصحاب الرسائل الثلاث على حسب وفياتهم فالأقدم وفاة ثم الأحداث فالأحدث والله الموفق للصواب.

## ترجمة الشريف المرتضى

اسمه: علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

كنيته: أبو طالب، وأبو القاسم.

نسبه: القرشي، الموسوي، العلوي، البغدادي، الشيعي، النقيب.

الشهرة: المرتضى، ذو المحدثين.

ميلاده: ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

وفاته: توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة، يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، ودفن في داره عشية ذلك اليوم.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

هو جامع كتاب "نهج البلاغة" المنسوبة ألفاظه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا أسانيد لذلك وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟

وقيل: بل جمع أخيه الرضي.

وديون المرتضى الكبير، وتوابعه كثيرة، وكان صاحب فنون. وكان من الأذكياء الأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال، والأدب والشعر، لكنه إمامي جلد، نسأل الله العفو.

---

(١) انظر ترجمته في:

ديوان الإسلام (ت: ١٨٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٢)، جهرة أنساب العرب (٦٣)، دمية القصر (١/ ٢٩٩)، المنتظم (٨/ ١٢٠)، معجم الأدباء (١٣/ ١٥٧)، إنباه السراة (٢/ ٢٤٩)، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٢٦)، تمة اليتيمة (١/ ٥٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٣١٣)، الذريعة (٢/ ٤٠١)، المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٦٧)، تاريخ الإسلام وفيات سنة (٤٣٦هـ)، العبر (٣/ ١٨٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤)، دول الإسلام (١/ ٢٥٨)، تلخيص ابن مكنوم (١٣٤)، تسمية المختصر (١/ ٥٢٧)، عيون التواريخ (١٢/ ٢٠٤)، الوالي بالوفيات (خ/ ١٢/ ٤٠)، مرآة الجنان (٣/ ٥٥)، البداية والنهاية (١٢/ ٥٣)، لسان الميزان (٤/ ٢٢٣)، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٩)، بغية الوعاة (٢/ ١٦٢)، منهج المقال (٢٣١)، منتهى المقال (٢١٤)، تنقيح المقال (٢٨٤)، نزهة المجلس (٢/ ٣٧٣)، فهرست الطوسي (٩٧)، كشف الظنون (٨/ ٢٤٨)، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٦)، روضات الجنات (٣٨٣)، كتاب الرجال (١٩٢)، إيضاح المكنون (١/ ١٣٦)، هدية العارفين (١/ ٦٨٨)، تذكرة المتبحرين (٤٨٦)، الدرجات الرفيعة (٥٨/ ٤٥٨)، أعيان الشيعة (٣١/ ١٨٨).

قال ابن حزم: الإمامية كلهم على أن القرآن مُبدّل وفيه زيادة ونقص سوى المرتضى، فإنه كَفَرُ من قال ذلك، وكذلك صاحبه أبو يعلى الطوسي، وأبو القاسم الرازي.

قلت: وفي تواليفه سب لأصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع.

وقال ابن العماد في شذرات الذهب في وفيات سنة ست وثلاثين وأربعمائة: وفيها الشريف المرتضى نقيب الطالبين وشيخ الشيعة ورئيسهم بالعراق.

وكان إماماً في التشيع والكلام والشعر والبلاغة كثير التصانيف متبحراً في فنون العلم أخذ عن الشيخ المفيد.

وروى الحديث عن سهل الدياجي الكذاب. وولي النقابة بعده ابن أخيه عدنان بن الشريف الرضي.

قال ابن خلكان: كان إماماً في علم الكلام والشعر والأدب وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين، وله ديوان شعر إذا وصف الطيف أجاد فيه، وقد استعمله في كثير من المواضع، وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام علي عليه السلام هل هو جمعه أو جمع أخيه الرضي، وقد قيل: إنه ليس من كلام علي عليه السلام، وإنما الذي جمعه نسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم، وله الكتاب الذي ساه الدرر والغرر وهو في بحال أملها تشتمل على فنون في معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وهو كتاب متع. يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم.

وقال ابن بسام في آخر كتاب الذخيرة: كان الشريف إمام أئمة العراق على الاختلاف والایفاق، إليه فزع علماؤها وعنه أخذ عظمائها، صاحب مدارسها وحامي سالكيها وأنسها، ممن سارت أخباره وعرفت به أشعاره، وحدثت في ذات الله مآثره وآثاره إلى تواليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد له أنه فرع تلك الأصول ومن ذلك البيت الجليل.

وكانت ولايته في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

قلت: وقد جمعت ما وقفت عليه من أسماء كتبه في هامش ديوان الإسلام فكانت على النحو التالي:

- ١- البرق (ديوان البرق).
- ٢- الشيب والشباب (الشهاب).
- ٣- إيقاظ البشر في القضاء والقدر.
- ٤- تفسير سورة الفاتحة.
- ٥- الآيات الباهرة في العترة الطاهرة.
- ٦- تفسير سورة البقرة.

- ٧- تتبع أبيات المعاني التي تكلم عنها ابن حبان.
- ٨- غرر الفرائد ودرر القلائد (في المحاضرات).
- ٩- النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي.
- ١٠- تقريب الأصول بالعرفه.
- ١١- ديوان شعره (يقال في عشرين ألف بيت).
- ١٢- التنزيه (في عصمة الأنبياء).
- ١٣- طيف الخيال (وهو كتابنا هذا).
- ١٤- جمل العلم والعمل. ١٥- الذخيرة (في الأصول).
- ١٦- دليل الموحدين. ١٧- الذريعة (في أصول الفقه).
- ١٨- الرد على يحيى بن عدي ١٩- الشافي (في الإمامية).
- ٢٠- الرموق في أوصاف البرق.
- ٢١- طبيعة المسلمين. ٢٢- الانتصار (في الفقه).
- ٢٣- الطرفة (في اعجاز القرآن).
- ٢٤- المسائل الناصرية (في الفقه).
- ٢٥- الفقه الملكي.
- ٢٦- كتاب الأحراز والرقى.
- ٢٧- تفسير قصيدة المذهب (في شرح قصيدة للسيد الحميري).
- ٢٨- كتاب المصباح (في فقه الشيعة).
- ٢٩- الرسائل.
- ٣٠- كتاب الوعيد.
- ٣١- مقدمة في أصول الاعتقاد (ورقتان).



اسمه: عيسى بن عبد الله<sup>(١)</sup>.

نسبه: المنشئ، الإربلي، الشاعر.

لقبه: بهاء الدين.

الشهرة: بهاء الدين المنشئ.

وفاته: توفي سنة ثلاث وثمانين وستمئة.

وقد ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب في وفيات سنة ثلاث وثمانين وستمئة ترجمة موجزة قال فيها: وفيها: الصدر الكبير المنشئ بهاء الدين بن الفخر عيسى الإربلي له الفضيلة التامة، والنظم الرائق، والنثر الفائق، صنف مقامات حسنة، ورسالة الطيف، ومن شعره:

أي عذر وقد تسبى العذار	أن ثنائي تجلبد واصطبار
فأقلا إن شئتما أو فزيدا	ليس لي عن هوى الملاح قرار
هل مجير من الغرام وهيات	أسير الغرام ليس يجار
يا بديع الجمال قد كثرت فيك	اللواحي وقلت الأنصار

وله:

ما العيش إلا خمسة لا سادس	لهم وإن قصرت بها الأعمار
زمن الربيع وشرخ أيام الصبا	والكاس والمعشوق والدينار

وله فيه:

إنما العيش خمسة فاغتنمها	واستمعها بصحة من صدوق
من سلاف وعسجد وشباب	وزمان الربيع والمعشوق

وترجم له الأستاذ عمر كحالة في معجم المؤلفين فقال: أديب، ناثر، ناظم، من

(١) من مصادر ترجمته:

معجم المؤلفين (٢٨/٨)، إيضاح المكنون (٨٠/١)، شذرات الذهب (٣٨٣/٥).

آثاره:

- أسماء اللائي (في الأدب). - وله شعر.

قلت: ورسالة الطيف التي بين أيدينا الآن وقد أشار إليها ابن العماد فيما سبق من ترجمته.

\* \* \*

## ترجمة ابن دانيال

اسمه: محمد كنيته دانيال بن يوسف<sup>(١)</sup>.

كنيته: أبو عبد الله.

نسبته: الحزاعي، الموصللي، الكحال، الحكيم، المصري، الأديب، الشاعر.

لقبه: شمس الدين.

شهرته: ابن دانيال الكحال.

ولد سنة: (٦٤٧ هـ) وقيل: (٦٤٦ هـ).

توفي سنة: (٧١٠ هـ) في (١٢) جمادى الآخرة، وقيل: في ربيع الأول.

ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ترجمة موجزة في وفيات سنة عشر وسبع مائة فقال: وفيها الأديب، الخليل، الحكيم، شمس الدين محمد ابن دانيال مؤلف كتاب طيف الخيال، كانت له نكت غريبة وطباع عجيبة.

وصحبه ولد القسيس الملكي، وكان جميل الصورة فخاف والده عليه منه فكتب إليه ابن دانيال :

قلست للقسيس يوما  
ما الذي أنكرت من نجلك  
خفت أن يسلم عندي  
ومن شعره:

والورى تفهم قصدي  
أشيم من حظي ومن بختي  
ما عاينت عيناي في عطلتي

وقد بعث عبيدي وحماري وقد

أصبحت لا فوقني ولا تحتي

وقال الأستاذ عمر كحالة في معجم المؤلفين: حكيم، كحال، أديب، شاعر. ولد

بالموصل، وأقام بالقاهرة، وتوفي بها في (١٢) جمادى الآخرة، ومن آثاره:

-أرجوزة عقود النظام فيمن ولي مصر من الحكام.

-ديوان شعر.

(١) ومن مصادر ترجمته: ديوان الإسلام (٩٥٢)، معجم المؤلفين (٢٩٥/٩)، الأعلام (١٢٠/٦)، هدية

العارفين (١٤١/٢)، كشف الظنون (٨١٣) وغير ذلك، شذرات الذهب (٢٧/٦)، البدر الطالع (٢/

١٧١) الدرر الكامنة (٤٣٤/٣)، النجوم الزاهرة (٢١٥/٩)، الوافي بالوفيات (٥١/٣).

-طيف الخيال، (وهو كتابنا هذا)

قلت: وقد زدت على ذلك في هامش ديوان الإسلام: -كتاب المقصود (في التصرف).

وزاد ابن حجر في رفع الإصر عن قضاة مصر: كتاب «منظومة ابن دانيال».

وبعد ترجمتي لهؤلاء الأعلام ومن هم في هذه المكانة العالية من العلم والسلطة يحضرنني الآن قول الفخر الرازي عند احتضاره قوله:

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أننا جمعنا فيه قيل وقالوا!
وكم من رجال قد رأينا ودولة	فبادوا جميعاً سرعين وزالوا
وكم كم جبال قد علت شرفاتها	رجال فماتوا والجبال جبال

فالله أسأل أن يحتم لي ولزوجتي وسائر المسلمين بخير ختام بالموت على دين الإسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه بكرمه وجوده آمين.

محققه: أبو إسلام

سيد كسروي حسن

القاهرة في يوم الجمعة:

١٧ من ذي القعدة ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٠٠٦/١٢/٨ م

## منهج التحقيق

- نسخت المخطوطات الثلاثة.
- قومت ما بها من أخطاء لغوية أو إملائية.
- أضفت ما سقط من ألفاظ أو حروف أو عبارات وبينت ذلك في حينه.
- أضفت بعض العناوين وكان ذلك قليل جداً، وجعلت تلك الإضافات بين معقوفين، وأشارت إلى أن ذلك من عملي بالهامش.
- شرحت بعض الكلمات التي وردت ببعض الآيات أو ثانيا الكتب وذلك من خلال لسان العرب.
- اكتفيت بشرح المرتضى للآيات التي ذكرها حيث رأيت أنه من أقدر الناس على شرحها حيث أنه مؤلف معظمها وإن كان قد اختصر في الشرح.
- علقت في المخطوطتين الآخرين تعليقاً خفيفاً على بعض الآيات.
- ترجمت للشعراء والأعلام الوارد ذكرهم بالمخطوطات الثلاثة إلا القليل النادر.
- عرفت بالبلدان الوارد ذكرها بالمخطوطات وإن كانت قليلة وذلك من خلال كتاب معجم البلدان.
- عرفت بالمخطوطات الثلاثة ووصفتها وحددت أماكن تواجدها وعدد أوراقها وما إلى ذلك من بيانات هامة.

قدمت للمخطوطات الثلاثة بمقدمة واحدة هي هذه المقدمة.

-أرفقت صور أول وآخر كل مخطوطة عقب المقدمة.

-ترجمت للشيوخ المؤلفين الثلاثة.

والله موفق والمهدي للصواب

## وصف مخطوط بهاء الدين المنشي

اسم المخطوط: رسالة الطيف.

اسم المؤلف: بهاء الدين المنشي.

رقم المخطوط: ٢٣٩٣ ف: ٦٣٧ س ١٦٢

اسم المكتبة الموجود بها المخطوط: أحمد الثالث.

اسم المكتبة الموجود بها صورة المخطوط: معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

رقم المخطوط بمعهد المخطوطات بالقاهرة: ٣٩٤.

نوع الفن: أدب

عدد الأوراق: ٥٠ ورقة.

عدد الأسطر في كل صفحة: ١١ سطر.

مقاس الصفحة: ١٨ X ١٣ سم.

عدد الكلمات في كل سطر: ١٠:٦ كلمة.

تاريخ النسخ: ٦٧٤هـ.

نوع الخط: نسخ جميل.

اسم الناسخ: ياقوت بن عبد الله المستعصي.

مكان النسخ: بغداد

ملاحظات أخرى:

-بصدر صفحة الغلاف ختم تملك مكتبة أحمد الثالث باسطنبول: كبير ومستدير ونصه: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثم توقيع السلطان داخل الختم.

-خاتم آخر مستطيل صغير بداخله بالحروف اللاتينية ثم رقم (١١١)، ورقم (٢٧٩٩).

-عنوان الرسالة ونصه: رسالة الطيف لبهاء الدين المنشي.

-توقيع كبير بالتوقيع السلطاني أو مكتبة السلطان.

-ثم بذيل صفحة الغلاف من أسفل إلى اليسار ختم المكتبة أو السلطان وهو بيضاوي الشكل.

\*\*\*

## وصف مخطوط ابن دانيال

اسم المخطوط: طيف الخيال.

اسم المؤلف: ابن دانيال.

رقم المخطوط بمعهد المخطوطات: ٦٤٨ ف ٨٩٣ س ٩٨٧/٧٨٨.

نوع الفن: أدب

نوع الخط: نسخ نفيس.

عدد الأسطر في كل صفحة: ١٠ عشرة أسطر.

عدد الأوراق: ١٨٢ ورقة.

مقاس الصفحة: ١٣,٥ X ١٨ سم.

اسم المكتبة الموجود بها المخطوط: معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تاريخ النسخ: ٨٢٨ هـ.

اسم الناسخ: محمد بن الخيام (الخياط) (الحياب) الصالحى، المولوى، السيفى، طشبقا، التمرى، الملكى، الأشرفى.

الآمر بالنسخ: برسم الخزانة الكرامية الصالحة المولوية الأميرية.

ملاحظات أخرى: نسخة تامة = الكبيرة الناصرية العالية المولوية الأميرية.

### وصف مخطوط الشريف المرتضى

اسم المخطوط: طيف الخيال.

اسم المؤلف: الشريف الرضى.

صواب اسم المؤلف: الشريف المرتضى.

رقم المخطوط: (١٠٣١٣ ز).

مكان وجود المخطوط: الأسكوريال.

مكان وجود مصورة المخطوط: دار الكتب المصرية بالقاهرة.

عدد الصفحات: ٢٠٨ صفحة.

نوع الخط: نسخ جيد.

تاريخ النسخ: ٥٩١ هـ.

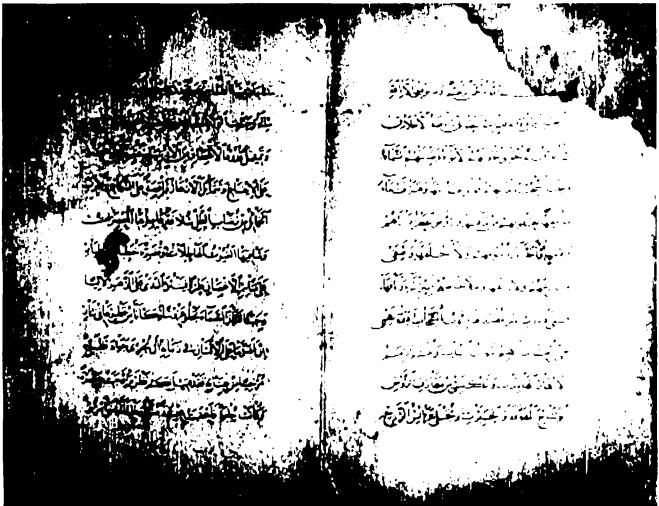
نوع الفن: أدب.

## صور المخطوطات

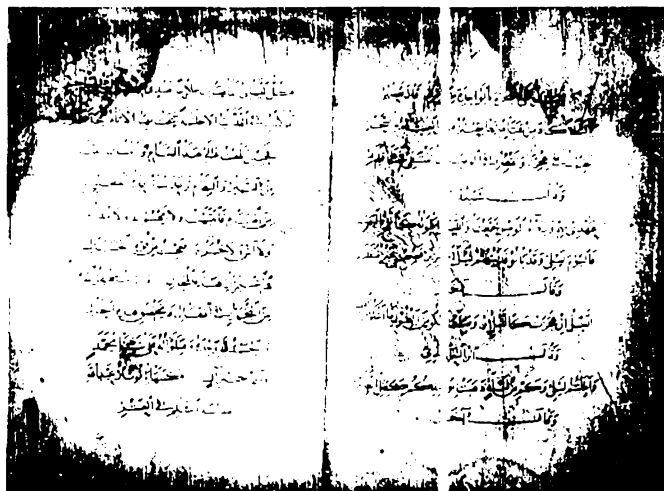


صورة عنوان النسخة (أ) من مخطوطة المنشي

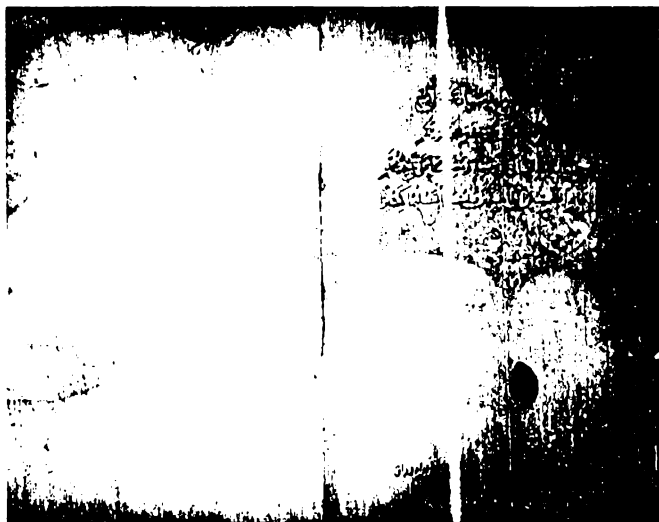




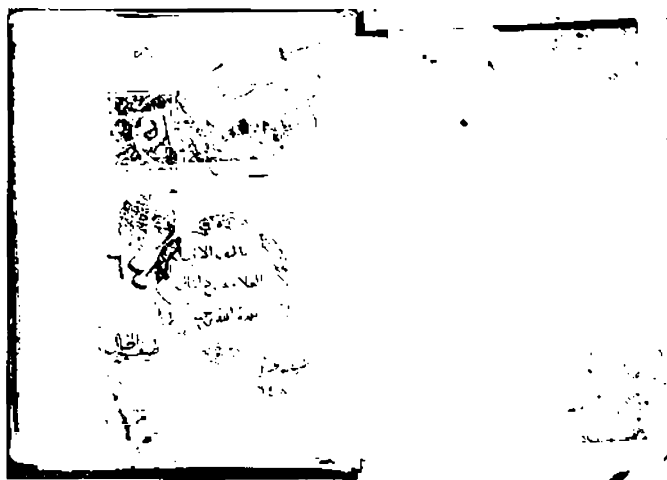
صورة بداية النسخة (أ) من مخطوطة المنشي



صورة الورقة قبل الأخيرة من النسخة (أ) من مخطوطة المنشي



صورة آخر النسخة (أ) من مخطوطة المنشي



صورة غلاف النسخة (أ) من مخطوطة ابن دانيال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 كُنْتُ إِلَى أَمَّا الْأَسْتَاذُ الْبَرُّ  
 وَالْمُحْسِنُ الْفَارُجُ لَا زَالَ سَتْرُكَ وَنَعْمَا  
 وَجْهِكَ شَيْخَا عَذْرَاكَ بِخَالِ الْخَالِ عَد  
 مَجْدُ الْأَحْمَارِ عَدَّ عَدَّ كَالْبَرْقِ نَطَح  
 وَنَالِي لَوْ أَصْفَتْكَ مِنْ عَدِّ الْأَمْزَجِ  
 مَا يَكُونُ عَدَّهُ الْفِي أَشْخَاصِ الْأَعْدَادِ  
 فَمَارِسَةُ مَنَى وَأَنْ يَزِيدَ مَنَى وَأَنْ يَكُنْ  
 بِأَسْمَاءِ مَنَى عَدِّ الْأَمْزَجِ مَوْجِلَانِ  
 نَاصِحٌ عَزِيزٌ لَا عَدْرَةَ وَأَمِنْ لَدُنْكَ

مَا لَا يَكُونُ عَدُّهُ الْفِي أَشْخَاصِ الْأَعْدَادِ  
 فَمَارِسَةُ مَنَى وَأَنْ يَزِيدَ مَنَى وَأَنْ يَكُنْ  
 بِأَسْمَاءِ مَنَى عَدِّ الْأَمْزَجِ مَوْجِلَانِ  
 نَاصِحٌ عَزِيزٌ لَا عَدْرَةَ وَأَمِنْ لَدُنْكَ

على الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين  
 واشهد أن الله هو الغفور والودود  
 من في القبور هم سوجه النبي للقبول  
 وتدفى بحبه وسلفي ربه ويومه  
 العوم من التوم ثم رول ذلك الحالك  
 وسفر فون حوف النكالي ثم يحمل  
 المهر على المنسل ويسل وجلس  
 عليه ويدفن في القبر  
 البية البالية ما منها من تاليه  
 طيف الجباله ومن الله على سوا محمد

بم

١٩٩  
 بحسب الحاجب الميزان المعروف بـ  
 الحبال لأن دانيال يجد الله وهو ودود  
 يوفيه الله لكاتبه والذليل  
 بذوقه ولطيف الملقن ودع من كتابه  
 في يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر رجب  
 الأول سنة ثمان وعشرين وثمان مائة

عزيم احمد الجليلي

والعالم الولول الامير

والحرر الشامه ربه

ومحمد بن عبد العالي البكري

• السدي طسعا التبراه  
 • المللي الانز في ادا م  
 • الله سعادته وبلغه  
 • من حرك الدنيا والى  
 • سواله وارادته محمد  
 • والده والحمد لله وحن وصلوته وسلامه علي  
 • سيدنا محمد حاتم النبي والمرسلين وعلى اله  
 • وصحبه الطاهرين والحمد لله رب العالمين  
 • حسانه ونعم الوكيل



الكتاب الأول

# طيف الحيات

تأليف

الشيخ المرتضى

أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى

المتوفى ٤٣٦ هـ

تحقيقه

سيد كسروي حسن





## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله على ما أعطى من فهم، وآتى من علم، وصفى من بصيرة، وغفى من جريرة، ويسر من طلب، وسنى من أدب، وصلى الله على سيد المرسلين نبيه محمد وآله الطاهرين، صلاة تكون لحقوقهم كفواً ووفاء.

ومن بعد، فإنني وقفت على ما ذكرته، أمدك الله بتوفيقه وتسديده، من شغفك بما اطلعت عليه من كتابي في «الشيب»<sup>(١)</sup> وإعجابه لك، وإطرابه إياك. وأنك استغررت فائدته، واستغربت طريقته، ودعاك ما وقفت عليه منه، إلى التماس كتاب في أوصاف «طيف الخيال». نسلك فيه هذا المنهج، ونخرجه هذا المخرج، فإنه أيضاً باب قائم بنفسه، قد أطلال الشعراء فيه وأقصروا، وأصابوا وأخطأوا، وتصرفوا وتفتنوا. وقد رأيت الإجابة إلى سؤالك، على ضيق زماني وقلبي، وكلال فكري، وكثرة هموم صدري، وأن أعتمد على إخراج ما في ديواني الطائيين، ثم ما في ديواني شعري وشعر أخي، نصر الله وجهه، وأحسن منقلبه، فأنقله على جهته، من غير إخلال بشيء منه، وأتكلم على معانيه ومقاصده، منظراً بين نظائره، كاشفاً عن دوائره وسرائره، حسيماً فعلته في كتاب «الشيب». ولأبي تمام في هذا المعنى التافه اليسير، فإنه ما عني به، ولا رزق منه. أما البحرني فإنه كان مغرماً ممتيماً بالقول في الطيف، فأكثر فيه وأغزر، مع تجويد وإحسان وافتنان، وتصرف فيه تصرف المالكين، وتمكن من تمكن القادرين. وسأنبه على مواقع إحسانه، ومواضع إغرابه، بإذن الله.

ومما يفيد تقديمه أن «الطيف»<sup>(٢)</sup> قد يوصف بالمدح تارة، وبالذم أخرى. ولمدحه

---

(١) هو كتاب «الشيب والشباب» للمؤلف - رحمه الله تعالى - وقيل اسمه: الشهاب في الشيب والشباب وقد طبع في الأستانة سنة (١٣٠٢هـ).

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة طيف: طيف الخيال. يحيطه في النوم قال أمية بن أبي عائذ:

أدق من نازح ذي دلال  
ألا يا لقومسي لطيف الخيال

وطاف الخيال بطيف ومطافاً: ألم في النوم، قال كعب بن زهير:

أئسى ألم بك الخيال بطيف  
ومطافه لك ذكرى وشغوف

وطاف لغة:

والطيف والطيف: الخيال نفسه (الأخيرة عن كراع).

وجوه متشعبة.

فمما يمدح به:

أنه يملل المشتاق المغرم، ويمسك رفق المعنى المسقم، ويكون الاستمتاع به والانتفاع به، وهو زور وباطل، كالانتفاع لو كان حقا يقينا. وهل فرق بين لذة الخيال في حال تملها وتخيّلها، وبين لذة اللقاء الصحيح، والوصال الصحيح. وبعد زوال الأمرين، ومفارقة الحالين، ما أجدهما في فقد متعته، وزوال منقته، إلا كصاحبه.

ومما يمدح به:

أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله، ويخاف ليه وفوته. واللذة التي لم تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع، وأنه وصل من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين، وجود من بخيل، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين، وجود من بخيل. وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول.

ومن مליح مدحه وغريبه:

أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقاء هما، ولا يخشى منهما، ولا اطلاع عليهما. والتهمة هما زائلة، والرؤية عنهما عادلة.<sup>(١)</sup>

والطيف المس من الشيطان، وقرأ قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ وما بمعنى. وقد أطاف وتطيف.

وقولهم: طيف من الشيطان كفولهم: لم من الشيطان، وأنشد بيت أبي العيال الهذلي:

فإذا بها وأبيك طيف جنون

وفي حديث المبعث: فقال بعض القوم: قد أصاب هذا الغلام لم أو طيف من الجن، أي عرض له عارض منهم. وأصل الطيف الجنون، ثم استعمل في الغضب، ومس الشيطان.

ويقال: طاف يطوف ويطوف طيْفًا وطَوْفًا فهو طائف. ثم سمي بالمصدر ومنه: طيف الخيال الذي يراه النائم. وفي الحديث: «فطاف بي رجل وأنا نائم».

والطيف: سواد الليل، وأنشد الليث:

عقبان دَجْنٍ بادرت طيْفًا

(١) لقد أجاد في وصفه أيما إجادة واختصر أيما اختصار، وأفاد بماهيته أيما أفاد وذكر عمارته وفضائله فأوجز وأفاض وذكر ما يريد أن يعرف عنه من الفضائل بغير أطناب وأراح القلب والعين من

وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم، ولا يدنو إليهما تأثيم، ولا عيب فيهما ولا عار، وقد قاما مقامهما فيه ذلك أجمع. وهذا المعنى الأخير مما عندي أني سابق إليه، ومبتدئ به؛ لأنني ما رأيته إلى الآن لأحد في نظم ولا نثر، وقد تعجب الشعراء كثيراً من زيارة الطيف على بعد الدار، وشحط المزار، ووعرة الطرق، واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده، وعاضد يعضده؛ وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف، في أقرب مسدة، وأسرع زمان؟ لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة، وأنها في النوم كالقطة، فلا بد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه، من طي البعيد بغير ركاب، وجوب البلاد بلا صحاب.<sup>(١)</sup>

ومن المعاني المقصودة في الطيف، أن يلم بذكر ماهيته وسببه، والمقتضى لتخيله وتصوره، كما قال أبو تمام<sup>(٢)</sup>:

التفكير والنظر في الأوراق بهذه الكلمات القلائل المفيدة في فضائله والقائلين بحسنه.

(١) نعم لقد أجاد في هذا القول أيضاً، حيث إن العاشق المسلم الذي يخاف ربه ويحترم نفسه، ويخاف على معشوقه من فضوح الدنيا ونار الآخرة يرجو طيف الخيال حتى يغنيه عن هذه الأمور العضال فهو بين نارين: الحب، وخوف الفضح فماذا يريجه سوى هذا الطيف الذي لا يلام عليه عامة الناس، ولا يحاسبه الله تعالى عليه، وهو يقضي له بعض طره من محبوه من مسامرة وحديث بلا رقيب أو عزول أو واث.

(٢) أبو تمام هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس أبو تمام، الطائي الشاعر، الحوراني. ذكرته مصادر كثيرة منها طبقات الشعراء (٢٨٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٤)، الأغاني (١٦/ ٢٨٣) الفهرست (١٩٠) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨) وفيات الأعيان (٢/ ١١) المعبر (١/ ٤١١) البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٩) التاج الزاهر (٢/ ٢٦١) شذرات الذهب (٢/ ٧٢)، خزنة الأدب (١/ ١٧٢)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٨)، معاهد التنصيص (١/ ١٤). كتاب أخبار أبي تمام للصولي، والموازنة بين الطائيين، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٣) وما قال في ترجمته:

شاعر العصر... من حوران، من قرية جاسم أسلم وكان نصرانياً، مدح الخلفاء والكبراء، وشعره في الذروة، وكان أمر طويلاً، فصيحاً عذب العبارة مع نعمة قليلة.

ولد في أيام الرشيد وكان أولاً حدثاً يسقي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء أو أخذ عنهم، وكان يتوقد ذكاءً، وسحت قريحته بالنظم البديع فسمع به المحتشم، فطلبه وقدمه على الشعراء، وله فيه قصائد، وكان يوصف بطيب الأخلاق والظرف والسماحة.

وقيل: قدم في زي الأعراب، فجلس إلى حلقة من الشعراء، وطلب منهم أن يسمعوا من نظمه فشاع وذاع وخضعوا له، وصار من أمره ما صار... وقد كان البحراني يرفع من شأن أبي تمام، ويقدمه على نفسه، ويقول: ما أكلت الخبز إلا به، وإني تابع له.

ثم فمما زارك الخيالُ  
ولكنك بالفكر زرت طيف الخيالِ  
وكما قلت:

وعهدي بتمويه عين المحبِ  
فلمّا التقينا برغم الرقا  
تسئمُ على قلبه الطائر  
دموءُ قلبي على ناظري  
وهذا المعنى أيضًا، مما ابتدعته واخترعته في وصف الطيف؛ لأنني ما علمت سابقًا  
إليه، وعائثرًا به.

فأما ذم الطيف:

فإنه قد يذم بأنه باطل وغرور، ومحال وزور، ولا انتفاع بما لا أصل له، وإنما هو  
كالمسراب اللامع، وكل تخيل فاسد. وربما ذم بأنه سريع الزوال، وشيك الانتقال، وبأنه  
يهيج الشوق الساكن، ويضرم الوجد الخامد، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيا  
وساهيا. <sup>(١)</sup>

وهذه المعاني في المدح والذم قد تشعب وتركب وتنتزع، فيتولد بينها من المعاني ما  
لا ينحصر ولا ينضب، بحسب قوة طباع الشاعر وصحة قريحته وغريزته. وستشرف مما  
أذكره، وأوقظ على معانيه، وأخرج مكانه، على جميع ما تحتاج إليه في هذا الباب،

وديان أبي تمام كبير سائر، ولما مات رئاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نبا ألم فقلّ الأحشاء  
لما أتى من أعظم الأنباء  
قالوا: حبيب قد ثوى فاجتبه  
ناشدتكم لا نجعلوه الطائسي

وكان ابن وهب قد اعتنى بأبي تمام، وولاه بريد الموصل، فأقام فيها أكثر من سنة. ومات في  
جسدي الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقال مغلذ الموصل: مات في المحرم سنة اثنتين وثلاثين  
ومائتين. وأما نبطويه، وغيره فأرخوا موته بسامراء في سنة ثمان وعشرين ومائتين.

ويقال: عاش نيفا وأربعين سنة، عفا الله عنه ورحمه، قال الصولي: كان واحد عصره في دياجة  
لفظه، وفصاحة شعره، وحسن أسلوبه، ألف الحماسة فدلّت على غزارة معرفته بحسن اختياره،  
وليه كتاب: فحول الشعراء، وقيل: كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، وقيل: أجازة أبو  
دلف بخمسين ألف درهم. واعتذر.

(١) أما ذم الطيف فخفيف لا ضرر فيه ولا قوة مع ذمه ولا حجة قاطعة بل هو تخوف، وسبب ذلك  
أن ذام الطيف غالبًا لم يكابد الحب لهذا لا يعرف قدر الطيف بالنسبة للمحب فهو يتكلم بما لم  
يجرب ولم يحس.

بمشيئة الله تعالى. ومن الله استمد المعونة والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، من جملة قصيدة:

زار الخيال لها، لا بل أزاركهُ      فكُـرَ إذا نَامَ فِكْرُ الخَلْقِ لَمْ يَتِم  
ظَنِّي تَقَنُّصَهُ لِمَا نَصَبْتُ لَهُ      من آخر الليل أشراكاً من الخَلْمِ  
ثم اعتدَى وبنا من ذِكْرِها سَقَمٌ      باقٍ وَأَن كَانَ مَعْسُولاً مِنَ السَّقَمِ  
ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدي<sup>(١)</sup> يتكلم على هذه الآيات بما أنا أذكره،

(١) في الموسوعة الذهبية (٩/١): هو: أبو القاسم: الحسن بن بشر الأمدي الأصل البصري المنشأ مولده ووفاته بالبصرة، إمام في الأدب، وله شعر حسن واتساع تام في علم الشعر ومعانيه رواية ودراية وحفظاً، وصنف كتباً فيه حسناً. وكان في البصرة كاتباً للقضاة من بني عبد الواحد الهاشمي قضاة البصرة، وصحب المشايخ والجملة مثل أبي إسحاق الزجاج وطبقة. وكان الأمدي يكتب خطاً حسناً من خطوط الأوائل المعبرين المهودين، وهو أقرب خط إلى الصحة وكتب الكثير (أنباه الرواة ١/٢٨٥، وجمهرة الخطاطين البغداديين ١/٧٠).

.. قال الفقطي: وصنف كتباً حسناً منها: كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري، وهو كتاب كبير حسن في وقته. وكتاب «المختلف والمؤتلف» في أسماء الشعراء وهو كتاب جليل. وكتاب الرد على قدامة في نقد الشعر، وهو كتاب جليل طريف. وكتاب «الحروف» في اللغة.

ورأيت في بعض المراجع ما صورته: «الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الأمدي الكاتب النحوي من أهل البصرة، وهو صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين»، أبي تمام والبحري، كان حسن الفهم، جيد الدراية والرواية، سريع الإدراك، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب: «المؤتلف والمختلف» في أسماء الشعراء.

... وكان مولده بالبصرة وقدم بغداد، وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن ذرة، وأبي بكر ابن السراج اللغة والأخبار.

واتسع في الآداب، وبرز فيها وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره بالبصرة إليه. وكان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر بن هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عُمان بحضرة المقتدر بالله. وكان معاصراً لابن مقلة الوزير. وكانت وفاته سنة سبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع. وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمل من الكتب وشعره كثير مدون.

ومن مصادر ترجمته: أنباه الرواة (١/٢٨٥)، وجمهرة الخطاطين البغداديين (١/٧٠)، مجلة البصائر (٤٠/١) والأعلام (٢/١٨٥)، هدية العارفين (١/٢٧١)، فهرست ابن النديم (٢٢١)، تاريخ الإسلام والبلغة (٥٥)، معجم المؤلفين (٢/٢١٩)، طبقات ابن شبة (١/٢٩٨)، كشف الظنون (٤٦٢)، معجم الأدباء (٨/٧٥)، معجم البلدان (١/٦٢)، معجم المطبوعات العربية (٩).

ومبين ما فيه. قال: إن قوله: «زار الخيال لها، لا بل أزاركه» ليس بالجيد، لأنه إذا أزاره الفكر فقد زار. فما وجه الاستدراك؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة، وإنما الفكر. ومثله قام زيد، لا بل أقمته. وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام، بل أقمته أنا.

وأقول: إن الأمدي عاب هذا البيت ثم اعتذر لقائله بما هو العذر الصحيح الذي يخرج من أن يكون معيباً. فأني معنى لقوله إنه ليس بالجيد؟ وقد فطن من غرضه لما فيه العذر، وزوال العيب والقبح. فكأنه جمع بين الشيء وضده. وإنما يعيب بما ذكره من لم يَفْطَنَ لما فُطِنَ له. وقوله «زار الخيال» إضافة الزيارة إلى الخيال. والظاهر من قول القائل «قام زيد» إضافة القيام إليه على سبيل الاختيار. فيجوز أن يستدرك قائل هذا القول على نفسه، فيقول عقيب قوله «زار الخيال»، بل أزاركه كذا وكذا. وعقب قوله «قام زيد»، بل أقامه فلان، لأن استدراك صحيح، واقع في موقعه. وليس لأحد أن يخالف في هذه الجملة، ويدعي أن قول القائل «قام زيد» إنما يفيد حصوله على هذه الصفة، ولا يفيد أنه باختياره وإيثاره، دون حمل حامل، وبعث باعث؛ لأن هذا إذا سلم على ما فيه، كان الاستدراك في موضعه أيضاً؛ لأنه إذا قال «زار الخيال» واحتمل هذا القول زيارة الاختيار، من غير بعث باعث، واحتمل وقوع الزيارة عن حمل حامل، وفود قائد، جاز أن يزيل هذا القائل الاحتمال والإيهام. فيقول: «لا بل أزاركه كذا وكذا»، وهذا ما لا شبهة فيه. ثم قال الأمدي: «ويروى: إذا نام فكر الحلو لم ينم» ثم قال: (لم يرد حقيقة النوم، وإنما أراد لم يفتر ولم يسكن، كما يقال فلان لا ينام عن هذا الأمر، أي لا يفتر عنه ولا يقصّر). ويقول إن الرواية التي ذكرها في إبدال لفظة الخلق بالحلو لا بأس بها، وإن كان لفظ الخلق أعم وأؤكد في المعنى المقصود، فإن الحلو، يدخل في جملة الخلق، ولا يدخل الخلق في معنى لفظ الحلو. والذي فسره في نفي النوم، أنه إنما أراد الفتور والسكون، ظاهراً، لا يشكّل مثله فيفسر. ثم قال: (وقوله «من آخر الليل» ولم يقل «ومن أول الليل»: يريد أنه لا ينام وأنه يسهره. وإنما يهوم<sup>(١)</sup> وفي آخر تهوياً، فيطرقة الخيال في ذلك

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «هوم، الحقوم، والتّهوم، والتّهويم: النوم الخفيف قال الفرزدق يصف صائداً:

عاري الأشجاع مشغوه آخر قصص ما تطعم العيني نوماً غير تهويم

وهو الرجل إذا هز رأسه من النعاس. وهوم القوم وتهوموا كذلك، وقد هومنا. وقال أبو عبيدة: إذا كان النوم قليلاً فهو التهويم. وفي حديث ربيعة: فيينا أنا نائمة أو مهومة.

السوقت) ثم قال: (قوله «وإن كان معسولاً من السقم»: أي وإن كان حلوا من الأسقام: أي ممزوجاً بالعسل، وبروية قوم: «وإن كان معسولاً من السقم»، وليس بشيء). قال الأمدى: «وهذه الأبيات حسان، وغرض صحيح مستقيم». ونقول: إن الذي قاله الأمدى في معنى تخصيصه آخر الليل دون باقية، جائز، ممكن أن يكون مقصوداً. وفيه وجه آخر، وهو أن الخيال لا يطرق في العادة إلا مع وفور النوم وغزارته والاستئصال فيه. وهذا إما يكون في أواخر الليل، ومع استمرار النوم وطول زمانه، فلهذا حُصِّ آخر الليل. وفسر قوله «كان معسولاً من السقم»، مع أنه واضح لا يشكك وترك تفسير المشكل، وهو أن يقال: كيف استحلّى هذا السقم والتذه، حتى جعله معسولاً، وكأنه ممزوج بالعسل، والسقم لا يستحلّى. والوجه في ذلك أن السبب في ذكره للخيال، وشوقه إليه، وأسفه على فراقه، الذي جعله سقماً من حيث كان مؤلماً، لما كان هو طروق الخيال، وتمثله له وتخيّله. وكان ذلك التخيّل والتصور ملذاً ممتعاً، مستحلى مستعذباً، جعل المسبب عنه من التألم بقوته بمنزلة. فقد يوصف المسبب بأوصاف السبب، للعلاقة التي بينهما، والاتصال الذي يجمعهما.

وما رأيناه أثنى على البيت الثاني من هذه القطعة، ولا مدحه بما يستحقه من المدح، فإنه في غاية الحلاوة والطلاوة، وسلامة الألفاظ، وعذوبة النسخ. وقدح في البيت الأول بما ليس يقدح على اعترافه، فليته جمع بين القدح للممدوح، والمدح للممدوح. فإن قال: قد مدحت جملة الأبيات، وقلت إنها حسان، وأغراضها مستقيمة. قلت: هذا مدح تكلفته، وما نراك إذا أعجبك وأطربك معنى للبحثري<sup>(١)</sup>، تقتصر على هذا القدر من

التبويب: أول النوم، وهو دون النوم الشديد.

(١) البحثري هو: الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد، أبو عبادة الطائي، المنجي، الشاعر البحثري، جاءت ترجمته في عدة مصادر منها: الأغاني (٣٩ / ٢١)، الفهرست المقالة الرابعة الفن الثاني، تاريخ بغداد (٤٧٦ / ١٣)، المنتظم (١١ / ٦)، معجم الأدباء (٢٤٨ / ٩)، معجم البلدان (منبج) وفيات الأعيان (٢١ / ٦)، العبر (٧٣ / ٢)، البداية والنهاية (٧٦ / ١١)، النجوم الزاهرة (٣ / ٩٩)، شذرات الذهب (١٨٦ / ٢)، كتاب أخبار البحثري للصولي، وسير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٨٦) ومما قال في ترجمته: شاعر الوقت، وصاحب الديوان المشهور، أبو عبادة، الوليد بن عبيد... البحثري، الطائي المنجي.

مدح الخلفاء والوزراء، وصاحب مصر خُمارويه حكى عنه: القاضي المحاملي، والصولي، وأبو اليمون راشد، وعبد الله بن جعفر بن دُرستويه النحوي.



المدح. وقد كان ينبغي أن تخص البيت الثاني بزيادة الإطراء والمدح، وتوقظ على جودة طرحه وسبكه، فإنه لا يجري مجرى ما تقدم عليه ولا تأخر عنه، وما فعلت ذلك. وقال أبو تمام أيضاً من قصيدة:

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي  
نم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

قال الأمدى: (قد أكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت، والتنويه بذكره، وأفرطوا في استحسانه؛ وقالوا كشف عن العلة في طروق الخيال، وبين عن المعنى). قال: والبيت حسن، وإنما أخذ معناه من قول جبران العود: <sup>(١)</sup>

وعاش نحواً وسبعين سنة، ونظمه في أعلى النورة وقد اجتمع بأبي تمام الطائي، وأراه شعره فأعجب به، وقال: أنت أمير الشعر بعدي، قال: فسررت بقوله. وقال المبرد: أنشدنا شاعر دهره، ونسج وحده أبو عبادة البحرى.

وقيل: كان في صباه يمدح أصحاب البصل والبقل وقيل: أنشد أبا تمام قصيدة له، فقال: نعت إلي نفسي. وقيل: سئل أبو العلاء المعري: من أشعر الثلاثة: أبو تمام، والبحري، والمتني، قال: حكيمان، والشاعر البحرى.

وللبحرى «حماسة» «كحماسة» أبي تمام، وكتاب معاني الشعر.

مات بمنج، وقيل: بحلب سنة ثلاث، أو أربع وشانين ومائتي.

ولم أملك، بمنج، وحفيدان هما: أبو عبادة، وعبيد الله، ابنا يحيى بن البحرى اللذان مدحهما المتنبي، وكانا رئيسين في زمانهما. قلت: ومنج: بفتح الميم، وسكون النون، وكسر الباء مدينة شمال حلب، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ (معجم البلدان).

(١) جبران العود هو: العبدي، وسمي بذلك لقوله:

خذ حذرًا يا جارني فلاني رأيت جبران العود قد كاد يصلح  
فخروهما بسير قد من صدر جمل من. وكان جبران العود، والرحال خديني فتزوج كل واحد منهما امرأتين فلفيا منهما مكروهاً فقال جبران العود:

ألا لا تعرف امرأة نوفلية على الرأس بعدي أو ترائب وضع  
ولا فاحم يسقي الدهان كأنه أسود بزهاها لعيئك أبطح  
وإذا ناب خليل عقلت في عقبة ترى قرطها من تحتها يتطوح  
وفيها يقول:

جرت يوم جئنا بالركاب نزقها عصاب وشحاح من الطير متيح

فأما العفاب فهي منا عفوبة  
هي الغسول والسعلاة حلقي منها  
خذا نصف مالي واتركا لي نصفه  
وقال الرحال:

فلا بارك الرحمن في عود أهلها  
ولا الزعفران حين مسحها به  
في البيت أن الذئب خلل درعها  
وجاءواها قبل الخاق بليلة  
لقد أصبح الرحال عنهن صادقا  
وجران العود أحمد من وصف القواد في شعر فقال:

يبلغهن الحاج كل مكاتب  
ومكمونة رمداء لا يحذرنا  
رأت ورقا بياضا فشدت حزمها  
وأصبح في حيث التقينا عشية  
ومنشرات من عهود تركنها  
ويتملح قوله:

بأن الأنيس فما للقلب معقول  
يوم ارتحلست برحلي قبل برذعتي  
ثم اغترزت على نقضي لأرفعه  
ويتمثل من شعره بقوله:

ولا تأمنوا مكر النساء وأمسكوا  
فإنك لم يندرك أمرا تخافه

(الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٦٩ : ١٧).

وقال ابن منظور في لسان العرب مادة «جرن» الجران: باطن العنق، وقيل: مقدم العنق من مديح  
البعير إلى المنحر، فإذا أبرك البعير وملا عنقه على الأرض قيل: ألقى جرائه بالأرض. وفي حديث  
عائشة رضي الله عنها: حتى ضرب الحق بجرائه، أرادت أن الحق استقام وقر في قراره، كما أن  
البعير إذا برك واستراح مد جرائه على الأرض أي عنقه.

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زُورِكَ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ  
 فقوله «وهو مشغول»: أي أنه لم يزرك على الحقيقة، فبنى أبو تمام من هذا قوله «ما  
 زارك الخيال»، وبنى من قوله «أتاك به حديث نفسك» قوله «ولكنك بالفكر زرت طيف  
 الخيال»: فالمعنى كله لجران العودة، وإنما غير أبو تمام اللفظ.

وما كان عندي أن مثله يذهب عليه ما قصده أبو تمام مع وضوحه. ومعنى «وهو  
 مشغول»: أي مشغول عنك، لا تخطر بباله، ولا يحدث نفسه بك. كما تحدث نفسك  
 به، ويخطر ببالك ولا يفارق ذكرك. وأراد أن يقال: قوله: حديث نفسك عنه الذي جعله  
 سبباً للطيف وتخيله، فقابل بقوله «وهو مشغول»: أي لا يحدث نفسه بك، كما تحدث  
 نفسك به.

فأما طعن الأمدى على الأبيات الميمية التي لأبي تمام، ودعواه أنه لا حلالة لها ولا  
 طلاوة، فمن قبح العصية، لأن قوله:

اللبالي أَحْفَى بَقْلِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ السُّوَى مِنَ الْأُيَامِ

صحيح الوضع، مليح المعنى؛ لأنه إذا كان لا تلاقي بينه وبين محبوبه نهارة، ولا وصل  
 ولا قرب، وأن ذلك كله يكون ليلاً؛ فالليل أنفع له من النهار وأمتع. وأي شيء يراد من  
 أبي تمام أن ينتهي إليه في هذا البيت أكثر من هذا؟ وأما البيت الثاني فجيد المعنى، مليح  
 اللفظ. ومن عذب اللفظ وغريبه قوله «سِرُّ من الأجسام»؛ لأنه لاحظ للأجسام في  
 الانتفاع بطيف الخيال، وجعل ذلك التمثيل والتخيل إنما هو للأرواح، متفردة عن  
 الأجسام، على مذهب من يرى من الفلاسفة أن السبب في رؤيا المنام، اطلاع النفس من  
 عالمها على ما يكون في الأمور، ويجعلون للنفس ثياباً وقواماً من غير توسط الجسد.  
 وهذا إن كان مذهباً باطلاً، فقد دلت الأدلة الصحيحة على فساده، فيجوز أن يستعبره  
 الشاعر في بعض كلامه تعريضاً وتقريباً.

قال -أدام الله علوه- ولي على هذا البيت في وصف الخيال:

تَلَاقِينَا بِأَرْوَاحٍ وَفَارَقُونَا بِأَجْسَادٍ

وقال -أدام الله علوه- وستحيي هذه الأبيات فيما أخرجه من ديوان شعري بمشيئة

الله.

فأما البيت الثالث الذي أوله «بجلس لم يكن له فيه عيب» فهو قريب، وليس يهجنه  
 إلا لفظة الدعوة، فإنها كلمة عامية، قلما يستعملها الفصحاء الشعراء. فالطعن على هذه

الآيات على ما بيناه عصبية ظاهرة ولي في تحقيق السبب في طيف الخيال، ونفى أن تكون زيارته حقيقية، ما هو أجود من قول أبي شام:

«زَارَ الْخَيَالُ لَهَا، لَا بَلَّ أَزَارُكَ»

ومن قوله:

نَمَ: فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

وهو قول:

زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَيَتَنَنَا دَاوِيَّةَ سَمَلَقٍ<sup>(١)</sup>

(١) الدلاوية: هي الصحراء البعيدة المترامية الأطراف الواسعة الشاسعة. والسملق: هي الجرداء القحلاء التي لا تبت فيها ولا شجر.

ويقول ابن منظور في لسان العرب في مادة «دول» الدَّوْ: القلادة الواسعة، وقيل: الدَّوْ: المستوية من الأرض، والدَّوِيَّة: المنسوبة إلى الدَّو، وقال ذو الرُّمَّة:

وَدُوْ كَكْفٍ الْمَشْتَرِي غَيْرَ أَنَّهُ بِيَسَاطِ الْأَخْصَاسِ الْمَرَاسِيلِ وَاسِعُ

أي هي مستوية ككف الذي يصادق عند صفقة البيع. وقيل: دَوِيَّة ودَاوِيَّة إذا كانت بعيدة الأطراف مستوية واسعة، قال العجاج:

دَوِيَّة لَهَا دَوِيٌّ لِلرَّيْحِ فِي أَقَارِمِهَا مُسَوِيٌّ

وقال ابن سيده: الدَّوْ، والدَّوِيَّة والدَّوِيَّة: السفاضة الألف فيها منقلبة عن الواو الساكنة... وقال في قولهم: دَوِيَّة قال: إنما سميت دَوِيَّة لدوي الصوت الذي يسمع فيها. وقيل: سميت دوية لأنها تدوي بمن صار فيها أي تذهب هم. ويقال: قد دَوَى في الأرض، وهو ذهابه... ودَوَى بها: أي مرَّ بها، يعني العبر وأثنته.

وقيل: الدَّوْ: أرض مسيرة أربع ليالٍ شبه ترس خاوية يسار فيها بالنجوم، ويخاف فيها الضلال، وهي على طريق البصرة متياسرة إذا صعدت إلى مكة شرفها الله تعالى. وقال ابن منظور أيضاً في اللسان في مادة «سملق»: لا نبات فيه، قال عمارة:

يرمي من سملق عن سملق

وذكره الجوهري في سلق. والسملق: القاع المستوي الأملس الأجرد لا شجر فيه، وهو القَرَق قال جميل:

ألم تسلم الربيع القديم فيسطق وهل تخبرنك اليوم ببدا سملق

... وفي حديث علي عليه السلام: ويصير معبدها قاعاً سملقاً، وهي الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر فيها... وامرأة سلق: لا تلد شبهت بالأرض التي لا تبت قال:

مفرقمين وعجوزاً سلقاً

والسملقة: الرديئة في البضغ، والسملقة: التي لا أسكتين لها. وكذب سلق: خالص بحت. قال

وقولي أيضاً:

حَتَّى التَّقِينَا عَلَى رَغَمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ اللِّقَاءِ سِوَى وَسْوَاسِ ذِكْرَاكِ  
أما سلب الطيف العلم بما وقع الانتفاع به منه، وأنه لا يدري ولا يشعر به،  
فالبحتري يعيده ويديه. ويأتي في شعري منه الكثير بصور مختلفة، وصيغ غير مشتبهة.  
ومع الاشتراك في المعاني، إنما يقع الإحسان في حسن النسيج، وسلامة السبك، وأن تكون  
العبارة عن ذلك المعنى ناصعة، وفي القلوب متقلبة.

وقال البحتري أيضاً:

إِنْ رَأَيْتَ لَمْ تَشْتَبِ رِيًّا مِنَ الْوَصْلِ وَلَمْ تَذَرِ مَا هَسَوَى الْغُشَاقِ  
بَعَثْتُ طَيفَهَا إِلَيَّ وَدُونِي وَخَذْتُ شَهْرَيْنِ لِلْمَهَارِيِّ<sup>(١)</sup> الْعَتَاقِ<sup>(٢)</sup>  
زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبَا بِأَرْضِ الْعِرَاقِ  
فَقَطَعِي مَا قَضَى وَعَادَ إِلَيْهَا وَالْدُّجَى فِي بُرُودَةِ الْأَخْلَاقِ  
قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِي بِحَظٍّ وَالتَّلَاقِي فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِي

- يعني بقوله: «عِدْلُ التَّلَاقِي»: في الحقيقة، أي في اللحظة، وهذه الأبيات لا شبهة  
على متعصب، فضلاً عن منصف، في حسنها ونصوعها.

وقال أيضاً:

وَزَائِرُ زَارَ مِنْ أَعْقَتِهِ يَمِيلُ بِأَنْفُسِهِ دُعْرَةَ  
كَائِنُهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَّةً وَبَتَّ فِي الرَّرَاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ  
لَمْ أُنْسَهُ مُوشِكًا عَلَى رَجُلٍ مُدَامِجًا لِلْحَدِيثِ يَخْصِرُهُ  
كَائِنَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَائِنَهُ أَوْ آتَاهُمْ خَبْرُهُ  
ومن العجب أن الأمدى ذكر أن هذه الأبيات أحسن وأحلى من التي هي قبلها.

رؤبة:

يفتنضون الكذب السلفاً

أبو عمرو: يقال للعجوز سلق وملتق وملتق وعجوز سلق: سبحة الخلق.

(١) المهاري: جمع مهريّة، وهي الإبل المنسوبة لمهرة بن حيدان، وهم حي عظيم.

(٢) العتاق: الكريئات الأصول.

والأمر بخلاف ما ظنه؛ لأن أبيات «القافية» أطبع وأنصع، وأبعد من الكلفة، والصنعة فيها أخفى، وكلامها أحلى، وهذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة، وهي مع ذلك في غاية الحسن، إلا أن تفضيلها على الأولى غير صحيح. وأما قوله «بميل وزنا بأنسه دُعْره» فإنما يريد به أن دُعْره أرجح وأزيد من أنسه. فأما قوله «قد حَرَصُوا مكانه» فإنما يريد أنهم قد حَزَرُوا مكانه، وسبق ظنهم إليه، من الحَرَص، الذي هو حَزَر شرة النحل، لا أنه من الحَرَص الذي هو الكذب.

وهذه الأبيات ليست خالصة لوصف الطيف، بل يجوز أن يكون المراد بها زائرا زار في اليقظة. فالكلام متحمل في الطيف وغيره.

وقال البحري أيضا من قصيدة:

يَدْعُو صَبَابَتُهُ الْخَيَالَ إِذَا سَرَى	إِنَّ الْعَمِيدَ صَبَابَةٌ مَنْ لَا يَنِي
مَنْ زَائِرٌ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى	تَدْرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ
لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا	غَابَ الْوِشَاءُ فَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ
إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى	كَانَ الْكَرَى حَظُّ الْعَيُونِ وَلَمْ أَحَلْ
بَرْحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى	ذَمْعٌ تَغْلُقُ بِالشُّؤُونِ فَلَمْ يَزَلْ
وَجَدَ لِي وَحَاجَةً أَكْمَهُ أَنْ يُنْصِرَا	قَامَتْ تُمْنِيْنِي الْوِصَالُ لَتُنْبَلِي
فِي الْعُلُوثِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا	نَالَهُ لَمْ أَرْ مُذْ رَأَيْتُ كُلَّ لَيْلَتِي
حَدَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ. أَوْ أَسْفَرَا	أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أَمْلَأَهُ وَقَدْ

قال الأملدي: «وهذا لعمرك القول الذي لو ورده الظمان لروي، لكثرة مائة». وأقول: إنه قد تقدم فيما أوردناه للبحري من هذا الباب، ما هو من هذه الأبيات أنصع وأطبع، وأحلى وأعلى، وأعقب بالقلوب، وأعلق بالنفوس. فأما قوله:

كَانَ الْكَرَى حَظُّ الْعَيُونِ وَلَمْ أَحَلْ      أَنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى

فلقائل أن يقول: أي حظ للقلوب في الكرى ولم يَحْلَهُ ثم وجده؟ وأي حظ معهود للعيون من الكرى؟ فإن هذا ليس يبين في كلامه والجواب: أن العيون من حيث تودعت وسكنت عن موالاة النظر والتحديق للتعين لها: كان لها بذلك حظ من الكرى دون القلوب. فإن خواطر القلوب وأفعالها تكون في النوم واليقظة. وما تراد له العيون لا يكون في اليقظة دون النوم. ولما كان الخيال في النوم يتمثل للقلب ويُتَخِيل، فيسر القلب بذلك

التحليل، ويعتقده حقيقة، ويلتذ به عاجلاً، ويستمتع به، كان للقلوب حظ في الكرى لم يكن في حسابه. وهذا تدقيق منه.

وأما قوله:

مُنَيْتِنَا غُلًّا وَمَا أَثْنَيْنَا  
وَالسَّوْقُتُ لَيْسَ يُحِيلَ حَتَّى يُشْهَرَا

فالعقل هو الشرب الثاني، والنهل هو الشرب الأول، يعجب من أنها تنيه الشرب الثاني، ولم يكن منها شرب أول، ومن لم ينهل لم يُعل، كما أن الزمان لا يحيل، بأن يصير حولا حتى يُشتهر، بمعنى أنه يكون شهراً، فإن الشهر قيل الحول. كما أن النهل قيل العل. فاما قوله: «أهوى الظلام وأن أملاه»: فما زالت الشعراء تمنى الليل والنوم فيه لطروق الطيف... واعتادني ليلاً، فجعلوه مختصاً بالاعتیاد والطروق ليلاً. ولم يستعمل الشعراء ذلك في قديم ولا حديث، إلا فيما ذكرناه. قال امرؤ القيس: <sup>(١)</sup>

(١) هو: امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى، وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد.

قال ليبد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح - يعني امرأ القيس-، وملك حجر على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي فسموا عبيد العصي، وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص، فقام بين يدي الملك فقال:

يا عين ما فابكي بني	أسد هم أهل الندامة
أهل القباب الخمر والنعم	المؤبل والمداممة
مهلاً أبيت اللعن مهلاً	إن فسيما فليست آمنة
في كسل واد بين يشرب	والقصور إلى القيامة
تطرب عان أو صياح محرق	وزرقاء هاممة
أنست المليك عليهم	وهسم العبيد إلى القيامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم، وردهم إلى بلادهم حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تمامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي فقال: يا عبادي قالوا: لبيك ربنا، فقال: من أملك الأصهب الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب لا يلحق رأسه الصخب، هذا دمه يتشعب، وهو غداً أول من يسلب، قالوا: هو ربنا، قال: نولا أن نجيش نفسي جاشية أبنائكم أنه حجر ضاحية. فركبت بنو أسد كل صعب وذلول فما أرق لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائماً، فنبحوه وشدوا على هجائه فاستاقوها.

وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زمناً فلم يصل إليها، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال:

«فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل»

فلما بلغ ذلك حجرًا أباه دعا مولى له يقال له: ربيعة فقال له: اقتل القيس وأنتي بعينيه، فذبح  
جوزرًا (ولد البقر الوحشية) فأثاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال: أبيت اللعن أي لم أقتله،  
قال: فأنتي به، فانطلق فإذا هو، قد قال شعرًا ماذا أجبل وهو قوله:

فلا تسركني يا ربيع هذه وكنت أراي قبلها بك وثقا

فرده إلى أبيه فنهاه عن الشر، ثم إنه قال:

«ألا عم صاحبًا أيها الطفل البالي»

فبلغ ذلك أباه فطرده فبلغه مقتل أبيه بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون دمون إننا مشعر يمانون

واننا لأهلنا محبون

ثم قال: ضيعني صغيرًا وحلني دمه كبيرًا لا صحو اليوم وسكر غدا اليوم خمر، وغدا أمر، ثم قال:

خليلي ما في اليوم مصحي لشارب ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم أتى ألا يأكل لحمًا، ولا يشرب خمرًا حتى يثار بأبيه، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقت لبرق بليل أهل يضي سناء بأعلى الجبل

بقتل بني أسد رهم ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بني وائل فسار إليهم، وقد جوا إلى كنانة فأوقع بهم ونجت بنو كاهل من بني أسد

فقال:

يا لهف نفسي إذا حظين كاهلا الفاتلين الملك الحلاجلا

تالله لا يذهبن شحي بباطلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم فتأبى عليه ذلك الشعراء، فقال عبيد:

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيوانا

أزعمت أنك قد قتلت سمراتنا كذبا وميئنا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر متى خرج إلى قيصر فدخل معه الحمام، فإذا قيصر أقفل

فقال:

إني حلفت.. بعينا غير كاذبة بأنك أقلف إلا ما جنى القمر

إذا طعنت به مالت عما منه كما يجمع تحت الفلكة الوبر

ونظرت إليه ابنة قيصر فعشفته، فكان يأتيها وتأتيه، وفطن الطماح بن قيس الأسدي لها. وكان

حجر قتل أباه فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس مترعًا، فبعث قيصر في طلبه رسولًا،

فأدركه دون أنقرة بيوم، فنثار لحمه وتقطر جسده، وكان يحمله جابر بن حنين الثعلبي... وقال



\*تأويني دائي القديم فغلسا

والشواهد على هذا أكثر من أن تحصى، والبيت الخامس عليه رونق الإحسان، والصنعة فيه كأنها مفقودة؛ للطبع المتدفق، والماء المترقق.

حين حضرته الوفاة:

رب خطبة محبرة، وطعنة مسحفرة، وجفنة متعنجرة تبقى غدًا بأنقرة، قال الكلبي: هذا آخر شيء تكلم به ثم مات.

[قلت: محبرة: أي مهذبة. ومسحفرة: أي نافذة. ومتعنجرة: أي يسيل ودكها]

قال أبو عبد الله الجمحي: كان امرؤ القيس ممن يتمهر في شعره، وذلك قوله:

فستلك حيلي قد طرقت ومرضع

وقال:

سوت إليها بعدما نام أهلها

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، وأتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسب وقرب المأخذ، ويستجاد من تشبيه قوله:

كأن قلوب الطير رطبًا وبابًا لدى وكرها العناب والحشف البالي

... وقد أحاد في صفة الفرس:

مكر مفر مقبل مدبر مغا كجلمود صخر حطه السيل من علي

... ومما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أنشاء الرشاح المفصل

وقالوا: الثريا لا تعرض، وإنما أراد الجوزاء فذكر الثريا على الغلط، كما قال الآخر: «كأحمر عاد». وإنما هو: «كأحمر سود». وهو عاقر الناقة.

... وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثًا لا يقدر على الماء إذا أقبل راكب على بعير، وأنشد بعض القوم:

لما رأت أن الشريعة همها وأن البياض مسن فرائضها دامى

ضمت العين التي عند خارج يفيء عليها الظل وعرضها طمي

(قلت: العرض الطحلب يكون على وجه الماء).

فقال الراكب من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال. والله ما كذب، هذا خارج عنكم وأشار إليه فمشوا على الركب فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا.

وقال البحرني أيضاً من قصيدة:

أَمَّا رَاعَكَ الْحَيُّ الْحِلَالُ هَجَرِهِمْ  
بَلَى، وَخِيَالٌ مِنْ أُنْبِيَاءَ كُلَّمَا  
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُمْ نَقَضَتْ مَعَ الْكَرَى  
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ  
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخِيلُ بَاطِلُ  
قال الأمدى: (ولست أقول في هذا إلا ما كان البحرني يقوله) وحدنا به أبو علي  
محمد بن العلاء السجستاني أنه كان إذا شرب وسكر، أنشده مثل هذا وأشباهه من شعره،  
وقال: «ألا تسمعون؟ ألا تعجبون؟».

ويقول: إن الأبيات ناصعة الجمال، بعيدة المنال. وفي البيت الأخير الذي أوله:

«وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخِيلُ بَاطِلُ»

معنى جليل القدر، ثقیل الوزن، له غور عميق، وأس وثيق. وإنما أراد البحرني: أن  
الذي يراد من الحق من بل الغلة، وإمساك الرمق، وتمتع النفس، هو في هذا الباطل: فقد  
تساوبا في الغرض المقصود، الحق فيه مقام الباطل.

وقال البحرني أيضاً:

أَخْيَالٌ غَلَوَةٌ كَيْفَ زُرْتُ وَعِنْدَنَا  
طِيفٌ أَلَمْ بَنَا وَنَحْنُ بِمَهْمِهِ  
أَنْضَى إِلَى شُعْبِ تُطِيرُ كَرَاهِمُ  
حَتَّى إِذَا نَزَعُوا الدُّجَى وَتَسَرَّبَلُوا  
وَرَمَوْا إِلَى شُعْبِ الرُّجَالِ بِأَعْيُنِ  
أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالثَّجِيَّةِ حِلْسُهُ  
سِرَّتْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ وَلَرُبَّمَا  
قال الأمدى:

«وهذا والله الكلام العربي، والمذهب الذي بُعد على غيره أن يأتي بمثله». ونقول: إن  
الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات، وبراعتها وسلامتها، وإنما يعجب من طروق

الخيال مع الأرق الذي يشرد الخيال، فلا يكون معه في موضع العجب. ولا بد من أن يكون قد أغفى بعض الإغفاء مع طول الأرق، ومعالجة السهر، فطره طيف الخيال في ذلك السهيم الخفيف الضعيف: فأما قوله «يشق على الملم الخاطر». فلم يرد خاطر القلب؛ لأن ذلك لا معنى له في هذا الموضع، وإنما أراد الماشي؛ لأنهم يقولون حَظَر البعير يَحْظَرُ حَظَرًا: إذا مشى فضرِبَ بذنبه يمينًا وشمالًا والقَوْد الطوال. ووصف الإبل بأنها مع الطول كالقسي من النحول والضمير. فأما قوله «هلهلة الصباح»، فالعرب تقول ثوب مهلهل وهلهل وهلهلة، وهو الرقيق النسج. ومنه قيل لسنج العنكبوت الهلهل. وإنما وصف البحرّي أوائل ضوء الصباح النائر، فإنما أراد المنيرة، وفي ذلك لغتان نار وأنار. قال الفراء<sup>(١)</sup>: أنا الطريق ونار وذكر مثل ذلك

(١) الفراء المراد هنا هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الأسدي مولا هم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، ومصادر ترجمته كثيرة منها مراتب النحويين (٨٦)، طبقات الزبيدي (١٤٣)، أخبار النحويين البصريين (٥١)، الفهرست (٧٣)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٦)، الأنساب (٩/ ٢٤٧) نزعة الألباء (٩٨)، معجم الأدباء (٩/ ٢٠)، أنباء الرواة (٤/ ٨)، وفيات الأعيان (٦/ ١٧٦)، المختصر (٢/ ٣٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٣).  
العبر (١/ ٣٥٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٨)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢)، روضات الجنات (٤/ ٢٣٥) بقية الوعاة (٢/ ٣٣٣)، خلاصة تهذيب الكمال (٤٢٣)، مفتاح السعادة (١/ ١٧٨) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨) ومما ترجم له به: كان ثقة. ورَدَّ عن ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية ولسقطت لأنه خلصتها، ولأنها كانت تُنتزع، ويدعيها كل أحد.

نقل أبو بُسَيد الوضاعي أن المأمون أمر الفراء أن يُلَف ما يجمع به أصول النحو، وأفرده في حجرة، وقرّر له خدماً وجواري، ووراقين، فكان يُعَلِّي في ذلك سنين قال: ولما أُمِّلَ كتاب: «معاني القرآن» اجتمع له الخلق فكان من جملتهم شانون قاضيًا، وأصل «الحمد» في مائة ورقة وقال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى. وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو.

... وعن شامة بن أشرس: رأيت الفراء ففاقتته عن اللغة، فوجدته بحرًا، وعن النحو فشاهدته نسيجًا وحده، وعن الفقه فوجدته عارفًا باختلاف القوم، وبالطب خبيرًا، وأيام العرب والشعر والتجوم فأعلمت به أمير المؤمنين فطلبه.

وللفراء كتاب: «البيهي» في حجم «الفصيح» لثعلب وفيه أكثر ما في الفصيح، غير أن ثعلبًا رتبته على صورة أخرى. ومقدار توالي الفراء ثلاثة آلاف ورقة. وقال سلمة: أُمِّلَ الفراء كتبه كلها حفظًا. وقيل عرف بالفراء؛ لأنه كان يفري الكلام. وقال سلمة: إني لأعجب من الفراء كيف يعظم الكسائي وهو أعلم بالنحو منه. مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث

يعقوب<sup>(١)</sup>.

وقال قطرب: <sup>(٢)</sup> نارت النار وأنارت، ونار البرق وأنار، فأما العلاقة بفتح العين فهي

وستون سنة، رحمه الله.

(١) هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، البغدادي، النحوي، المؤدب شيخ العربية وصاحب كتاب: «إصلاح المنطق» ومن مصادر ترجمته الكثيرة:

طبقات النحويين واللغويين (٢٠٢، ٢٠٤)، الفهرست (٧٩)، تاريخ بغداد (١٤ / ٢٧٣)، نزهة الألبان (١٢٢)، معجم الأدباء (٢٠ / ٥٠)، وفيات الأعيان (٦ / ٣٩٥)، العبر (١ / ٤٤٣)، البداية والنهاية (١ / ٣٤٦)، النجوم الزاهرة (٢ / ٣١٧)، بغية الوعاة (٢ / ٣٤٩)، شذرات الذهب (٢ / ١٠٦)، نزهة الألبان (١٧٨)، إيضاح المكنون (١ / ٩٤)، الكامل في التاريخ (٥ / ٣٠)، تاريخ أبي الفداء (٢ / ٤٠)، مراتب النحويين (٩٥)، المزهر (٢ / ٤١٢)، سير أعلام النبلاء (١٢ / ١٦)، ومما قال في ترجمته: «ذِي خَيْرٍ»، حجة في العربية... له من التصانيف نحو من عشرين كتاباً. قال ثعلب: لم يكن له نفاذ في النحو، وكان يتشيع. فقد سألته المازني عن وزن «نَكْتَلُ» فقال: «نَفَعُ حُلٌّ» فردّه، فقال: «نَفَعْتُعَلُ» فقال: أتكون أربعة أحرف وزنها خسة أحرف؟ فوقف يعقوب، فَنَبَّيَ المازني أن وزنه: «نَفَعْتُعَلُ».

ففسال الوزير ابن الزيات: تأخذ كل شهر ألفين ولا تدري ما وزن «نكتل»؟ فلما خرج قال ابن السكيت للمازني: هل تدري ما صنعت بي؟ فاعتذر.

ولابن السكيت شعر جيد، ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنه المعتز والمؤيد، فقال لابن السكيت: من أحسب إليك؟ هما أم الحسن والحسين، فقال: بل قَتِيرٌ (وهو خادم علي عليه السلام) فأمر الأتراك فنادسوا بطنه، فمات... بعد يوم، وقيل: حُمِلَ ميتاً في بساط. وكان في المتوكل نصب نسال الله العفو.

مات ابن السكيت أربع وأربعين ومائتين.

(٢) قُطْرُبُ هو: أبو علي محمد بن المستنير النحوي المشهور بـقُطْرُبُ، وقد جاءت ترجمته في عدة

مصادر منها:

ديوان الإسلام (١٦٧٠)، هدية المارفين (٢ / ٩) الإعلام (٧ / ٩٥)، معجم المؤلفين (١٢ / ١٥)، معجم الأدباء (١٩ / ٥٢)، كشف الظنون (١١٥) وغير ذلك، إيضاح المكنون (١ / ١٠٠) وغير ذلك، شذرات الذهب (٢ / ١٥)، تاريخ بغداد (٣ / ٢٩٨)، مفتاح السعادة (١ / ١٣٣)، روضات الجنات (١٥٦)، الكامل في التاريخ (٦ / ١٢٩)، بغية الوعاة (٤٤٤)، وفيات الأعيان (١ / ٦٢٥)، لسان الميزان (٥، ٣٧٨)، نزهة الألبان (١٩) مرآة الجنان (٢ / ٣١).

قال البغدادي في تاريخ بغداد: أحد العلماء بالنحو واللغة أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصريين ويقال: إن سيبويه لقبه قطرباً لمباكرته إياه في الأسفار، قال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل. والقطرب: دوية تدب ولا تقتر.

نزل قطرب بغداد وسمع منه بها أشياء من تصانيفه وروى عنه: محمد بن الجهم السمری، وكان موثقاً فيما يحكيه. وبلغني أنه مات في سنة ست ومائتين.

علاقة الحب. وبكسر العين هي: علاقة السوط وغيره.

قال البحرى أيضاً:

إذا ما الكرى أهدى إلي خياله      سقى قربه التبريح أو نفع الصدا  
إذا انتزعته من يدي أنبياهه      عذدت حبيباً راح مني أو غدا  
ولم أر مثليناً ولا مثل شأننا      نغذب إيقاظاً وننعم هجداً  
أما الصدى ههنا: فهو الطيش؛ ومعنى نفع الصدى: أي رواه. والبيت الثالث في هذه  
الآيات في غاية الحسن والقوة والسلامة.  
وقال البحرى أيضاً:

أقامت على الحجران ما إن تجوزه      وخالفها بالوصل طيف لها يسري

وقال السيوطي في بغية الوعاة: أخذ عن عيسى بن عمر، وكان يرى رأي المعتزلة النظامية، فأخذ  
عن النظام مذهبه، واتصل بأبي دلف العجلي، وأدب ولده، ولم يكن ثقة.  
وقال ابن السكيت: كُتِبَ عن قطرب قطراً؛ ثم تبين أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً وله  
من التصانيف: «المثلث» و «النوادر»، «الأصوات» «العلل في النحو»، «الأضداد»، «والهمزة»  
«خلق الإنسان»، «خلق القرش»، «إعراب القرآن» المصنف القريب في اللغة بحاز القرآن وغير  
ذلك، مات سنة ست ومائتين.

قال محققه: وقد جمعت مصنفاته همامش ديوان الإسلام فبلغت اثنين وعشرين مصنفاً هي:

- ١- الأصوات.
- ٢- المثلث (المثلثات في اللغة).
- ٣- النوادر.
- ٤- الرد على الملحدين في متشابه القرآن.
- ٥- الصفات.
- ٦- العلل في النحو.
- ٧- الأضداد.
- ٨- الهمز.
- ٩- خلق القرآن.
- ١٠- خلق القرش.
- ١١- إعراب القرآن.
- ١٢- المصنف الغريب في اللغة (الاشتقاق).
- ١٣- مجاز القرآن.
- ١٤- غريب الآثار.
- ١٥- غريب الحديث.
- ١٦- كتاب الأزمدة.
- ١٧- كتاب الفرق.
- ١٨- فعل وأفعل.
- ١٩- كتاب القوافي.
- ٢٠- كتاب معاني القرآن.
- ٢١- كتاب الاشتقاق [وله كتاب قائم بذاته أو هو ما سبق تحت رقم (١٢)].

فكم في الدجى من فرجة بلقائها      وكم ثرحة بالبين منها لذي الفجر  
إذا الليل أعطانا من الوصل بلعة      تتأشني سیر الصباح إلى الهجر  
ولم أني إسماع الكرى بدنوها      وزورتها بعلم الهدو وما تدري  
ويتمنى تناول الليل وتماديه، ليتناول ويتمادى زمان المتعة بالطيف واللذة، بتخيله وتمثله. وهذا باب واسع وطريق مهتج.

ومن رقيق ما قيل فيه قول ابن المعتز:

أيا بديعاً بلا شبيهه      ويا حقيقاً بكل تيه  
ومن جفاني فلا أراه      هب لي رقاًداً أراك فيه  
وهذا نظير قول الشاعر:

يا نازحاً نرحت عيني قطيعته      هب لي من الدمع ما أبكي عليك به  
لأن قيل إنما استوهب ابن المعتز من الرقاد ما هو في يد محبوه؛ لأنه يملك هجره وبعاده فيسهر، وليس يملك المحبوب مادة الدمع فيسأل فيها والجواب عن ذلك: أن الأمرين واحد؛ لأن المعشوق يقدر على كل ما يبكي به عاشقه، ويدري دموعه، ويجلب ماءها ويستفده، ويقدر على الكف من ذلك، فيبقى دموعه بكاملها، ولا يصفّر ما فيه منها. فما سأل الشاعران إلا ما هو ممكن غير معوز.

وقال البحرني:

بت أبدي وجداً واكنم وجداً      لخيال قد بات لي منك يهندي  
أقسم الظن فيه أنني تخطي الرمل      من عالم وأتسى هنداً  
خطأ ما أزارناه طروقاً      أم توحيه للزيارة عمداً  
جاء يسري فأشرق أرض نجد      أسراه وواصل الغيث نجداً  
لا يخيب البلاد تخطر فيها      رسل الشوق من خيالات سغدى  
وعدتنا فما وفّت بوصال      وفّت حين أوعدت أن تصداً  
قرب الطيف منهاها فأصبحت      حديثاً يناقض العهد عهداً  
وقال أيضاً:

منك طيف ألم والأفق ملا      ن من الفجر واعتراض عموده

زَائِرٌ، أَشْرَقَتْ لِرُؤْيِهِ      أَغْوَارُ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نَجْوِهِ  
 أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَسْتَأْ      الْعَيْنِ فِي حَالِهِ فِي تَوَرِيدِهِ  
 مُعْطِيًا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ      مِ الَّذِي كَانَ لِمَانَعَا فِي صُدُودِهِ  
 يَقْظَاتُ الْمُحِبِّ سَاعَاتُ بُوسَا      هُ وَنِعْمَاءُ عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ

مع وصف خيال المحبوب بأنه يبدل في النوم ما كان يضمن به في اليقظة، ويصل في هذه الحال بعد صدوده في غيرها، وأن النعيم والمنفعة في المجهود مع طيف الخيال، كما أن الشقاء والمضرة في اليقظة مع هجران الحبيب وصدوده، فهو جادة مسلوكة، وجهة مأنوسة للشعراء، وسيجيء في شعري من ذلك ما سيوقف عليه بمشيئة الله. والحكم في تجويد وتقصير وإحسان وإساءة إلى من عرف ثم أنصف.

وقال البحرني أيضًا:

وَمَا أَتَفَكُّ دَاعِي الْبَيْنَ حَتَّى تَزَايَلَتْ      قِيَابُ بِنَاهَا حَاضِرٌ وَخِيَامُ  
 عَشِيَّةَ مَا بِي عَنِ شَيْثٍ تَرَحَّلْ      فَأَمْضَى وَلَالِي فِي شَيْثٍ مُقَامُ  
 قَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ      يُحِلُّ لَنَا جَدْوَاكَ وَهُوَ حَرَامُ

قال الأمدى: «وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب»، وقد صدق في مقالته، وأنصف في شهادته. ومعنى قوله: «يحل لنا جدواك وهو حرام»: إنا نظفر في الحلم بما كنا نرد عنه في اليقظة، وننال ما كنا نذاد عنه. فعبر عن البذل بالتحليل، وعن المنع بالتحريم، وهذا مליح، ومن بارع البلاغة والفصاحة؛ لأن الحظر والتحريم منع من الشيء وإن فعل. والتحليل بذل له وإن هجر قال - أدام الله علوه - والذي أرويه: «يحل لنا جدواك وهي حرام»، لأن الجدوى مؤنثة. وقد رواه الأمدى على التذكير، وقد يجوز ذلك على المعنى؛ لأن معنى الجدوى هو العطاء والفضل والإحسان.

وقال البحرني:

أَرْجَمَ فِي لَيْلِي الظَنُونُ وَأَرْجِي      أَوَاحِسَرَ حُوبَ اخْلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ  
 وَلَيْلَةٌ هَوُّنًا عَلَى السَّيِّئِ أَرْسَلَتْ      بِطُفَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ  
 فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ كَانَ تَشْبِيهِ      بَعْطَقَتِي غَزَالٍ بَسْتُ وَهَنَا أَغَارُلُهُ  
 وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَيْدَةٌ      وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهُ

قوله «يشبه الحق باطله» من مליح الكلام ومقبوله. وقال الأمدى عقيب هذه

الآيات: وهذا كله إنما حسن، وقبلته النفوس؛ لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو به، من غير زيادة ولا نقصان. فلا فصاحة لكلامه، ولا بلاغة ولا براعة. وكم من مخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، لكلامه القبول، وإلى القلوب الوصول. وهذا يدل على أن حظ الألفاظ في الكلام الفصيح منظوما ومثثورا أقوى من حظ المعاني. وقد نبهت على ذلك في مواضع من كلامي، من أراد الاستقصاء وقف عليها.

وقال البحرني أيضًا:

ما نقضي لبانه عند لبني      والمعنى بالفانسيات معني  
هجرتنا يقظى وكادت على مذ      هبها في الصدود تهجر وسني  
بعد لأي وقد تعرض منها      طائف عرجت على الركب وهنا  
ورأيت أبا الفاسم الأمدي - مع حسن رأيه في البحرني، وميله إليه - يزعم أنه أخطأ في قوله:

هجرتنا يقظى وكادت على مذ      هبها في الصدود تهجر وسني  
قال: لأن خيالها يمثل له في كل أحوالها، يقظى كانت أو وسني. قال: لكن الجيد في هذا المعنى قوله:

أَرَدُ دُونَكَ يَقْظَائِي وَيَأْذَنِي لِي      عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانِي  
قال: والذي أوقع البحرني في هذا الغلط، قول قيس بن الخطيم: <sup>(١)</sup>

(١) هو: قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر، أبو زيد الأوس الشاعر، ذكره ابن حبيب في كنى الشعراء بتحقيقي، وهو ملحق بكتاب أسماء المغتالين برقم (١٠٣)، ومما علفت عليه به فيه أن قلت: ذكره ابن حزم في الجمهرة (٣٤٢) في ذكره لبني كعب (ظفر) بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فقال منهم: قيس بن الخطيم... الشاعر، وأخته ليلى بنت الخطيم، قتل يوم الجسر، وله ابن آخر اسمه ثابت بن قيس له حمية.

وذكره ابن حبيب أيضًا في المخبر (ص ٢٣٣): في المتعممين بمكة لجمالهم مخافة النساء على أنفسهم، وذكر زوجته: حواء بنت يزيد بن السكنة بن كريض بن زعوراء في السنة المبيعات رسول الله ﷺ من ابن عبد الأشعل، فقال: وحوراء بنت يزيد... وهي زوجة قيس بن الخطيم التي أوصاه بها النبي، وذكر أخته ليلى بنت الخطيم في المبيعات أيضًا في ظفر (ص ٤١٣) فقال: ليلى بنت الخطيم أخت قيس بن الخطيم من بني عدي عمرو كانت عند مسعود بن أوسي، وأخته ليلى بنت الخطيم أيضًا، وقال: كانت عند قيس بن زيد بن عامر وذكر أخته ريطة فيهم غير أنه تشكك فيها.



مَا تَمْتَعِي يَقْطُئِي فَقَدْ تَوْتَيْتُهُ      فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ

قال: وكان الأجود أن يقول ما تمنعني في اليقظة فقد توتيته في النوم، أي ما تمنعني في يقظتي فقد توتيته في حال نومي، حتى تكون اليقظة والنوم منسوبين إليه. ثم قال: إلا أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس، ما لا يسع للبحري؛ لأن قيسا قال فقد توتيته نائمة. وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعني يقظي وأنا يقظان، فقد توتيته في النوم، أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحري، لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن.

ونقول إنه قد يمكن التأويل للبحري في بيته، ما لم يمكن مثله لقيس؛ لأن البحري لما قال وسنى، أتى بلفظة تدل على حال الوسن. والحال المعهود للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالمعاد، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة في العادة، ف قوله وسنى تنبئ عن كونه هو أيضاً نائماً، وإنما أراد المقابلة بين يقظي ووسنى. وقول البحري يقظي: الأولى أن يحمل على أن المراد به أنها هجرت في أحوال اليقظة. ومعنى يقظة يتعدى إليه. ألا ترى أن الأمدي حمل قول قيس «يقظي» على معنى وأنا يقظان وإن تبين الوجه فيه؟ فكيف لم يفتن لمثل ذلك في قول البحري؟ وقوله «وسنى ويقظي» مثل قول قيس «يقظي». ولو ممكن قيساً وزن الشعر من أن يقول «وسنى» في مقابلة «يقظي»، لعله ما عدل عنه إلى أن يقول في النوم؛ لأنه لم يكن عليه في وسنى إلا ما عليه في يقظي، وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول بمثله في الآخر.

فأما أبيات قيس هذه في الطيف، فقد سبق فيها إلى كل معنى غريب عجيب، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من تبعه تبع أثره، والأبيات:

أَنْسَى سَرَبْتِ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ      وَتَقَرَّبَ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ

مَا تَمْتَعِي يَقْطُئِي فَقَدْ تَوْتَيْتُهُ      فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ

كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا، فَلَقِيَتْهَا      فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ

أما قوله: «وكننت غير سرور» ولم يقل: وكننت غير سارية؛ فله معنى عجيب؛ لأن السارب هو السائر نهاراً، كما أن الساري هو السائر ليلاً. ومن لم يسر نهاراً مع وضوح المسالك، والاهتداء إلى المقاصد، والأنس بضياء النهار، كيف يسري في الظلام وهو على الضد من هذه المعاني؟ فالعجب منه واقع في موقعه. وقوله «وتقرب الأحلام غير قريب» من مליح الإشارة إلى غرور الطيف، وكذب تخيله. فأما المصرد؛ فهو القليل. والتضريد: التقليل. وتحتل لفظة محسوب شيئين: أحدهما القليل أيضاً؛ لأن الشيء القليل يوصف

بأنه محسوب وهذا التأويل أحد الوجوه في قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فكان الشاعر أكد قوله: «غير مصرّد» بأنه أيضًا غير محسوب؛ كل ذلك لنفي التقليل. والوجه الآخر أن يكون معنى محسوب: أي متوقع منتظر، كما يقال: لم يكن كذا وكذا في حسابي؛ أي ما توقعته ولا انتظرت. فكانه قال: تؤتونه في النوم غير مقلل، ولا متوقع منتظر؛ لأن زيارة الطيف في النوم ليست مما ينتظر ويتوقع. وقوله فلقيتها: معناه: فلقيت خيالها؛ لأنه لو كان لقيها لما كان مكذوبًا. وقوله: «ظهرت هو امرئ مكذوب» من فصيح العبارة، وأحسنها معنى.

وقال البحرى أيضًا:

أما مُعِين عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرَبَتْ	به الجوانح والبين الذي أَقْدَا <sup>(١)</sup>
كيف اللقاء وقد اضْطَحَّتْ مُحِيطَةٌ	بالشام لا كُتِبَ منها ولا ضَدَّ <sup>(٢)</sup>
تَهَاجُرْ أَمَّ وَلَا وَصَلْ يَخْلِطُهُ	إلا تَزَاوُرُ طَيْفِينَا إِذَا هَجَدَا
وقد يُزِيرُ الْكَرَى مِنْ لَا زيارته	قَصْدٌ وَيُذْنِي الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَنْ بَعْدَا
بَشْنَا عَلَى رِقَبَةِ الْوَاشِيْنِ مُكْتَفَيْنِ	صَابَاةً نَتَعَاطَى الْبَثَّ وَالْكَدَا
أما سَأَلْتُ بِشَخْصَيْنَا هُنَاكَ فَقَدْ	غَابَا، وَأَمَّا خِيَالَانَا فَقَدْ شَهِدَا
ولم يَعُدْ، لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجُرُونِي	إلا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عَهْدَا

قال الأمدى: «لو كان قال: إلا تزاور طيفينا إذا هجدنا، كان عندي أجود، فكان المعنى: إني إذا هجدت رأيتها في النوم. فكان نفسي ونفسها اجتمعتا، وكذلك إذا هجدت هي ترى مثل ما رأيت، ويكون «طيفينا» محمولًا على معنى نفسيًا؛ لأن النفس هي التي ترى ما ترى في النوم، وهي التي تتمثل أيضًا ما تتمثل في اليقظة. وقد يسوغ مع هذا أيضًا قوله: «إذا هجدوا»: يريد النفسين، لأن نفس الإنسان هي التي تنام، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَلْتَمِمْ لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾. ونقول إنه لا شبهة في أنه لو قال البحرى: «إلا تزاور طيفينا إذا هجد» لكان صحيحًا مستقيمًا؛ لكن وزن الشعر لم يمكنه من ذلك، فعُدل إلى لفظ آخر، وما أراد إلا هذا المعنى بعينه؛ لأن الطيفين اللذين هما ما يتمثل في

(١) أَقْدَا: أي المجر والفراق والغربة التي أصابت الفؤاد في حميمه فحطمته تحطيمًا.

(٢) صَدَّ: يريد لا قريب ولا ناحيته، والصدد ناحية الشيء، فقد قَدَّ سبيل الوصول أو الاستدلال على محبوبه.

النوم وتخييل، لا يوصفان بالهجوم. وإنما عبر بالطيف عن صاحب الطيف؛ وعن يمثل له أو منه الطيف، وما ذلك ببعيد من الاستعارة في منثور الكلام، فضلا عن منظومة الذي يضيق عن الأغراض، ويحتمل فيه ما لا يحتمل في غيره. فأما قول الأمدى: إن النفوس هي التي تجتمع وتلتقي، ويمثل لها ما تتمثل في بقطة أو نوم، وأن نفس الإنسان هي التي تنام، واستشهاد بالآية، فما كان ينبغي له أن يخوض فيه، ويدخل نفسه في مثله، فإنه ليس من عمله؛ ولا مما له به علم ومعرفة. وترك الإنسان الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه. والنفس عبارة عن اللغة العربية عن أشياء كثيرة، منها الدم؛ ولذلك قالوا: «ما لا نفس له سائلة، فإنه لا ينحس الماء إذا مات فيه»، وسميت النفس بهذا الاسم، لأجل الدم. ويعبر بالنفس عن الذات، يقال فعلت ذلك بنفسي، وجاء زيد نفسه، ونفسي تنوق إلى كذا وكذا: أي أنا تائق إليه.<sup>(١)</sup>

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «نفس»: النفس: الروح. وقال ابن سيده: وبينهما فرق ليس من غرض هذا الكتاب. وقال أبو إسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين أحدهما: قولك خرجت نفس فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في روعه. والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته تقول: قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه، أي أوقع الإهلاك بذاته كلها، وحقيقته. والجمع من كل ذلك أنفس، ونفوس...

قال ابن خالويه: النفس: الروح، والنفس: ما يكون به التمييز، والنفس: الدم والنفس: الأخ، والنفس بمعنى عنده والنفس: قدر دبة.

وقال ابن بري: أمّا النفس الروح. والنفس ما يكون به التمييز فشاهداهما قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فالنفس الأولى هي التي تزول بزوال الحياة.

والنفس الثانية: التي تزول بزوال العقل، وأما النفس الدم: فشاهده قول السموأل:

تسيل على حدّ الظلمات نفوسنا وليست على غير الظلمات تسيل

وإنما سمي الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه. وأما النفس بمعنى الأخ: فشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾. وأما النفس بمعنى عند: فشاهده قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك.

والأجود في ذلك قول ابن الأنباري: إن النفس هنا الغيب، أي تعلم غيبي لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب ويشهد بصحة قوله في آخر الآية قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ كأنه قال: تعلم غيبي يا علام الغيوب.

... وروي عن ابن عباس أنه قال لكل إنسان نفسان: أحدهما النفس العقل الذي يكون به

والذي تهدي به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط، وينسبون الأفعال إليها، مما لا محصول له، وقد بينا فساده في مواضع كثيرة من كتبنا، ودلنا على أن الفاعل المميز الحي الساطق، هو الإنسان الذي هو هذا الشخص المشاهد، دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلق به، وليس هذا موضع بيان ذلك والكلام فيه. فقول الأمدى: إن النفس هي التي ترى في البقطة والنوم، وهي التي تنام في الحقيقة، خطأ منه فاحش؛ لأنه قد أضاف أفعال الحي الذي هو الإنسان المشاهد إلى غيره. والذي ينم على الحقيقة ويستيقظ، هو الحي الذي هو الإنسان المشاهد. فأما قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، فمعناه الصحيح: أن الله تعالى هو الذي يقبض ويجمع حركات الأحياء، ويصرفهم في وقت موتهم، وعبر بالنفوس عن ذوات الأحياء؛ لأن تصرف الحي مع النوم وحركته تقبض وتقل، كما تقبض حركته مع الموت.. وإن كان النائم حيا، والميت فاقدا لحياه. ثم قال تعالى: ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، أي يستمر منعها عن جميع التصرف والأفعال، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى: أي يعيد النائم في أحوال البقطة إلى ما كان عليه من التصرف.

وقال البحري أيضا:

طَيْفٌ تَأْوِبٌ مِنْ سَعْدَىٰ فَحْيَانِي	أَهْوَاءٌ وَهَوَ بُعَيْدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي
فِيهَا زُرَّةٌ يَشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا	لَوْ أَنهَا جَلَبَتْ يَقْطُطَى لِقُطَانِ
مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُلَفْ هَزَّتْهَا	فِي الْخَيْرُزَانِ وَلَمْ تَوْجَدْ مَعَ الْبَانِ

التمييز، والأخرى نفس الروح التي بها الحياة.

وقال ابن الأنباري: من اللغويين من سوى بين النفس والروح، وقال: هما شيء واحد إلا أن النفس مؤنثة والروح مذكرة. قال وقال غيره: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل... وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان: إحدهما: نفس التمييز، وهي التي تغارقه إذا نام فلا يعقل بها، ويستوفها الله كما قال تعالى، والأخرى: نفس الحياة، وإذا زالت زال معها النفس، والنائم يَتَنَفَّسُ. وقال وهذا الفرق بين تَوَفَّى نفس النائم في النوم، وتوفي نفس الحي. قال: ونفس الدم، وفي الحديث: ما ليس له نفس سائلة فإنه لا يتجس الماء إذا مات فيه.

قال محققه: وأنا أرى أن النفس هي التي يكون بها حركة البدن من نمو وحركة، والروح هي ما يعقل بها ويميز بها يشاب ويعاقب، وهي التي لا تموت؛ لأنها من أمر ربي والنفس تموت وموتها فساد للبدن، وتفصيل ذلك في غير هذا الموضع.

يُدْنِسِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُعِدُّنِي هَجَرَ فَيَبْعُدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدُّنْيَا  
أما قوله: «أهواه وهو بعيد النوم يهواني» فإنما يريد أنني أهواه على الحقيقة، وهو بعيد  
النوم يتخيل لي شخصه وطيفه وزيارته لي، فكأنه يهواني. والبيت الثالث في غاية الملاحة  
والرشاقة. وفي البيت الرابع رواية تخالف ما حكيناه، وهي:

يُدْنِسِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُعِدُّنِي هَجَرَ فَيَبْعُدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدُّنْيَا  
ومعنى الرواية الأولى أن هجرها لي مبعد في الحقيقة عن لقائها، ونأى بشخصها عني،  
وإن خَيَّلَ الْكَرَى لِي الدُّنْيَا إِلَيْهَا.

والرواية الثانية معناها: أنني أنتخيل في النوم دنو شخصها مني، فإذا انتبهت بالوجد،  
وجدت شخصها بعيدا، فكان الاستيقاظ هو الذي أبعد شخصها، كما أن الكرى أدناه،  
وَجُودُ الْعَتَابِي فِي قَوْلِهِ:

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ النَّوْمُ فِي جَفَنِ عَيْنِهِ وَمَاتَتْ لَهُ أَوْصَالُهُ وَالْمَفَاصِلُ  
رَمَتْ غِمَرَاتُ الْمَوْتِ رَمِيًا بِنَفْسِهَا وَلِلَّيْلِ سَنَرٌ حَوْلَهَا مَتَهَادِلُ  
فَأَفْهَدَى إِلَيْنَا اللَّيْلُ شَخْصًا تَنَاسَبَتْ إِلَى الْحُسْنِ مِنْهُ صُورَةٌ وَسَائِلُ  
فَبَاتَتْ غِمَامَاتُ النِّعَمِ تَجُودُنَا هَا دَيْمٌ حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَابِلُ  
وَأَحْسَنُ كُلِّ الْإِحْسَانِ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ<sup>(١)</sup> فِي قَوْلِهِ:

(١) مسلم بن الوليد هو: صريع الغواني المشهور، الأنصاري مولاهم، البغدادي، وقيل بل كوفي نزل  
بغداد، ومن مصادر ترجمته:

التاريخ لابن معين (٣٦٧)، طبقات خليفة (٢٧٦)، التاريخ الكبير (٢٥٠/٦)، التاريخ الصغير (٢/  
٢٣٦)، الشعر والشعراء (٥٢٨)، الضعفاء للعقيلي (٢٤٥)، الجرح والتعديل (٣٩٥/٥)، تاريخ  
بعداد (٩٦/١٣)، سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٨) ومما قال في ترجمته: كان شاعرا، مداحا،  
مُحَسِّنًا، مُفَوِّهًا، وهو القائل في جعفر البرمكي:

كَانَهُ قَمَرٌ أَوْ ضِيْفٌ هَصِرٌ أَوْ حَبَّةٌ ذَكَرَ أَوْ عَارِضٌ هَطِلُ  
لَا يَضْحَكُ الدَّهْرُ إِلَّا حِينَ تَالَهُ وَلَا يَفْتَبِسُ إِلَّا حِينَ لَا يُسَلُّ

مات في أواخر دولة الرشيد وديوانه مشهور وفي مصارع العشاق (٣٧/١) عن المبرد: أن  
مسلم بن الوليد الأنصاري لما وصل الرشيد في أول يوم لقيه أنشدته قصيدته التي يصف فيها الخمر  
وأولها:

أديرا عليّ الكاس لا تشربا قبلي ولا تطلبا مني عند فنانلتي دحلي  
(الذحل أي الشارب). فاستحسن ما حكاه من وصف الشراب واللهو والغزل وسماه يومئذ صريع

وليلة بات اللهب إلا بقية      تداركها طيف أَلَمْ مُسَلِّمًا  
جمعنا معاذير العتاب برقدة      مَسَتْ يَتَنَّا تَطْوِي الحديث المَكْتُمًا  
وأحسن النمر بن تُوَيْب<sup>(١)</sup> في قوله:

الغواني بأخر بيت منها وهو:

هل الميش إلا أن تروح مع الصبا      وتغزو صريع الكاسر والأعين النجل  
(الجل: الواسعة الحسنة الجميلة).

ومما قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمته: مولى أسعد بن زرارة الخزرجي. شاعر يعرف بصريع الغواني. وهو كوفي في نزل بغداد، وكان مداحًا مجيدًا مفوهًا. بليغًا، مدح هارون الرشيد، والبرامكة، والرشيد سماه: صريع الغواني (ثم أورد القصة التي سبق ذكرها) ثم ذكر بإسناده إلى أبو الحسن بن البراء عن شيخ له قال: قال مسلم بن الوليد ثلاثة أبيات تنهى فيها وزاد على كل الشعراء أمدح بيت، وأرثي بيت، وأهجي بيت. فأما المديح فقولته:

تجود بالنفس إذا ضن الخيل بها      والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
وأما الهجاء فقولته:

قبحت مناظره فحين خبرته      حسنت مناظره لقبح المخبر  
وذكر بإسناده إلى يحيى بن معاذ لما ظهر الشيب بالأمون كان يتمثل بهذا البيت من شعر مسلم بن الوليد:

أكره شبي، وأخشى أن يزارني      أعجب بشيء على البغضاء مودود  
قال أبو الحسن بن حمدان: فحدثت به أبا نعام، فقال: أتعرف بقية الشعر؟ قلت: لا، فأنشدني:

نام العوازل واستكفين لائمى      وقد كساهن خض البيض في السود  
أما الشيب فمفقود له خلف      والشيب يذهب مفقودًا بمفقود

وقال أبو الحسن بن حمدان: سمعت أبا تمام الطائي يقول بخراسان: أشعر الناس وأسهبهم كلامًا بعد الطبقة الأولى بشار، والسيد الحميري، وأبو نواس، ومسلم بن الوليد بعدهم.

(١) ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٦٢) فقال: هو من عكل، وكان شاعرًا جوادًا، ويسمى الكيس لحسن شعره، وهو جاهلي أدرك الإسلام وهو القاتل لرسول الله ﷺ:

أتأ أتيناك وقد طال السفر      نقود خيلًا خسرًا فيها عسر  
نطمعها الشحم إذا قلَّ الشجر      والخيل في أطعمها اللحم ضرر

(عسر: يريد فيها شراسة وصعوبة وقوة وقسوة). يعني اللين، وعاش إلى أن خرف واهتز، وألقى على لسانه أصبحوا الراكب (أي أسقوه الصبح).

تَأَوَّبَ صُحَّتِي وَهُمْ هُجُودٌ      خِيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمِّ حِصْنٍ  
أَلَمْ تَرَهَا السَّيِّئَ الْبَدَنَ جَاءَتْ      بِمَلَأِ الْعَيْنِ مِنْ كَرَمٍ وَحُسْنٍ  
وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قَدِيمًا لِمَالِكِ ابْنِ أَسَاءٍ<sup>(١)</sup>      وَقَدْ رُوِيَ لغيره، قوله:

ذكر الأجمعي عن حماد أنه قال: أطرف الناس: النمر بن ربيعة بن النمر وهو القائل:  
أهيم بدعد ما حييت فإن مت      أوكل بدعد من يهيم بها بعدي  
ومما يتمثل به من شعره قوله:  
ومنى تصبك خصاصة فأرجو الغنى      وإلى الذي يهب الرغائب فارغب  
وقوله:  
فإن ابن أخت القوم مصفى إنأؤه      إذا لم يزاحم خاله بأبي جلد

(١) هو: مالك ابن أساء بن خارجة الفزاري جاءت ترجمته في عدة مصادر منها:

أشعر والشعراء (٦٦٦)، الأغاني (٤١ / ١٦)، معجم المرزباني (٢٦٦)، سبط اللآلي (١٥)، تاريخ  
الإسلام (٤ / ١٨٨)، لسان الميزان (٥ / ٢)، سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٥٧) وقال: من فحول  
الشعراء، له وقادة على عبد الملك بن مروان، وكان عاملاً على الحيرة للحجاج، وكان جيلًا  
وسيمًا ومن شعره:

ربما قد لقيت أمس كئيبيًا      أقطع الليل غيرةً ونحيبًا  
أيها المشفق المُلح جِذَارًا      إن للموت طالبًا وريقيبًا  
 وذكره ابن حبيب في كتابه كنى الشعراء، ومن غلبت كنيته على اسمه بتحقيقي ملحق بكتاب أساء  
المختالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام. برقم (١٦٩) وعلقت عليه بقولي:  
هو: مالك ابن أساء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر أبو الحسن الفزاري الشاعر الغطفاني،  
قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ١٨٢): كان آباؤه سادة عطفان، وكان مالك شاعرًا غزلًا  
طريفًا وهو القائل:

وحديث ألدّه وهو مما      يشتهي السامعون يوزن وزكًا  
منطق عاقل ويلحن أحيانًا      وأحلى الحديث ما كان لنا  
الآيات..

وكان أخوه عيينة هوي جارية لأخته هند بنت أساء، فاستعان بأخيه مالك فقال مالك:

أعيين هلا إذ كلفتها      كنت استعنت بفارغ العقل  
أنت ترجو الغيث من قبلي      والمستغاث إليه في شغل

عَنْتُ لِعَيْنِي لَيْلَى عِنْدَ مَسَرَّهَا      فَبِتْ أَرُشْفُ يُمَنَّاها وَبُسَرَّها  
وَقَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا إِذْ هُدَيْتَ لَنَا      إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا  
ومما استحسّن لدعبل بن علي الخزاعي،<sup>(١)</sup> واستلطّف معناه، قوله:

(١) وهو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء أبو علي، ومن مصادر ترجمته:

طبقات الشعراء (٢٦٤)، الشعر والشعراء (٥٣٩)، الأغاني (٢٩ / ٩٨)، الموشح (٢٩٩)، تاريخ بغداد (٣٨٢ / ٨)، الفهرست (٢٢٩)، معاهد التنصيص (٢٠٢ / ١)، معجم الأدباء (٩٩ / ١١)، ميزان الاعتدال (٢٧ / ٢)، العبر (٤٤٧ / ١) وفيات الأعيان (٦٦ / ٢)، البداية والنهاية (١٠ / ٣٤٨)، لسان الميزان (٤٣٠ / ٢)، النجوم الزاهرة (٣٢٢ / ٢)، تهذيب ابن عساكر (٢٢٧ / ٥)، سير أعلام النبلاء (٥١٩ / ١١) ومما قال مؤلفه في ترجمته:

أبو علي الخزاعي شاعر زمانه، له ديوان مشهور، وكتاب طبقات الشعراء، وكان من غلاوة الشيعة، وله هجو مُقذّع. رأى الإمام مالك.

يروى عنه: محمد بن موسى البربري وغيره. بلغت جوائز عبد الله بن طاهر له ثلاثمائة ألف درهم. وقيل: كان أحذب، أصم. وقيل: هجا المأمون والكبار، وكان خبيث اللسان والنفس حتى أنه هجا قبيلة خزاعة. ويقال: هجا مالك بن طوق ففسد عليه من طعنه في قدمه بحربة مسمومة فمات من الغد سنة ست وأربعين ومائتين يقال: لأمه صاحب له في هجاء الخلفاء فقال: دعني من فضولك، أنا والله أستصليب مذ سبعين سنة ما وجدت من يجود بخشية.

قال الخطيب في تاريخ بغداد: أصله من الكوفة، ويقال من قرقيساء، وكان ينتقل في البلاد، وأقام ببغداد مدة، ثم خرج منها هارباً من المعتصم لما هجاه، وعاد إليها بعد ذلك، وكان خبيث اللسان قبيح المجرى. وقد روى عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وغيره، وكلها باطلة نراها من وضع ابن أخيه إسماعيل بن علي الدعبل، فإنها لا تعرف إلّا من جهته، وزعم أحمد بن القاسم: أن دعبلًا لقب واسمه الحسن، وقال ابن أخيه: اسمه عبد الرحمن، وقال غيرهما: اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، فالله أعلم.

... ثم ذكر ياستاده إلى محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني من سمع دعبلًا يقول: انشدت أبا نواس شعري:

أَيُّنَ الشَّبَابِ وَأَيُّهُ سَلَكَ      لَا أَيْنَ يَطْلُبُ ضَلًى، بَلْ هَلَكَا  
لَا تَعْجِبي يَا سَلَمَ مَنْ رَجَلَ      ضَحَكَ النَّشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
فَقَالَ: أَحْسَنْتَ مَلَأَ فَيْكَ وَأَسْمَعْنَا، قَالَ: وَكَانَ وَاللَّهِ فَصِيحًا.... قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ  
الْخَزَاعِيُّ:

وُلِدَ دَعْبِلُ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالطَّبِيبِ، فَعَاشَ سِتِّينًا وَتِسْعِينَ سَنَةً وَشَهْرًا. وَيَكْنَى أَبُو عَلِيٍّ وَاسْمُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ وَإِنَّمَا لَقِبْتَهُ دَائِمَةً لِدَعَابَةِ كَانَتْ



سَرِي طَيْفٌ سَعْدَى حِينَ حَانَ هُوبٌ      وَقَضَيْتُ شَوْفِي حِينَ كَادَ يَثُوبُ  
ولم أرَ مَطَرُوقًا يَحُلُّ بِطَارِقٍ      ولا طَارِقًا يَقْرِى الْمُنَى وَيُثِيبُ  
وقال البحرى أيضًا:  
أما الخيالُ فَإِنَّهُ لم يَطْرُقِ      إِلَّا بِعَقَبِ شَوْفٍ وَتَشْوِيقِ

قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدِ فَتْنَتِهِ مِنْ جَوَى      ضَرِمٍ وَسَكَنٍ مِنْ فُؤَادٍ مُقَلِّقِ  
ولربُّمَا كَانَ الْكَرَى سَبِيًّا لَنَا      بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى الْإِقْدَاءِ قَتْلَقِ  
أما البيت الثالث، فله ما شاء من قبول، وحلاوة وطلاوة.

وقال البحرى أيضًا:

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ الْمَعَاوِدِ      أَلَمْ يَنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمَتَابِعِدِ  
يُحْيِي هُجُودًا مُتَشِينٍ مِنَ الْكَرَى      وَمَا نَفَعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لَهَاجِدِ  
فَإِذَا هِيَ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ تَعَطَّفَتْ      تَعَطَّفَ أُمْلُودٍ مِنَ الْبَانِ مَائِدِ  
إِذَا وَصَلْنَا لَمْ نَصِلْ عَنْ تَعْمُدِ      وَإِنْ هَجَرْتَ أَبَدْتَ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ  
وقال أيضًا:

خَطَرَتِ فِي النُّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةٌ      خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا ثُمَّ اضْمَحَلْ  
أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَصَدَا سَرَى      وَمَلِمَ بِكَ لَوْ حَقًّا فَعَلْ  
يَتَرَأَى وَالْكَرَى فِي مَقْلَتِي      فَإِذَا فَارَقَهَا النُّوْمُ يَظَلْ  
قَمَرٌ أَتْبَعْتُهُ مِنْ كَلْفٍ      نَظَرَ الصَّبِّ بِهِ حَتَّى أَقْلْ

ولهذه الأبيات الملاحه كلها، والحلاوة جميعها، للبيتين الأولين منها الفضل الظاهر عليها، وما رأينا الأمدى طرب لما أوردها، وما شرع في شيء من مدحها، وقد يفعل ذلك فيما هو دونها أو مثلها، وهي جديرة بالطرب، حقيقة بالعجب.

وقال أيضًا:

طَرَفْنَا فِي الْخَيَالَاتِ نُعْمُ      أَمْ يَكْزِرُ فَأَمْسَعَفَتْ أَمْ يَكْزِرُ

فِي بُدُوٍ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا      وَرَقَى مِنْ جَدِيدِهِ الْمَسْبُكِرِ<sup>(١)</sup>  
 كَمَلْتُ أَرْبَعَ لَهَا بَعْدَ عَشْرِ      وَمَدَى الْبَذَرِ أَرْبَعُ بَعْدَ عَشْرِ  
 خَلَقْتُ دَارَهَا بِجَزْوَى فَبَاتَتْ      بَيْنَ سَخَرِي شَرَوَى الضَّحِيحِ وَنَحْرِي  
 لَوْ ذَرْتُ مَا أَنْتَ لَمَنْتَ بِنَجْعِ      لَمْ يُكَدِّرْ وَنَائِلٍ غَيْرَ نَزَرِ  
 ومعنى البيت الأول، أنها طرقتنا في غير الخيال وفي الخيال، ولولا ذلك لم يكن للوao  
 العاطفة معنى، والمسبكر: التام الكامل.

وقال أيضاً:

قُلْ لِلخَيَالِ إِذَا أَرَذْتَ فَعَاوِدِ      تُدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ  
 فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَنَيْتَنِي      وَبَعَثْتَ لِي الْأَشْجَانَ أَخْلَى وَأَفِيدِ  
 بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النَّيَامِ تُغْرِزُنِي      رُوْدُ الثُّنْثَى كَالْقَضِيْبِ الْمَائِدِ  
 ضَاهَتْ بِخَلَّتْهَا تَلْهُبُ خَدَّهَا      حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجُوَانٍ جَامِدِ  
 أحدهما: أنه استعار للثنثي وصف صاحبه للمقاربة. والآخر: أن سرعة الشباب لا  
 تكون إلا مع السَّعْمَةِ والرطوبة، فحمل على المعنى، وأراد أنها ناعمة الثنثي، أو رطبة  
 التعطف.

وقال أيضاً:

بَعَيْنِكَ إِغْوَالِي وَطُولُ شَيْهِي      وَإِخْفَائِي عَيْنِي مِنْ كَرَرِي وَخَفْوُفِي  
 عَلَى أَنْ تَهْوِيَّمَا إِذَا عَارَضَ أَطْيِي      سُرَرِي طَائِفٍ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ  
 سَرَى جَائِبًا لِلْخَرَقِ بِخَشْيِي وَلَمْ يَكُنْ      مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِ  
 فَبَاتَ يُعَاطِيَنِي عَلَى رِقَبَةِ الْعِدَا      وَيَمَزُجُ رَيْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرَيْقِي  
 وَبَتْ أَهَابُ الْمِسْكَ مِنْهُ وَأَتَّقِي      رَدَّاعِ<sup>(٢)</sup> عَصِيرِ صَائِكِ<sup>(٣)</sup> وَخَلُوقِ

(١) يريد نظرة الشباب وروغته وهامه وحسنه واعتداله وقوته ومهاؤه. والمراد أن أم بكر بخلت عليه  
 بما يريد من القرب أو الوصل، فأعطاه طيف الخيال منها كل ما يريد ويتمنى ويرجو بسرعة  
 وبدون طلب أو مطل أو إلحاح أو ترج أو إحراج بل وأعطاه منها فوق ما كان يأمل في الواقع  
 (٢) رَدَّاع: أي أثر الطيب بالجسم.  
 (٣) صَائِك: أي التصاق الطيب بالجسم.

أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَفَتْ  
إِلَى خَيْرِ أَذْنَسَائِي غَيْرَ صَدُوقِ  
وَمَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وَبَطْلٍ فَقَدْ شَفَى  
حَرَارَةَ مَتَبُولٍ وَخَبْلَ مَشْثُوقِ  
وَقَالَ أَيْضًا:

أَخْبَبَ إِلَيَّ بِطَيْفٍ سَعْدَى الْإِي  
أَنْتَى اهْتَدَيْتِ لَمَحْرَمِينَ تَصَوَّبُوا  
ذَكَرْتَنَا عَنْهُدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا  
إِذْ أَنْتِ شَكْلٌ مُخَالِفٌ وَمُوَافِقِ  
لَوْلَا مَكَاثِرَةُ الْخَطُوبِ وَنَحْتُهَا  
وَطُرُوقُهُ فِي اعْجَابِ الْأَوْقَاتِ  
لِسَفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رَبَا عَرَاقَاتِ  
بَيْنَ الْقِيَابِ الْبَيْضِ وَالْهَضْبَاتِ  
وَالذَّهْرِ فَيْكَ مَبَانِعُ وَمُؤَاتِي  
مَنْ جَانِبِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي  
وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلَى أَشَادُ بِهِ  
دَنَا إِلَيَّ عَلَى بُغْدٍ فَأَرْفَنِي  
عَجِيبْتُ مِنْهُ تَخْطَى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ  
طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا  
حَتَّى تَسْبُلُجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا  
وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خُبْتٍ وَمَا بَرَحَا  
قَالَ الْأَمْدِي: كَيْفَ يَقُولُ تَخْطَى الْقَاعَ، وَجَاوَزَ الرَّمْلَ، ثُمَّ يَقُولُ وَمَا بَرَحَا، ثُمَّ يَقُولُ:  
كَأَنَّهُ أَرَادَ مَا بَرَحَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، ثُمَّ سَأَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ: فَإِنْ قِيلَ هِيَ الَّتِي لَمْ تَبْرَحْ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ، وَأَمَّا خَيَالُهَا إِذَا طَرَقَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ، فَقَدْ بَرَحَ. وَأَجَابَ بِأَنْ خَيَالُهَا إِنَّمَا هُوَ صَوْرَتُهَا  
الَّتِي تَتَصَوَّرُ فِي النَّفْسِ، وَالصُّورَةُ أَيْضًا غَيْرُ بَارِحَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ. فَقَوْلُهُمْ طَرَقَ الْخَيَالَ، وَزَارَ  
الْخَيَالَ: بِحَازٍ.

ويجوز أن يكون قوله وما برحا: أي ما برحت هي، وجعل خيالها بدلا منها، ووضعها  
في موضعها؛ لأنه هي. ألا ترى إلى قول جرير: <sup>(١)</sup>

(١) هو: جرير بن عطية بن حذيفة (الخطفي). أبو حرزة. ومن مصادر ترجمته:

طبقات ابن سلام (١/ ٣٧٤)، الشعر والشعراء (٣٧٤)، الأغاني (٧/ ٣٨)، سبط اللائي (٢٩٢)،  
شرح المقامات الحريرية (٢/ ٣٤٩)، وفيات الأعيان (١/ ٣٢١) تاريخ الإسلام (٤/ ٩٥) مرآة  
الجنان (١/ ٢٣٥)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٠)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٦٩)، شرح شواهد  
المغنى (١/ ٤٥)، شذرات الذهب (١/ ١٤٠)، خزنة الأدب (١/ ٣٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠)  
كنى الشعراء (ت ١١٨) وهو ملحق بكتاب أسماء المختالين وكلاهما من تحقيق، الجهمرة  
(ص ٢٢٥).

طَرَفْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا  
وَقَسْتُ الزُّبَارَةَ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ  
قال الامدي: وقيل إنه أراد خيالها فوضع ذلك في موضعه؛ لأن خيالها ليس هو شيئاً  
غير صورتها. قال: وقد استجفى الناس قوله: «فارجعي بسلام»، وإنما قال هذا؛ لأنه  
عاتب عليها، ألا ترى إلى قوله بعد هذا:

لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي عَاهَدْتَنَا  
قَالَ: وطرفة أول من طرقه، فقال:

فَقُلْ لِحَسْبَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ  
إِلَيْهَا فَيَأْتِي وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ  
قال: وهذا أعذر من جرير؛ لأنه قال: فإني واصل حبل مَنْ وَصَلَ. فدل على أن  
الحنظلية هجرته وواصلته غيرها، فطرد خيالها. ونقول إن لبيت البحري معنى ما وقع

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: شاعر زمانه، أبو خَزَرَةَ جرير بن عطية بن الخطفي التميمي،  
البصري.

مديح يزيد بن معاوية، وخلفاء بني أمية وشعره مدون عن عثمان التميمي قال: رأيت جريراً وما  
نُصِّمُ شَفَاهُ مِنَ التَّسْبِيحِ، قلت: هذا حالك وتغذف المحصنات؟ فقال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
السَّيِّئَاتِ﴾ وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ حَقًّا.

وعن بشار الأعمى قال: أهل الشام أجمعوا على جرير، والفرزدق، والأخطل الصيرفي.  
قلت: فَضَّلْ جريراً على الفرزدق جماعة. وروى يونس بن حبيب أن الفرزدق قال لامرأته نوار: أنا  
أشعر أم ابن المراغة؟ قالت: علا عليك على حُلُوِّهِ، وشركك في مُرَّةٍ.  
وقال مروان بن أبي حفصة:

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَحَارِ وَإِنَّمَا  
خُلُوُ الْقَرِيضِ وَمِرَّةُ الْجَرِيرِ

وقيل: كان جرير عفيفاً منياً توفي سنة عشر بعد الفرزدق بشهر. وذكره ابن قتيبة في الشعر  
والشعراء، وذكر أن جده حذيفة لقبه الخطفي بقوله:

وعنفا بعد الرسيم خطفا

ثم ترجم له فقال: وهو من بني كليب بن يربوع، وكان له أخوان: عمرو، وأبو الورد.  
وولد جرير لسبعة أشهر، وعاش سبعاً وثمانين سنة، وبكى أبا حُرْزَةَ، وكان له عشرة من الولد  
ثمانية ذكور منهم بلال بن جرير، وكان أفضلهم وأشعرهم...

وكان جرير في فحول الشعراء الإسلام وكان يشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى. وقال أبو  
عمرو بن العلاء: كانا بازيين يصيدان ما بين الغنديل إلى الكركي، وكان من أحسن الناس تشبيهاً.  
حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت الحكي يتحدثون عن جرير أنه قال: لولا ما شغلني  
من هذه الكلاب لتشبيبت تشبيهاً نحن منه المعجوز إلى شبابها حين الناقة إلى سقيها.

للأمدي، وهو أشبه بالصواب مما ذكره، وهو أنه لما قال: عجبت منه تخطي القاع، وجاوز الرمل، وذلك كله لم يكن، وإنما تشبه له وتخيّل إليه ما لا حقيقة له، أراد أن تبين هذه الإضافة غير حقيقية، فكان له أن يقول: وما تخطي، ولا جاوز الرمل، كما قال في موضع آخر: «أني اهتديت وما اهتديت»، فعدل إلى أن قال: «وما برحا»؛ لأن من لم يبرح مكانه ما تخطي ولا جاوز، فكأنه استعار الطيف الذي ما تخطي الوصف له بأنه ما برح، وإن كان لا يليق به من كل الوجود؛ لأن الذي لم يبرح ما فارق مكانه، ولا زال من موضعه. وهذا وصف لا يلين بالطيف، لكن ما لم يبرح ما تخطي. والطيف ما تخطي، فكأنه ما برح فأما قوله: إن الصورة أيضا غير بارحة فكلام غير صحيح؛ لأن الطيف الذي يتصور ويمثل، ليس بشيء يشار إليه، فنثبت له البراح، أو تنفي عنه وقوله: يجوز أن يريد بقوله ما برحا: أي ما برحت هي، ووضع خيالها في موضعها قريب.

فأما بيت جرير الذي أنشده فالأولى في معناه: أن يريد أنها طرقت بنفسها زائرة على الحقيقة لا طيفها. فقال لها عتبا عليها، أو خوفا من وضع الزيارة في غير موضعها: ارجعي بسلام؛ لأنه قد قال في البيت: وليس ذا حين الزيارة. ومن خاف الرقباء، ولم يأمن على محبوه من الأقوال الخارجة، والتهم الفادحة، استعفى مما بطرق ذلك ويشمره. وليس في لفظ البيت ما يدل على اختصاص بالخيال؛ لأن الطروق الذي هو الزيارة ليلاً، يكون لغير الخيال، كما يوصف به الخيال، وهو في غير الخيال حقيقة، وفي الخيال مجاز. وحمل الكلام - إذا أمكن - على الحقيقة أولى.

وأي معنى لقوله: «وليس ذا حين الزيارة» إن كان عنى الطيف؟ وله كل معنى إذا أراد به الزيارة الحقيقية. الذي قاله الأمدي قد قاله قوم، وغيره أصوب منه وأقرب. فأما بيت طرفه؛ فهو صريح في طرد الخيال.<sup>(١)</sup>

(١) هو: طرفة بن العبد بن سفيان أبو إسحاق. ذكره ابن حبيب في كنى الشعراء (ت: ٧٥) بتحقيق وهو ملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف. وترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٢٦). فمما قال في ترجمته: هو: أجودهم طويلة وهو القائل:

لخولة أطلال بيرة تهمد

وليه بعدها شعر حسن، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل، وكان حسب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم، وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير أن له غنى وإن له كسحاً إذا قام أهضماً

وقد بين عن العلة في طرده له، وليس كبيت جرير الذي هو بغير الخيال أشبه، وفيه أوقع. وقال البحرني أيضاً:

أَمِنْكَ تَأْوُبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ      حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَبِيبِ  
تَخْطِي رِقَبَةَ الْوَاشِيْنَ وَهَنَا      وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْحَزَنِ الْمَجُوبِ  
يُكَادُ بَنِي وَأَصْنَدُفُهُ وَدَادَا      وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ  
وقال أيضاً:

عَجَبًا هَجَرَكِ قَبْلَ تَشْتِيتِ النَّوَى      مِنَّا وَوَضَلَكِ فِي الثَّنَائِيِ أَعْجَبُ  
أَلَى اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُعْجَدِ      فِي لَيْلِ عَائَةِ وَالثَّرَيَّا تَخْجُبُ  
أَتَرَكْتِهِ بِالْخَلِيلِ نَمِ طَلْبَتِهِ      بِخَلِيجِ عَائَةِ حِينَ عَزَّ الْمَطْلَبُ  
وقال أيضاً:

إِذَا فُلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدُّهَا      خَيَالٌ مِلْمٌ مِنْ حَبِيبٍ بِجَانِبِ

وأن نساء الحي يعطفن حوله      يلقن عسيباً من سرارة ملهنا

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو فأصاب حماماً فقهره، وقال لعبد عمرو أنزل إليه فأعياه فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال:

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ لَهُ غَنَى      وَإِنْ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْضَمَا

وكان عمرو بن هند شريفاً، وكان طرفة قال له قبل ذلك:

فَلَسْتُ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو      رَغَوْنَا حَوْلَ قَبْتِنَا تَخْوَرُ

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن الذي قال فيك أشد مما قال في، قال: وقد بلغ مني أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه وكعب إلى عامله على البحرين، فقتله. ويقال إن الذي قتله: المعلبي بن حسن العبيدي. والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأثلي وحيي من طسم، وجديس، ومن جيد شعره قوله:

أَرَى قَبْرِ نَحَامٍ يَخِيلُ بِمَالِهِ      كَقَبْرِ غَوِي فِي الْبَطَالَةِ مَفْسَدِ

أَنِ الْمَوْتَ يَعْنَامُ الْكَرِيمَ وَيُطْفِي      عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُنْشَدِ

أَرَى الدَّهْرَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ      وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ

لِعَمْرِكَ إِنْ الْمَوْتُ إِنْ أَخْطَأَ الْفَتَى      لِكَالطُّوْلِ الْمَرْخِي وَتَنْبَاهِ فِي الْيَدِ

يَجُودُ وَقَدْ ضَنَّ الْأَلَى شَغْفِي هَمَّ  
تُرِينِكَ أَحْلَامُ النَّيَامِ وَيَتَنَا  
وقال أيضاً:

سَرَى الطَّيْفُ مِنْ ظَمِيَاءَ وَهَذَا فَمَرْحَبَا  
أَلَمْ يَسْفِرْ لِأَغْيَمِــينَ  
وقال أيضاً:

قَدْ كَانَ طَيْفُكَ مَرَّةً يُغْرِى بِي  
فَالآنَ مَا يَزْدَادُ غَيْرَ مَغْبِةٍ  
قوله «ومن الصدود زيارة الإغباب»: من أطف الكلام، وأشدّه وصولاً إلى كل  
قلب:

أَلَمْتُ وَهَلِ الْمَاهِيَا لَكَ نَافِعُ  
بِنَفْسِي مَنْ تَنَآى وَيَدُثُو أَدْكَارُهَا  
وقال أيضاً:

طَوَّلَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْ لَا كَسْرَى  
بِمَضِي هَزِيعٍ لَمْ يَطْفُ طَائِفُ  
وقال أيضاً:

يَهْدِي الْخَيَالَ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا  
تَصَدَّقُ الْمَنَعَ سَلَمَى حِينَ نَسَأَلُهَا  
وقال أيضاً:

وَزَوَّرَ خَيَالٍ بَعْدَ وَهْنٍ أَلَمْ يَبِي  
إن قيل كيف يليق هذا الوصف بالخيال، قلنا: المعنى أن أحشاء صاحب هذا الطيف،  
لو زارني هذه الزيارة وتفهو من الخيفة، فأجرى على الطيف ما هو لصاحب الطيف، وهذا  
توسع يحتمل للشعراء، ويحسن منهم.  
وقال أيضاً:

قَمَرِي دُجْنَةُ اللَّيْلِ يُوفِي  
أَمْ خَيَالٍ مِنْ عِنْدِ سَعْدَى بُوَاهِي

مُسْنَعِفٌ بِالَّذِي مَتَى سُمِّلَتْهُ  
وَقَالَ أَيْضًا:

مَرْحَبًا بِالْخِيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ  
كَيْفَ زُرْتُمْ وَدَوْنَكُمْ رَمْلُ يَبْرِي  
وَرْدَاءِ الظُّلُمَاءِ فِي صِنْفِهِ الْأَسْوَدِ  
زُورَةٌ سَكُنْتُ غَلِيلًا وَقَدْ هَا  
وَقَالَ أَيْضًا:

خِيَالٌ مَاوَيْتُهُ الْمُطِيفُ  
أَكْثَرَ لَوْ مَيَّ غَلَى هَوَاهَا  
وَقَالَ أَيْضًا:

وَطِيفٌ سَرَى حَتَّى تَنَاولَ فِتْيَةً  
وَقَالَ أَيْضًا:

تَسْبَهَشُ<sup>(١)</sup> النَّفْسُ إِلَى زَوَرِ الْكَرَى  
وَقَالَ أَيْضًا:

أَهْلًا بِذَلِكَ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ  
وَقَالَ أَيْضًا:

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ يَعَاوِدَ ذِكْرُهَا  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو وَصْلَهَا بَعْدَ هَجْرِهَا  
وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا أُرْسِلْتُ طَيْفًا يُذَكِّرُنِي الْجَوَى  
وَقَالَ أَيْضًا:

أَجِدُّكَ أَنْ لُمَاتِ الْخِيَالِ  
لُمَذَكِّرَتِي بِأَيَّامِ الْوِصَالِ

(١) يريد أن النفس ترتاح وتنتظر زورة طيف الخيال لها حاملاً معه صورة الم محبوب وصوته وحركاته مسلياً للنفس عن بعده وهجره وغيبه مما يخفف عن النفس آلام البعاد والهجر، ويقلل الضنى، وإن كان يهيج الشوق إليه إلا أن الإنسان يستيقظ من ذلك وهو سعيد نشوان فرحان.



نُورُفُنِي إِذَا الرُّقْبَاءُ نَامُوا  
وَقَالَ أَيْضًا:

أَنَاءَ الْخَطْوِ فَاتِنَةُ الدَّلَالِ

هَذَا الْحَبِيبُ فَمَرْحَبًا  
بَلْ كَيْفَ زَارَ وَدُونَهُ مَجْهُولَةٌ  
سَارِ تَجَاوَزَ مِنْ شَقَائِي عَالِجُ  
حَتَّى تَقْصُصَهُ الْكَرَى لِمَتَّيْمِ

أَتَيْ اهْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي سِرْبَالِهِ  
مِنْ مَسَبِّ قَفَرٍ تُمُورُ بِأَلِهِ  
بُعْدَ الْمَدَى مِنْ سَهْلِهِ وَجِبَالِهِ  
لَوْلَا الْكَرَى لَشَفَاهُ مِنْ بَلْبَالِهِ

يريد: لولا أن زيارته في الكرى، وهي تخيل وتمثيل، لشفته هذه الزيارة من بلباله؛ لأنها إذا لم تكن في الكرى كانت حقيقة، فانتفع بها، ووقعت في موقعها.

وَقَالَ أَيْضًا:

زَائِرٌ فِي الْمَنَامِ يَهْجُرُ يَقْطَا  
طَارِقٌ أَرَهَقَ الزِّيَارَةَ وَالصَّبَّ  
وَقَالَ أَيْضًا:

نَ وَيَدْنُو مَعَ الْمَنَامِ وَصَالُهُ  
حُ مُطِئٌ أَوْ قَدَدْنَا إِطْلَالَهُ

وَحَيَالُ أَلَمَ مِنْهَا عَلَى سَا  
وَقَالَ أَيْضًا:

عَةِ هَجَرَ فَقَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا

يُهَيِّجُ لِي طَيْفَ الْخَيَالِ صَبَابَةٌ  
وَقَالَ أَيْضًا:

فَلَلِمَ مَا طَيْفُ الْخَيَالِ الْمُهَيِّجُ

أَعَادَ شَكْوَى مِنَ الطَّيْفِ الَّذِي اعْتَادَا  
أَلَمَ بِي وَبِأَيَّامِ الصُّبْحِ مُنْتَظَرُ  
وَقَالَ أَيْضًا:

رُشْدًا تَوَحَّيْتُ أَمَ غَيًّا وَإِفْسَادَا  
قَد رَقَّ عَنْهُ سَوَادُ اللَّيْلِ أَوْ كَادَا

خَطِيئَةٌ لَيْلَةٌ تَضْطِئُ وَلَمَّا  
وَهَجَرَ الْقُرْبَ مِنْهَا كَانَ أَشْنَى  
وَقَالَ أَيْضًا:

يُورِقُنِي خَيَالٌ مِنْ سُعَادِ  
إِلَى الْمَشْتَاكِ مِنْ وَضَلِ الْبِعَادِ

يَبِيتُ خَيَالُهَا مِنْهَا بَدِيدًا

وَيَقْرُبُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْبِعَادِ<sup>(١)</sup>

(١) هذا البيت هو بيت القصيد، حيث تدور كل الأبيات حوله، فالمراد هو أن الحب يبيت مع خيال محبوه بدلاً منه عندما يكون بعيداً عنه فيشعر وكأن معه جليساً ومؤنساً وسامراً وواصلاً ما يهوى الحب من المحبوب.

وقال أيضاً:

بُعِدَتْ دَارُهَا فَمَا مِنْ تَلَاقٍ      غَيْرُ طَیْفٍ يَزُورُنِي فِي الْهُجُودِ  
أَتَرَاهَا دَامَتْ عَلَى الْعَهْدِ أَمْ مِنْ      عَادَةِ الْغَانِيَّاتِ تَقْضُ الْعُهودِ

وقال أيضاً:

عَجَبًا لَطِيفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ      وَلَوْصِلِكَ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ  
يَدْنُو إِذَا بَعْدَ الْمَزَارُ وَيَنْشَنِي      فِي الْقُرْبِ لَيْسَ أَخُو الْهُوَى بِمُعَانِدِ  
مَاذَا أَرَادَ مَلِمَ طَيْفِكَ فِي الْكُرَى      مِنْ وَاعِلٍ بَيْنَ الْحَوَادِثِ شَارِدِ  
مُتَخَيِّرٍ يَفْدُقُ بِعِزِّ قَائِمٍ      فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدَ قَاعِدِ

وهذه الأبيات حسنة، ما يشينها إلا عجز البيت الثاني، في قوله:

في القرب ليس أخو الهوى بمُعَانِدِ

طرح هذا البيت، من أوله إلى هذا الموضع من آخره، طرح صحيح مليح، فليته ختمه  
بمثل ما بدأ به، وللناظم سكرات وغمرات يدخل عليه فيهن من الشبه ما لا يكاد ينحصر  
وينضبط.

وقال أيضاً:

فَإِنْ بَحَلْتِ فَلَا وَضْلَ وَلَا عِدَّةَ      غَيْرُ اهْتِدَاءِ خَيَالٍ مِنْكَ زَوَارِ  
لَا شَكْلَ لِلْقَمَرِ السَّارِي عَلَيَّ فَمَا      يَبْنَتْ طَلْعَتُهُ مِنْ طَيْفِكَ السَّارِي  
إِذْ ضَارَعُ الشَّمْسِ فِي حُسْنٍ وَفِي مِقَّةَ      وَطَالَعَ الْبَدْرَ فِي وَقْتٍ وَمَقْدَارِ  
لَيْلٍ تَقْضِي وَمَا أَذْرَكْتُ مَا رَبَّنِي      مِنَ اللَّقَاءِ وَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي

وقال أيضاً:

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا خَيَالًا يَعُودُنِي      بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحْوَرُ الطَّرْفِ فَاتِرَةٌ  
يَجُوبُ سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ عِنْدِ مُرْهَفٍ      ضَعِيفِ قَوَامِ الْخَصْرِ سَوْدَ غِدَاثِرَةٍ  
فَيَذْكُرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَلَيْلَةَ      لَدَى سَمَرَاتِ الْجِزْعِ إِذْ نَامَ سَامِرَةٌ

وقال أيضاً:

مَنْ أَجَلَ طَيْفِكَ عَادَ مُظْلَمٌ لَيْلِهِ  
وَقَالَ أَيْضًا:

سَرَى مِنْ خِيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى  
ذُلُّوا بِأَحْلَامِ الْكَرَى مِنْ بَعِيدَةٍ  
وَمَا قَرُبْتُ بِالطَّيْفِ إِلَّا لِنَتَوِي  
تَطْيِبُ بِمَسَرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ  
وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا زَرُودُ دَنَتْ مَنَا صَرَائِمُهَا  
بِنَا جُوحًا عَلَى كُتُبِ اللَّوَى وَآبَى  
ومما يدخل في هذا الباب بعض الدخول، أن البحري شبه بزائر زاره بالخيال سرى  
وبه خيفة أن لا يكون لزيارته حقيقة، فقال:

وَزُورِ أَتَانِي طَارِقًا فَحَسْبِيئُهُ  
أَقْسَمُ فِيهِ الظُّنُّ طَوْرًا مُكَذَّبًا  
أَخَافُ وَأَرْجُو بُطْلَ ظَنِّي وَصِدْقُهُ  
وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

حَبِيبُ سَرَى فِي خُفْيَةٍ وَعَلَى دُعُرٍ  
تَشْكُكْتُ فِيهِ مِنْ سُورِي وَخِلْتُهُ  
انقضى ما للبحري.

وهذا ابتداء ما أخرجه من شعر أخي<sup>(١)</sup>، ونُصِّرُ وجهه (ما أخرجه المؤلف من  
شعر أخيه الشريف الرضي في طيف الخيال).<sup>(٢)</sup>

(١) أخوه هو الشريف الرضي، وستأتي ترجمته بعد في التعليق القادم إن شاء الله تعالى.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية، والشريف الرضي هو: أبو الحسن محمد بن الظاهر أبي أحمد  
الحسيني بن موسى بن محمد بن موسى إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب الموسوي، الحسيني، البغدادي، الشاعر، ومن مصادر ترجمته  
الكثيرة: نتيحة الدهر (٣/ ١٣١)، تاريخ بغداد، (٢/ ٢٤٦)، المنتظم (٧/ ٢٧٩)، المحمدون من  
الشعراء (٤٨٩)، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٦١)، وفيات الأعيان (٤/ ٤١٤) الذريعة (٧/ ١٦)،

المختصر (١٥٢ / ٢)، العبر (٩٥ / ٣)، تنمية المختصر (٤٩٤ / ١)، الوافي بالوفيات (٤٧٤ / ٢)، مرآة الجنان (١٨ / ٣)، البداية والنهاية (٤ / ٣، ١٢)، نزهة المجلس (٣٥٩ / ١) شذرات (٣ / ١٨٢)، روضات الجنات (٥٧٣)، كتاب الرجال (٢٨٣)، إيضاح المكنون (٤٣٠ / ١)، هدية العارفين (٦٠ / ٢)، أعيان الشيعة (٤٤، ١٧٣)، تذكرة الحفاظ (٢٨٩ / ٣) الأعلام (٩٩ / ٦)، معجم المؤلفين (٢٦١ / ٩)، ديوان الإسلام (٩٨٦)، سير أعلام النبلاء (٢٨٥ / ١٧) وقال في ترجمته: صاحب الديوان، له نظم في الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبيين. ولي النقابة بعد أبيه، ودبوانه يكون أربع مجلدات، وله كتاب «معاني القرآن» متع يدل على سعة علمه مات في المحرم، وقيل: صفر سنة ست وأربعمائة وله سبع وأربعون سنة، وكان شيعياً، وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:

نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب بالرضي ذا الحسين. وهو أخو أبو القاسم المعروف بالمرتضى. وكان من أهل الفضل والأدب والعلم. ذكر لي أحمد بن عمر بن روح عنه أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن. فجمع حفظه في مدة يسيرة، قال: وصف كتاباً في معاني القرآن، يتعذر وجود مثله، وكان شاعراً محسناً، وسعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ، وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضي أشعر فريش، فقال: ابن محفوظ: هذا صحيح وقد كان في فريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكشّر فليس إلا الرضي أنشدني القاضي أبو العلاء محمد بن علي قال: أنشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه:

اشتر العز بما شئت	فما المرزُ بفالي
بفسار الصفر إن شئت	أو السمر الطموال
ليس بالمغبون عقلاً	من شرى عزراً بمال
أما يدخر المال	لأهوان الممال

فقال لي علي بن أبي علي: ولد الرضي ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكانت وفاته يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره بمسجد الأنباريين. وقال محققه: وقد جمعت كتبه بهامش ديوان الإسلام فكانت على النحو التالي:

- ١- ديوان شعر كبير في أربعة مجلدات.
- ٢- خصائص الأئمة.
- ٣- الآثار النبوية.
- ٤- تخلص البيان في مجاز القرآن.
- ٥- أخبار القضاة ببغداد.
- ٦- الزيادات في شعر أبي إسحاق الصبائي، وشعر أبي تمام.

قال رضي الله عنه، وهي قطعة مفردة:

إنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ زَارَ طُسُروقا  
والمطايا بين القنّان وشَقْبِ<sup>(١)</sup>

٧- حقائق التنزيل في تفسير القرآن.

٨- كتاب الحسن من شعر الحسيني (انتخبه من شعر ابن الحجاج).

٩- كتاب المتشابه في القرآن.

١٠- مجازات الآثار النبوية.

١١- نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب.

١٢- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٣/ ٣٥٢): شَقْبٌ: بفتح أوله وسكون ثانية وآخره باء موحدة هو تبيح الشر، وهي ضيعة خلف وادي القرى كانت للزهري ومها قبره،... وأنشد ابن الأعرابي:

وقلن لا منزل إلا شَقْبٌ

وقال كثير:

لنبيك البواكي المكيات أبا وهباً	على كل حال من رخاء ومن كرباً
أحبا السلم لا يحسب إذا هي أقبلت	عليه ولا يجوى معانقة الحرب
فلن تك قد ودعنا بعد خلّة	فنعم القسي في الحمي كنت وفي الركب
سقى الله وجهها غادر القوم رمسهُ	مقيماً ومرواً غافلين على شَقْبِ

وقال ياقوت أيضاً في المصدر السابق (٤/ ٤٠١): القنّان: بالفتح وآخره نون، علم مرتجل.

قال أبو عبد الله السكوني: إذا خرجت من حبشي جبل يمنة عن سماء سرت عقبة ثم وقعت في القنّان: وهو جبل فيه ماء يدعى العسيلة وهو لبن أسد ولذلك قيل:

ضمن القنّان لَفَقَسٍ سواها  
إن القنّان لَفَقَسٍ لَمَعَرُ

مَعَرٌ: أي ملجأ.

وقال الأزهري: قنّان: جبل بأعلى نجد. وقال زهير:

جعلن القنّان عن يميني وخرّته  
وكم بالقنّان من مُجِلٍّ ومُخَرَّم

ويثر قنّان: موضع ينسب إلى القنّاني أستاذ الفراء. وقال أبو إبراهيم الفارابي مصنف ديوان الأدب: أناسي القوم بزرافتهم - أي بجماعتهم - بتشديد الفاء قال: هذا قول القنّاني أستاذ الفراء وهو منسوب إلى يثر قنّان لا إلى الجبل الذي في قوله:

ومَرَّ على القنّان من نَغْيانه

فَوقَ أَكْوَارِهِمْ انْضَاءُ شَوْقٍ      طَرَقُوا بِالْغَرَامِ دُونَ الرُّكْبِ  
كَلَّمَا أَنْتَ الْمَطِيُّ مِنَ الْإِغْيَاءِ      أَنَا مِنَ الْجَوَى وَالْكَرْبِ

زَارَنِي وَاصْلاً عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ      وَانْتَنَى هَاجِراً عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ  
كَانَ قَلْبِي إِلَيْهِ رَائِدَ غَيْبِي      فَعَلَى الْعَيْنِ مِئْتَةٌ لِلْقُلُوبِ  
بِثٌّ وَجَدِي وَمَنْ رَأَى الْيَوْمَ قَبْلِي      نَاقِعًا لِلْغَلِيلِ مِنْ غَيْرِ شُرْبِ  
سَامِحًا لِي عَلَى الْجَعَادِ بَنِيْلٍ      كَانَ يَلُوبِهِ فِي زَمَانِ الْقُرْبِ  
كَانَ عِنْدِي أَنَّ الْغُرُورَ لَطَرَنِي      فَإِذَا ذَلِكَ الْغُرُورُ لِقَلْبِي

والفنان وشغب: موضعان معروفان، ومعنى كان قلبي إليه رائد يعني أن التخييل والتصور إنما هو للقلب، فكأن القلب حَيَّلَ للعين أنها ترى حبيبها، فالمنة له عليها. والبيت الأخير: معناه أي كنت أضيف الغرور إلى طرفي، وفي النوم صار الغرور لقلبي؛ لأنه حَيَّلَ لي ما لا حقيقة له. ولهذا المعنى نبأ لا بد من أن أذكره، وهو أنني لما كنت قلت في جملة قصيدة:

وَعِنْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْمَحَبِّ      تَنَمُّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ  
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَرَعَمَ الرُّقَا      دَمَوَّةٌ قَلْبِي عَلَى نَازِلِي

وذلك على ما أظن في سنة نيف وشانين وثلاث مئة، تداول أهل الأدب إنشاد هذه الأبيات، واستغربوا هذا المعنى، وشهدوا بأنه مستعجب، غير مسبوق إليه، ولا متعرض له. وسمع أخي، رحمه الله، هذه الأبيات؛ لأنه قلما كان يخرج لي شيء من الشعر، إلا ويسمعه وينشده، ولا يخرج له - رحمه الله - طول حياته إلا ما ينشدني، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع، وأنه مستحسن مستعذب. ولم أسمع له - رحمه الله - طول حياته في هذا المعنى شيئاً، ولما تصفحت شعره رحمه الله لإخراج ما يتعلق بالطيف في هذا الوقت، وهو سنة نيف وعشرين وأربع مائة، وجدت هذه الأبيات البائبة ملحقة بخطه - رحمه الله - في الجزء الثاني من شعره، في حاشية، فنقلتها عنه كما وجب؛ لأنها بخطه الذي لا أشك فيه.

ولست أعلم كيف جرت الحال في هذا المعنى، وهل قصد، رحمه الله، إلى نظمه على علم، حتى لا يخلو من شعره هذا المعنى المستغرب المستعذب، أو أنسى - رحمه الله - ساعه له، وقذف به خاطره، وجرى على هاجسه، فأثبتته تقديراً على أنه مبدع له، لا متبع فيه. فكثيراً ما يلحق الشعراء ذلك، فيواردون في بعض المعاني المسبوق إليها، وقد كانوا

سمعوها فأنسوها فالخواطر مشتركة، والمعاني معرّضة لكل خاطر، جازية على كل هاجس.  
وكيف جرى الأمر، وعلى أي القسمين كان، فإن العنصر واحد، والمعدن واحد،  
وأينا سبق إلى معنى، فالآخر بالتأخر والسّخّ إليه سابق، وبه عالق.  
وفي البيت الذي أوله:

كان قلبي إليه رائد يعني

إلمام بهذا المعنى، لأنه أضاف الخيال إلى القلب، لأنه فيه يتخيل، وله يتمثل، والبيت  
الآخر الذي أوله:

كان عندي أن الغرور لطرفي

هو الذي استوفى فيه المعنى الذي في شعري، لأنه أضاف الغرور في النوم إلى القلب،  
بعد أن كان مضافاً إلى العين. ومع هذا التشاكل والتجانس، لما نظمته أنا مزية ظاهرة،  
لأنني قلت: إن من العادة أن تُغرَّ عين المحب قلبه. وفي الخيال غرَّ قلبه عينه. وهذا التفصيل  
لا يوجد إلا في أبياتي.

وله من أثناء قصيدة:

طرق الخيال ببطنٍ وجرة<sup>(١)</sup> بعد ما زعم العواذل أنه لا يطرق

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٣٦٢):

وَجَرَّةٌ: بالفتح ثم السكون، وهو واحد الذي قبله أو تأنيته - والذي قبله: وَجَرَةٌ وقال الأصمعي:  
وجرة بين مكة والبصرة، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلاً ليس فيها منزل فهي مرب للوحش.  
وفيل: حرة ليلى، ووجرة والسّي: مواضع قرب ذات عرق ببلاد سليم. قاله السكري في قول  
جرير:

حيث لست غداً لمن يصاحب بجزير وجرة إذا يخذل عجالاً

وقال بعض العشاق:

أرواح نعمان هلاً نسمة سحرًا وماء وجرة هلاً نهلة بقمي

وقال: وجرة دون مكة ثلاث ليال. وقال محمد بن موسى: وجرة على جادة البصرة إلى مكة  
يحرم أكثر الحاج وهي سرّة نجد ستون ميلاً لا تخلو من شجر ومرعى ومياه والوحش فيها كثير.  
وقال أبو عبيد الله السكوني: ووجرة منزل لأهل البصرة إلى مكة بينه وبين مكة مرحلتان، ومنه  
إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة وهو من تهامة؛ قال أعرابي:

وفي الحيرة الغادين من بطن وجرة غزال أخم المقلتين ربيباً

أَتَحْتُنَا بَعْدَ الرُّقَادِ وَقَسْنُوهُ      أَيَّامَ أَضْيَافِكَ السُّودَادَ وَأَمْدَقُ  
أَتَى اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ وَبَيْنَنَا      سُورٌ عَلَيَّ مِنَ الظَّلَامِ خَنْدَقُ  
هذه أبيات ناصعة راقفة، عليها مَسْحة من أعراية، وغَبْقة من بدوية ومعنى زَعَم العواذل أنه لا يُطْرَق: أنهم ظنوا ذلك واعتقدوه.  
وله ابتداء قصيدة:

أَرَأَيْتَ مَنْ طَيفَ الْخَيَالِ وَصَالاً      وَيَأْتِي خَيَالٌ أَنْ يَزُورَ خَيَالاً  
وَهَلْ أَبَقْتَ الْأَشْجَانُ إِلَّا مُمَثَّلًا      تُعَاوِذُهُ أَيْدِي الضُّعْفَى وَمِثْلًا  
أَلَمْ بِنَا وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ      وَقَدْ مَيَّلَ الْغَرْبُ التُّجُومَ وَمَالَ  
وَأَتَى اهْتَدَى فِي مُذَلِّهِمْ ظَلَامِهِ      يَخُوضُ بِحَارًا أَوْ يَجُوبُ رِمَالاً  
تَأْوُبُ مَنْ نَجَوَ الْأَحْبَةَ طَارِدًا      رُقَادِي وَمَا أَسَدَى إِلَيَّ تَوَالاً  
أَوَائِلَ مَسِّ الْعُمُصِ أَجْفَانٍ مَقَلَّتِي      كَمَا قَارَبَ الْقَوْمُ الْعَطَاشُ صِلَالاً  
الصُّلَالُ: جمع صَلَّة، وهي أَرْضٌ مُطَرَّتٌ بَيْنَ أَرْضَيْنِ لَمْ تُمَطَّرَا:  
وَمَا كَانَ إِلَّا عَارِضًا مِنْ طَمَاعَةٍ      أَزَالَ الْكَرَى عَنْ مَقَلَّتِي وَزَالَ

فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى      وَلَكِنْ مِنْ تَنَائِينَ عَنْهُ غَرِيبُ  
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ:  
أَتَبْكِي عَلَى نَجْدٍ وَرَبَا وَلَنْ تَرَى      بَعْدَكَ رَبًّا مَا حَيْثُ وَلَا نَجْدًا  
وَلَا مَشْرِقًا مَا عَسَتْ أَبْقَارُ وَجَرَةٍ      وَلَا وَاظِقًا مِنْ تُرْبِهِنَّ نَرَى جَعْدًا  
وَلَا وَاحِدًا رَيْحَ الْخِزَامِيِّ تَسْوِقُهَا      رِيَّاحُ الصَّبَا تَعْلُو ذَكَادُكُ أَوْ زَهْدًا  
تَبَدَّلْتَ مِنْ رَبِّمَا وَجَارَاتِ بَيْتِهَا      قَرَى نَبْطِيَّاتٍ تُسَمِّي مُرْدًا  
إِلَّا أَيُّهَا الْمَرْقُ الَّذِي بَاتَ يَرْتَقِي      وَيَجْلُو دُجَى الظُّلُمَاءِ ذَكَرْتَنِي نَجْدًا  
وَهِيَجَتَنِي مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَمَا أَرَى      بِنَجْدٍ عَلَى ذِي حَاجَةٍ طَرِبًا بُعْدًا  
أَلَمْ تَسِرْ أَنَّ الْمَلِيلَ يَقْصُرُ طَوْلُهُ      بِنَجْدٍ وَتَزْدَادُ الرِّيَّاحُ بِهِ بُرْدًا  
وَأَمَّا فِي قَوْلِهِ فِي الْقَصِيدَةِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي: (أَمْدَقُ) يريد أنه يعطيهها الود وترده له بالقطع وافجر وعدم الإخلاص والوفاء، وهو عتب منه شديد لها.



أما قوله رحمه الله:

\* وبأبى خيال أن يزور خيالا \*

فإنما أراد أن الخيال الذي يطرق في النوم، ويتمثل للراقد، يأبى أن يزور النحيل المدنف، الذي قد صار خيالا، من النحافة والنحول. وإنما سُمِّي الناحل الذي قد ذاب جسمه، وذهب لحمه، وغاضت نضارته، وذهبت غَضاضته، خيالا، تشبيها بالخيال الذي يتمثل للنائم، وهو مما لا حقيقة له ولا وجدان، فأجري من زاد نحوه، فصار عند الرؤية غير متحقق لا متيقن، مُجري الخيال في النوم، الذي لا يتحقق، وإنما يُتحيل، ما زالت الشعراء تصف الناحل بأنه خيال، لا يُحسُّ ولا يدرك ولا يُعلم.

ولعمرو بن قميصة،<sup>(١)</sup> ويقال إنه أول من نطق بوصف الطيف:

(١) هو: عمرو بن قميصة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، الضائع، الشاعر القيسي، الوائلي. ذكره ابن حبيب في كنى الشعراء بتحفيقي ملحق بـ «أسماء المغتالين من الأشراف» (ت: ٣٣٦) وعلفت عليه فيه بقولي:

ذكره ابن حزم في الجمهرة (ص: ٣٢٠)، في ذكره لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال: والشاعر عمرو بن قميصة بن سعد بن مالك، وهو أيضا ابن أخي المرقشي الأكبر، وابن عمه لُحَا عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة.

وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: عمرو بن قميصة هو من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة بن العبد، وهو قديم جاهلي كان مع حجر أبي امرئ القيس في قوله:

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه      وأيقن أننا لاحقان بفيصرا

ومن جيد شعره قوله:

أرى جاري خفت وحف نصيحُها      وحبُّها لولا الهوى وطموحُها  
فإن تشغيي فالشغب من سجية      إذا همسني لم يؤت منها سجيحُها  
أقارض أقواما فأولَى بقرضهم      وعف إذا أودى النفسوس شجيحُها

وفيها يقول:

فما أتلفت أيديهم مسن نفوسنا      وإن كُرمت فإننا لا ننوحها  
فأبوا وأبنا كلنا بمضيضة      مهملسة أجرا حنا وجروحها

وهو القائل:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى      فكيف بمن يُرمى وليس برام

نَأْتِيكَ أُمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ  
وَأَلَّا خَيَالاً يُؤَافِي خَيَالاً  
تُؤَافِي مَعَ اللَّيْلِ مُسْتَوْطِنًا  
وَتَأْتِي مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالًا  
خَيَالٌ يُخَسِّلُ لِي نَيْلَهَا  
وَلَوْ قَدَرْتَ لَمْ يُخَسِّلْ نَوَالًا

فانظر إلى هذا الطبع المتدفق، والنسج المطرد المنسق، من أعرابي فق، قيل إنه مفتتح لوصف الطيف. وكأنه لانطباع سبكه، وجودة وضعه، قد قال في هذا المعنى الكثير، ونظم منه الغزير، وقلب ظاهره وباطنه، وباشر أوله وآخره، وكأنه قد سمع فيه من أقوال المحسنين، وإجادة المهيدنين، ما سلك منهجه، وأخرج كلامه مُخرجه. ولكن الله تعالى أودع هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة، وهداهم من مسالك البلاغة، إلى ما هو ظاهر باهر؛ ولهذا كان القرآن معجزاً، وعَلَمًا على النبوة، لأنه أعجز قوما هذه صفاتهم ونعوتهم. ونظير قول ابن قيمية قول المهنون: <sup>(١)</sup>

وأهلكني تأميل ما لست مدرئًا  
إذا ما رأي الناس قالوا: ألم تكنُ  
فأفنى وما أفنى من الدهر ليلة  
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها  
على الراحتين مرة وعلى العصا  
وكأنني وقد جاوزت سبعين حجة  
ونأميل عام بعد ذاك وعام  
جليدًا حديث السن غير كهام؟  
فلم يغن ما أخيت سلك نظام  
ولكنني أرمى بغير سهام  
أنواء ثلاثا بعدهن قيامي  
خلعت بها عني عذار لجامي

وفي عبد بن القيس: عمرو بين قيمية الصغير.

(١) المهنون هو: قيس بن الملوّح مجنون ليلى بنت مهدي العامريان، وقد كتبت في سيرتهما الكتب الكبيرة، وترجمت لهما مصادر عديدة أذكر منها:

الشعر والشعراء (٤٦٧)، الأغاني (١/٢)، المؤلف والمختلف (١٨٨)، نشوار المحاضرة (٥/١٠٢)، سط اللآلئ (٣٥٠)، تاريخ الإسلام (٦٤/٣)، قوات الوفيات (١٣٦/٢)، شرح العيون (١٩٥) شرح الشواهد (٢٣٨)، النجوم الزاهرة (١٧٠/١) تزيين الأسواق (١٦٠/١)، شذرات الذهب (٢٧٧/١)، خزنة الأدب (١٧٠/٢) سير اعلام النبلاء (٥/٤) وقال في ترجمته له:

قيس بن الملوّح وقيل: قيس بن معاذ، وقيل اسمه: يحترى بن الجحد، وقيل غير ذلك، من بني عامر بن صعصعة، وقيل: من بني كعب بن سعد، الذي قتله الحب في ليلى بنت مهدي العامرية سمعنا أخباره تأليف ابن المرزبان.

وقد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا وقع بالصدر فما من لم يعلم حُجّة على من عنده علم، ولا

وَأَنسَى لِأَسْتَعِيشِي زَمَانِي نَعْسَةً      لَعَلُّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا  
وَأَمَّا أَرَادَ: لَعَلُّ خَيَالِكَ الَّذِي هُوَ طَيْفٌ يَلْقَانِي، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَيَالٌ لِنَحْوِهِ،

المثبت كالثاني، لكن إذا كان المثبت لشيء شبه خرافة والثاني لشيء غرضه دفع الحق فهنا الثاني مقدم على المثبت، وهنا تقع المكابرة وتكسب العبرة علق ليلى علاقة فقيل: إن المهنون علق ليلى علاقة الصبا وكانا يرعيان البهْم (الغنم وما شاهها)، ألا تسمع قوله وما أفحل شعره:

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة      ولم يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ نَذِيهَا حَجَمُ  
صغيرين نرعى البهْم يا ليت أننا      إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهْم  
وعلقته هي أيضًا، ووقع بقلبيها وهو القائل:

اظنْ هَوَاهَا تَارِكِي بِسَضَلَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ لَا مَالٍ لِسَدْيٍ وَلَا أَهْلٍ  
وَلَا أَحَدٍ أَقْضَى إِلَيْهِ وَصِيَّتِي      وَلَا وَارَثٌ إِلَّا الْمَطْطِيَّةُ وَالرَّحْلُ  
عَاجُهَا حُبُّ الْأَوَّلَى كُنْ قَبْلَهَا      وَحَلَّتْ مَكَائِلًا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخيل في عقله فقال:

إني لأجلس في النادي أحدهم      فاستفيق وقد غالغلتني الغولُ  
يُهَيَّوِي بِفَلَسِي حَدِيثُ النَّفْسِ نَحْوَكُمْ      حَتَّى يَقُولَ جَلِيسُ أَنْتَ عَيُولُ

قال أبو عبيدة: تزايد به الأمر حتى فقد عقله فكان لا يؤويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مرققة.

ويقال: إن قوم ليلى شكوا المهنون إلى السلطان، فأهذر دمه، وترحل قومها بها فجاء وبقي يتمرغ في الحلة ويقول:

أبَا حِرْجَاتِ الْحَسِي حَيْثُ تَحْمَلُوا      بِسَدْيٍ سَلِيمٍ لَا حَادَ كُنْ رَسِيمُ  
وَخِيَمَاتِكَ اللَّاتُكُ بِنَعْرَجِ اللَّوَى      بِلَسِينٍ بَلَسَى لَمْ تُبَلِّهُنْ رِيْوُغُ

وقيل: إن قومه حجوا به ليزور النبي ﷺ ويدعوه حتى إذا كان بمنى سمع نداء. يا ليلى، فغشي عليه، وبكى أبوه فأفاق يقول:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى      فهيج أطراف القواد ولم يدرِ  
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما      أطار بلبلى طائرًا كان في صدري

وجزعت هي لفراقه وضئيت، وقيل: إن أباه قيده، فبقي يأكل لحم ذراعيه، ويضرب بنفسه فاطلقه، فقام في الغلاة فوجد ميتًا فاحتملوه إلى الحي وغسلوه ودفنوه وكثر بكاء النساء والشباب عليه. وقيل: كان يأكل من بقول الأرض، وألفته الوحوش، وكان نجد نساج حتى حدود الشام. وشعره كثير من أرق شيء وأعذبه، وكان في دولة يزيد، وابن الزبير.

وحفاء شخصه، لا وجه لقول المهنون إلا ذلك.

ومن مליح ما قيل في ذلك قول الشاعر:

وونبت حتى صرتُ لو رُجِّي في مُقْلِبةِ الوَسْنانِ لم يَتَّسِبْ

فأما قوله رحمه الله: «وَأَنَّى اهتدى في مدهم ظلامه» إلى شام البيت، فما زالت الشعراء في الشعر القديم والحديث، تتعجب من اهتداء الطيف إلى المضاجع، وخفي المواضع، مع الظلام المضلل للسُّرَّة، والبعد القاطع للبُغاة، وهذه جادة مسلوكة، وطريق مهيع، ما ورد في ذلك أكثر من أن يُحصَى.

ومن قديم الشعر في ذلك قول الشاعر:

فقلتُ لها أَنَّى اهتديتِ لفتيةِ أناخوا بهِجْجاً فلائصَ سُهما

فقالَتْ كذاك العاشِقونَ وَمَنْ يَحْفَ عيونُ الأعادي يجعلُ اللَّيْلَ سُلماً

وقال النُّظار الفُقعي،<sup>(١)</sup> وأحسن كل الإحسان:

أَنَّى اهتدتُ لمناجِحنا جُمْلُ وَمِنَ الكَرى لُعيونِنا كُخْلُ

طَرَقَتْ أخوا سَفر وناجِيَةٌ خُرُقاءُ يَفَرُقُ يَنسِنُها الرُخْلُ

في مَهْمَةٍ هَجَعَ الدَّلِيلُ بِهِ وتعلَّلتُ بِصَرِيفِها البُسْلُ

(١) هو محمد بن عبد الملك الأسدي الفقعسي النظار، الشاعر، أبو سعيد، الأديب من مصادر ترجمته. معجم المؤلفين (١٠ / ٢٥٥)، الفهرست (١ / ٤٩، ١٦٣)، إيضاح المكنون (٢ / ١٨)، هدية العارفين (٢ / ٩)، الأعلام وقال الأستاذ كحالة في معجم المؤلفين: كان حياً سنة (١٥٨)، وقال الزركلي توفي نحو سنة (٢١٠هـ)، وترجم له الأستاذ كحالة في معجم المؤلفين فقال: محمد بن عبد الملك، الأسدي، الفقعسي، البغدادي، أبو سعيد. أديب، شاعر، راوية، أخباري. أدرك المنصور ومن بعده.

وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد وأشعارها له من الكتب المصنفة:

مآثر بني سعد وأشعارها - وشعر بمائة ورقة.

وقال البغدادي في هدية العارفين (٢ / ٩): أدرك المنصور ومن بعده، ومدح الوزير فضل بن الربيع ومات في حدود سنة (٢٠٠هـ)، له مآثر بني أسد في مائة ورقة.

وقال في المصدر السابق (ص ٧٨): توفي سنة (٥٠١هـ) إحدى وخمسمائة... ثم قال: رأيت الفقعسي في الفهرست لابن أبي إسحاق النديم قد يكون وفاته قريباً من سنة (٢٠٠هـ) مائتين.

قال محققه: والقول بوفاته سنة (٥٠١هـ) لا يصح لاستشهاد المؤلف بشعره والمؤلف توفي سنة



طافَ الخيالُ علينا ليلةَ الوادي      من أمِّ عمرو ولم يُلِمَّ بميعادِ  
أُنسى اهتديت لركبٍ طالَ حبسُهُم      في سببٍ بينَ ذكْلكِ وأَعقادِ  
وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المُرَبَّاني، قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال:  
أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: قرأت على العباسة بنت السيد بن محمد الحميري،  
لأبيها: <sup>(١)</sup>

وكل ذي إبل موروثها      وكل ذي غيبة له إياب  
أنلح بما شئت فقد يدركُ      من يسأل الناسَ يحرموه  
والله ليس له شريك      لا يعظ الناس من لا يعظ  
والمرء ما عاش في تكذيب      ساعف بأرض إذ كنت  
قد يوصل النازح النائي وقد      أعافى مثل ذات ولد  
ومما يتمثل به من شعره قوله:

لا أعرفنك بعد الموت تتدبني      وفي حياي ما زوتني زادي

وهذا عن ترجمته، أما عن البيت الأخير المذكور له فيما أورده له المؤلف يريد أن طيف الخيال  
عندما زاره وهو في هذه الحالة التي يصنف بأنه كأنه كان في ركب قد حبس في فقر بعيد بأرض  
غليظة ذات الرمل المتجدد الكثيب.

وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب في مادة: سيب: السياب والسيب: شجر يتخذ منه  
السهام... والسيب: المغارة وفي قس. فبينما أن أجول سيبها، السيب: الفقر والمغارة.

وقال ابن الأثير: .... السيب: الأرض المستوية البعيدة.

وقال ابن شيل: السيب: الأرض الفقيرة البعيدة مستوية وغير مستوية وغليظة وغير غليظة، لا ماء  
بها ولا أنيس.

(١) هو: أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، السيد الحميري، الشاعر، جاءت ترجمته في  
مصادر عديدة منها:

أنساب الأشراف (٤/ ٧٨)، طبقات ابن المعتز، (٣٢)، الأغاني (٧/ ٢٢٩)، الذريعة (١/ ٣٣٣)،

لَعَلَّوَة زَارَ الزَّائِرُ الْمَتَاوُبُ      وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهَا الصُّفَاحُ فَكَبَّكَبُ  
فَسَدَّتْ إِلَيْنَا بَعْدَ هَذِهِ وَدُونَهَا      طَوِيلُ السَّدْرِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ أَغْلَبُ  
فَقُلْتُ لَهَا أَتَى اهْتَدَيْتِ وَدُونَنَا      قِفَارٌ تَرَامَى بِالرَّكَائِبِ سَبَسَبُ  
مَحْشُوفُ الرَّدَى قَفَرٌ كَانَ مُعَلَّمَهُ      عَنَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلا الْمُجُوبُ

وهذا الإسناد، قال: قرأت عليها لأبيها:

طَافَ الْخِيَالُ عَلَيْنَا مِنْكَ هَتَاذَا      وَهِنَا فَأَوْرَثْنَا هَمَا وَتَسْهَادَا  
أَتَى اهْتَدَيْتِ لَرَكْبٍ بَيْنَ أَوْدِيَةِ      لَمْ تَسْتَدِلِّي وَلَمْ تَسْتَحْقِي زَادَا  
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ      هَامَ الْفَوَاذُ بِكُمْ بَلْ طَارَ أَوْ كَادَا  
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ لِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ      إِلَّا تَحِيرَ مَاءُ الْعَيْنِ أَوْ جَادَا

ابن السوردي (١/ ٢٥٠)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٤٣)، الوافي بالوفيات (ت ٥٠٠٣) فوات  
الوفيات (١/ ٨٨)، روضات الجنات (١/ ٢٨)، البداية والنهاية (١/ ١٧٣)، لسان الميزان (١/  
٤٣٦)، منهج المقال (٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤) وقال في ترجمته:

السيد الحميري من فحول الشعراء، لكنه رافضي جلد، واسمه أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن  
يزيد بن ربيعة الحميري. له مدائح بدعية في أهل البيت، كان يكون بالبصرة، ثم ببغداد.  
قال الصولي: الصحيح أن جده ليس بيزيد من مفرغ الشاعر، وقيل: كان طوولاً شديد الأدمة.  
قيل: إن بشاراً قال له: لولا أن الله شغلك بمدح أهل البيت. لاقتفرنا.

وقيل: كان أبواه ناجيين، ولذلك يقول:

لَعَنَ اللَّهُ وَالسَّيِّئُ جَمِيعًا      ثُمَّ أَصْلَاهَا عَذَابُ الْجَحِيمِ  
حَكَمًا عَدَّوَهُ كَمَا صَلَّى الْفَجْرَ      يَلْفَنُ الْوَصِي بِأَبِ الْعُلُومِ  
لَمِنَا خَيْرٌ مِنْ مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ      الْأَرْضِ أَوْ طَافَ مُحْزَرِّمًا بِالْحَطِيمِ

وكان يرى رأي الكيسانية في رجعة ابن الحنفية إلى الدنيا وهو القائل:

بَانَ الشَّبَابُ وَرَقَ عَظْمِي وَانْحَنَى      صَدْرُ الْفَتَاةِ وَشَابَ مَنِي الْمَفْرَقِ  
يَا شَعْبَ رَضَوْنِي مَا لَمَنْ بَكَ لَا يَرَى      وَبَنَا إِلَيْهِ مِنَ الصَّبَابَةِ أَوْلَقِ  
حَسَنِي مَتْنِي؟ إِلَى مَتْنِي وَكَمْ الْمَدَى      يَا ابْنَ الْوَصِيِّ وَأَنْتَ حَيٌّ تَرْزُقِ

وقيل: إنه اجتمع بجعفر الصادق فبين له ضلالته، فتاب: وقال ابن جرير في الملل والنحل: إن  
السيد كان يقول يتناسخ الأرواح. وقيل توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة. وقيل سنة ثمان وسبعين  
ومائة، ونظمه في الذروة، ولذلك حفظ ديوانه أبو الحسن الدارقطني.

معنى قوله تحيّر: أنه وقف في العين، وهي مُطَفَّحَةٌ به لا يجزي. ونظير ذلك قول البحري:

دَمَعُ تَحْيِيرٍ فِي الْجُفُونِ فَلَمْ يَزَلْ      بَرَحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى  
وبالإسناد المتقدم قال: قرأت عليها لأبيها:

طَافَ مِنْ هِنْدٍ خِيَالٌ فَذَعَرَ      وَرَمَى عَيْنِي بِدَمْعٍ وَمَهَرُ  
قُلْتُ لِمَا أَنْ دَنَا مِنِّْي لَهُ      مَرَحِبًا أَلْقَا بِسَمْعِي وَأَبْصَرَ  
هِنْدُ مِنْ أَيْنَ تَخَطَّيْتُ إِلَى      رَكِبِ أَطْلَاحٍ مَطِيًّا قَدْ جَسَرَ<sup>(١)</sup>  
تَحْتَ لَيْلٍ سَاقِطٍ أَكْنَافُهُ      رَخُلُ صَرَغَى مِنْ كَلَالٍ وَسَهَرُ  
سَادَتْ الْقَلْبَ وَلَمْ تَعْمِدْ لَهُ      بِشَيْتِ الثُّبُتِ عَذْبُ ذِي أَشْرُ  
وهذا الرجل، أعني السيّد الحميري، قوى الطبع، جزل اللفظ، سليم التصرف والنقلب.

وقال البحري:

أُنِّي اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُعَمِدٍ      فِي لَيْلِ عَائَةِ وَالْشُرْبِ تَجُنُبُ  
ما أملح ما قيل في هذا المعنى! لأنه أثبت الاهتداء، وما اهتديت: تبيها على أن ذلك التحيل باطل، والتصور محال. فزاد على من تعجبه من الاهتداء بقوله: «وما اهتديت». وهذا المعنى بجيء في الشعر كثيرا، وفي شعري خاصة.

ولي:

وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      وَلَمَاعَةُ الْفَطْرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ  
ولي أيضا:

أُنِّي اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْنَنَا      دُونَ الزَّيَارَةِ مَرْتَبِخٌ وَزُرُودُ؟!

وانما تعجب الشعراء من اهتداء الطيف، وتخلصه إلى المضائق، وخفي المسالك، لأنهم فرضوا زيارته زيارة حقيقية، وطروقا صحيحا، فتعجبوا مما يتعجب من مثله في ذلك، من طي البعد في أقصر زمان. ومن الاهتداء بغير هاد ولا مرشد، مع تراكم الظلم، وتشابه الطرق، وفقد الظاهر. ومن فرض شيئا أجرى أوصافه له على ما فرضه، دون ما

(١) قد فسر أنه تعب وأعى من طول السفر وبعد الديار وطلب المزار.



هو عليه في نفسه وأما قوله، رحمه الله:

وما كان إلا عارضاً من طماعة  
أزال الكسرى عن مُقَلَّتِي وَزَلا  
فما زالت الشعراء في القدم والحديث تصف الطيف بأنه طمع كاذب، وظن باطل، وظل  
زائل، ويتصرفون في ذلك أحسن تصرف، ويتقلبون أملح تقلب، قال الفرزدق: <sup>(١)</sup>

(١) الفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، أبو فراس، الدارمي، المجاشعي الشاعر المشهور بالفرزدق. ولد سنة (٣٨)، وتوفي سنة: (١١٠) وقيل: (١١١) وقيل: (١١٢) وقيل: (١١٤) هـ جاءت ترجمته في العديد من المصادر وألفت في سيرته الكتب ومن مصادر ترجمته أذكر: طبقات ابن سلام (١/ ٢٩٩)، الشعر والشعراء (٣٨١) الأغاني (٨/ ١٨٦)، معجم المرزباني (٤٦٥)، الميهج (٥٠)، سطر اللالكائي (٤٤)، تهذيب الأسماء، واللغات (ق ١ ج ٢/ ٢٨٠)، وفيات الأعيان (٦/ ٨٦)، تاريخ الإسلام (٤/ ١٧٨)، مرآة الجنان (١/ ٢٣٨)، سرح العيون (٣٨٩)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٥)، النجوم الزاهرة (١/ ٢٦٨)، شذرات الذهب (١/ ٤٤١)، خزانة الأدب (١/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠)، ديوان الإسلام (١٦٠١)، معجم الأدباء (١٩/ ٢٩٧) معجم الشعراء (١٦٦)، الأعلام (٨/ ٩٣) هدية العارفين (٢/ ٥١٠)، معجم المؤلفين (١٣/ ١٥٢)، كشف الظنون (٨٠٥) البداية والنهاية (٩/ ٢٦٥)، كنى الشعراء (ت: ١١٧، ٢٤٢) وهو ملحق بكتاب أسماء المغتالين وبتحقيقي وعلقت عليه في (ت ١١٧) بقولي: ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ٢٣)، في بني مجاشع بن دارم وقال: منهم... الفرزدق بن غالب... وبنوه من النوار: لبطة وسبطة، وخبطة، ومن غيرها: زمعة، ولا عقب للفرزدق.... وامرأته النوار بنت أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد، وكان أبوها ممن أعان على عثمان رضي الله عنه فقتله بنو سعد.

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ١١١): كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، وكان اشترى حسين مؤودة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام منهم أم العيس بن عاصم السفري ثم أتى النبي ﷺ، وأم صعصعة: فقيرة بنت مسكين الدارمي، وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة فوهبها فسنند بنت يثري، فوثب أخو زوجها - وهو مسكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم - على الأمة فأحبها، فولدت له فقيرة، وكان جرير يعير الفرزدق بها. وكان لصعصعة قيون (أي حدادون) منهم جبير. ووقيان، وديسم، فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوماً. وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال:

وجدنا جبير أباً غالب  
بعيد القسابة ممن معبد

يعني معبد بن زرارة، وكان يعيهم بالخريرة، وذلك أن ركباً من مجاشع مروا بشهاب الثغلي فسألهم: أبسن ينزلون؟ فحمل إليهم خريرة (دقيق مطبوخ باللبن، وهو كالخريرة أو ما يسمى بالهلبية في مصر في هذه الأيام) فجعلوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم. وأما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل واستحجر بقبه بكاطمة فاحتملها عنه. وكان له =

لَعَمْرِي لَقَدْ تُنْهَتْ بِأَهْذِ مَيَّاتٍ  
فَطَافَتْ بِأَطْلَاحٍ وَطَلَحَى كَأَمَّا  
فَبَاتَتْ بِنَا ضَيْفًا دَحِيلًا وَلَا أَرَى  
وَكُنْتُ إِذَا مَا الرِّيحُ جَاءَتْ بِشَرْهَآ  
وَلَقِيسَ أَيْضًا:

إِنَّ السَّيَّ طَرَفَتْكَ بَيْنَ رَكَائِبٍ  
بَاتَتْ تُعَلِّلُنَا وَتُحْسِبُ أَتْنَا  
حَتَّى إِذَا نَصَدَعَ الصَّبَاحُ لِنَاطِرٍ  
نَظِيرَ قَوْلِهِ:

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا السَّفَائِسَ حِثْنَا  
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي عَقِيلٍ:

أَمَا مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ إِلَّا يَلُمُّ بِي  
وَالْأَقْرَعُ بْنُ مَعَاذٍ:

لَقَدْ طَرَفْتَا أُمَّ عُثْمَانَ بَعْدَ مَا  
فَحَيَّضَتْ فَحَيَّاهَا فَهَبَّ فَخَلَقَتْ  
وَلِلْحَمْدِيِّ وَهُوَ كَثِيرٌ مِنْ مِثْلِهِ، وَرَوَى أَنَّهُ لَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ:

لَمْ أَتْلُهُ فَنِلْتُهُ بِالْأَمَانِي  
وَاصِلَ الْحُلُمِ يَتَسَّنَا بَعْدَ هَجْرِ  
فَطَلَوْتُ سِرُّهَا عَنِ الْأُبْدَانِ  
فَاجْتَمَعْنَا وَنَحْنُ مُقْتَرِقَانِ

إخوة منهم: هَمِيمُ بْنُ غَالِبٍ، وَهُوَ سَمِي الْقُرْزُوقِ، وَالْأَخْطَلُ وَكَانَ أَسْنَمَهُ، وَابْنُهُ عَمْدُ بْنُ  
الْأَخْطَلِ، كَانَ تَوَجَّهَ مَعَ الْقُرْزُوقِ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ بِهَا، وَأَخْتُ يُقَالُ لَهَا: جَعْتُنْ كَانَتْ امْرَأَةً صَدُوقَ.  
وَنَزَلَ الْقُرْزُوقُ فِي بَنِي مَنَقَرٍ، وَالْحَيُّ خُلُوفٌ، فَجَاءَتْ أُنْعَى وَقَدْ خَلَّتْ مَعَ جَارِيَةِ فَارِشَهَا،  
فَصَاحَتْ، فَاحْتَالَ الْقُرْزُوقُ فِيهَا حَتَّى انْسَابَتْ، ثُمَّ ضَمَّ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ فزبرته ونحته فقال:  
وَأَهْمُونَ عَيْبَ الْمَنَقَرِيَةِ أَنَّهُآ شَدِيدٌ بِبَطْنِ الْخَنْظَلِيِّ لَصُوفُهَا

مَنْظَرٌ كَانَ لَذَّةَ الْقَلْبِ إِلَّا  
أَنَّهُ مَنْظَرٌ بَغِيرِ عِيَانٍ  
وأحسن ذو الرمة<sup>(١)</sup> في قوله:

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة بن بهيس (بهيس، نهيس) أبو الحارث الضمري، الشاعر المشهور بـ: ذي الرمة. ولد سنة (٧٧) وتوفي سنة (١١٧) مصادر ترجمته كثيرة أذكر منها:

سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧)، ديوان الإسلام (ت ٩٦٧)، معجم المؤلفين (٨/ ٤٤)، الشعر والشعراء (ص ١٢٦)، الأعلام (٥/ ١٢٤)، فحول الشعراء (١٢١)، الأغاني (١٦/ ١٠٦)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٧)، البداية والنهاية (٩/ ٣١٩)، خزنة الأدب (١/ ٥٠)، الفهرست (١/ ١١٧)، كنى الشعراء الملحق بـ: أسماء المغتالين (ت ١٥٠، ٢٢٦) بتحقيقي وعلقت عليه فيه بقولي:

قال ابن الغزوي في ديوان الإسلام (ت ٩٦٧): ذو الرمة غيلان، أحد العشاق المشهورين من العرب مات سنة (١١٧هـ).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الرمة: هي الحبل.

شبه بمية بنت مقاتل المنقرية بالخرقاء، وله مدائح في الأمير بلال بن أبي بردة. قال أبو عمرو بن العلاء: إن الفرزدق، وقف عليه وهو يمشد فأعجبه شعره.

وقال محمد رضا كحالة في معجم المؤلفين (٨/ ٤٤): شاعر كان شديد القصر دميماً يضرب لونه إلى السواد، عشق مية المنقرية واشتهر بها، وكان مقيماً بالبادية. قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»:

من بني صعب بن مالك بن عدي بن عبد مناف ويكنى أبا الحارث. ووقف في الإبل يمشد شعره السذي يذكر فيه صيدح، فوقف عليه الفرزدق، فقال: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول، قال: فمالي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غايتهم بكائك في الدمن، ووصفك الأبعاد والعطن، ثم أنشأ يقول:

ودوبة لو ذو الرميم يرومها بصيدح أودي ذو الرميم وصيدح

قطعت إلى معروفها منكراتها وقصد حيب آل الأعمش المتوضح

قال عيسى بن عمر: قدمت من سفر فأتى ذو الرمة فعرضت له بشيء أعطيه. فقال: أنا وأنت واحد نأخذ ولا نعطي، ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال: أنا ابن نصف الهرم، أي ابن الأربعين، وسي ذو الرمة بقوله:

لم يبق منها أبداً الأبيد غير ثلاث ما ثلاث سود

وغير موضوع القفا مود فيه بقايا رمة الثقليد

وكان ذو الرمة أحد العشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبه: مية بنت فلان بن طلبة بن قيس بن عاصم. ومكثت زمناً لا تراه وتسمع شعره، فجعلت لله عليها إن اتحر بدنه إن رآته، فلما نظرت إليه رأت رجلاً أسود دميماً، فقالت. واسواتاه، كأنها لم ترضه، فقال:

إِذَا نَحْنُ عَرُّسْنَا بِأَرْضِ سَرَى لَنَا هَوَى تَبَسَّتْ بِالْقُلُوبِ اللُّوَابِسُ  
نَأَتْ دَارُ مَيٍّ أَنْ تُزَارَ وَزُورَهَا إِذَا مَا دَجَا الإِظْلَامُ شَتَا وَسَاوِسُ  
وفي بي وصف الخيال بأنه باطل، ومحال زائل:

زِيَارَةُ الطُّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصَلُ مِنْ لَا تَرَاهُ أَلْعَيْنُ هِجْرَانُ  
وسيجيء هذا البيت فما أورده من شعري، إن شاء الله تعالى.  
ولي أيضًا في هذا المعنى:

أَفْقَتْ فَلَمْ يَحْضُلْ عَلَيَّ مَنْ الَّذِي خُدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظُنُونُ أَجِيلِهَا  
ولي في الطيف أيضًا:  
إِنَّمَا الطُّيْفُ كَلْفُ ظٍ فَارِغٍ مَا فِيهِ مَعْنَى  
ولي في الطيف أيضًا:

فَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارِ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كَرَانَا أَنْ ذَلِكَ وَجُودُ  
المعنى كبير. وسيجيء في مواضعه بعون الله تعالى. وإنما أشرنا ها هنا إلى القليل منه.  
وله من أثناء قصيدة:

أَلَمْ خَيَالُ الْعَامِرَةِ بَعْدَمَا تَبْطُنُنَا حَفَنَ مِنَ اللَّيْلِ أَوْطَفُ  
يُحْيِي طِلَاحًا حِينَ هُمَا بِوَقْعَةٍ تَهَاوَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ مِمَّا تَعَسَّفُوا  
وَقَيْدِينَ قَدْ مَالَ النَّعَاسُ مَهْمُهُمْ كَمَا أَرَعَشَتْ أَيْدِي الْمُعَاطِينَ قَرْقَفُ  
والأوطف: المسترخي. وإنما يعني شيوع الليل وشوله. والطلاح: المعيون الكالون  
من شدة السفر.

وله وهو ابتداء قصيدة:

مَا عِنْدَ عَيْنِكَ فِي الْخَيَالِ الزَّائِرِ أَطْرُوقُ زُورٍ أَمْ طِمَاعَةٌ خَاطِرِ  
بَاتَ الْكَرَى عِنْدَ يُزُورُ زُورُهُ مِنْ قَاطِعِ نَائِي الدِّيَارِ مُهَاجِرِ

على وجه مَيٍّ مسحة من ملاحه  
الم تر أن الماء يخضب طعمه  
وكان يشب بخرقاء وهي من بني البكاء بن عامر.

وله من قصيدة:

إِمْسَكَ الْخِيَالَ الطَّارِقِي بَعْدَ هَجْعَةٍ  
دَنَا مِنْ أَعَالِي الرُّقْمَتَيْنِ وَمَا دَنَا  
وَمِنْ عَجَبِ رَبِّي وَمَا نَقَعَ الصُّدَى  
إِسَاءَ لِيَالِي الْقُرْبِ نَأْيًا وَهَجْرَةً  
وله من قصيدة:

ما لذا الزُّورِ مَا يُغِبُّ مِنَ الرُّمْلِ طُرُوقًا فِي مَضْجَعٍ قَدْ أَقْضَا

هَدِيًّا لِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِ نَجْدٍ  
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطَرَةِ الْبَرَقِ، مَا زُو  
قَادَهُ الْغُمُضُ مِنْ زُرُودٍ فَلَمَّا  
يريد أنه لما تصرم وتقضى، لم أتم شوقا إليه، وتلفها عليه، فالغمض جالب له، وهو  
مشرد لما جليه وأحضره.

وله من قصيدة:

وَزَائِرِ زَارَ عَلَى نَائِبِهِ  
أَمْتَزَلْ عِنْدَ عَقِيقِ الْحَمَى  
زِيَارَةَ زَوْرَهَا حَاطِرِي  
خَذَائِعَ أَغْضِي عَلَى عِلْمِهَا  
وله من جملة قصيدة:

يَا حَبِذَا مِنْكَ خَبَالِ سَرَى  
بَاتَ يُعَاطِيَنِي جَنَى ظَلَمِهِ  
مَعَانِقًا كَانَ عِنَاقِي لَهُ  
عَاقِرِي يَشْرَبُ مِنْ مُنْجَتِي  
فَذَلُّهُ الشَّوْقُ عَلَى مَضْجَعِي  
وَبِتُّ ظَمَانًا وَلَمْ أَنْقَعِ  
وَرَاءَ أَحْسَانِي وَالْأَضْلَعِ  
رُبَا وَيَسْقِينِي مِنْ أَدْمُعِي

معنى قوله رحمه الله: «فذلُّهُ الشَّوْقُ عَلَى مَضْجَعِي» يريد شوقي إليه، لا شوقه إلي؛ لأن المحب الكلف بمحبوبه، لفرط وجده وكلفه، يتخيل له في المنام محبوبه، ويتمثل له حضوره، فلهذا أضاف اعتدائه لمضجعه إلى شوقه. ومعنى قوله رحمه الله: «معانقًا كان»

عناقي له»: يريد: أنني تخيلت بقلبي وجرى على اعتقادي وأنا نائم، أنني معانق له، فكان عناقي له من حيث تخيله بقلبي، كأنه في أحشائي، ووراء أضلعي. والعناق المعتاد الحقيقي إنما هو بظاهر الأحشاء والأضلع.  
انقضى ما لأخي عليه السلام..

\* \* \*

(ما أخرجه المؤلف من شعره وهو في طيف الخيال)<sup>(١)</sup>

وهذا ما أخرجه من ديوان شعري لي من أول قصيدة أولها:

لو لم تعاجله النوى لتحجراً

أَفْلاَ بِطَيْفِ خَيَالٍ مَانِعَةٍ لَنَا يَقْطَعِي وَفَضْلَةٍ عَلَيْنَا فِي الْكَرَى

مَا كَانَ أَنْعَمْنَا مِنْ زُورَةٍ لَوْ بَاعَدَتْ وَقْتَ الْوُرُودِ الْمَصْدَرَا

أردت في الكرى منى لا غير، لأخرج من ضيق العذر الذي اتفق للبحثري في قوله: «تهجر وسى». وليكن عذر قيس بن الخطيم في قوله: «تؤننه في النوم» هو عذر لقولي: «مفضلة علينا في الكرى». وقد تقدم كلامي في ذلك.

ولي من قصيدة أولها:

حَيْثَ يَا رَبِّعَ اللَّوَى<sup>(٢)</sup> مِنْ مَرَبِعِ

(١) زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٢٣):

اللَّوَى: بالكسر وفتح الواو، والقصر، وهو في الأصل منقطع الرملة يقال: قد الويتم فأنزلوا إذا بلغوا منقطع الرمل. وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثر الشعراء منه ذكره وخالطت بين ذلك اللوي والرمل فعز الفصل بينهما: وهو واد من أودية بني سليم.

ويوم اللوى: وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بن ربوع. ومما يدل على أنه واد قول بعض العرب:

لَقَدْ هَاجَ لِي شَوْقًا بِكَاءٍ حَامَةٍ بَطْنُ اللَّوَى وَرَقَاءُ تَصْدَعُ بِالْفَحْرِ

هتوف تبكي ساق مرة ولا ترى لها غيرة يوماً على خدّها تجري

تغنت بصوت فاستجاب لصوتها نوائج بالأصناف من فئتي السدر

وأسعدتها بالنوح حتى كأنها شربن سلافاً من معتقة الخمر

دعتهن مطراب العشيان والضحي بصوت يهيج المستهام على الذكر

يجاورن لحناً في الغضون كأنها نوح ميت يلتد مضن على قبر

أَحْبَبُ إِلَيَّ وَقَدْ تَفَشَّى نَاطِرِي  
وَلَقَدْ عَجِبْتُ عَلَى السَّافَةِ بَيْنَنَا  
أَفْضَى إِلَى شُعْتِ نَفْوَا هَامَاتِهِمْ  
هَجَعُوا قَلِيلًا ثُمَّ زَغَزَغَ نَوْمَهُمْ  
وَمِنْ الْكَرَى بِالطِّيفِ يَطْرُقُ مَضْجَعِي  
كَيْفَ اهْتَدَى مِنْ غَيْرِ هَادٍ مَوْضِعِي  
لَمَّا سَقُوا حَمَرَ الْكَرَى بِالْأَذْرُعِ<sup>(١)</sup>  
غِيبَ السُّرَى دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُسْمِعِ  
لَمَّا أَضِيفَ خَدِيعَةُ الطِّيفِ إِلَى الْكَرَى؛ لَأَنَّهُ لَوْلَا النَّوْمُ وَأَسْبَابُهُ مَا تَخِيلَ الطِّيفُ وَلَا  
تَمَثَّلَ. وَإِنَّمَا قُلْتُ دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُسْمِعِ؛ لَأَنَّهُ لَيْسَ لِكَ دَاعٍ مُسْمِعًا وَلَا مَجَاهِدًا. وَلَمَّا كَانَ  
النَّاسُ يَسْتَقِظُونَ وَيَنْشُرُونَ عِنْدَ الصَّبْحِ، جَعَلْنَا دَاعِيَةً مُسْمِعًا:  
أَلَا حَبِذَا زَمَنَ الْحَاجِرِ<sup>(٢)</sup>

وَزَرَّ تَخْطَى جَنُوبَ الْمَلَا  
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرُّقْبَى  
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسْنَعِفُ الْهَاجِعِينَ  
وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْمُحِبِّ  
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَرَّغَمَ الرُّقَا  
الْمَلَا: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ. وَلَمَّا كَانَتْ طَرْفَةُ الْعَيْنِ تَحْجُزُ عَنْ إِبْصَارِهَا، وَكَانَ الْكَرَى  
أَيْضًا كَذَلِكَ، جَعَلْتُ عَيْنَ الرُّقْبَى مِنْ حَيْثُ مَنَعَهَا النَّوْمُ عَنِ الرُّوْيَةِ، كَأَنَّهُ بِهَا مَطْرُوفَةٌ.

فقلت: لقد هيجن صباً مُتَيْمًا  
وقال نَصِيبُ:  
وقد كانت الأيام إذ نحن باللولى  
ولكن دهرًا بعد دهر تغلبت  
حزينا وما منهن واحدة تلدي  
تحسن لي لو دام ذاك التحسن  
بنا من نواحيه ظهور وأبطن  
(١) قال ياقوت في معجم البلدان (١/ ١٣١): أذرع: غير مضاف: موضع نجد في قوله:  
وأوقدت نارا للرعاء بأذرع، وقال أيضًا: أذرع أكباد: بضم الراء كأنه جمع ذراع: موضع في قول  
صيم بن أبي مقل:

أُتِيتُ بِأَذْرُعِ أَكْبَادٍ، فَحَمَّ لَهَا  
رُكْبَ بِلَيْئَةٍ، أَوْ رُكْبَ بِسَاوِنَا  
(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٢٠٤): الحاجر: بالجيم والراء، في لغة العرب ما يسلك الماء من  
شقة الوادي. وكذلك الحجور، وهو فاعول. وهو موضع قبل معدن النقرة، وقال: دون فيد  
حاجر.

والعادة أن عين المحب تُموّه على قلبه، حتى يستحسن ما ليس بحسن، أو ما لم يبلغ الغاية التي تخيلها أو اعتقدها.

وفي النوم انقلبت هذه العادة، وصار القلب يُخيّل أن العين ترى ما ليس تراه على الحقيقة.

فإن قيل: التخيّل والاعتقاد إنا هو بالقلب، في نوم أو يقظة، ولاحظ للعين فيه في الخالين. فالجواب أن الأمر على ذلك، لكن العين في اليقظة تكون سببا لتخيّل القلب فرط حسن بعض الأشخاص، وإن لم يكن كذلك، فأضيف التمويه إليها؛ لأنها كالسبب فيه. وفي النوم يعتقد النائم بقلبه، ويتخيّل أنه يرى بعينه ما ليس يراه على الحقيقة، فصار القلب سببا لتخيّل شيء يضاف إلى العين، من رؤية ما ليس يراه، فكأن التمويه ها هنا من القلب على العين، وليس يحتمل الشعر هذه المحاسبة والمناقشة، والإشارة فيه تكفي. وقد قصصنا خبر هذه الآيات فيما أخرجه لأخي رحمه الله.

ولي أيضًا:

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَاذَ لَا يَسْرِي      وَنَحْنُ جَمِيعًا هَاجِمُونَ عَلَى الْقَمَرِ<sup>(١)</sup>

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٢١١): الْقَمَرُ: بفتح أوله، وسكون الثانية، هو الماء الكثير المغرق، وثوب غَمَرٌ إذا كان واسعًا. وَالْقَمَرُ: بئر قديمة بمكة. قال أبو عبيدة: حفر بنو سهم الْقَمَرُ فقال بعضهم:

نَحْنُ حَفَرْنَا الْقَمَرَ لِلْحَجِيجِ      تَشَجَّعَ مَاءٌ أَيْمَانُ نَجِيجِ

وغمَرُ أراكه: موضع آخر. وغمر بني جذيمة بالشام، قال عدي بن الرقاع:

لَمَنْ الْمَنَازِلُ أَفْطَرَتْ بَغَاءً؟      لَوْ شِئْتَ هَيِجْتَ الْغَدَاةَ بِكَائِي

فالغمر غمر بني جذيمة قد ترى      مأهولة فحللت من الأحياء

لَوْلَا التَّجَلُّدُ وَالتَّعَزُّيْ إِنَّهُ      لَا قُومَ إِلَّا عَقَرَهُمْ لَفَنَاءِ

ناديت أصحابي الذين توجهوا      ودعوت أخرس ما يجيب دعائي

وغمر طيء، قال الكلبي: سمي بطيء رجل من العرب الأولى. وغمر ذي كندة: موضع وراء ورة بينه وبين مكة مسيرة يومين. قال عمر بن أبي ربيعة:

إِذَا سَلَكَتْ غَمَرَ ذِي كَنْدَةَ      مَعَ الصَّبْحِ قَصْدًا لَهَا الْفَرْقُ

هَنَالِكَ إِمَّا تُعَزِّي الْفَوَادَ      وَإِمَّا عَلَى أَسْرِهِمْ تَكْأُ

... وقال أبو عبيد السكوني: الغمر بحذاء توز شرقيه جبل يقال له: الغمر، وتوز من منازل طريق مكة من البصرة معدودة في أعمال اليمامة.



تَعَجُّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أُمُّ رَكَابِنَا  
وَكَيْفَ اهْتَدَى يَتِيمِي وَتَيْمَنَهُ  
وَأَفْضَى إِلَى شُعْبِ الْحَقَائِبِ عَرَسُوا  
وَقَوْمٌ لَقُوا أَعْضَادَ كُلِّ طَلِيحَةٍ  
سَرَوْا وَسَمَّاكَ الرُّمَحِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ  
وَوَاتَ ضَجِيجًا لِي وَنَحْنُ مِنَ الْكَرَى  
أَضْمُ عَلَيْهِ سَاعِدَيَّ مِنَ الْحَشَا  
تَمَنَيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ بِشَخْصِهِ  
وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ السَّرْحَالِ وَمَا يَذْهَبُ  
وَلَمَاعَةُ الْقَطَرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ  
عَلَى مَنْزِلٍ وَغَيْرِ ذَاوِيَةِ قَفَرٍ  
هَامٍ مَلَاهُنَّ السُّعَاسُ مِنَ الشُّكْرِ  
فَمَا هَوُمُوا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ  
كَأَنَّا نُسْرُوْنَا الْعَبِيقُ مِنَ الْخَمْرِ  
وَأَفْرِشُهُ مَا بَيْنَ سَحَرِي إِلَى نَحْرِي  
إِلَى مُضْجَعِي حَتَّى التَّقَيْنَا عَلَى قَدَرٍ

معنى «وقد كاد لا يسري»: أنني ما كنت طامعا فيه، ولا راجيا له، ولا عُدنا نفسي به. وإنما قلت مناعة القطر، وهي على الحقيقة ممنوعة لا مناعة، لأقابل بين لماعة ومناعة. والمعنى مع ذلك صحيح؛ لأنها تمنع القطر السائر فيها، وتعدمه منها. فجاز أن يقال مناعة، وإن كانت هي أيضا ممنوعة ومعنى البيت الذي أوله:

وقوم لقوا أعضاد كل طليحة

أنهم توسدوا أذرع المطي كلالا واستعجالا، وتصلعوا ونخشنا، وإنما قلت سِماك المِخ، ولم أقل السِماك الرامح، لضيق الشعر، وما عدلنا مع ذلك إلا إلى لفظ، مقبول غير مستثقل، وبين كون السِماك الرامح مُسامتا لقمة الرأس، وبين وقعة النسر، وهي تدليه للغروب، زمان طويل مديد.

ومعنى البيت الأخير أنني تمنيته، وكانت رؤيتي لطيفة عقيب ذلك، فكان الليل كان ساريا به في وقت المني للقارئ، حتى كان اللقاء عقيب المني. ولي أيضا:

أَلَا يَا بَنَةَ الْحَيِّينِ مَا لِي وَمَالِكِ  
هَجَرْتِ وَأَنْتِ الْهَمُّ إِذْ نَحْنُ حَيَّةٌ  
فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى نَشْوَةِ الْكَرَى  
يُفَرِّقُ فِيمَا بَيْنَنَا وَضَحَ الضُّحَى  
وَمَا كَانَ هَذَا الْبَذْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً  
وَمَاذَا الَّذِي يَسْتَأْنِي مِنْ حَيَالِكِ  
وَزُرْتِ وَشَخَطَ دَارُنَا مِنْ دِيَارِكِ  
بِكُلِّ حُذَارِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ  
وَتَجَمَعْنَا زَهْرُ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ  
وَالْوَصْلُ يَوْمًا حُلَّةً مِنْ حِلَالِكِ

فَكَيْفَ اتَّقَيْنَا وَالْمَسَافَةَ بَيْنَنَا      وَكَيْفَ خَطَرْنَا مِنْ بَعِيدِ بَيْتِكَ  
وَقَدْ كُنْتَ لَنَا أَوْسَعُونَ وَشَاقَّةُ      بِنَا وَبِكُمْ آيَسُنَا مِنْ وَصَالِكَ  
فَلَمْ يَسْبِقْ فِي أَمَانِنَا بَعْدَ مَا وَهَتْ      عَقُودُ الثَّصَابِي رُؤْمَةً مِنْ حَبَالِكَ  
وَلَيْلَةٌ يَنْتَادُونَ رَمْلِيَّةَ مُرْبِخٍ      خَطَّوَتْ إِلَيْنَا عَانِكًا بَعْدَ عَانِكَ<sup>(١)</sup>  
وَمَا كَانَ مَنْ يَسْتَوِطِنُ الرَّمْلَ طَامِعًا      وَأَنْتِ عَلَيَّ وَادِي مَنَى مِنْ مَرَارِكَ<sup>(٢)</sup>

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٩٧):

مُرْبِخٌ: بضم أوله، وسكون ثانيه، وكسر الباء الموحدة، وحذاء معجمة، قال أبو منصور: مُرْبِخٌ رمل بالبادية بعينة. وقال أبو الهيثم: سمي جبل مُرْبِخًا لأنه يربخ الماشي فيه من التعب والمشقة، أي يذهب عقله كالمرأة الربوخ التي يغشى عليها من شدة الشهوة. وقال اللبث: ربخت الإبل في المُرْبِخ: أي قترت في ذلك الرمل من الكلال، وأنشد بعضهم:

أَمِنْ جِبَالِ مُرْبِخٍ تَطْطِينَ      لَا بَدَّ مِنْهُ فَانْحَدِرْنَ وَارْقِينَ

أو يقضي الله دمايات الدين

وقال نصر: مربخ رمل مستطيل بين مكة والبصرة. ومربخ أيضًا جبل آخر عند ثور مما يلي القبلية وقال العمراني: مُرْبِخٌ: بفتح الميم، والباء: رمل من رمال زرود. وعن جابر الله بضم الميم وكسر الباء. قلت: وقوله: عانك بعد عانك: يريد مشقة شديدة بعدها أشد منها. وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة «عنك».

عنك الرمل عينك عنوكًا وعنك: تقعد وارتفع، فلم يكن فيه طريق، ورملة عانك: فيها تقعد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يجبو، يقال: قد أعنتك البعير، ومنه قول رؤبة:

أُودِيتَ إِنْ لَمْ تَجِبْ حَبِوَ الْمُعْتَنَكِ.

يقول: هلكت إن لم تحمل حملتي بجهد. واعتنتك البعير واستعنتك حبا في العانك فلم يقدر على السير. وأعنتك الرجل: وقع في العكة واحدها عنك وهو الرمل الكثير. وفي حديث أم سلمة: ما كان لك أن تُعَتِّكَهَا. التعيتك: المشقة والضيق والمنع، من اعتنتك البعير إذا ارتطم في الرمل لا يقدر على الخلاص منه أو من عنك الباب واعتكك إذا أغلقه.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ١٩٨):

مَنَى: بالكسر، والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الحجار من الحرم، سمي بذلك لما يُمنَى به من الدماء أي يراق.... وقيل: منى من مهبط العقبة إلى مُحَسَّرٍ، وموقف المزدلفة من مُحَسَّرٍ إلى أنصاب الحرم وموقف عرفة في الحل لا في الحرم.

وقال ابن شميل: سمي منى لأن الكباش مَنَى به أي ذبح. وقال ابن عينية: أخذ من المنايا وهي بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان.

ولما امْتَطَيْتِ اللَّيْلَ كُنْتَ حَقِيقَةً      بَغَيْرِ الْهُدَى لَوْلَا ضِيَاءُ جَمَالِكَ  
 الْخُدَّارِي: المظلم وسحابٌ خُدَّارِي وَعُقَاب خُدَّارِيَّة: في لونها سواد. <sup>(١)</sup>  
 وهذه أبيات غريبة الطرح، وبدوية النسخ كما تراه.  
 ولي من قصيدة أولها:

إن العقيق <sup>(٢)</sup> يزيدني حَبَلًا

يا طيفُ زُرْنَا إِنْ نَشِطْتَ لَنَا      فَالرُّكْبُ بِالْأَبْوَاءِ <sup>(٣)</sup> قَدْ نَزَلَا  
 عُسْدُ النَّهَارِ مَطِيَّةٌ لَفِيتٌ      وَخُذِ الظَّلَامَ عَلَى السُّرَى جَمَلًا  
 وَدَعِ السَّطْلَبَ فَالْجَبِيبُ إِذَا      مَلِ الْوَصَالَ تَطْلُبُ الْعِلَالَ  
 عَجَّسَ سُرَاكَ إِلَى مَضَاجِعِنَا      وَإِذَا حَضَرْتَ فَلَا تَعِبْ عَجَلًا  
 مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ مِنْ نَحَاذِرُهُ      قَطَعَ الْخَيَالُ الْحَبْلَ أَمْ وَصَلَا

اللغوب: هو الكلال والتعب. وأردت أن زيارة النهار كالمطية اللاعبة، التي لا يمكن السسير عليها، فيجب العدول عنها إلى سُرَى الليل الذي يستر ولا يظهر. والبيت الرابع مليح المعنى. ومن جيد ما مدحت به زيارة الطيف، أنها غير معلومة لمتتبع، ولا محسوبة لمرتصد.

ولي أيضًا:

يا طَيفُ الْآ زُرْنَا بِسَوَادٍ      لَمَّا نَضَرْنَا حِسَالِ الْوَادِي

(١) يبدو أن البيت الذي تكلم فيه عن السحاب الخُدري قد سقط من المخطوط والله أعلم.

(٢) العقيق: وادٍ بالحجاز كأنه عَقٌّ أي شق غلبت الصفة عليه غلبة الاسم ولزمته الألف واللام؛ لأنه جعل الشيء بعينه على ما ذهب إليه الخليل في الأسماء الأعلام التي أصلها الصفة كالحارث والعباس. (قاله ابن منظور في لسان العرب مادة «عقق»).

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان (١ / ٧٩): «الأبواء: بالفتح، ثم سكن الواو، وألف مملودة... سميت بالأبواء لبوء السيول بها».

وسئل كثير الشاعر: لما سميت الأبواء أبواء؟ فقال: لأنهم تبوؤوا بها منزلاً. والأبواء قرية من أعمال فرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً وقيل: الأبواء: جبل على يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة. ... وقال السكري: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الحَزْم والبشار، وهو لخزاعة وضمرة.... وبالأبواء قبر أمانة بنت وهب أم النبي ﷺ.

مَا كَانَ ضَرْكَ وَالْوَشَاءُ بِمَعْزِلٍ      عَنَّا جَمِيعًا لَوْ طَرَقْتَ وَسَادِي  
وَالرِّيُّ فَيْكَ وَقَدْ صَدَدْتَ فَقُلْ لَنَا      مَنَّا عَلَىكَ كَيْفَ يَنْفَعُ  
وَمَنْ أَجَلُ أَلْكَ تُسْعِفِينَ عَلَى الْكَرَى      أَهْوَى الرُّقَادِ وَلَا تَحِينَ رُقَادٍ<sup>(١)</sup>  
بِأَزْوَرَةٍ مِنْ بَاجِلٍ بِرُقَادِهِ      عَجَلْتُ عَطِيتُهُ عَنِ الْمِعَادِ  
تَرَكَ الْبَيَاضَ لِأَمِنْ وَأَتَى بِهِ      فَرَقَ الْوَشَايَةَ فِي ثِيَابِ حِدَادِ  
أردت بقولي: «والوشاء بمعزل عنا»: أي أنهم لا يشعرون لنا بخبر، ولا يقفون منا  
على أثر. وقولي: «عجلت عطيته عن الميعاد» أي أنها سبقت الميعاد، وفجأت بغير وعد.  
وأردت بالبياض: النهار، فإن زيارة النهار لا تكون إلا مع الأمن والانبساط. وأردت  
بالحداد: سواد الليل؛ لأن الخائف يستتر بظلمة الليل، ويستجن بسواده.  
ولي أيضا من قصيدة أولها:

أَمِنْكَ الشُّوقُ أَرْقَنِي فَهَاجَا      وَطَنِيكَ كَيْفَ زَارَ بِذَاتِ عِرْقٍ<sup>(٢)</sup>  
فَطَرَقْنَا وَنَحْنُ نَحَالُ أَلَا      مَضَاجِعَ فِتْنَةٍ وَلَجُّوا الْفِجَاجَا  
فَأَوْهَمْنَا اللَّقَاءَ وَلَا لِقَاءَ      يَنْجُو بِنَا مِنْ الْبَلَوَى فِجَاجَا  
أَلَمْ يَنَا وَمَا رَكِبَ الْمَطَايَا      وَنَاجَى لَوْ بِصِدْقٍ مِنْهُ نَاجَى  
ولي من قصيدة أولها:

يَا صَاحِبَ لَيْسَ لِي سِرٍّ مِنْكَ كَيْفَمَا

(١) كثير من العشاق ذم نوم العاشق واعتبره من الخفاء إلا أنه هنا استحسب النوم لزوره طيف العاشق له في النوم فاستحب النوم على السهر والضنى.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ / ١٠٧) في مادة «عرق»: ... ذات عرق: مهل أهل العراق وهو حد بين نجد وتهامة.... وقال ابن عينية: إني سألت أهل ذات عرق أمتهمون أنتم أم منجدون؟ فقال: ما نحن متهمين، ولا منجدين.

وقال ابن شبيب: ذات عرق من الغور، والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من أوطاس إلى الفرتين وقال قوم: أول تهامة من قبل نجد مدارج ذات عرق. وقال بعض أهل ذات عرق:

ونحن بسبب مشرف غير منجد      ولا متهم فالعين بالدمع تذرف

سَادَا عَلَى زَائِرِي لَيْلَا عَلَى سِنَةٍ      لَوْ زَارَ صُبْحًا وَطَرَفُ الْعَيْنِ يَقْطَانُ  
زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ      وَوَصَلَ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ  
وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي وَالْبُعْدُ أَغْلَمُهُ      قُرْبُ أَتْسَانِي بِهِ ظَنُّ وَحِسْبَانُ

هذا من هجو الطيف الغريب الواقع؛ لأن الزيارة إذا كانت باطلة لا أصل لها فهي على الحقيقة قطيعة. وواصل من لا تراه العين هجران بغير شبهة؛ لأن هذا البيت كالغريب، فإنني لم أجد له على هذا الترتيب نظيرًا. وأردت أن الظن والحسبان اللذين خيلاً في النوم القرب لا ينفعان مع البعد المتحقق المتيقن.  
ولي من قصيدة أولها:

أَمَّا لَكَ مِنْ غَرَامٍ مَا أَمَّا لَآ

هَجَرْتِ وَنَحْنُ أَتْقَاطُ بِوَجْهِ      وَزُرْتِ وَنَحْنُ كَاطِمَةٌ خَبَالَا  
وَلَيْسَ الْهَجَرُ عَنْ سَبَبٍ وَلَكِنْ      خَلَوْتُ وَمَا خَلَوْنَا مِنْكَ بِأَلَا  
وَطِيفٌ مِنْكُمْ بِجَنُوبٍ نَجْدٍ<sup>(١)</sup>      أَرَانِسِي مِنْ زِيَارَتِكُمْ مِثَالَا  
أَفَامَ عَلَى مَضَاجِعِنَا هُدُوءًا      فَلَمَّا زَالَ عَنَّا النُّوْمُ زَالَا  
لَهَوْتُ بِبَاطِلِ الْأَحْلَامِ حَتَّى      وَدَدْتُ لَهُنَّ أَنْ اللَّيْلَ طَالَا

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٢٦٦): نجد: يفتح أوله، وسكون ثانيه.

قال النضر: النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف، والجماعة النجاد، ولا يكون إلا قفاً أو صلابة من الأرض في ارتفاع من الجبل معترضاً بين يديك يرذ طرفك عما وراءه، يقال: اعل اعل هاتيك النجاد، وقال: ليس بالشديد الارتفاع.

وقال الأصمعي: هي نجد علة منها: نجد برق، وادي باليمامة، ونجد خال، ونجد عُفر، ونجد كبكب، ونجد مريع، ويقال: فلان من أهل نجد. قال: وكل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد، فهي ترعى بنجد وتشرب بتهامة.... وقيل: نجد هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة اليمين وأسفلها العراق والشام، قال السكري: حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة، وما وراء ذات عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله فإذا انقطعت الجبال من نحو تهامة فما وراءها إلى البحر فهو القور، والقور وتهامة واحد. ويقال: أن نجداً كلها من عمل اليمامة.

وقال عمار بن عقيل: ما سأل من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق، وحد نجد أسفل الحجاز وهودج وغيره. وما سأل من ذات عرق. لويًا إلى المغرب فهو الحجاز إلى أن يقطعه تهمة وحجاز يحجز أي يقطع بين تهامة وبين نجد.

أَلَيْتُنَا بِكَاطِمَةَ<sup>(١)</sup> أَظْلَمِي      بِيَاضَكَ أَنْ يَلْمَ بِنَا ضَلَالَا

(١) قال ياقوت في المعجم (٤/ ٤٣١):

كَاطِمَةُ: الظاء معجمة الكظم: إمساك الفم. والكاظم: المطرق لا يُجِرُّ من الإبل... وقد أكثر الشعراء من ذكرها، فمنه:

يا حبذا السبق من أكتاف كاظمة	يسمى على قصرات المرخ والعُشْرُ
لله در بيوت كان يعشقها	قلبي وبالفها إن طيبت بصري
فقدتها فقد ظمان إداؤنه	والقيظ يحذف وجه الأرض بالشر
أمنسية النفس أن تزداد ثانية	وحالنا والأمان حلو الثمر

قال ياقوت في معجم البلدان (٣/ ١٥٥):

الزُّورَاءُ: ثابِت الأُزُور، وهو مائل، والأزوار عن الشيء: العدول عنه والانحراف منه سميت القوس الزوراء لميلها، وبه سميت دجلة بغداد الزوراء. والزوراء: أرض كانت لاحيجة من الحلاج، وفيها يقول:

أنى أقيم على الزوراء أعمرها      إن الحبيب إلى الإخوان ذو المسال

سميت بيسر كانت فيه

والزوراء: البئر البعيدة القعر، وأرض زوراء: بعيدة. والزوراء أيضاً دار عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة. والزوراء: أرض بذى حيم في قول تميم بن مقبل:

من أهل قرن فما أفضل العشاء له      حتى تنور بالزوراء من حيم

قال الأزهري: ومدينة الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي، سميت الزوراء لا زوراء في قبلتها. وقال غيره: الزوراء مدينة أبي جعفر المنصور، وهي في الجانب الغربي، وهو أصبح مما ذهب إليه الأزهري بإجماع أهل السير، قالوا: إنما سميت الزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلية مزورة عن الأبواب الخارجة أي ليست على سبيلها.... والزوراء: دار بناها النعمان بن المنذر بالجيرة.... والزوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد.

قال السدادي: هو مرتفع كالمنارة. وقبل: بل الزوراء سوق المدينة نفسه ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنه: أنه سمع صياح أهل الزوراء، وإياه عن الفرزدق:

تجن بزوراء المدينة ناقتي	حنين عجول تركب البو رائم
ويا ليت زوراء المدينة أصبحت	بزوراء فلجاً وبسيف الكواظم

... والزوراء: ماء لبني أسد.

فَلَيْسَ الصُّبْحُ مِنْ أَرَى وَحَسَنِي      ظِلَالُ اللَّيْلِ أَمَكْنُهُ ظِلَالَا  
أَوْقَعَ مَا وَصَفَتْ بِهِ زِيَارَةَ الطَّيْفِ: أنها مثال الزيارة الحقيقية، كما أن الطيف مثال  
لصاحبه ولا حقيقة له.  
ولي من قصيدة أولها:

أَمِنْ أَجَلٍ مَنْ سَارَتْ مِنْ الْأَبَاعِرُ

وَيَعْبُئُنِي وَالنَّاعِجَاتُ مُشِيحَةً      خِبَالٌ مِنَ السَّوَرَاءِ فِي اللَّيْلِ زَائِر  
يَزُورُ وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ خَوَاضِعُ      كِلَالًا وَأَحْشَاءُ الْمَطِيِّ ضَوَائِر  
ولي من قصيدة أولها:

أَلَا أَيُّهَا الْحَادِي      قِفِ الْعَيْسَى عَلَى السَّوَادِي  
وَأَيُّنَ الطُّفِّ مِنْ ظَلَمِيَا      أَمْسَى وَهُوَ مُغْتَادِي  
جَفَاً صُنْبَحًا وَوَفَانِيَا      صَرِيحًا بَيْنَ رُقَادِي  
وَأَعْنَاقُ الْمَطَايَا مِنْ      كِلَالٍ بَيْنَ أَعْضَادِي  
تَلَاقَيْنَا بِإِرْوَاحٍ      وَفَارَقْنَا بِأَجْسَادِي

الأرواح لا يصح عليها في الحقيقة التلاقي والتزاور، ولكن الشعراء لما رأوا أن  
الأجساد في طيف الخيال لم تتلاق، ولا تدان، نسبوا التلاقي إلى الأرواح، تعويلا على  
قول من جعل النفس لها قيام بنفسها، وأنها غير الجسد، وأن التصرف لها، فجرنا على  
هذه الطريقة، وإن كان ذلك باطلا في التحقيق.

ولي من قصيدة:

يَوْمَ الْحِمَى مَا أَنتَ مِنْ هَمَى

لَوْ كَانَ لِلْوَاشِيَيْنِ مَقْدِرَةٌ      مَا سَوَّغُواكَ زِيَارَةَ الْحُلَمِ

وقال الأصمعي: الزوراء هي رصافة هشام وكانت للنعمان وفيها كان يكون وإليها كانت تنهي  
غنائمه، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانياً، وكان يسكنها بنو حنيفة، وكانت أدنى بلاد الشام  
إلى الشيع والقيصوم.

وزوراء فلج، وفسج: ما بين الرُّخَيْل إلى الهجزة، وهي أول الدهناء بر وزرقة وزوراء: ماءان لبني  
أسد.

زُرْتُ الْأَلْسَى بَأْتُوا بِكَاطِمَةٍ      مُتَلَثِّمِينَ جَوَى عَلَى الرُّضَمِ<sup>(١)</sup>  
 طَرَحُوا الْخُدُودَ عَلَى سَوَاعِدِهِمْ      وَاللَّيْلُ فِي أَنْوَابِهِ الشَّحْمِ  
 وَلَقَدْ طَرَقَتْ وَمَا طَرُوقُكَ فِي      عَلِيمٍ لِقَافِهِمْ وَلَا رَجْمِ  
 إِنَّمَا أَرَدْتُ تَفْخِيمَ شَأْنِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ، وَحَلَاوَةَ طَعْمِهَا؛ لِأَنَّ اللَّذَاتِ الْوَارِدَةَ مِنْ غَيْرِ  
 احْتِسَابٍ وَلَا انْتِظَارٍ، أَنْفَعُ وَأَوْقَعُ.  
 وَلِي مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا:

تِلْكَ الدِّيَارُ بِرَامَتَيْنِ<sup>(٢)</sup> هُمُودُ

وَلَقَدْ طَرَقْتُ وَمَا طَرَقَتْ صَبَابَةً      بِمِثْنِي وَنَحْنُ إِلَى الرُّخَالِ هُمُودُ  
 فِي ظِلِّ خُوصٍ كَالْقِسِيِّ طَلَاتِحِ      أَخَذَتْ عَوَارِيَهُنَّ مِنْهَا الْبِيدُ  
 أَلَى اهْتِدَاتِي وَكَيْفَ زُرْتُ وَبَيْنَنَا      دُونَ الزِّيَارَةِ مُرْبِخٌ<sup>(٣)</sup> وَزُرُودُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَفَاوِزَ مِنْ دُونِهِنَّ مَفَاوِزَ      وَهَاتِمٌ<sup>(٥)</sup> مِنْ فَوْقِهِنَّ نُجُودُ<sup>(٦)</sup>

معنى «عواريهن منها البيد»: أن هذه المطايا رعت منابت الأرض وشجرها فأسمنها،  
 ولما أجهدتها السير، وخذت لحومها وأهزلها، صار ما كان أسمنها أهزلها، فكانه مستردُّ  
 لعاريته. هذا معنى مطروق معروف في الشعر القديم والحديث. ومُرْبِخٌ وزرود: رملان في

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «رخم» أي البطيء، ويريد في البيت هنا أن طيف الخيال  
 زاره في داره على ببطء وتثاقل وتأخر شديد بعد أن انتظره كثيراً، وقطع الأمل في زيارته فهذه  
 الزيارة التي لم تكن مرتقية جدت في نفسه الأمل، وأيقظت الهمة بعد الفتور، وأنعشت النفس بعد  
 الخمول وأبردت ما في القلب من الجوى والحزن فالتأم الجرح.  
 (٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٣/ ١٦):

رَامَتَيْنِ: هُوَ ثَنِيَّةٌ رَامَةٌ يَشَى كَمَا قِيلَ عَامَتَيْنِ وَهُوَ وَاحِدٌ، وَهُوَ رَامَةٌ بَعِينَةٌ. وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ بَعْدَ. قَالُوا  
 جَرِيرٌ:

يَجْعَلُنْ مَذْفَعٌ عَاقِلِينَ أَيْامَنَا      وَجَعَلُنْ أَمْعَزَ رَامَتَيْنِ شَالَا  
 وَعَاقِلِينَ أَيْضًا: أَرَادَ بِهِ عَاقِلًا، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ جَاءَ: تَسَالَتِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) جمع تهامة وسبق التعريف به.

(٦) جمع نجد وسبق التعريف به.



طريق مكة، معروفان شاقان.

ولي من قصيدة أولها:

أشاعرة بما يلقى ظلوم

وَكَيْلَةٌ زَارَتْنا مِنْكُمْ خَيْالٌ      وَوَجْهُ اللَّيْلِ مِنْ وَضَحِ بَيْمٍ  
أَلَمْ يَبْاطِلِ وَيَسُودُ قَلْبِي      وَذَاذَا أَنَّهُ أَبَدًا مُقِيمٍ  
وَأَحْسَنُ الضَّجِيعِ عَلَى وَسَادِي      وَمَا رَأَى الْقَفَاءَ وَلَا يَرُومُ  
وَكَيْفَ يَزُورَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ      وَلَا عَنُقُ هَسْنَاكَ وَلَا رَسِيمٍ

إنما قلت: ما رام اللقاء ولا يروم، فنقبت الماضي والمستقبل؛ لأن الطيف إنما هو تخيل لا حقيقة له. فليس هو مما يجوز أن يروم، لا ماضيا ولا مستقبلا.

ولي من قصيدة أولها:

أَعْلَى الْعَهْدِ مَنَزَلٌ بِالْجَنَابِ<sup>(١)</sup>

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان جناب في (٢/ ١٦٤)، الرقمتين في (٣/ ٥٨) وقال في جناب في الموضع الأول: الجناب: موضع بعراض خير وسلاح، ووادي القرى.

وقيل: هو منازل بني مازن. وقال نصر: الجناب ثم ديار بني فزارة بين المدينة وفيد، وقال ابن هرمة:

فاضت على أنهرهم عينك دمعها      كما ينابيع يجري اللؤلؤ النسق  
فاستيق عينك لا يردي البكاء منها      وأكفف بوادي دمع منك تستيق  
لبس الشؤون وإن جادت بياقية      ولا الجفون على هذا ولا الحدق  
يانوا بأذماني من وجش الجناب لها      أجوي أخنس في أرطاته خرق

وقال ابن حبيب في فسر: الجناب: من بلاد فزارة، والخضارم من ناحية اليمامة، وجناب الخنظل: موضع باليمن. وقال في الرقمتين في الموضع الثاني:

السرقتان: تنية الرقمة، وهو مجتمع الماء في الوادي وقال الفراء: يقال عليك بالرقمة ودع الضفة. ورقمة الوادي: حبت الماء، وضمته: ناحيتان.

وفي كتاب الصحاح: الرقمة جانب الوادي وقيل الروضة قال السكوني: الرقمتان قرنتان بين البصرة، والنباج بعد ماوية تلقاه البصرة، وبعد حفر أبي موسى تلقاه النجاج، وهما على شفير الوادي، وهما منزل مالك بن الربيع المازني، وفيها يقول:

فلله دُرِّي يوم أترك طائفا      تُنِّي بأعلى الرقمتين ومالها

حَيِّ بِالرُّقْمَيْنِ زُورًا تَوَحَّا      كَذَجِي بَعْدَ هَذِهِ الْأَصْحَابِ  
 زَارَنِي وَالرُّقَادُ مِنِّي وَمِنْهُمْ      دَاخِلٌ فِي الْعُيُونِ مِنْ كُلِّ بَابِ  
 زُورَةٌ زُورَتْ عَلَيَّ وَلَوْ كَا      نَتَّ يَقِينًا لَمَا شَفَتْ بَعْضَ مَا بِي  
 قولي: «داخل في العيون من كل باب»: كناية عجيبة عن تمكن النوم من القوم،  
 واستقراره في عيونهم، وتحكمه فيهم، وإنما أردت الاستغراق التام في النوم.  
 ولي من قصيدة أولها:

أَدِرْ أَتَيْهَا السَّاقِي الْكُؤُوسَ عَلَى صَحْفِي

فَيَاطِفُهَا أَلَا طَرَفْتُ رِحَالَنَا      وَنَحْنُ عَلَى الْأَذْقَانِ فِي جَانِبِ الشُّغْبِ<sup>(١)</sup>  
 نَشَاوَى كَأَنَّا سَاوَرْتَنَا زُجَاجَةٌ      مُضْرَجَةُ النَّاجُودِ دَامِيَةِ السُّكْبِ  
 بِنَا مِنْ هَوَى لُقْيَاكِ كَرَبٍ نُحِبُّهُ      فَلَوْ زُرْتَنَا نَفْسَتِ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ  
 وَمَا ضَرُّ مَنْ يَأْتِي زِيَارَةً مُقْلَتِي      مُجَاهِرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِي  
 وَمَنْ ضَنَّ فِي لُقْيَايَ بِالصَّدْقِ مُسْرِقًا      عَلَى مُرْتَجِيهِ كَيْفَ يَخْلُ بِالكِذْبِ  
 معنى البيت الرابع: قد تقدم شرحه عند بيان معنى قولي: لأن زيارة المهاجر هي التي  
 ترى العين فيها الشخص على الحقيقة، وزيارة القلب: التي تتمثل فيها للقلب من زيارة  
 الطيف ما لا حقيقة له.  
 ولي من قصيدة أولها:

لَيْتَ أَنَا لَمَّا فَقَدْنَا الْمَجُوعَا

وقال أبو منصور: ... الرقمتان روضتان بناحية الصَّمان.... وقال العمري: الرقمتان روضتان  
 أحدهما قرية من البصرة، والأخرى بنجد.... وقال الكلبي: الرقمتان بين جُزيم ومطلع الشمس  
 بأرض بني أسد، وقال: والرقمتان أيضًا بشط فلج من أرض بني حنظلة، والرقمتان قرنتان على  
 شفير وادي فلج بين البصرة ومكة.  
 (١) قال ياقوت في معجم البلدان (٣/ ٣٥٢):

شُغْبٌ: هي ضيعة خلف وادي القرى كانت للزهري وبها قبره، ينسب إليها زكريا بن عيسى  
 الشغبي مولى الزهري، روى نسخة عن الزهري عن نافع.. وقال كثير:  
 سَفَى اللَّهُ وَجْهًا غَادِرَ الْقَوْمِ رَمَسَهُ      مَقِيمًا وَمَرَّوَا غَافِلِينَ عَلَى شُغْبِ

قُلْ لِطَيْفِ الْخَيَالِ لَيْلَةٌ هَوَمُنَا  
وَالْمَطَايَا مِنَ الْكَلَالِ عَلَى رَمَلٍ  
مَا عَلَى مَنْ يَحِلُّ بِالْقُورِ<sup>(١)</sup> لَوْ بَا  
خَادِعُونَا بِالزُّورِ مِنْكُمْ عَنِ الْحَقِّ  
وَكَلَسْنَا إِلَى الثَّرُوعِ عَنِ الْحُبِّ  
وَأَطْلَبُوا إِنْ وَجَدْتُمْ كَاتِمًا لِلْسُرِّ  
ولي من قصيدة أولها:

يَا حَادِي الْعَيْسِ عَرَّجْ بِي عَلَى الدَّمَنِ  
وَقَدْ جَفَّ سَانِي حَتَّى إِنْ طَارِقَهُ  
وَمَنْ يَضِنُّ بِزُورٍ مِنْهُ كَيْفَ يَدِي  
وَمَنْ ضَمِنَ بِالْبَاطِلِ مَعَ سَهَوَاتِهِ وَخَفْتِهِ، كَيْفَ لَا يَضِنُّ بِالْحَقِّ مَعَ ثِقَلِهِ وَكَلَفْتِهِ.

ولي أيضا، وهي ابتداء قصيدة:

زَارَكَ زُورًا الْحُلْسَ مَسْمُومًا  
مَسْلُومًا بِذِي سَلَمٍ<sup>(٢)</sup>

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ / ٢١٦):

الْقُورُ: بِالْفَتْحِ ثَمَّ سَكُونٌ، وَآخِرُهُ رَاءٌ: الْمُنْحَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْقُورُ أَصْلُهُ مَا تَدَاخَلَ  
وَمَا هِطَّ فَمِنْ ذَلِكَ غُورٌ تَامَةٌ، وَغُورٌ كُلُّ شَيْءٍ قَعْرُهُ، وَكُلُّ مَا وَضَعْنَا بِهِ تَامَةً فَهُوَ صِفَةُ الْقُورِ؛  
لأنهما أَسَانُ لِمَسْمُومٍ وَاحِدٍ. قَالَ أَعْرَابِي:

أَرَاهِي سَاكِنًا مِنْ بَعْدِ نَجْدٍ  
فَرُبَّمَا مَشَيْتَ بِحَرِّ نَجْدٍ  
وَرُبَّمَا رَأَيْتَ بِحَرِّ نَجْدٍ  
أَلْبَسَ السُّيُومَ آخِرَ عَهْدِ نَجْدٍ؟

فَالْأَزْهَرِيُّ: الْقُورُ تَامَةٌ مَا يَلِي الْيَمْنَ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَا بَيْنَ ذَاتِ عَرَقٍ إِلَى الْبَحْرِ غُورٌ  
تَامَةٌ... وَقَالَ الْبَاهِلِيُّ: كُلُّ مَا انْتَحَدَرَ سَبِيلُهُ مَغْرِبًا عَنْ تَامَةٍ فَهُوَ غُورٌ.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٣ / ٢٤٠):

مَسْمُومٌ: بِالتَّحْرِيكِ، وَوَادِي سَلَمٍ: بِالْحِجَازِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ الشَّاعِرُ:

فِي لَيْلَةٍ ظِلْمًاؤُهَا      حَالَكَةَ مَنْ الظَّلْمِ  
 كَأَنَّهُمْ أَشِدَّةُ      أَوْ فَحْمَةً مِنَ الْفَحْمِ  
 جَسَاءَ وَسَادِي عَالَمِدَا      فَلَسَمَ أَبْنُ مِنَ السُّقْمِ  
 وَالرَّكْبُ فِي ظِلِّ نَقْصِي      لَوْ زَغَزَعُوهُ لَأَنَّهُدَمَ  
 كَأَنَّمَا مَسَرُّ الصَّبَا      رُقْشٌ فِيهِ بِالْقَلَمِ  
 ولي من قصيدة أولها:

لعينيك منها يوم زالت حوُّها

وَلَيْلَةٍ بَشْنَا بِالْأَبْرِيقِ<sup>(١)</sup> جَاءَنِي      عَلَى نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ وَهَنَا رَسُولُهَا  
 خَبَالٌ يُرِينِي أَنَّهَا فَوْقَ مَضْجَعِي      وَقَدْ شَطَّ عَنِّي بِالْقَوِيرِ<sup>(٢)</sup> مَقِيلُهَا  
 نِيَا لَيْلَةٍ مَا كَانَ أَنْتَعَمَ بَشَا      تَبَارَحَ غَاوِيهَا وَغَابَ عَذُوبُهَا

وهل تعود ليلاتي بذي سلم      كما عهدت وأيامي بها الأول  
 أيام ليلتي كعاب غير عانسة      وأنت أمرد معروفاً لك الغزل  
 وذو سَلَمٍ: واد ينحدر على الذنائب والذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة.  
 وسلم الرِّيَّان: باليمامة قريب من الهجرة. والسَلَم في الأصل: شجر ورقة القرظ الذي يُدْبِغ به، وبه  
 سمي هذا الموضع، وقد أكثر الشعراء من ذكره قال السرخسي الموسوي:  
 أقول والشوق قد عادت بموائده      لذكر عهد هوى وكسى ولم يَدُم  
 يا ظبية الأسر هل إنس ألدَّ به      من الغداة فأشفى من جوى الألم؟  
 وهل أراك على وادي الأراك وهل      يعود تسليمنا يوماً بذي سلم

والنقي الواد وفي الشعر قال فيه ابن منظور في لسان العرب:

النقي من الرمل القطعة تنقاد محدودة، حكى يعقوب في نقيان ونفوان والجمع نقيان وأنقاء وهذه  
 نقاة من الرمل: للكتيب المجتمع الأبيض الذي لا يثبت شيئاً.

(١) لم أقف عليه في معجم البلدان.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٢٢٠): الْقَوِيرُ: هو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق  
 والشام. وقال السكوني: الغرير ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة فيه بركة وقياب لأم جعفر  
 تعرف بالزبيدية. والغوير: موضع على الفرات فيه قالت الزباء:  
 عسى الغوير أبوساً

وَمَا ضَرَّنِي مِنْهَا وَقَدْ بَتُّ رَاضِيًا      بِبَاطِلِهَا أَنْ بَانَ صُبْحًا يُطَوِّلُهَا  
فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّيْلُ بِالصُّبْحِ وَأَمَحَتْ      دِيَا جَرُّ مُرْخَاةٍ عَلَيْنَا سُودْلُهَا  
أَفْقَتُ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَيَّ مِنَ الَّذِي      خَدِغْتُ بِهِ إِلَّا ظَنُونٌ أَجِيلُهَا

ولهذه الأبيات، ما نراه ولا نقدر على جرده، من الفصاحة والطلاوة، والبدوية التي يوجد طعمها في فصيح كلام القوم، وإنما أردت الطيف رسولها؛ لأنه مذكّر بها، ومشوّق إليها؛ ولأنه مثال لها ومترجم، فجرى مجرى الرسول.

وأما البيت الرابع: فمعناه أنه لا يُلمّ متعتي بالطيف ليلا، ولا ينقص لدي به بيان بطلانه في الصباح؛ لأن الحالتين متغايرتان. وقد قال الناس في الطيف إنه متع نافع، وإن كان زورا وباطلا، لكنهم ما بلغوا هذا التحقيق، ولا كشفوا عن العلة هذا انكشاف. فالزيادة فيه على ما تقدمه غير مجبولة. ومعنى قولي: «فلم يحصل عليّ إلا ظنون أجيلها». إن الطيف إذا كان ما بيناه، إنما هو تخيل وتمثيل، واعتقادات وظنون باطلة، فمع اليقظة لا يحصل في اليد شيء منه، إلا ذلك الظن الباطل، والتخيل الفاسد. وكان عندي أنني سابق إلى وصف الطيف بأنه رسول، ومتفرد بهذا المعنى؛ لأنني ما كنت وقفت فيما تصفحه ورويته على نظيره له، إلى أن رأيت وأنا أُملي هذا الكتاب، لأشجع السلمي، فيما رواه أبو عبيد الله المرزباني<sup>(١)</sup> عن شيوخه قوله:

(١) أشجع السلمي ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد، وأبو عبيد الله المرزباني ترجم له الخطيب أيضا في تاريخ بغداد. أما السلمي فقال عنه الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٤٥): أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو، السلمي الشاعر. من أهل الرقة، وقدم البصرة فتأدّب بها، ثم ورد بغداد فنزلها، واتصل بالرياسة وغلب من بينهم علي جعفر بن يحيى، فحباه واصطفاه وآثاره وأذناه. وكان أشجع حلوا ظريفا، سائر الشعر، وله كلام جزل، ومدح رصين، فمدح جعفر بفصائد كثيرة، ووصله هارون الرشيد فمدحه وهو بالرقة بفصيصة تكنت بها حاله عند الرشيد وأولها:

قصر عليه تحية وسلام      نشرت عليه جماله الأيام

يقال إنه لما أنشده هذه القصيدة أعطاه هارون مائة ألف درهم. وأما المرزباني أبو عبيد الله فهو عماد بن عمران بن موسى بن عبيد، الكاتب المعروف بالمرزباني، وقد جاءت ترجمته في العديد من التراجم منها: الفهرست (١٩٠)، تاريخ بغداد (٣/ ١٣٥)، المنظم (٧/ ١٧٧)، معجم الأدباء (١٨/ ٢٦٨)، أنساب الرواة (٣/ ١٨٠)، اللباب (١٣/ ١٦٥)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٤)، العبر (٣/ ٢٧)، ميزان الاعتدال (٦٧٢)، الوافي بالوفيات (٤/ ٢٣٥)، البداية والنهاية (١١/ ٣١٤)، لسان الميزان (٥/ ٣٢٦)، النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨)، شذرات الذهب (٣/ ١١١)، هدية

العارفين (٢/ ٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٧)، الأعلام (٦/ ٣١٩)، معجم المؤلفين (١/ ٩٧)، كشف الظنون (١١٠٦، ١١٧٩)، إيضاح المكنون (٢/ ٨٠)، ميزان الاعتدال (٦٧٢)، ديوان الإسلام (١٩٦٥)، ومما قال الخطيب البغدادي في ترجمته في تاريخ بغداد: كان صاحب أخبار ورواية للآداب، وصنف كتبًا كثيرة في أخبار الشعراء المتقدمين والمحدثين على طبقاتهم، وكتبًا في الفزل والنوادر وغير ذلك. وكان حسن الترتيب لما يجعله غيره أن أكثر كتبه لم تكن ساعيًا له، وكان يرويه إجازة ويقول في الإجازة: أخبرنا ولا يبينها. قال لي علي بن أبي أيوب القمي: يقال إن أبا عبيد الله أحسن تصنيفًا من الجاحظ.

وحدثني ابن أيوب قال: دخلت يومًا على أبي علي الفارسي النحوي، فقال: من أين أقيمت؟ قلت: من عند أبي عبيد الله المرزبان، فقال: أبو عبيد الله من محاسن الدنيا. قال لي علي بن أيوب: وكان عضد الدولة يجتاز على بابه فيقف ببابه حتى يخرج إليه أبو عبيد الله فيسلم عليه ويسأله عن حاله. وقال ابن أيوب: سمعت أبا عبيد الله يقول: سودت عشرة آلاف ورقة، فصع لي منها مبيضًا لي ثلاثة آلاف ورقة.

حدثني القاضي أبو عبد الله الحسيني بن علي الصيمري قال سمعت أبا عبيد الله المرزباني يقول: كان في داري خصون ما بين لحاف وذوآج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي. قال الصيمري: وأكثر أهل الأدب الذين روى عنهم سعى منهم في داره.

... فقال الأزهري: كان أبو عبيد الله معتزليًا، وصنف كتبًا جمع فيه أخبار المعتزلة، ولم أسمع منه شيئًا لكن أخذت لي إجازته بجميع حديثه، وكان ثقة.... أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي، وهلال بن المحسن قالا: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة فيها توفي أبو عبيد الله المرزباني. قال هلال: ليلة الجمعة، وقال العتيقي يوم الجمعة من شوال. قال هلال: وكان مولده سنة ست وتسعين ومائتين. وقال العتيقي: وكان مذهبه التشيع والاعتزال، وكان ثقة في الحديث.

حدثني التتوخي قال: مات المرزباني في الجمعة لليلتين خلتا منوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وصلى عليه، ودفن في داره بشارع - عمرو الرومي في الجانب الشرقي. قال عمقه: وقد جمعت أسماء كتبه همامش كتاب ديوان الإسلام فبلغت ثمانية وأربعين كتابًا وأنا أذكرها لك على الترتيب المجالي:

١- أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم.

٢- الأوائل في أخبار القرس القدماء وأهل المدل والتوحيد وشيء من مجالسهم.

٣- الشباب والشيب.

٤- الزهد وأخبار الزهاد.

٥- المديح في الولائم والدعوات والشراب.

٦- أخبار أبي تمام.

٧- أخبار أبي حنيفة النعمان.

٨- أخبار أبي عبد الله محمد بن حازم العلوي.

- ٩- أخبار أبي مسلم الخراساني.
- ١٠- أخبار الأنوار والثمار.
- ١١- أخبار البرامكة.
- ١٢- أخبار شعيب بن الحجاج.
- ١٣- أخبار عبد الصمد المعدل (لعله ابن العدل).
- ١٤- أخبار ملوك كتنة.
- ١٥- أخبار الجن المتمثلين فيه.
- ١٦- أشعار الخلفاء.
- ١٧- أشعار النساء.
- ١٨- كتاب التسليم والريادة.
- ١٩- كتاب تلقيح العقول.
- ٢٠- كتاب التهاني.
- ٢١- كتاب الدعاء.
- ٢٢- كتاب ذم الحجاب.
- ٢٣- كتاب ذم الدنيا.
- ٢٤- كتاب الرياض.
- ٢٥- كتاب الزهر.
- ٢٦- كتاب الشعر (له).
- ٢٧- كتاب شعر حاتم الطائي.
- ٢٨- كتاب العيادة.
- ٢٩- كتاب الفرح.
- ٣٠- كتاب المتوج في العدل وحسن السيرة.
- ٣١- كتاب المحتضرين.
- ٣٢- كتاب المراثي.
- ٣٣- كتاب المرشد في أخبار المتكلمين.
- ٣٤- كتاب المزخرف في الإخوان والأصحاب.
- ٣٥- كتاب المستطرف في الحمقى والنوادر.
- ٣٦- كتاب المشرف في حكم النبي ﷺ.
- ٣٧- كتاب المعجم في أسماء الشعراء على حروف المعجم.
- ٣٨- كتاب المغازي.
- ٣٩- كتاب المفصل في البيان والفصاحة.
- ٤٠- كتاب المفيد.

حَسْبِي طَيْفًا أَتَاكَ بَعْدَ الْمَنَامِ فَخَطَّطِي لَأَلَيْكَ هَوْلَ الظَّلَامِ  
 شَخَطَ الْحَسْبِي مِنْ سُعَادَ وَمِنَا رُسُلَ يَتَنَسَّاهُ مِنَ الْأَخْلَامِ  
 بَخِلْتُ بِالسَّلَامِ يَقْظِي وَجَادَتْ هَسَوَاهَا وَتَفَسَّهَا فِي الْمَنَامِ  
 ووجدت أيضًا، فيما استأنفت تصفحه وتأمله للبحري:

إِذَا أُرْسِلْتَ طَيْفًا يُذَكِّرُنِي الْجَوَى رَدَدْتُ إِلَيْهَا بِالنَّجَاحِ رَسُولَهَا  
 ومما يمكن أن يكون نظيرًا لذلك قول البحري:  
 وَلَيْلَةٌ هَوْنًا عَلَى الْعَيْسِ أُرْسِلَتْ بِطَيْفٍ خَيَالٍ يُشْنِبُهُ الْحَقُّ بَاطِلَهُ  
 وهذا على ما نراه نظير لقولي: «جاءني رسولها وما شعرته به».

وكما قلت في كثير من كتبي وآمالي: إنه لا ينبغي لمنصف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فلان؛ لأنه قاطع على ما لا يأمن هذا أن يكون كذبا، فرما توارد فيه من غير قصد. والأولى أن يقال: هذا نظيره وشبيهه. وهكذا يجب أيضا ألا يطلق أحد في معنى من المعاني، أنه متفرد به، وسابق إليه، وإن كان لم يُسمع له نظير، ولا عثر له على شبه، لأنه لا يأمن أن يكون فيما لم يبلغه، ولا اتصل به، قد ورد ذلك المعنى، فإن الخواطر لا تضبط ولا تنحصر. ومن ذا الذي يحيط علما بكل ما قيل وخطر وذكر؟ والإنصاف أن يقال في مثل هذا المعنى: ينفرد به فلان على ما بلغني، واتصل وانتهى إليه تصفحي وتأملتي<sup>(١)</sup>.

٤١- كتاب المقتبس في أخبار النحويين البصريين.

٤٢- كتاب النير في التوبة والعمل الصالح.

٤٣- كتاب الموشع في ما أنكره العلماء على بعض الشعراء.

٤٤- كتاب المونق في أخبار الشعراء المشهورين.

٤٥- كتاب نسخ العهور إلى القضاة.

٤٦- كتاب الواثق.

٤٧- كتاب الهدايا.

٤٨- كتاب الهدايا نسخة أخرى.

(١) هذا أسلوب تربوي راقٍ في نقل المعلومات وتلقيها من سامعها فعلى المعلم أن يكون مؤدبا مهذبا مع من سبقوه وحسن العرض لما يقدمه لتلاميذه، وعلى التلاميذ أن يفهموا من أستاذهم هذا الأدب ويعملوا به فتستقيم الحياة وتصلح المسيرة التعليمية.



ومن نظم معنى تَنَجَّهَ خاطره، وسح له به هاجسه، لم يكن يحتذي فيه مثال غيره، فهو في الحقيقة كالسابق إليه وإن كان قد وُجِدَ له نظير ما عرفه ولا بلغه، يسلب الفضيلة من اعتمد على معنى سبق إليه غيره، فنظمه وأدخله في كلامه؛ لأنه لم يحظ بفضيلة السبق التي يقتضيها نتيجة الفكر، وشره الخاطر. ومن أخرج إليه خاطره بعض المعاني من غير أن يكون سعه ولا قرأه ولا احتذاه، فله فضل الاستخراج والاستباط الدالين على قوة الطبع، وصحة الفكر، وما عليه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدم فيه، فوقع التوارد فيه من غير عمد، وما عليه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدم فيه، فوقع التوارد فيه من غير عمد، فإن تجويز لا يسلب مدحا، ولا ينقص فضلا.

ولي أيضا وهو ابتداء قصيدة:

عَجِنَا مِنْ خَيَالِكَ كَيْفَ زَارَا  
أَتَى وَالشُّوقُ جَادِبُهُ لَأَيْنَا  
تَلَأَقَ ضَاعَ مَا أَغْنَى فِتْيَلًا  
وَلِي مِنْ قِطْعَةٍ مَفْرَدَةٍ:

وَزَائِرُ زَارَتِي وَهَنَاهُ يُغَالِطُنِي  
مَتْنُ لَهُ وَسُتُورُ اللَّيْلِ مُسْبِلَةٌ  
وَلَوْ أَرَادَ خِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسْنٍ  
لَكَانَ مِنْ نَسِيلٍ مَا يَبْغِي عَلَى غَرَرٍ

البيت الثاني: عجيب المعنى؛ لأن تخيل الطيف إنما يتم بالنوم، حَجَزَ بين اليقين وبين النائم، فاعتقد ما لا حقيقة له.

ولي أيضًا من قطعة:

أُتِرَى عَنْ حُسْنِ رَأْيٍ  
لَمْ يُفِدْنَا وَطَرِيفِ خَا  
إِثْمَا الطُّفِيفُ كَلَفُظَ  
كَمْ رَأَيْنَا بِاطِلًا نَفْسَ

ما وجدت إلى الآن تشبيه الطيف الذي لا مفتش له ولا حصول، باللفظ الخالي من معنى، العاطل من غرض، وإن كان قد قيل قديما وحديثا: إن الطيف باطل وزور ومُحَال، ولا عائدة له، فما شبهوه هكذا باللفظ الفارغ، فهذا التشبيه هو الغريب.

ولي وهو ابتداء قصيدة:

مَا زُرْتَ إِلَّا خِدَاعًا أَيُّهَا السَّارِي      لَمْ أَنْقَضَيْتَ وَمَا قَضَيْتَ أَوْطَارِي  
أَتَى يَزُورُ عَلَى الظُّلَمَاءِ مِنْ شَحْطٍ      مَنْ كَانَ صُبْحًا وَقُرْبًا غَيْرَ زَوَارِ  
لَا مُنْتَعَةً لِي بِمَنْ نَادَمْتُ صُورَتَهُ      لَمَّا أَتَيْتَنِي هَا فِي اللَّيْلِ أَفْكَارِي  
وَلَوْ أَرَدْتَ بِي الْإِسْعَافَ زُرْتَ وَمَا      دَرَى الدُّجَى لِلْكَرَى مَا بَيْنَ أَشْفَارِي<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ يَنْفَعُ مَنْ يُضْحِي بِمُجْدِبَةٍ      أَنْ بَاتَ مَا بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارِ

هذا من الابتداعات المشار إليها فصاحة وبلاغة. وقولي: ما زرت إلا خداعًا يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى ما زرت حقيقة، لكنك خادعت خداعا.

ويحتمل أيضا أن أريد: ما زرت إلا للخداع، كما تقول ما قصدتك إلا إكراما لك، أي للإكرام. وكيف لا يعجب من تارك الزيارة في الصباح مع قرب، إذا زار في الظلماء من بعد. ولهذا الكلام ماله في الاطراد والاستقامة، وحسن المقابلة. وإضافة الطيف إلى الفكر. قد تقدم الكلام على نظيرها مستوفى.

وإذا كان من يضحى بالأرض المحمية المقفرة، لا ينفعه أن كان باثنا بين الرياض الناضرة، والحنان الزاهرة، فأولى أن لا ينفع من خيّل له الطيف الانتفاع والاستمتاع، ثم أصبح عاريا من ذلك كله، فارغا من جميعه.

ولي من قصيدة أولها:

أَلَا لَيْتَ عَيْشًا مَاضِيًا عَنْكَ بِالْحَمَى      وَإِنْ لَمْ يَعْذِ مَاضٍ عَلَيْكَ يَغُودُ  
وَمَا زَوْرْنَا لَمَّا سَمَخَتْ بِزُورَةٍ      سَمَخَتْ هَا وَهَنَا وَنَحْنُ هُجُودُ  
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى بَاعِثًا لَنَا      بَلَا مَوْعِدٍ وَالزَّائِرُونَ هُمُودُ  
فِيَا مَرَحِبًا بِالطَّارِقِي بَعْدَ هَجْعَةٍ      تَقْرُبُهُ الْأَخْلَامُ وَهُوَ بَعِيدُ  
وَعَلَّمَنِي كَيْفَ الْمَحَالُ لِقَاؤُهُ      وَأَنِّي السَّقَاةَ وَالْمُقْسَاءَ كَثُودُ  
وَمَا نَحْسُنُ إِلَّا فِي إِسَارٍ عَدَامَةٍ      وَعِنْدَ كَرَانَا أَنْ ذَاكَ وَجُودُ

قولي: تقربه الأحلام وهو بعيد: له شهادة من نفسه على فضله، غير مردودة ولا محسودة. وإنما أضفت إلى الكرى أن العدم الذي نحن فيه وجود؛ لأنه السبب في هذا

(١) المراد بالأشعار هنا هي الجفون وهو شفر جفن العين الذي عليه منبت الرمش.

الاعتقاد الفاسد، والظن الباطل.

ولي وهي قطعة مفردة:

أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْمَدْوَةِ وَرُبَّمَا      أَلَمْ يَسْنَا مَنْ لَيْسَ نَرْجُو لِمَامَهُ  
فَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ شَحَطْتُ بِيَاضَهُ      فَلَمْ يَعْدُنِي حَتَّى رَضِيتُ ظِلَامَهُ  
وَمِنْ مُغْرَمٍ يَقْلِي لَذِيذُ انْتِبَاهِهِ      وَيَبْهَوِي لِمَا جَرَّ الْمَنَامُ مَنَامَهُ  
وَمِنْ مُنْعِفٍ جُنَحًا يَطِيبُ عَنَاقِهِ      وَكَمْ حَرَّمَ الْعُشَاقُ صُبْحًا كَلَامَهُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا فَقَدْ بَاتَ مُغْرَمٌ      يُدَاوِي بِتِلْكَ الْبَاطِلَاتِ سَقَامَهُ  
فُحِبُّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالُهُ      وَقَدْ بَذَلَ الْبَذْلَ مِنْئِى حَرَامَهُ  
وَمِنْ مُلْتَقَى عَذَابِ الْمَدَاقِ وَتَحْتَهُ      فَلَمْ يَرْضَ لِي حَتَّى رَبِخْتُ أَنَامَهُ  
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ قُرْبٍ زَوَالِهِ      عَلَيَّ أَنْ مُشْتَقًا أَرَادَ دَوَامَهُ

هذه الأبيات فوق ما شاء المقترح المُشِطُّ من حسن تصرف، وتقلب في أوصاف الطيف، وخروج من معنى إلى غيره، بكلام جزل سهل.

وقد تضمن البيت الذي أوله:

فُحِبُّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالُهُ

والبيت الذي يليه، معنى في الطيف غريبا، ما ظفرت بنظير له إلى الآن في الشعر المدون؛ لأن بلوغ الغاية في المتعة بطيف الخيال، لا يكون إلا مباحًا، لا إثم فيه ولا عار، وقد يكون حراما وإثما وعارًا، ولو كان في اليقظة، وعلى الحقيقة. وقد تكرر هذا المعنى في شعري:

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ      يُحِلُّ لَنَا جَدْوَاكَ وَهِيَ حَرَامُ

فالجواب: أن البحرني إنما عني أن النوم يبذل لنا جدواك، بعد أن كانت ممنوعة، فعبر عن البذل بالتحليل، وعن المنع بالتحريم، وذلك مليح منه، ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقيين، وإنما أراد أنا لا نلتقي إلا في النوم الذي بل من الانتقاء ما كان ممنوعًا، فكانه أحل حراما. فإن قيل يجوز أن يكون عني ما ذكرته، وعني أيضا أن التمتع في النوم يكون حلالا، وإن كان في اليقظة حراما؛ قلنا: الجدوى هي العطية، والعطاء لا يحرم على الحقيقة في اليقظة ويحل في النوم، والمتعة بالطيف هي التي لها هذه الصفة. فإذا قيل ألا أراد بالجدوى ضروب التمتع والتلذذ؟ قلنا هذا عدول عن ظاهر الكلام بغير ضرورة، ولو أن

مقسما أقسم على أن البحتري ما خطر بباله ما صرحنا نحن به في الأبيات الميمية، وإنما عني ما حكيناه، لكان صادقاً.

فأما قول الفرزدق:

إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي حَيِّتُ وَإِنْ دَنْتُ      فَأَبْقَدُ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ<sup>(١)</sup> كَلَامُهَا  
وَتَمَتَّعَ عَيْنِي وَهِيَ يَقْطِي حَلَالَهَا      وَيُسْبِذُ لِي عِنْدَ الْمَنَامِ حَرَامُهَا

فليس له بالمعنى الذي اختصصت به شبهة، وإن كان قد أتى بلفظ التحريم والتحليل، وليس المعول على الألفاظ، وإنما المعول على المعاني.

وإنما أراد الفرزدق أنها تمتع عينه وهي يقطي، ما هو حرام من التمتع التام بها، وهذا

(١) قال المديري في حياة الحيوان في حرف الألف في الأنوق: على فعول: الرخمة، أو طائر أسود له شيء كالعرف أو أصلع الرأس أصغر المنقار. قيل: إن في أخلاقها أربع خصال: تحضن بيضها، وتحمي فرخها، وتالف ولدها، ولا تمكن من نفسها غير زوجها. وفي المثل: أعز من بيض الأنوق، وأبعد من بيض الأنوق. فلا يكاد يظفر به؛ لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة، وهي تحمق مع ذلك قال الشاعر:

وَذَاتُ الْمَسِينِ وَالْأَلْسَوَانِ شَسْنِي      وَتَحْمَقُ وَهِيَ كَيْسَةُ الْحَوِيلِ  
وقال غيره:

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَوْدَعْتُ سِرًّا كَمَتَهُ      كَبَيْضِ أَنْوَقٍ لَا يَسْنَالُ لَهَا وَكُرَ  
وقال في حرف الراء في الرخمة.

الرُّخْمَةُ: طائر أبقع يشبه النسر في الحلقة وكنيتها أم جعران، وأم رسالة، وأم عجبية وأم قيس، وأم كبير، ويقال لها: الأنوق.

... وذكر عند الشعبي الروافض فقال: لو كانوا من الدواب لكانوا حُمَرَاءَ، ولو كانوا من الطير لكانوا رُخْمًا.

ومن طبع هذه الطائر: أنه لا يرضى من الجبال إلا بالموحش منها، ولا من الأماكن إلا بأسحقها وأبعدها عن أماكن أعدائه، ولا من المضاب إلا بصخورها، ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع بيضة، فيقولون: أعز من بيض الأنوق. والأثنى منه لا تمكن من نفسها غير ذكرها. وتبيض بيضة واحدة، وربما أتامت. وهي من لأم الطير وهي ثلاثة: البوم، والغراب، والرخمة. (وحكمها):

تحرم الأكل. وقال الزنخشي أنها تقول في صياحها: سبحان ربي الأعلى. (الأمثال): قالوا: أحقق من رخمة، وأموق. وإنما خصت بذلك من بين الطير؛ لأنها أم الطير وأظهرها حقاً وموقاً، وأقذرها طعماً، لأنها تأكل القذرة وقالوا: انطقي يا رخمة فإنك من طير الله، أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة، فقيل لها يهزأ بها: إنك من طير الله فانطقي. يضرب به المثل للرجل الذي لا يلتفت إليه ولا يسمع منه.

ضد ما قصدته أنا من المعنى؛ لأن الفرزدق قرن التحليل باليقظة، والتحرير بالنام، وأنا جعلت التحليل في النوم، والتحرير في اليقظة.

وكل منا قصد مقصداً صحيحاً؛ لأنني أردت أن التمتع الذي نلته في النوم حالاً، لو كان في اليقظة لكان حراماً. والفرزدق أراد بها أنها تمنع في اليقظة من كلام وما أشبهه حالاً، وتبذل له عند المنام ما هو حرام. وإنما يريد أنه حرام لو كان في اليقظة، فإن ما يكون في النوم لا يكون حراماً. فإن هذا الشرح خلاف المعنى الذي قصدته لمعنى الفرزدق.

ولي من قصيدة أولها:

مَرَّتْ بَنَاتُ الْمُصَلَّى الْخَفِيفِ سَائِحَةً<sup>(١)</sup>

كَمْ مَرَّةٍ زُرْنَا وَهَمَّا عَلَى عَجَلٍ سَرَّيْتُ فِيهَا وَمَا أَسْرَتْ مَطَايَاكَ

حَتَّى التَقَيْنَا عَلَى رَعْمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ الْإِلْقَاءِ سِوَى وَسْوَاسِ ذِكْرِكَ

ولي من قصيدة أولها:

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٤٢١): خَفِيفٌ: بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره فاء.

والخفيف: ما انحدر من غليظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى. وقال ابن جني: أصل الخيف الاختلاف، وذلك أنه ما انحدر من الجبل فليس شرقاً ولا حضيضاً فهو مختلف لهما، ومنه: الناس أخيف، أي مختلفون، وقال:

الناس أخيف وشئى في الشميم وكلهم يجمعهم بسيت الأدم

وقال القاضي عياض: خيف بني كناية هو المحصب، كذا فُسر في حديث عبد الرزاق، وهو بطحاء مكة. وقيل: مبتدأ الأبطح، وهو الحفيفة فيه لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل. وقال الزهري: الخيف الوادي. وقال الخازمي: خيف بني كناية بمعنى نزل رسول الله ﷺ. والخيف: ما كان مجنباً عن طريق الماء يميناً وشمالاً متسعاً. وخيف سلام بلد بقرب غُفان على طريق المدينة فسمي منبر وناس كثير من خزاعة، وما هما قتي، وباديتها قليلة من جشم وخزاعة. وخيف الحميراء: في أرض الحجاز...

وخيف ذي القبر: أسفل من خيف سلام، وليس به منبر، وبه نخل كثير وموز، ورمال، وسكانه بنو مسروح، وسعد كنانة، ونجار الفائق، وماؤه من القتي، ويعيون تخرج من ضني الوادي. وقال أحمد بن أروى سمي خيف ذي القبر وهو مشهور به، وسلام هذا كان من أغنياء هذا البلد من الأنصار، بتشديد اللام، قاله أبو الأشعث الكندي.

وقال: أسفل منه خيف النعم به منبر وأهله عامرة، وخزاعة ونجار بعد ذلك وناس، وبه نخل ومزارع، وهو إلى غُفان، ومياهه خزانة كبيرة.

## هِيَ الدَّارُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ هَوَاهَا

زَارَتْ وَسَادِي فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً  
أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا  
صَابِعُ صُبْحًا أَنْ أَرَاهَا بِنَاطِرِي  
وَتَبْدُلُ جُنْحًا أَنْ أَقْبِلَ فَاهَا  
وَلَمَّا سَرَتْ لَمْ تُخَشَّ وَهَنًا ضَلَالَةً  
وَلَا عَرَفَ الْعُدَالُ كَيْفَ سُرَاهَا  
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَعِدَ أَتَى بِهَا  
وَمَنْ ذَا عَلَى شَرْبِ الْمَزَارِ هِدَاهَا  
وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زَوْرَةٍ بَاطِلٍ  
تَزُورُ بِلَا رَيْبٍ فَقُلْتُ عَسَاهَا  
معنى البيت الأول: أن الكرى خيل لي أن أراها بعيني، وإن كنت لا أراها على الحقيقة.

ولي من قصيدة أولها:

لَا طَرَقَ الطَّيْفُ الَّذِي كَانَ مِنْ  
أَكْبَرِ هَمِّي أَنَّهُ يَطْرُقُ  
خَدْتُ قَلْبِي وَهُوَ طَوْعُ الْهَوَى  
مُحَدِّثٌ فِي النَّوْمِ لَا يَصْدُقُ  
وَكَيْفَ لَوْلَا أَنَّهُ بَاطِلٌ  
يَسْرِي وَمَا سَارَتْ الْأَنْثَى  
زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ  
وَيَتَنَا ذَاوِيئَةً سَمْلَقُ  
إنما قلت: لا طرق الطيف، لأنني بنيت هذه القصيدة على ذم اتباع الهوى؛ والانخراط في سلكه. ومن عَرَفَ عن الهوى والانخراط في سلكه، لا فائدة له في طرق الطيف. وإنما جعلتُ هذا المحدث لا يصدق في النوم خاصة؛ لأن النوم هو السبب في كذب الظنون النائم، وفساد أحاديثه لنفسه واعتقاداته.

وقد تقدم أن قولي «زار وما زار سوى ذكره»: أجود، وأشدّ تحقيقاً من كل نظير له في هذا المعنى.

ولي في هذا المعنى من قصيدة أولها:

لِمَنْ ضَرَمَ عَلَى الْيَفَاعِ تَعْلَقًا<sup>(١)</sup>

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٣٩):

السَّبَاعُ: مَنْ قَرَى ذِمَارَ الْيَمَنِ يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْفَقِيهَ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَفَاعِي، وَهُوَ شَيْخُ الْعِمْرَانِي صَاحِبُ كِتَابِ الْبَيَانِ. وَكَانَ قَدِمَ مَكَّةَ فَحَضَرَ بِمَجْلِسِ أَبِي نَصْرِ الْبَنْدِينَجِي، وَكَانَتْ عَلَيْهِ أَطْمَارُ رَثَّةٍ فَأَقَامَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ احْتِفَازًا لَهُ، فَقَالَ: لَا تَقْمَنِي فَيُنِي أَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ بِعَلْمِهَا.

وَقَدْ زَارَنِي بَعْدَ الْهَدْوِ خَيَالُهُ      فَجَدَّدَ مِنْ شَوْقِي وَمَا كَانَ أَحْضَلًا  
فَلِلَّهِ مَرْدُودٌ إِلَيَّ طُرُوقُهُ      وَمَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ بِاللَّيْلِ مَطَرًا  
ولي من قصيدة أولها:

قَدْ كَانَ عِنْدَكُنَّ السُّؤْلُ

وَطَرَفْتَنِي وَهَذَا بِأَجْوَارِ الرُّبَا      وَطُرُوقُهُنَّ عَلَى الثَّوَى تَخْجِيلُ  
يَا لَيْتَ زَائِرَتَا بِفَاجِئَةِ الدُّجَى      لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ  
فَقَلِيلُهُ وَضَحَ الضُّحَى مُسْتَكْتَرٌ      وَكَثِيرُهُ غَشِبَ الظُّلَامَ قَلِيلُ  
مَا عَابَهُ، وَبِهِ السُّرُورُ، زَوَالُهُ      فَجَمِيعُ مَا سَرُّ الْقُلُوبِ يَزُولُ  
هذه الأبيات لا فقر بها إلى تفسير وتنبية، كما لا حاجة بها إلى مدح وإطراء.  
ولي من قصيدة أولها:

مَا قَرَّبُوا إِلَّا لِبَيْنِ نُوقَا

طَرَقَ الْخَيَالُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ الثَّوَى      هَذَا الْخَيَالُ لَنَا هُنَاكَ طُرُوقَا  
لَمْ أَذِرْ مَا هُوَ غَيْرَ أَنْ طُرُوقُهُ      أَغْرَى بِشَاقَةِ الْقُلُوبِ مَشُوقَا  
ولي من قصيدة أولها:

وَزُورِ زَارِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ      وَقَدْ مَلَأَ الْكَرَى مِنَّا الْعُمُونا  
يُبريني أَنَّهُ ثَانٍ وَسَادِي      مُضَاجَعَةٌ وَزُورُ مَا يُرِينَا  
نَعِمْتُ بِبَاطِلٍ وَيَوَدُّ قَلْبِي      وَذَاكَ لَوْ يَكُونُ لَنَا بَقِينَا  
ولي من قصيدة أولها:

إِنْ عَلَى رَمْلِ الْعَقِيقِ<sup>(١)</sup> حَيْمًا

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ / ١٣٨):

الْعَقِيقُ: يفتح أوله، وكسر ثانيه، وقافين بينهما ياء مشاة من تحت.

قال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق، وفي بلاد العرب: أربعة أعقه وهي أودية عادية شقتها السيول.

وقال الأصمعي: الأعقة الأودية فمنها: عقيق عارض اليمامة: وهو واد واسع مما يلي الغرمة يتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون عذبة الماء.

نَبَاً فَمَا نَامَلُ فِي لِقَائِنَا      ذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ إِلَّا الْحُلْمَا  
 أَهْوَى وَإِنْ كَانَ لَنَا تَعْلَةً      طَيفًا يُؤَافِي مِنْكُمْ مُسَلَّمَا  
 يَسْبِذُ لِي مِنْ بَعْدِ مَا ضَنَّ بِهِ      وَشَافِعِي الثُّومُ: الْعِذَارُ وَالْقَمَا  
 وَجَادَ حِلًّا وَالدَّجَى شِعَارُنَا      بِنَائِلٍ لَوْ كَانَ صُنْبَعًا حَرَمًا  
 حُبٌّ بِهَا لِلْمَامَةِ مَأْمُونَةٌ      وَزُورَةٌ يُزْرِعُ فِيهَا السُّهُمَا  
 وَجَدْتُ فِيهَا كُلَّ مَا أَحْبَبْتُهُ      لَكِنَّ وَجَدْنَا يُضَاهِي الْعَدَمَا  
 مَا عَلِمْتُ نَفْسِي بِمَاذَا حُبِّتْ      وَلَا الَّذِي جَادَ عَلَيْنَهَا عِلْمَا

معنى البيت الأول: أن التباعد بيننا قويت أسبابه، وارتجت أبوابه إما بعد المسافات، أو قوة الوشايات، حتى ما نطمع في تلاقٍ إلا في النوم، وهذه غاية اليأس من اللقاء والاجتماع.

ولقولي: «وشافعي النوم» من البلاغة، ما لا أخشى جحذه ورده، ولما كان الشافع يقرب بعيد الحاجة، ويُظفر بنجاحها، وكان النوم كذلك في طيف الخيال، ولا سبب له سواه، سمي النوم شافعاً في الزيارة وبلوغ المراد منها.

وقولي «وجاد حلا والدجى شعارنا»: نظير قولي:

فَحُبٌّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالَهُ      وَفَادٍ بِذَلِكَ الْبَذْلِ مِنْهُ حَرَامَهُ

قال السكوني: عقيق اليمامة لبني عقيل فيه قرى ونخل كثير، ويقال له عقيق ثرة، وهو عن يمين الفُرط منقطع عارض اليمامة في رمل اجزاء، وهو منبر من منابر اليمامة عن يمين من يخرج من اليمامة يريد اليمن عليه أمير... ومنها عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل.

قال غيره: هما عقيقان: الأكبر: وهو مما يلي الحرّة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل، ومما يلي الحمى ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى قصر السراجل، ثم اذهب بالعقيق صُعْدًا إلى منتهى البقيع. والعقيق الأصغر: ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى الفرصة...

وقال القاضي عياض: العقيق واد عليه أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل: ستة، وقيل: سبعة، وهي أعقة: أحدها: عقيق المدينة عن رومة، والعقيق الأكبر بعد هذا وفيه بئر عروة، وعقيق آخر أكبر من هذين العقيقين وفيه بئر على مقربة منه، وهو من بلاد مزينة، وهو الذي أقطعته رسول الله ﷺ بلالاً بن الحارث المزني، ثم أقطعه عمر الناس. ثم ذكر أعقه كثيرة راجعها في المعجم.



وقد تقدم بيانه، وأنه غريب لا أعرف سابقا إليه. ومعنى قولي:

حُبُّهَا إِلَهَامٌ مَأْمُونَةٌ

يحتمل أن الإثم والعار فيها مأمونان، ويحتمل أنها غير متهمة ولا مستراب بها.

وأكدت ذلك بقولي:

وَزَوْرَةٌ يُزْبِجُ فِيهَا التُّهْمَا

ومعنى البيت الأخير: أن العلم مفقود في طيف الخيال، ممن طرقه الخيال، ومن ذلك

الخيال مثال له، ومتصور به.

ولي وهو ابتداء قصيدة:

بَلَّغْنَا لَيْلَةَ الشُّغْبِ <sup>(١)</sup>	عَجَّالاً مُنْجِيَةَ الْقَلْبِ
ثَلَاثِينَ كَمَا شِئْنَا	بِلَا عِلْمٍ مِنَ الرُّكْبِ
وَطَيفٍ طَافَ مِنْ ظُنْمَا	ءَ وَالْإِضْبَاحِ فِي الْحُجْبِ
جَفَّتْ عَيْنِي وَجَاءَتْ نِي	دُجَى اللَّيْلِ إِلَى قَلْبِي
وَزَالَتْ غِيبٌ مَا زَارَتْ	وَمَا قَلْتُ لَهَا حَسْبِي
وَوَلَّتْ لَمْ تُنِلْ شَيْئًا	مِنَ الْفَنَمِ سِوَى جُنَى

نظيرُ قولِي: «جفت عيني... البيت»: قولِي: «موه قلبي على ناظري».

وقولي:

وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْتِي زِيَارَةَ مُقَلَّتِي	مُجَاهَرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَحْفِيًا قَلْبِي
---	--

وقد تقدم ذلك.

ولي وهي قطعة مفردة:

وَزَوْرٌ زَارَنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ	فَعَلَّلَنِي بِبَاطِلِهِ وَوَلَّى
سَقَانِي رَيْقُهُ مِنْ كُنْتُ دَهْرِي	مَذُودًا عَنْ مَرَاثِيهِ مُخْلًا
وَأَرَأَيْتَ فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ	وَمَا يَذْرِي بِمَا أُعْطَى وَأَوَّلِي
وَأَرْخَصَ قُرْبَهُ بِالْمِيلِ مَنْ لَوْ	سَأَلْنَا قُرْبَهُ فِي الصُّبْحِ أَغْلَى

(١) الشُّغْبُ: سبق تعريفه وهو موضع بالبادية بين المدينة والشام.

نِعْمُنَا بِالْحَبِيبِ دُجَى فَلَمَّا      تَوَلَّى وَاضْمَحَلْ لَنَا اضْمَحَلَا  
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا فَفَيْمِ حُبٍ      أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبَلَا  
تَلَاقَ لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي      بِمَا أَوْحَى بِهِ وَعَلَيْهِ ذَلَا  
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ يُطِيعُ أَمْرِي      لَمَا كَشَفَ الظَّلَامَ وَلَا تَجَلَّى  
إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ تَلَاقَ لَا يَخَافُ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ وَوَشَى بِهِ؛ لَأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ... (١)

[ولي من أبيات... (٢)] نأينا فمن دون اللقاء تنائف

حَلَّتْ بِنَا وَاللَّيْلُ مُرَخِّ سُدُولُهُ      فَأَلَا وَضَوْءُ الصُّبْحِ فِي الْعَيْنِ مُشْرِقُ  
وَدَدْتُ مِطَالًا عَنِ لِقَاءِ مُصَحِّحٍ      وَأَوْسَعَنَا مِنْكَ الْلِقَاءُ الْمَلْرُقُ  
فَأَحْبَبَ بِهِ مِنْ طَارِقٍ بَعْدَ هَذِهِ      عَلَى نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ  
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا      هُنَالِكَ لَوْلَا السُّنُومُ إِلَّا التَّفَرُّقُ  
تَطَائِيرَ وَضَلَّ غَرْنًا فَكَأَنَّهُ      رَدَاءَ سَحِيقٍ أَوْ مُلَاءَ مُشِيرُقٍ (٣)

إن حكم حاكم: ما في وصف من أوصاف الطيف يفضل ويقدم؟

فما يتعدى هذه الأبيات، والتي تقدمتها بلا فضل. ومعنى «لو كان يصدق»:

التمني لصدقه، والتلهف عليه؛ وليس بشرط، لأنني أحبه على كل حال، صدق أو كذب، وإِذَا تَنَبَّيْتُ صَدَقَهُ، وَجَرَى بِجَرَى قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ:

فَتَبَسُّمَتْ عَنْ وَاضِحًا      تَبَ لَوْ لَيْسَ مِنْ عَذَابِ

(١) موضع النقط عبارة ساقطة.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيهما السياق على ما هي عادة المؤلف منذ بداية الكتاب.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب مادة «شبرق»: ثوب مشيرق، وشبرق، وشبراق، وشبّاق وشبّاق،

وشبّاريق: مقطع، مشرق. وقد شبرقه شبرقة وشبراقًا، وشبرقة شبرقة: مزقه. قال امرؤ القيس:

فَادْرَكَتَهُ بِأَخَذِ السَّاقِ وَالنِّسَاءِ      كَمَا شَبِرَقَ الْوَلْدَانِ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

والمُقَدَّسُ الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركًا به.

وقال الليث: ثوب مشبرق: أفسد نسجًا، وشحافة، وصار الثوب شبارق: أي قطعًا.

... والمشيرق من الثياب: الرقيق الرديء النسيج... وشبرقت اللحم وشبرقته: أي قطعته. وشبرق

البازي اللحم: نهسه.

وما شرط، بل تقنى وتلهف. وقد شرحت هذا المنهج في بعض كلامي، وأوضحته واستوفيته، ورددت على من اشتبه عليه.

وقولي:

... ولم يــــك بيننا هـناك لولا النوم إلا التفرق  
معناه: ما كنا على الحقيقة إلا مفترقين غير مجتمعين. وإنا خيل النوم الاجتماع غروراً  
زوراً، فما حصلنا بعده إلا على ما كنا في الحقيقة عليه. وهذا لطيف مليح.

ولي وهي قطعة مفردة:

فَذَيْتُهُ مِنْ زَائِرٍ زَائِرِي  
زَارَ وَقِيهِ كُلُّ مَا تَبَغَّي  
وَلَمْ يَضُرَّهَا أَتْهَاهَا زَوْرَةٌ  
بَاطِلَةٌ رَوَتْ لَنَا غُلَّةً  
لَوْلَا الْكَرَى مَا جَادَ لِي بِالْمَنَى  
وَكَيْفَ لَا أَفْوَى لَذِيذِ الْكَرَى  
ولي وهي قطعة مفردة:

فَلَوْ شِئْتَ لَمَا أَزْمَعَ الْحَيُّ رَوْحَهُ  
فَمَا بَانَ مَاضٍ بَانَ وَهُوَ مُودَعٌ  
وَصَدِّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مُقَلَّتِي  
وَحَادَرْتِ وَصَلَا يَعْرِفُ النَّاسُ حَالَهُ  
قد تقدم نظائر قولي:

وَصَدِّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مُضْجَعِي

من شعري، فلإني كررته، وقد بينت سبقي إليه، والوصل الذي يعرفه الناس، ويشعرون به إن كان محذورا، فوصل الطيف غير محذور. ومعنى «ولا أحد معي»: أي لا يشعر بي، ولا يعرف حالي.

ولي وهي قطعة مفردة:

مَنْ زَائِرٌ مَا أَجَبْتُهُ بِسَنَنِ  
مَنْ زَارَ إِلَّا فِي سِيْنَتِهِ

عَنْ لَنَا فِي غَلَسِ  
ذُو دَدْنِ وَإِثْمَا  
يَهْجُرْنِي مُجْأَوْرًا  
حَتَّى إِذَا حَلَّ السَّوَى  
لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي دُجَى  
وَزَارَنِي فِي وَطْئِي  
ثُمَّ أَطْلَبَ وَسِيقِي  
أَجْبَدَنِي هَجْرَانَهُ  
بَاطِلَةً لِكَلْبَتِهَا  
مَا أَحْسَنَ النَّصْرَ عَلَى  
فَلَيْسَتْهَا زِيَارَةٌ  
مَا بَعَثَ الْوَائِي إِلَى  
وَلَا رَمَى ذُو فَطْمِنِ  
فَبِتْ لَيْلِي كُلَّهُ  
وَأَلِثْتُ الصَّدْعُ الَّذِي  
لَوْلَا الدُّجَى يَشْفَعُ لِي  
جَادَ بِهِ مُسْتَرْخِصًا  
فِي سَاعَةٍ كَأَنَّهَا  
وَأَصْلَ فَيَسِيرُ سَكَنَ

فَلَا عَدَمْنَا عَنَّة  
نَفْسُ شَقٍّ مِثْلُهُ دَدْنُهُ  
يُسْمِعُ قَوْلِي أَدْنُهُ  
حَدَا إِلَيَّ طُعْنُهُ  
وَصُوبُهُ مَا أَمِنُهُ  
فُخْلِيًّا لِي وَطْنُهُ  
لَمَّا أَطَارَ وَسَنُهُ  
بِزُورَةٍ مُؤْتَمَنُهُ  
مِنْ الْمَسِيءِ حَسَنُهُ  
مُقَاطِعِ مَا أَخْمَنُهُ  
تَكُونُ مِنْهُ دَيْدَنُهُ  
مَنْ نَحْنُ فِيهِ ظَلَمَنُهُ  
إِلَيْهِ يَوْمًا فِطْنُهُ  
أَضْمُ مِنْهُ غُصْنُهُ  
عَقْرَبُهُ وَزَرْقَنُهُ<sup>(١)</sup>  
لَمَّا لَقِيتُ مِنْهُ  
وَمَا تَقَدَّسَتْ شَمْنُهُ  
لَذَاذَةُ أَلْفِ مَسْنُهُ  
بَعْدَ فِرَاقِ سَكْنُهُ

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة: زَرْقَنُ الزَّرْقَيْنِ: جماعة من الناس، والزَّرْقَيْنِ والزَّرْقَيْنِ: حلقة الباب لفتان.

قال أبو منصور: والصواب: زَرْقَيْنِ بالكسر، على بناء فِعْلِيلٍ وليس في كلامهم: فَعْلِيلٌ.  
وقال الجوهري: الزَّرْقَيْنِ والزَّرْقَيْنِ: فارسي معرب. وقد زَرْقَنَ صَدْعُهُ: كلمة مولدة، وفي الحديث:  
كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين إذا عُلِّقَتْ يزارفينا سترت، وإذا أرسلت مست الأرض.

السنة: ابتداء النوم. ويحتمل قلبي: «ما زار إلا في سنّه» وجهين: أحدهما: أنه ما زار لجنبه وشدة خوفه، إلا زيارة هي تخييل، وغير تحقيق. والوجه الآخر: أنه يريد أنه ما زار إلا في الليل بما لا يكون في الأغلب إلا فيه، والليل يستتر بظلمته الجبان الخائف. فأما الذّن: فهو اللعب، والمحبوب يُهوى جُده ولعبه وجميع أحواله.

والبيت الذي أوله: «لم يأت إلا في دجى»: نظير البيت الأول، ومفسر له.

وقولي: «بزورة مؤنثه»: قد مضى تفسير نظيره. والديدن: العادة.

وقد تقدمت نظائر قلبي: «ما بعث الواشي»، والبيت الذي يليه. ومن عبّر عن معنى مستداول، بأحسن عبارة وأبلغها، فكأنه مبتديه ومنشيه، وما يضره أن سبق إليه، إذا كان منفردًا بإحسان العبارة عنه. فحظ العبارة في الشعر، أقوى من حظ المعنى.

ولي وهي قطعة مفردة:

إِنْ كَانَ طَئِفُكَ زَارَنَا	فَقَدْ تَجَنَّبْنَا طَوِيلًا
عَلَّاسُكُمْ بِطُورُوقِكُمْ	وَمَحَالُكُمْ قَلْبًا عَظِيمًا
مَا كَانَ يَرْضَى بِالْكَثْرِ	سِرٌّ وَيَعْدُكُمْ رَضَى الْقَلِيلِ
فَهُوَ الْغَدَاةُ كَفَافٍ	أَخْصَابُهُ نَدَبُ الطُّلُولِ
أَوْجَدْتُمُوهُ إِلَى الْأَمَّا	نِي فِي لِقَائِكُمُ السَّيِّئِ

معنى «رضي القليل»: أنه قنع بالطيف الذي لا حقيقة له، وتشبيه الطيف بطول السديار، ورسوم الأحباب، في غاية الحسن والإضافة قد يحتمل البيت الأخير وجهين. أحدهما: أن زيارة الطيف إنما هي أمني وأحاديث النفس، فأوجدتموه سبيلا إلى هذه الأماني. والوجه الآخر: أنكم أوجدتموه بالطيف، السبيل إلى تني لقائكم الحقيقي، وأذكرتموه ذلك، وشوقتموه إليه. ومن مליح ما نظم في قناعة المحب بالطيف، على قلته ونزارته، قول الحسين بن الضحّاك الخليع<sup>(١)</sup>:

(١) هو: الحسين بن الضحّاك بن ياسر، أبو علي، البصري، الشاعر، المعروف بالخليع الباهلي مولاهم. ومن مصادر ترجمته: طبقات الشعراء لابن المعن (٢٦٨)، الأغاني (١٤٦/٧)، تاريخ بغداد (٨/٥٤)، معجم الأدباء (١٠/٥)، وفيات الأعيان (٢/١٦٢)، النجوم الزاهرة (٢/٢٣٣)، شذرات الذهب (٢/١٢٣) سير أعلام النبلاء (١٢/١٩١).

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: مولى باهلة، خراساني الأصل، أقام ببغداد ينادم الخلفاء دهرًا طويلاً، وله مع أبي نواس أخبار معروفة. حدثني علي بن أبي علي عن أبي عبيد الله المرزباني

وما في تعرض طَيفِ الخيا  
عَنَاءَ قَلِيلٍ وَلَكِنِّي  
ولي أيضا وهي قطعة مفردة:

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْ أَمِيَّةٍ طَارِقُ  
أَلَمْ يَنَا لَمْ نَذِرْ كَيْفَ لِمَامِهِ  
فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى الْكَرَى فِي دُجْنَةٍ  
نَعْنَنَا بِهِ حَتَّى كَانَ لِقَاءَنَا  
فِي زَائِرِي فِي اللَّيْلِ الْأَوْصَحْنَا  
وَكَيْفَ ارْتَضَيْتَ اللَّيْلَ وَاللَّيْلَ مُلْسِ  
يُخَيِّلُ لِي قُرْبًا وَأَنْتَ بِسُجُودِ  
وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهِ اللَّوَى وَالْأَبَارِقُ<sup>(١)</sup>  
وقد طالَ مَا عَاقَتْهُ عَنَّا الْعَوَائِقُ  
جَفَّتْهَا الدَّرَارِي طُلُعَا وَالْيَوَارِقُ  
وَمَا هُوَ إِلَّا غَايَةُ الزُّورِ صَادِقُ  
تَسَلَّ عَلَيْنَا مِنْهُ بَيْضُ ذَوَالِقُ  
تَضِلُّ بِهِ عَنَّا وَعَنْكَ الْحَقَائِقُ  
وَتَوَهْمِي. وَضَلَّ وَأَنْتَ مَفَارِقُ

فضل هذه الأبيات واستواء نسجها، مما يشهد بها صاحبها، والعدو الماقت.

قال: أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الخليج الباهلي البصري مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي، وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الاقتنان في ضروب الشعر وأنواعه وبلغ شأنا عالية يقال: إنه ولد في سنة اثنين وستين ومائة، ومات في سنة خمسين ومائتين. واتصل له في مجالسه الخلفاء ما لم يتصل لأحد إلا لإسحاق بن إبراهيم الموصل فإنه قاربه في ذلك أو ساواه كصاحب الحسين الأمين في سنة (١٨٨) ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين.

(١) ذكر ياقوت اللسوي والأبارق في معجم البلدان في السلام، والألف فقال في اللوى (٥/ ٢٣): اللوى: بالكسر، وفتح الواو، والقصر، وهو في الأصل منقطع الرملة، يقال: قد ألويتم فانزلوا إذا بلغوا منقطع الرمل. وهو أيضا موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعرّ الفصل بينهما: وهو واد من أودية بني سليم.

ويوم اللوى: وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع. ومما يدل على أنه واد قول بعض العرب: لقد هاج لي شوقًا بكاء حمامة  
بطن اللوى ووقاء تصدع بالفجر  
... وقال نصيب:

وقد كانت الأيام إذ نحن باللوى  
وقال في الأبارق (١/ ٥٩):

الأبارق: جمع أبرق، والأبرق والبرقاء والبرقة يتقارب معناها، وهي حجارة ورمل مختلطة وقيل: كل شيئين من لونين خلطًا فقد أبرقا.

ومعنى البيت الرابع، أن التحليل قوي واشتد، حتى لم يك بينه وبين الحق الصحيح فرق، فلذلك تضاعفت المتعة، وتكاثفت النعمة واللذة .

ولي أيضا في ذم النطية:

(١) ..... (٢)

وقد قال الكميت: (٣)

فَلَمَّا اتَّصَبْتُ وَجَدْتُ الْخَيَالَ لَأَمَانِي تَفْسِي وَأَفْكَارَهَا

قال الأمدى: أي وجدت الخيال أنا الجالب له بأمني نفسي. وهذا ذلك المعنى بعينه.

قال: وقد أورد أبو ضام على حدود ما قاله جبران العود (٣) سواء، فقال:

(١) موضع النقط سقط سهواً من المخطوط حيث قال ذلك ولم تذكر الآيات المشار إليها.

(٢) الكميت هو: ابن زيد أبو المستهل الأسدي، الكوفي الشاعر.

ومن مصادر ترجمته: الشعر والشعراء (٣٦٨)، الأغاني (١/ ١٧)، الموشح (١٩١)، جمهرة أنساب العرب (١٧٨)، سبط اللائي (١١)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٢٥)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٨) وقال: مقدم شعراء وقته. قيل: بلغ شعره حصة آلاف بيت.

روي عن الفرزدق، وأبي جعفر الباقي وعن والبة بن الحباب. وأبان بن تغلب، وحفص القارئ وفد على يزيد بن عبد الملك، وعلى أخيه هشام قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقية غير الكميت لكفاهم حُبهم إلى الناس، وأبقى لهم ذكراً وقال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان.

وقيل: كان عم الكميت رئيس أسد، وكان الكميت شيعياً مدح علي بن الحسين، فأعطاه من عنده، ومن بني هاشم أربعمائة ألف، وقال: خذ هذه يا أبا المستهل، فقال: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً، ولكن أحسن إلى شوب يلي جسدك أنبرك به، فنزع ثيابه كلها، فدفعها إليه، ودعا له، فكان الكميت يقول: ما زلت أعرف بركة دعائه.

قال الميرد: وقف الكميت وهو صبي على الفرزدق وهو يشد، فقال: يا غلام: أيسرك أني أبوك؟ قال: أما أبي فلا أبغي به بديلاً، ولكن يسرنى أن تكون أمي، فحصر الفرزدق، وقال: ما مرُبي مثلها. قال ابن عساكر: ولد سنة ستين ومات سنة ست وعشرين ومائة، وهو القائل:

وَالْحُبُّ فِيهِ حِلَاوَةٌ وَمِرَارَةٌ      سَائِلٌ بِذَلِكَ مَنْ تَطْعَمُ أَوْ يَذُقُ

مَا ذاقَ بَوْسَ مَعِيْشَةٍ وَنَعِيْمِهَا      فَمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعِشْ

(٣) جبران العود قيل: اسمع المستورد وهو من نضير. وقيل: بل هذا خطأ وإنما هو: عامر بن الحارث ابن كلفة، أي بالضم، وقيل: بالفتح. والقول الأول ذكره ابن منظور في لسان العرب والقول الثاني جاء ههنا لسان العرب من قول الصاغاني.

وقال ابن حبيب في كنى الشعراء (ت ٣٠٦) الملحق بكتاب أسماء المختالين بتحقيقي: في ذكره

استزأرتُهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانِي فِي خُفْيَةٍ وَأَكْتِسَامِ  
فذكر أن فكرته أتته بالطيف زائراً، كما قال جران العود: «أناك به حديث نفسك».

لبنى صير بن عامر: ومنهم: جران العود: غلب لقيه على اسمه: لقوله:

عمدت لعود فالتحيت جرانه وللكيس أمضى في الأسور وانجح  
خذنا حذرًا يا أحبتي فلانتي رأيت جران العود قد كاد يصلح  
وقال ابن منظور في اللسان: أراد بجران العود: سوطاً قدّه من جران عود نحره، وهو أصلب ما يكون.

قال الأزهري: ورأيت العرب تسوي سياطها من جران الجمال البزل لصلابتها، وإنما حذر امرأته سوطه لنشوزها عليه، وكان قد اتخذ من جلد البعير سوطاً ليضرب به نساءه (والجران: صفحة العتق). وعلقت على ترجمته في كنى الشعراء بالهامش بقولي:

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٦٩): جران العود العبدى سمي بذلك لقوله:

خُذْ حَذْرًا يَا جَارِيَّ فِلَانِي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَانَ يَصْلَحُ  
فخوفهما، بأن سوطه قد من صدر جمل مسن. وكان جران العود، والرجال خدنين، فتزوج كل واحد منهما بامرأتين فلقيا منهما مكروهاً فقال جران العود:

ألا لا تغرن امرأ نوفلية على الرأس بعدي أو ترائب وضع  
ولا فاحم يسقي الدهان كأنه أساور يزهاها لعيذك أبطح  
وإذا ناب خيل عقلت في عقبيه ترى قرطها من تحتها يتطوح  
وقبها يقول:

جرت يوم جئنا بالركاب نرفها عقاب وشحاح من الطير متيع  
فأما العقاب فهي منا عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح  
هو الفول والسعلة حلقي منهما مكدح ما بين التراقي مجرح  
خذنا نصف مالي وأتركنا لي نصفه ويينا بلذم فالتعزب أروح  
ويتمثل من شعره بقوله:

ولا تأمنوا مكر النساء وامكوا عري المال عن أبنائهن الأصاغر  
فإنك لم يندر لك أمرا تخافه إذا كنت منه خائفاً مثل خابر



قال: ووصل أبو تمام بيته بأن قال:

الْأَلْيَالِي أَخْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا      جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيْامِ  
يَا لَهَا مِنْ لَذَّةٍ تَنْزَهَتْ الْأَرْضُ      وَاحُ فِيهَا سُرّاً مِنَ الْأَجْسَامِ  
بِمَجْلِسٍ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ غَيْبٌ      غَيْرَ أَنَّنَا فِي دَعْوَةِ الْأَخْلَامِ

ثم قال الأمدى: وليس لهذه الأبيات حلاوة، ولا عليها طلاوة.

قال سيدنا أدام الله علوه: وأقول: إن ليبيتي أبي تمام إحساناً لا يجحد، وفضلاً لا ينكر، ومن مدحها فلم يضع المدح إلا في موضعه.

وقول الأمدى: إنه أخذ معناه من قول جرير العود... (١)

الجسد والجسد: الزعفران. والثوب المحسد: المصبوغ بالزعفران والبيت الثالث لطيف المعنى؛ لأن العجب كله في اعتداء زائر ليلا وهو لا يهتدي نهاراً. والبيت الرابع فيه ما تراه من رشاقة وملاحة.

ومعنى البيت الخامس: أن العدم الذي كان في يدي قبل النوم: هو الذي معي بعده، فلا يدللك على وأنا كما كنت.

والبيت الأخير قد تقدمت له نظائر في شعري، وزيارة القلب: هي التخيل والتمثيل، وزيارة العين: هي الحقيقة الصادقة.

ولي من قطعة مفردة:

أَيَا زَائِرًا بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِي      وَهَلْ زَائِرٌ بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِي؟  
وَيَا مَشْتَبِهًا بِالْفَخْرِ ضَوْءَ جَبِينِهِ      أَيْبَنَ لِي قَلِيلاً كَيْفَ رُوِّعْتُ بِالْفَخْرِ  
تَجُودُ عَلَيْنَا وَالْمَعَاذِيرُ جَمَّةٌ      وَتَبْجَلُ بِالْخُدَوَى وَأَنْتَ بَائِنٌ عَذْرُ  
وَلَمَّا تَعَاثَبْنَا عَلَى الْهَجْرِ صُفَّتْ لِي      دُؤُوكَ مِنْ بَعْدِ وَوَصَّلَكَ مِنْ هَجْرِ  
وَأَوْلَيْتَ بَرّاً لَمْ يُمْكِنْ عِنْدَ وَاصِلِ      لَكِنَّهُ وَإِنْ أَعْنَى نَصِيبٌ مِّنَ الشُّكْرِ

البيت الثاني: كأنه غريب المعنى.

ومعنى البيت الثالث: إنك تجود ليلاً، والمعاذير في الليل واسعة، لمشقة الزيارة فيه، وتبخل نهاراً، والعذر مرتفع.

(١) سقط من المخطوط ما أراد المؤلف ذكره في هذا الموضع من الناسخ سهواً، وهي قصيدة في أكثر من خمسة أبيات أو ستة حسب ما يذكره في شرحه التالي لهذا القول.

ومعنى البيت الرابع: إنني عاتبتك على الهجر، فأوهمني وصلا وقربا لا أصل لهما.  
ومن مליح العبارة: [ولما تعاتبنا على الهجر<sup>(١)</sup>]

صُغْتُ لِي ذُنُوكَ مِنْ بُعْدٍ      وَوَصَّلَكَ مِنْ هَجْرٍ  
وَلِي أَيْضًا:

ضَنْ عُنِّي بِالْزُرِّ إِذْ أَنَا يَقْظَا      نُ وَأَعْطَيْ كَثِيرَةً فِي مَنَامِي  
زُورَةٌ عَاجَلَتْ وَمَا هِيَ إِلَّا الزُّ      وَرُ سَقْمًا مُبْرَحًا مِنْ سَقَامِي  
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَنِي      بَ سِوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَخْلَامِ  
وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَأَقَاءُ لَيْلًا      فَالْإِيَالِي خَيْرٌ مِنَ الْإِيَامِ  
وَبَلَّغْتَ الْمَرَامَ آيَسَ مَا كُنْتُ عَلَى الثَّأْيِ مِنْ بُلُوغِ الْمَرَامِ

ولي من قطعة مفردة:

وَشُدَّنِي كَفُّهُ وَعَافَنَنِي      وَنَحْنُ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْوَسْرِ  
وَبَاتَ عِنْدِي إِلَى الصُّبْحِ وَمَا      شَاعَ السَّقَاءَ لَنَا وَلَمْ يَبْنِ  
خَسَادَعَنِي ثُمَّ عَدَّ خُدَاعَتَهُ      لِمُقْلَتِي مِنْهُ مِنَ الْمَنَنِ  
فَلَكَيْتَ ذَاكَ الْمُلْقَاءَ مَا زَالَ أَوْ      لَبِيتَ خَيَالًا فِي النَّوْمِ لَمْ يَكُنْ  
فَإِنْ تَكُنْ زُورَةٌ مُسَوَّهَةٌ      فَقَدْ أَمِنَّا فِيهَا مِنَ الظَّنِّ  
وَزَارَنِي زُورَةٌ بِإِلَّا عِدَّةٍ      وَمَا أَتَى وَفُتُّهَا وَلَمْ يَجِنِ  
وَإِنْ تَكُنْ بِاطِلًا فَكَمْ بِاطِلٍ      عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ  
وَفِي أَيْضًا وَهِيَ قِطْعَةٌ مَفْرَدَةٌ:

بِأَيِّ زَائِرٍ أَنَا نَسِي جُنْحًا      لَا وَذَاكَ مِنْهُ فَعُنِّي وَمُنَى  
زَارَنِي ضِيئَةً بِمَوْضِعِهِ الْمَا      لِكَ قَلْبِي بِخُلَا عَلَيَّ وَضُنَا  
لَمْ يُبْنِلْنِي شَيْئًا وَعِنْدَ رُقَادِي      أَنَّهُ جَاءَنِي فَأَغْنَى وَأَفْنَى  
صَدُّ صُبْحًا وَالْعَيْنُ مِنِّي يَقْظَى      وَمَرَى وَاصِلًا وَعَيْنِي وَسْنَى

(١) ما بين المعقوفين زيادة من القصيدة المشار إليها ذكر البيت محذوفاً أوله اختصاراً فأنتمته بين المعقوفين.

وَجَفَا بِالنُّهَارِ مِنْ بَعْدِ أَنْ خَيَّ  
زُورَةً مَا أَتَى هَا ذَلِكَ الزَّاءُ  
هُوَ لَاهٍ عَنْهَا وَمَا بَتُ فِيهِ  
فَهَيَّ تَغْلِيلَةً لَصَبٍ عَلِيلٍ  
وَهَيَّ مِثْلُ السَّرَابِ أَوْ مِثْلُ لَفْظٍ  
فَلِ لِي أَنَّهُ أَتَانِي وَهَنَا  
بِرُّ رَيْغِي فَكَيْفَ يَسُوجِبُ مَتَا  
لَيْسَ عِلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ لِي ظَنًّا  
أَوْ خِدَاعٌ يُهْدِي لِقَلْبٍ مُغْنَى  
فَارِغٍ مَالُهُ وَلَا فِسْهِ مَغْنَى

معنى «وعند رقادي أنه جاءني فأغنى»: لأن الرقاد هو السبب في تخيل ذلك وتثله، وإلا فهو مما لا أصل له، وأتني: من القنية. ومعنى «هو لاه عنها»: أن هذا الطيف مثاله لا يدري بما نحن فيه، فلا مئة له. وأنا أيضا غير عالم بذلك، ولا ظان له، لأن الظن إنما يكون مع قوة الأمارات للعاقل، وليس في النوم إلا الاعتقادات الباطلة المبتهدة<sup>(١)</sup>.

والبيت الرابع: قد جمع بين تشبيه الطيف بالسراب، وهو واقع على ما تقدم، وبين تشبيهه باللفظ الذي لا معنى له، وهو أيضا واقع، وقد تقدم نظائره.

ولي وهي قطعة مفردة:

وَلَيْلَةُ زُرْتَنَا وَاللَّيْلُ دَاخٍ  
وَجُدَّتْ لَنَا بِتَقْبِيلِ الثَّنَائَا  
وَتَلَقَيْنَا بِأَرْوَاحِ ظِلْمَاءٍ  
وَلَمَّا أَنْ تَقَرَّفْنَا رَجَعْنَا  
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا لَا حَقَّ فِيهِ  
وَلِي مِنْ قِطْعَةٍ مَفْرَدَةٍ:

بِمَا مَنْ جَفَانِي فِي الضُّحَى  
وَرَضِيْتُ مِنْهُ بِأَنْ تُسْرَى  
وَأَزَارَنِي وَهَنًا حَسِيلًا  
عَيْنَايَ فِي سِسْنَةٍ مِثَالَهُ  
فَهَسَوْتُ مُضْطَرًّا مُحَالَهُ

(١) يريد أن يقول: على العاقل أن يزن قوله قبل النطق به وأن يتدبر ما يريد أن يخرج قبل إخراجهِ حتى لا يقع في مرادى الهلاك أو الاضطراب إلى الاعتذار، وقد كان في حِلٍّ وغنية عن ذلك قبل إخراجهِ لو تعقله قبل النطق به وعدم اندفاع لسانه متقدما على عقله بل عليه أن يعمل عقله قبل لسانه. وهذه هي الفطنة والذكاء.

هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَسْنَا      ضَمِنَ الْجَمِيلَ، فَمَا بَدَا لَه  
ولي من قطعة مفردة:

تُرْوِينَنَا وَهَنَا وَلَوْ زُرْتِ فِي الضَّحَى      لَأُطْلَقْتَ مِنْ ضَيْقِ الْوَنَاءِ أَسِيرًا  
وَمَا كَانَ مَا اشْعَرْتَنِيهِ زِيَارَةً      وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي زُورًا  
وَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطُّوِيلِ فَخِيلَتْ      غِيْبِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرًا  
لِقَاءِ شَفَى بَعْضِ الْغَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ      عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرًا  
وَمَا كَانَ إِلَّا فِكْرَةٌ لِمَفْكَرٍ      وَذَكَرًا حَبَا مِنْهَا لظُلَامِ ذُكُورَا  
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صِرْتُ إِلَّا كَأَنِّي      مَحَوْتُ بِضَوْءِ الصُّبْحِ مِنْهُ سَوْرًا

لبيت الثالث ما تنناه المتمني من ملاحه وسبابة.

ومعنى:

..... وَلَمْ أَكُنْ ————— عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرًا

انتي لا اقدر على إحضار الطيف متى شئت، فقد ربي وإن كانت واسعة، تضيق عنه.

والبيت الأخير: في غاية التحكم في القلوب؛ لأن انقضاء الطيف بغير أثر ولا بقية، وإضافة المحو إلى ضوء الصبح: في موقعة وموضعه.

ولي من قصيدة أولها:

ما صيد قلبك [يوماً] <sup>(١)</sup> يا بنة الكلل

وَزَارَتِي طَبِيفُهَا وَهَنَا فَأَوْهَمَنِي      زِيَارَةً كُنْتُ أَرْجُوهَا فَلَمْ أَتَلْ  
هِيَ الزِّيَارَةُ مَغْسُولًا تَطْعُمُهَا      وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ  
لَوْ كَانَ طَبِيفُكَ أَوْلَانَا زِيَارَتُهُ      عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا وَلَّى عَلَى عَجَلٍ  
عَطِيَّةُ النُّومِ مَنَعَ لَا انْتِفَاعَ هَا      لِلْعَاشِقِينَ وَجُودُ الطَّبِيفِ كَالْبَحْلِ  
فَكَيْفَ جِئْتَ إِلَيْنَا غَيْرَ سَائِرَةٍ      عَلَى جَوَادٍ وَلَا حِذْجٍ عَلَى جَمَلٍ  
فَكَيْفَ لَمْ تُوقِظِي صَحْبِي وَقَدْ هَجَعُوا      بِرُثَّةِ الْحَلِيِّ أَوْ مِنْ فَعْمَةِ الْحُلِيِّ

نظير البيت الذي أوله «عطية النوم منع» من شعري:

(١) زيادة يتطلبها السياق أحسب أنها سقطت من الناسخ سهواً.

زِيَارَةُ الطَّيِّفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَضَلُ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ  
وَفَغْمَةُ الطَّيِّبِ: تَضَوُّعُ رَائِحَتِهِ. وَأَرَدَتْ فَغْمَةُ طَيِّبِ الْحُلُلِ، فَإِنَّ الْحُلُلَ فِي نَفْسِهَا لَا  
فَغْمَةَ لَهَا. وَلِيَ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِي الْمَتَقَدِّمِ:

طَيِّفُكَ مَا أَبْصَرُهُ	يَقْطَعُ ذَاتَ الْأَبْصَرِ
حَسِيلُ أَنْسَا نَلْتَقِي	زُورًا وَلَكُنْ نَلْتَقِي
وَأَفَى إِلَيْنَا فِي الْكَرَى	يُنْشَى إِلَيْنِهِ عُنْقِي
وَأَنْجُمُ اللَّيْلِ هُنَا	شَعْسَعَةٌ فِي الْمَشْرِقِ
كَأَنَّهَا سَاهِرَةٌ	حَائِرَةٌ لَمْ تَطْرُقِ
عَيْنُ رَقِيبٍ مُشْفِقِ	مُؤْكَلٍ بِالْحَقْدِ
أَعْجَبَ هَذَا زِيَارَةَ	لِعَائِنِي لَمْ يَرْفُقِ
بَاطِلَةٌ كَأَنَّهَا	هُنَاكَ مِنْ مُحَقِّقِ
كَأَنَّ شَوْقًا قَادَمًا	وَهِيَ كَمَنْ لَمْ يُشْقِ
بِتُ هَذَا أُغْلُو طَةً	أُنْسِكُ مِنْهَا رَمَقِي
وَمُخْفِقِي كَأَنَّ هُوَ	مِنْ طَمَعٍ لَمْ يُخْفِقِ
لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ إِلَى	وَسَادِهِ كَالْيَقَقِ <sup>(١)</sup>
أَضْحَى يَعْصُ كَفُّهُ	عَلَى الدُّجَى مِنْ حَنْقِ

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «يقق»: يَقَقُ: أبيض يَقَقُ وَيَقْقُ بكسر القاف الأولى: شديد البياض ناصعة، قال أبو عمرو: يقال لجمارة النحلة يَقَقَّةً وشَحْمَةً، والجمع: يَقَقُ، وفي حديث ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما: ولغة في بياض كأنها اليَقَقُ. واليقق: المتناهي في البياض. قلت: وأي شيء أبيض من الصبح؟!

## [خاتمة]<sup>(١)</sup>

قال سيدنا أدام الله علوه: قد انتهينا إلى حيث يجب قطع الكتاب عليه. وقد أخرجت من ديوان شعري في وصف الطيف ثلاث مائة وخمسة وعشرين بيتاً، وهذا أكثر عدداً مما أخرجناه للبحثري، على شغفه بوصف الطيف، ولهجه به، فإن الذي أخرجناه له مئتان ونيف وعشرون بيتاً، بل هذا المبلغ، الذي اختصصنا به، يزيد عدداً على كل ما سطر في هذا المعنى لمُكثِرٍ من الشعراء.

فأما التجويد فالتقدير يخرج به، والفطنة مع الإنصاف الحكم فيه، ولعله إن اتفق منا فيما يمدده الله تعالى من مهلة، وبطيله من مدة، نظم شيء في هذا المعنى، ضمنناه إلى هذا الكتاب، وأضفناه إليه. والله تعالى ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله وحده، وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه.  
فُسرغ من نسخته شهر ربيع الآخر، سنة إحدى وتسعين وخمس مائة، بمدينة حلب، حرسها الله تعالى، وخلد ملك مالكمها.<sup>(٢)</sup>  
انتهى الكتاب..

\* \* \*

---

(١) زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله تعالى له آمين.

(٢) قال محققه أبو إسلام سيد بن كسروي بن حسن: وقع الفراغ من تحقيقه بحمد الله فجر يوم الجمعة (١٩) من شهر جماد آخر سنة (١٤٢٧هـ) الموافق (١٤ / ٧ / ٢٠٠٦م)، والحمد لله تعالى على التمام، وأسأله سبحانه وتعالى حسن الختام والموت على دين الإسلام، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكتاب الثاني

# رسالة الميرزا الطيف

تأليف

برہا والدین عیسیٰ بن عبد اللہ الاربلی

المعروف بالطنسی

المتوفى ٦٨٢ هـ

تحقیق

سید کسروی حسن





## وما توفيقى إلا بالله

يا خليلي من ذؤابة قيس في التصابي، رياضة الأخلاق مما أعرف به إخواني  
جادتهم الأنواء، وصابتهم أنسواء، وحلب السحب بأنديتهم أفواه عزاليها، وهرائت  
ماء مدامعها بعقوتهم من مآقيها، وروض القطر دارهم ونعما، وأجد أي رسومهم  
ولا أخلفها، وأصفى متارعهم ولا رثقا ولا حياضهم، وينمير الماء وأناقها فسقى  
ديارك غير مفسدها صوب السحاب، وديمة تهمني حتى تبعث بمنازهم أموات النبات،  
وتنشر رسم الأزهار الهامدات، وتكتسي من مطارف الروض الوشائع المفوَّقة  
والخبرات، وتجلي عرائس الربيع [١/ب] في ملابسها الفاخرة، وتحدق عيون  
النرجس الناطرة إلى وجنات الورد الناضرة فيسم ثغر الأفاح<sup>(١)</sup>، وتميل قدور  
الأغصان من الارتياح تصفق الأنهر على الإيقاع، وتتميل الأزهار راقصة على  
السماع، وتشرب الحمائل من رضاب الطفل سلامة عاصرها المعصرات وساقبها  
الغيوث الماطلات، وتغرد خطباء الأطيار على منابر الأغصان طرباً؛ فيشر الندى على  
الزهر لألسيا وحباً، فكان السماء تجلسو عروساً وكأنا من قطرها في نثار، وإن أضرت ما

---

(١) قال ابن النفيس في كتاب الموجز في الطب (ص ٨٢):

الأفحوان: حار يابس في الثانية، مقطوع ملتطف، مُفْتَح، يدرُ العرق والطمث شرباً  
واحتمالاً، ويحل الدم الجامد في المعدة، والمثانة، وشُمّة ينوم، وطبيخه إذا جلس فيه لين  
صلابة الأرحام، وينفع الربو والسوداء، ويضر نم المعدة، ودهنه يفتح أفواه البواسير،  
وينفع أوجاع الأذن، واحتمال دهنه يحل صلابة الرحم، ويدبر بقوة وينفع اليرقان،  
والاستسقاء.

على الإنسان في زمانه أن يجري جواد نظره مرخياً من عنانه فقد قيل: كم نظرة  
أوجبت حسرة، وكانت حلوة نعتيت عيشة مرة.

وطالما أرخى امرؤ [١/٤] يا قلب عاشقه

وسهم جفونه من لزم المقتول حب القاتل

ومن العجائب أن عضواً واحداً

هو منك سهم ومني مقتل<sup>(١)</sup>

فله در هذا الشاعر إذ عرف الأمر فشرحه، وكان مبهماً فعرفه، ومشكلاً فأوضحه،  
بل كان صعباً فذلّله وحزناً فعبده ومقفلًا ففتحه، ومن العجب أن أهل هذا الشأن فعلوا  
غرراً، ونكبوا من الهوى خطراً، ورضوا بأن تذهب دماؤهم هدراً، وألا جناية على المحبوب  
ولو عبه بالقواتر حتى قال قائلهم:

إن أحداق الأطباء لا تأخذ بالجرائر

[٤/ب] كيف تعرضت وأنت حازم يوم النقا لأعين

المجاذر أما علمت أن أحداً في الأطباء الغيد لا يؤخذ بالجرائر.

فهل هذا إلا قول من صلت على نفسه حكم الحب ورضي بما لا حظ فيه لذي لب.  
ما أنصفته يكون من أعدائها في زعمها وتكون من أحبابه.

وموجب هذه المقدمة أي خرجت في بعض أيامي متفرجاً، وعلى الرياض الأنيقة  
معرجاً نشر زنده وخزاهم وابتهج بيايه وعداده، وأطرب لدرهمه وديناره، وأستشئ رياه  
ويشوفني بحياه ويروفتي منظره ومخبره، ويرق لي أصيله وشجره ما تفتقت أكاماه إلا تحرك  
وجد القلب وغرامه، ولا فتح نواره إلا وأضرم في الحشا ناره.

أتاك الربيع الطلق بخثال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما

(١) تعجب الشاعر تعجباً هو فيه محن إذ كيف يكون السلاح القاتل هو المقتول، وصدق  
من قال مثل قول هذا الشاعر إذ قال: لا يغفل الحديد إلا الحديد، والقاتل وإن تلقه  
بالشر ينحسم. فنعم عيني تُقتل، وعيني تُقتل، فالأداة واحدة، ولكن تُقبل هذه العين  
لنظرة تلك العين ماذا تفعل بها؟ تردبها وتفعل بها الأنعام التي نراها بالعشائى وصرعى  
الهوى.

وقد نبه النيروز<sup>(١)</sup> في غسق الدجى      أوائل ورد كن بالأمس نُومًا  
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه      كما نشرت وشياً منمنما  
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة      وكان قذئ للعين إذ كان محرما  
ولم يكن عندي إذ ذاك باعث غرام      وليس لي هم في غلامه أو غلام ولا سبل على  
لسطان البطالة:

(١) قال ابن منظور في لسان العرب مادة: «نرز»:

النيروز، والنوروز: أصله بالفارسية رُثيع رُوز، وتفسيره: جديد يوم. وقال ابن الأعرابي: نرز موضع، قال: وأما التريزي الحاسب، فلا أدري إلى أي شيء نسب. يقول الأستاذ محققه بالهامش ما نصه: قوله: أصله بالفارسية... إلخ، كذا بالأصل، وقد عرضناه على متقن من علماء اللغة الفارسية، فلم يعرفه. وعبارة القاموس: والنيروز أول يوم في السنة معرب نوروز.

قلت: وهو عيد من أعياد قدماء المصريين كانوا يحتفلون به وهو احتفالهم اليوم بما يسمى بعيد شم النسيم في مصر أو احتفال عيد الربيع أو عيد الزهور ويكون عادة في النصف الثاني من الشهر الرابع الميلادي يوم الإثنين، وهذا شرط فيه وفيه يلونون البيض بالوان مختلفة، ويلقون البصل على أبواب المنازل، ويخرجون إلى الحدائق والمنتزهات بجماعات كبيرة وكثيراً ما يفرق في هذا اليوم أناس في مصر، ويأكلون الفسيخ، والملائة، وكثيراً ما ينتج عن أكل الفسيخ في هذا اليوم حالات تسمم كثيرة مما يضطر القائمين على أمر المستشفيات بإعلان حالات الطوارئ في هذا اليوم استعداداً لتلقي حالات التسمم والفرق، وتتاهب فرق الإنقاذ البحري كذلك لمحاولة إنقاذ من يشرف على الفرق إلا أنهم عادة ما يصلون إلا بعد حدوث ذلك. والمقيمون في مصر يعرفون ذلك اليوم جيداً ويعدون له الإعدادات الهامة والسنامة. وهو يوم ليس فاصراً على ديانة معينة بل يخرج فيه كافة السكان من مسلمين ونصارى، ويهود وهائية وشيعة وسنة وكل صاحب عقيدة تعبدية أو رأي سياسي. فالكل يحتفل بهذا اليوم إما احتفالاً حتى في الريف.

والعجيب أن المسلمين يظنونهم يوماً من أيام النصارى، والنصارى يظنونهم يوماً من أيام المسلمين فهؤلاء يخرجون من وأولئك، والعكس شاماً على الرغم من أن وسائل الإعلام تعرف بأنه ليس يوماً من أعياد هؤلاء ولا هؤلاء، وإنما هو عادة فرعونية قديمة تسمى يوم وفاء النيل، وأن الغرض منها هو استقبال أشهر الربيع بالبهجة إلا أن الناس تصر على ما رسخ في أذهانها عنه.

تمتعنا يا ناظري بنظرة [١/٥] فأوردت ما قلبي أمّر الموارد  
 أعيني كُفًا عن فؤادي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد  
 فبدا لي بينهن فتاة كأنها مهابة، تسفر عن وجه بديع الجمال، وتشتي فتحجل الأغصان  
 في الميل والاعتدال بعيدة مهوى القرط حوراء المدامع، شبيهة ما فوق اللثا مضيئة ما  
 تحت البراقع، ترنو بلحاظ ريم، وتبسم عن دُرّ نظيم<sup>(١)</sup>.

(١) قطعة بديعة العصف جميل البيان هبة الثياب تدخل على النفس هجة وتريح الفؤاد من كلل  
 الحياة والرتابة.

فالمهابة معروفة من فضائل الغزال، جميلة الجسم، كحيلة العين بديعة الجمال بين أقرانها من  
 الغزلان طويلة القرون في شمس وجمال ونضارة تأخذ باللب من أول نظرة إليها من بين بني  
 جنسها.

ثم أبلغ وأبدع في وصف مشيتها فجعل الأغصان تتضاءل أمام تلك المشية وتعتبر نفسها  
 صلبة جافة ثقيلة الحركة في حين جعل مشيتها، رشيقة بديعة خاطفة للفؤاد من تشبها وكأنها  
 ترفص أو تتبحر.

ثم وصف عتقا بالطول مع الاعتدال الباعث على إظهار الجمال اللات للأنظار فأشار  
 إلى ذكر القرط دون لفت النظر إليه، حيث إن القرط يتزين به بيد أنها تزين القرط لو  
 لبسته فكيف يذكره ليقط من جمال تلك اللوحة حتى ولو كانت تضعه في ذلك  
 الموضع وهو يرى أن عدم وجوده أجود ليتمتع بجمال صفحة عنقها البراق خاليًا من  
 الشواغل والموانع والعوائق ليراه صافيًا نقيًا.

ثم يصف عيونها بالحسور، وهو شدة السواد في شدة البياض وهو حال عيون المهابة في  
 الجمال والاتساع، ولا أدري لماذا اختار للعيون في هذا الموضع النسب إلى الدموع في  
 حين هو يريد انشراح الصدر والنفس؟!

ثم تناول شفتيها باللذة بالاشتواء وأضاف إليها الثنايا بالكناية فكانه يقول لك انظر إلى تلك  
 الشفاة فأيتها أهى وأجمل وأكمل أهما في لونهما وحجمهما وتناسقهما أم تلك التي تخفينه من  
 ذلك الدرّ النظيم الذي تحتهما، فلا يعقل أن تنطبقا هاتان الزهرتان إلا عن ثغر يحوي  
 أريج العطر ونظم اللؤلؤ.

ثم ذكر جمال وجهها الذي جعله مسلماً به من خلال تلك العيون الفتاكة فعلم أن تحت  
 ذلك البرقع إنما يرض مجمع الجمال ومستودع الحسن والكمال من خدود وشفاة وشفر

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهما  
ثم اثنت عنه فكاد يهيم  
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت  
وقع السهام ونزعن أليم  
كان محياها بدر داجية، أو شمس سماء مضحية - ولا يقال: ضاحية - قد جار فيه ماء  
الجمال وضرجه/ (٣/ب) حركات الدلال<sup>(١)</sup>.

قال عمر بن أبي ربيعة:

أبرزوها مثل المهابة هادي  
بين خمس كسواعب أتراب  
وهي مكنونة تحير منها  
في أديم الخدين ماء شباب  
ثم قالوا تحبها؟ قالت: مهراً  
عدد الرمل والحصى والتراب  
يحريك ما عليه من النضارة والصقال ويفتكك شراق بياضه على سواد ذلك الحال<sup>(٢)</sup>.

وعطر ودر نظيم كما قلت وقال. فسبحان واهب الحسن والجمال، وعلى الموهب  
الشكر على تلك الفضائل والخلال.

(١) ثم يكمل في الوصف بعد القطعة السابقة والشعر وكأنه يرى أنه لم يفياها حقها في الوصف، ولم  
يفدرها قدرها فليأذا به يعود فيقول كان محياها إنما هو بدر في ليلة صيف صافية نسيمها عليل  
وليلها جيل. ويرى أن القمر مع جماله قد لا يكفيه في وصفها دون الشمس فأراد أن يجمع لها بين  
القمرين فاختار لها أمي حالات الشمس وأجملها ألينها فاختار وقت الضحى المبتدى، حيث تلين  
وتجمل الشمس وتبهي ولا تظلم العين ولا تؤذى بها. ويذكر نضارة ماء الشباب في وجهها فيقول  
إنه قد سقى ذلك الوجه بماء ليس كماء باقي البشر بل هو ماء الجمال أو أصل الجمال فكيف  
يكون صاحبه إذا ودع في وجهه خلاصة الجمال، وعرف صاحب ذلك الوجه قدر نفسه فأدى  
حق ذلك الجمال فتحرك في دلال ومشى مشية الغزلان وتثنى تثنى الأغصان حتى أهاج في نفس  
الناظر الألعان، فليس هو من أهل الجمال البهاء الذين لا يعرفون لجمالهم قدراً، بل هو من أهل  
الجمال والقلطة، والبهاء والذكاء، فاستحق أن يصفه بقول عمر بن أبي ربيعة القادم بحق، وحق له  
أن يهيم فيها وفي حبها.

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ويكنى أبا الخطاب، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة  
عم أبيه، وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هشام بن المغيرة بنت عم أبيه. وإخوته عبد الرحمن،  
وعبد الله، والحارث بنو عبد الله. وكان عبد الرحمن قد تزوج بأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق بعد  
طلحة وولدت له، وأعقب الحارث، ولا عقب لعمر.

وكانت أمه نصرانية وهي أم إخته، وكان عمر فاسقاً يتعرض للنساء الحواج ويتشبه بهن، فسببه  
عمر بن عبد العزيز إلى الدهلك، ثم غزا في البحر، فاحترقت السفينة التي كان فيها، فاحترق هو

يَا مَالِبًا قَمَرَ السَّمَاءِ جَمَالَهُ      أَلْبَسْتَنِي فِي الْحُزْنِ ثَوْبَ سَمَائِهِ  
 أَشْعَلْتَ قَلْبِي فَارْتَمَى بِشِرَارَةِ      عُلَّقْتَ بِخَدِّكَ فَانْطَقَتْ مِنْ مَائِهِ  
 وللشعراء في وصف الخال<sup>(١)</sup> معان أنيقة ومقاصد رشيقة سلكوا منها واضح الجدد  
 والطريقة، وأتوا بالسحر الحلال على الحقيقة: قال ابن الساعاتي<sup>(٢)</sup>:

ومن كان معه وكان يشيب بسكينة.. وحج عبد الملك بن مروان فلقه عمر، فقال له عبد الملك  
 يا فاسق، فقال له: ينمت التحية من ابن العم على طول الشحط، قال: يا فاسق أما إن قريشاً تعلم  
 أنك أطولها صوبة وأبطؤها توبة، ألسن القتائل:

ولسولا أن تعسفني قسريش      مقال الناصح الأدنى الشفيق  
 لقللت إذا التقينا قبليني      ولو كنا على ظهر الطريق  
 وكان أخوه الحمارت عقيفاً، فعانبه يوماً، قال عمر: وكنت على معاد من الثريا، فرحت إلى  
 المسجد مع المغرب، وجاءت الثريا للميعاد، فوجدت الحمارت مستلقياً على القراش، فألقت  
 نفسها عليه، وهي لا تشك في أنه أنا، فوثب وقال: من هذه، فقيل له الثريا، فقال: ما أرى عمر  
 ينفع بعظمتنا.  
 فلما جئت للميعاد قال: ويحك قد كدنا نفن بعدك، لا والله إن شعرت إلا والثريا صاحبك واقعة  
 عليّ.

قلت: لا تسلك النار بعدها أبداً، فقال: عليك لعنة الله وعليها.

فلما تزوج سهيل بن عبد الرحمن بن عوف بالثريا قال عمر:

أيها المنكح الثريا سهيلاً      عمرك الله كيف يجتمعان  
 هي شامية إذا ما استقلت      وسهيل إذا استقل بمساني

مختصر ترجمته من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٣٢).

(١) الخال هو الشامة تكون في الجسد ومنها ما يكون في الوجه فيزيده هاءً خصوصاً في وجه المرأة  
 ويقول ابن منظور في لسان العرب في مادة «شام»: الشامة: الخال في الجسد معروفة.  
 قلت: وفي أيامنا هذه من يضعون تلك الشامة مصنوعة أو مرسومة على وجوههن للحسن  
 خصوصاً الهنديات، والممثلات ليظهرن هاءً زائداً في الصورة وهن يتفنن في وصفها وحجمها  
 وعادة ما تكون أكبر من حبة العدس السوداء قليلاً فممن من تضعها بين حاجبيها لأعلى قليلاً  
 وهن الهنديات ومنهن من تضعها على الخد، ومنهن من تضعها فوق الشفة العليا ومنهن من  
 تضعها إلى جوار الأنف قرب الشفة العليا، ومنهن من تضعها تحت الشفة السفلى، ولونها دائماً  
 أسود أو بني محروق ليناسب لون البشرة والتي بها خال في وجهها خلقة يقولون عنه حسنة وهي  
 كلمة مأخوذة من الحسن لا من أعمال الخير كما يظن البعض أو كما كنا نظن ونحن صغار.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن رستم بهاء الدين، الخراساني، الدمشقي المشهور بابن الساعاتي.

ذو جنة ما لاح مائل خالها      بل لاح أسود مقلتي في مائها/[١/٦]  
وقال:

ما الخال نقطة نون صدغك      إنما قلبي بحبيبه حباك تلحقا  
وقال الحاجري الأربلي<sup>(١)</sup>:

لك خال من فوق عرش      عقيق قد استوى  
بعث الصدغ مرسلأ      يأمر السناس بالهوى

راجع ترجمته في:

سير أعلام النبلاء (٤٧١/٢١). تكملة المنذري (١٠٣٣)، وفيات الأعيان (٣٩٥/٣)، تاريخ الإسلام (١٧١/١/١٨)، العبر (١١/٥)، الوافي بالوفيات (١٥٨/٨ - ١٥٦ مخطوط)، تاريخ ابن الفرات مخطوط (٢٩/٩)، عيون الأنباء (١٨٤/٢)، شذرات الذهب (١٣/٥)، رمضان الجنات (٨٩)، وقال الذهبي في سيره:

عين الشعراء أبو الحسن... كان أبوه يعمل الساعات فتجند بهاء الدين، ومدح الملوك وسكن مصر وقال النظم الفائق. وهو أخو الطبيب الأوحده فخر الدين رضوان بن الساعاتي.

بلغ ديوان البهاء مجلدين، وانتخب منه ديواناً صغيراً، وهو القائل:

والطل في سلك الغضون كلؤلؤ      رطب يصفحه التسيم فيسقط  
والطير تقرأ والعذير صحيفة      والريح تكتب والغمام ينقط  
توفي في رمضان سنة أربع وستمائة وله نيف وخمسون سنة.

أما أخوه فتقدم في الطب إلى أن وزر للملك المعظم وكان ينادمه بلعب العود.

(١) هو: حام الدين عيسى بن سنجر بن هرام بن جبريل الإربلي، الشاعر، الملقب بالحاجري لإكثاره من ذكر الحاجر في شعره وديوانه مشهور.

راجع ترجمته في:

سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٢٢)، عقود الجلمات مخطوط (٢٤٠/٥)، وفيات الأعيان (٥٠١/٣)، تاريخ الإسلام مخطوط (٣٠١٢/١٢٧)، النجوم الزاهرة (٢٩٠/٦)، شذرات الذهب (١٥٦/٥).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته:

كان من أولاد الجند، ونظمه فائق، أخذ عنه ابن حلكان كبيراً وهو القائل:

أي طـرف أحـيور      للفسـزال الأسـيم  
أيـهـذا الأرـنـيلـسى      هام فـيك الحـويـجـري

ونب عليه شخص بدد مصاربه في شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بإربل وله نحو من خمسين سنة.

وقال:

عجبت لحال يعبد النار دائماً      بخدك يحرقها وهو كافر  
وأعجب منه أن صُدغك مرسل      يصدق في آياته وهو ساحر  
فتيت في أثرهن جوادي، وإنما تبع فوادي، وقد شغلني الحب عن النقية وقادني  
لوجد قود الطية [٦/ب] وأصبحت بعد ذلك الشمس وملت عن التوحش إلى الإنسان  
وهونت ما كنت أستصعبه من لوم الناس، وجريت في طلق الصبي طلق الصبا، وذهبت في  
نبل البغية مذهبا مذهبا<sup>(١)</sup> وأنشدت عاذلي وقد هاجت بلابلي:

لا ليقل من شاء ما شاء أنما      يلام الفتى فيما استطاع من الأمر  
قضى الله حب المالكية فاصطبر      عليه فقد تجرى الأمور على قدر  
فدنوت من ذلك السرب وأنا ذاهل اللب معتنى بشواغل الحب، وقلت وقد عقل  
الهوى لساني، وقيد الغرام جناحي: حيا الله هذه الوجوه النواضر والمحاسن التي هي شرك  
النفوس وقيد النواظر، أما ترثون لقتيل [٥/ا] غرام، وأسير هيام، وحليف سقام، وصاحب  
دموع سجام ومعنى قد عدم الجلد وقارن الكمد، وملكت العيون فواده، ونفت عن جفنه  
رقادة ترك الوقار وكان من أهله، وسلب القرار لذهاب عقله، يسامر النجوم، ويساور  
الهموم، ويعاني حرق العليل، ويعرض نفسه للهم العريض الطويل<sup>(٢)</sup>.

(١) وكذا قالوا في الحب أو العشق: «ليس من المعقول أن تحب وتظل عاقلاً، فالحب يحول الإنسان  
من امرء متزن إلى شبه فاقد للوعي هائم الفكر شارد الذهن غائب عن الإدراك غير شاعر  
بالحسوس ينظر ولا يرى يصفى ولا يسمع يقظان وهو شارد، نائم وهو يقظان حالم وهو مفتوح  
العينين، كلامه رقيق وصوته خفيض ونبضه ضعيف وقلبه حنون وجفنه مسبول وحركته في حوّل  
يسمع ولا يقول، فهو دائماً في ذهول وباله مشغول وقلبه مبتول يتمنى من المحبوب نظرة ويرجو  
أن يسمع منه همسة، وغايته فيه لمسة، يظن أن الكل يراه وأنه في غاية الكتاب وأمره ظاهر للعيان،  
ولكنه يصير على التحفي وإبداء التحفي، وكله وضوح وأمره مفصوح لا يحتاج إلى فصوح فهذا  
بعضاً من حالهم وإلى الله درهم ومألم والله يجمع شلهم ويريج بالهم ليهذا حال ويؤول إلى  
الصواب مألم.

(٢) هكذا هم العشاق لا يبالون ما قال القائلون في حقهم من مدح وذم ولوم وتجنّ فهم ماضون فيما  
هم فيه عازمون على بلوغ مأربهم من محبوبهم مضحين بكل غال ونفيس وعظيم وعزيز غير  
مشغولين بالشواغل المعطلة أو الأقوال المشبّطة وإن كانت هذه الأصوات نائحة أو حانية أو خائفة  
عليهم فهم قد باعوا النفوس فما بال ما دونها، فهم يرون أن ما هم فيه أمر خارج عن إرادتهم فلا  
يرون وجهاً للوم لأنهم؛ لأنه إنما يلام من بيده الأمر وهم في نظرهم قد فقدوا القدرة على السيطرة  
على أنفسهم إنما هم يدفعون إلى ذلك دفعاً لا يستطيعون رده، ويرون أن ما هم فيه من حب إنما



بييت كمامات السليم مُسَهَّدًا      وفي قلبه نار يشب لها وَقْدٌ  
وقد هجر الخِلَآن من غير ما قَلَى      وأفرده الهم المُرَحُّ والوجد<sup>(١)</sup>

فانبثرت من بينهن تلك الظبية الأدماء، والغادة الحوراء، واسطة العقد وفريدته ودمية القصر/[٥/ب] وخريدته، وقالت: وأنت حيًّا الله دارك، ولا أبعد مزارك، وأكرم إيرادك وإصدارك، ورفع قدرك وأعلى منارك، ما الذي جَسَمَكَ هذا الخطأ؟ وعلام وقفت موقفاً كنت تعد الوقوف فيه من الخطأ، ومثلك لا يغدر إذا أتى غلطاً أو رام شططاً، وكيف غررت بنفس كنت تصونها وأهنتها، وعهدي بك لا تهينها، وعلام أرخيت رسنها حتى جرت في ميدانها وأعطيتها في طلق الخلاعة فاضل عنانها، كيف أنسيك الحكيم التي كنت

=

هو نوع من أنواع القدر الذي لا يدفعه دافع حتى يقضي الله منه ما يريد دون تدخل العبيد.  
(١) الأرق من أخطر الأمراض أذله أشد التأثير على سائر أعضاء الجسم، والمريض يسهر (لأن أن سهره يكون مؤقتاً أو مرتبطاً بمرضه إذا زال المرض زال السهر، لأن السليم الجسم إذا ابتلي بالأرق كان دائس عضال قل أن ينجح معه علاج سوى العلاج الذي هو داء السبب لهذا الأرق واحظر هذه الأسباب هو العشق فالعشق لا علاج له سوى الاجتماع بالمعشوق والوصول إلى المعشوق من الأمور الصعبة جداً إلا أن يكون المعشوق زوج المرء فعندها ينجلي أكبر القمة فلا يحول بينه وبينها سوى السفر أو البعاد لسبب من الأسباب الخارجة عن إرادة أحدهما مما يجعله مبتلى بهذا الأرق أو القلق؛ ومن هنا شبه الشاعر ليل هذا العاشق في حين فراق معشوقه بأنه يبيت ساهراً وكأن في صدره نار توقد لشدة الشوق فلا يطفى هذا النار شيء سوى قرب المعشوق من عاشقه مهما سُلّي ومهما شغل عنه فهو لا يهدأ له بال ولا يقر له فرار وينعم له فراش ما دام هذا المحبوب بعيد المنال لسبب خارج عن يده، خصوصاً إذا كان هذا الجهد ليس هجرًا مقصوداً من المعشوق وإنما هو أمر فرض عليه كسفر أو مرض أو حيس فإنه ليس في ذلك منه دخل وهو لم يتسبب في ذلك الهجر فهو أيضاً يصطلي بنار ذلك الفراق وهو تواق إلى العودة واللقاء فلا هذا يذوق انشوم، ولا ذاك يغمض له جفن أو ينعم بفراش أرق قلق ناظر إلى نجوم السماء كأنه يحصيها فلا هو على الإحصاء قادر وعلى إهمال النظر إليها صابر.

فليل العاشق طويل ونومه قليل وجسمه نحيل ونظرة قليل وفكره شارد ويدنه بارد وليله نهار ونهاره طال، فلا هو ينوم هانئ ولا لعمل مجيد ولا لإجابة سائل مصيب بل كل حاله في اضطراب وليس كل هذا إلا لفراقه الأحباب فإذا حضروا زال كل هذا الحال وتبدل إلى أحسن حال من أول لحظة في الوصول، ومن رأى حال العشاق في غيبة معشوقهم وفي حال حضورهم رأى العجب العجائب من سرعة تبدل الأحوال في أسرع من طرفة العين حتى أنك ترى الليل سليماً والياكي ضاحكاً والذابل نضراً والكليل نشطاً فحافهم عند فراقهم بالضد منها عند اجتماعهم فاللهم اجمع شمل كل متحابين وأجمع كل شعثين.

توردها؟ وهل صدقت بعوادي الهوى التي كنت تستبعدها؟ أين مواعظك في كف النظر وزواجرك في غض البصر فسقت إلى نفسك تعباً وحملتها [١/٩] بالنظر إلينا على زعمك نصّباً، أما علمت أن دم قتيل الهوى مباح؛ وأنه لا حرج على قاتله ولا جناح؟ وإن ثاره لا يطلب وهامته لا تضرب؟ ألم يقل الشاعر:

يَا مُغْمِداً فِي الْقَلْبِ سَيْفَ لَحْظَةٍ      أَلَلَّهِ مِنْ دَمٍ يَغْيِرُ نَائِرِ  
وَمِنْ عَزَامٍ مَالَهُ مِنْ أَوَّلِ فِيكَ      وَلَيْلٍ مَالَهُ مِنْ آخِرِ<sup>(١)</sup>

وقال آخر، وتروى للشافعي رضي الله عنه:

خُذُوا بِذِمِّي ذَاكَ الْغَزَالَ فَإِنَّهُ      رَمَانِي بِسَهْمِي مُقْلَتِيهِ عَلَى عَمْدِ  
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنِّي أَنَا عَبْدُهُ      وَفِي مَذْهَبِي لَا يُوْخَذُ الْحَرْبُ بِالْعَبْدِ  
هَلْ أَجْدَى ذَلِكَ الْخَذَرُ      حَسِينَ أَوْعَعَكَ الْقَذَرُ<sup>(٢)</sup>

فقلت: اللهم غفرًا، ألسنت الذي سارت في الأفاق أخباره؟ وظهرت على صفحات الأيام آثاره؟ وتقلت تنقل الشمس رسائله وأشعاره؟ ألسنت ذا البيان الذي ينفت سحره في العقد؟ وصاحب اللالئ المنظومة والدرر البذر؟

ألسنت الأشعار الناصعة والخطب الرائعة والنوادر الشائعة [١٠/١]، والمعاني التي كل الأسماع إليها مصيخة ولها سامعة؟ والرسائل التي هي لرسائل الأوائل فارعة؟

(١) هذا شاعر سائلاً مستنكر على أن يلام معشوق في إرهاق عاشقه، ويلقي باللوم على العاشق ويقول إنه ليس سبباً في ذلك الداء الذي ألم بالعاشق؛ لأنه معلوم لدى أهل الهوى أن صريع المعشوق ليس له دية على المعشوق وإن كان المعشوق هو السبب الحقيقي المباشر في هلاكه وترديه بغمد لحظة في شغاف قلبه وهجره حتى أرداه ذلك وأسلمه إلى الهزال ثم الموت فهذا قاتل لا تود عليه ولا دية قبله ولا لوم. فليس للمعشوق يد في إرداء هذا أو إهلاكه إنما هو أمر خارج عن إرادته البتة فقد عشقه العاشق عن غير اتفاق معه وإخلاف للوعد له وفي هذا إنصاف.

(٢) وهذا عكس الأول فهو يلوم على قاتله لكن كسابقه في إثباته من الدية والقود، حيث يقر بأنه كان سبباً عامداً في قتله، غير أنه يقر بأنه عبد له، ولا يجوز قتل السيد بالعبد، فالعاشق يدافع ويلجأ بدمه عن معشوقه ويفتديه بروحه ولا يرغب في أن يشاك معشوقه بشوكة.

كما أنه يدافع عنه دفاعاً مشغوعاً بما يقع به الخصم بأن ذلك خارج عن إرادته وإرادة المعشوق، حيث يعلق ما جرى له بأنه قدر محتوم وأن الحذر لا يمنع من القدر الذي هو ماضي في العباد وبغير إرادتهم ناقد قهراً عنهم فلا سلطان لهم عليه، إذن فلماذا يعاقب المعشوق بما ليس هو فيه إلا أداة لذلك القدر الذي يسوقنا إلى حتفنا؟!

كم جريت في ميدان الأدب طلق العنان؟ وعُبرتَ بحاسنك في وجوه فضلاء الزمان؟  
وأتيت بالأوابد الفرائد والفُرر والفلاذ، والملح الشوارد والمقطعات والقصائد، طالما  
قلت فَفَحَّرْتُ الأسماع على النواظر، وكم كتبت فما نُورُ الحَمَائِلِ النواجر<sup>(١)</sup>.

كتبت فلولا أن هذا محلل وذاك حرام      فَشَتَّ خَطُّكَ بالسَّحَرِ  
فسوالله ما أذرى أزهرُ حميلةٍ      بِطُرْسِيكَ<sup>(٢)</sup> أم ذُرٌّ يُلُوح على تَحَرٍ

(١) لما أن بدأ بينهم الحديث سردت له عن بعض ملائمتها له بأنه قَبْلُ عَيَّرَ العشاق بالشَّيْءِ فيها هو قد  
وقع فيه ومن غيرِ شيءٍ أخيه يوشك يقع فيه، فيها أنت قد وقعت فيما به قد لُئِمَتْ.  
فلما أن بادرته بذلك علم أنها لأخباره متابعه ولأموره عارفة. ولأسراره كاشفة، فتجاهل كلامها  
وكانه غير موجه إليه بل هو إلى غيره يراد وأنه ليس به المقصود ليتجادل أمامها ولا يظهر الخوار  
ويبدى من نفسه الضعف والموار.

فبادرته بذكائها المطبوع في استبحان واستغفار مما جعل عقله كأنه من رأسه قد طار من شدة  
الاستغراب والاستنكار من هذه القدرة على المعرفة بالأسرار ودقة الأخبار، حيث قالت اللهم غفر،  
ألست الذي سارت في الأفاق أخباره؟ وتبعته بالأسئلة التي لا جواب لها إلا بالإقرار والتي لا يجدي  
معها الهروب ولا الإنكار، غير أنها كانت في كل ما تقول صادقة مهذبة بدعية أربية أدبية كادت تفوق  
على محدثها ببديع عبارتها وجزالة حديثها وحسن منطقها وبلاغة حجتها فقد أسكتها الجواب فحار  
في الرد فضلاً عن النطق بالإسهاب، فمن هذه التي أمامه وقد غابت عنه طيلة أيامه وشبابه كيف بها  
تسرد عليه حاله وتحضر بين يديه حقيقته وحياله، وتشعره بأنه في الحياة ذاهل عن مثلها وغافل  
وقد أخذته صفائر المشاغل عن عزائم الكرائم وعن الدرر النظامم والتحف النفائس فكم أنئت  
عليه ورفعته لإلا أنها في الحقيقة وضعت به معرفتها بحاله وجهله بحالها، وانشغاله عن أمثاله.

فبالحا من حورية بدعية دهريه فلا هي لبنات جنسها تنسب، ولا لأهل الهوى تطلب بل هي درة  
مكسونة وجوهرة مصنوعة في علب الزمان مدفونة بادية للقطنات خافية عن الجهلان، لقد ساقها  
القدر إليه وأوقفها بين يديه فعليه أن يحسن اقتناص الصيد الذي حظَّ عليه وسَلَّم قياده إليه فإما  
أن يطير فلا يعود، وإما أن يحسن وثاقه بالقود غير أنه طائر متعرد لا تصلح معه فيود الحبال  
والشباك قياس الخيال يمكن أن يصيده وأبها يصلح لفيده، فما أراه سوى قيد القلوب والنواظر التي  
توقع كل صائل وشاطر فليسرع بطرحه عليه ويرسل شعاع عينه إليها، فإن أصاب فقد أفلح ثم  
لنتنظر لنتنظر كيف يفعل؟

(٢) الطرس: هو الصحيفة. قال ابن منظور في لسان العرب في مادة طرس: الطَّرْسُ: الصحيفة. ويقال:  
هي التي عجت ثم كتبت، وكذلك الطَّلْسُ.

وقال ابن سيده: الطرس: هو الكتاب الذي عجي ثم كتب، والجمع أطراس وطروس، والصاد لغة.  
وقال الليث: الطرس الكتاب الذي الممحو الذي يستطيع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به  
التطريس. وطَرَسَهُ: أفسده.. ويقال: طَرُسْتُ الصحيفة إذا انعمت عموها، وطَرَسَ الكتاب: سَوَّاه.

/[١/٨] نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذا أتيت مؤخر

فدهشت من فصاحة مقالها وسحرتني بألفاظها وجمالها وحررت فما أحررت جواباً،  
وقيدني العي فما أفتح خطاباً وقلت: كفاك الله عين الكمال، من أين لربات الحجال  
شقاشق فحول الرجال، وأنى لهذه المضية جدّة هذه الفطنة والألمعية؟ وهل في قدرة هذه  
الغادة الظريفة الأتيان بهذه الألفاظ البليغة الشريفة؟ وحاطبتها ولّني ذاهل ووجدني مقيم  
وجرى راحل، وعندي من حبها شغل شاغل، فقلت: يا أخت الغزالة والغزال وثالثة  
الشمس واللال، أفحمت لساني عن المقال وقطعت /[٨/ب] في الجدال من الذي  
ينتصب لمعارضة هذه الألفاظ؟ وما أتقى سهام هذه اللحاظ؟ وكيف لقلبي يدّ بسحرين؟  
ومن أين ليس قوة بدين؟

وَلَمَّا تَقَيَّنَا وَالتَّفَاقُ مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدُّرُ مِنْهَا وَلَا فُطَّةُ  
فَمِنْ لَوْلِي تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلِي عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ<sup>(١)</sup>  
[وصف الحديث] (٢)

ولهم في وصف الحديث فنون ومعان كلها عيون قال ابن الرومي:  
حديثها السحر الحلال لو أنه لم يجز قتل المسلم المتحذر  
وإن طال لم يُملل وإن هي أوجزت ودّ المحدث أنها لم توجز  
شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز  
وقال ابن حمديس الصقلي:

(١) سواء الكلام على الشعر الوارد أو الكلام على رد المؤلف على طيف الخيال فهو يذكر أنه تائه  
حائر بين رأيي الدر ولاقطه سواء في هاتين ومنظرها وقدها وجمالها وحلو لفظها فقد جمعت بين  
بديع الصورة وبديع اللفظ وهذا قل أن يوجد، وإن وجد فيندر يشده بين النساء إذ إن بديع البيان  
يحتاج إلى فطاحل الأدباء وفحول الشعراء ومتمرس اللغة وعمداء الأدب وبلغاء النحو والصرف  
أما أن يكون في امرأة جميلة فهذا من نوادر ما يوجد به الزمان ثم كونه يقع بين يدي فحل من  
فحول هذا الفن فهذا ما أدهش رأيي الدر قبل لاقطه.

فقد أدى بيانها وحسن لسانها وشجا لفظها إلى ذهول عقله، واضطراب قلبه، وشغفه بها وتوقه  
للسيها وهي بين يديه، وكأنه لن يراها مرة أخرى إذا انصرفت من أمامه أبد الدهر فصار في حيرة  
شديدة أيصدها في السماح لها بالانصراف أم ينصرف معها أو يصرفها إليه وهذه أمور كلها لا  
سلطان له عليها فيها فعليه أن يسلم لما تقوده إليه الإقرار.

(٢) زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

/[٩/]] ذات لفظ تجني لسمعك منه      زهرًا في الرياض نداه طُلْ

لا يمل الحديث منها معادًا      كاتشاق الهواء ليس يمل<sup>(١)</sup>

وأنشدني السيد محيي الدين محمد بن الطوزي الجعفري لنفسه:

ومنطقي كَرَضَابِ النحل مازجُهُ      مروق شابه بالمسك عاصِرُهُ

جرى على السمع مثل الطيف خالسي      وقام متصحبًا للقلب زائرُهُ

وهكذا أشير إلى ما يعرض من المعاني أدنى إشارة، واقتصر على أخضر عبارة، فإن الإكثار داعية الملل والأنفس بالطبع لا تحب الثقل في الأحوال ولو أردت مقالاً لوجدت سيلاً إلى المقال.

فقالت وقد حفزها وارِد الخجل، وورَدَ منها مواقع القيل: أمثلي يقعق له/[٩/ب] بالشنان أم تظن عقلي من عقول النسوان ما قدر كلامي ولو كان دُرًا، ومبلغ بياني واستحال سحرًا عند من تُذعنُ له جهابذة النقد ويسلم إليه أهل الحل والعقد، ويقر له حتى الحسود، ويعترف بفضله السيد والمسود<sup>(٢)</sup>.

وأرى الناس مجمعين على فضلك      ما بين سيد ومسود

عرف العالمون فضلك بالعلم      وقال الجهال بالتقليد

(١) ما أجمل وأروع هذا البيت في التشبيه بغض النظر عن كون البيت في الغزل أو غيره فقد أجاد التشبيه فيما يعاد فلا يمل وهو تشبيه بليغ موفق صادف في نفسي واقعًا جميلًا لأنني كثيرًا ما أمل تكرار الحديث من أناس كثيرين أعهدهم وإذا رأيتهم علمت مقدمًا ماذا سيقولون وأكرر دائمًا لأصحابي ولمعاري أن أضيّق ما يضايقني التكرار أو الثرثرة فيما لا يفيد وكان أبي رحمه الله تعالى كثير التكرار، فأنا أقول لمن يعيد الحديث رحم الله أبي فإنه لم يمت فيفهم أنه كرر على سمعي هذا الخبر أو هذا الحديث كثيرًا، وإذا أعادت لي الحاجة (الزوجة) الحديث قلت لها: رحم الله والدي فتضحك كثيرًا، وتقول أنا أذكرك كي ترحم عليه، فقد وفق الشاعر هنا في الحديث الطيب الذي يمتنى البرء ألا ينقطع فأجاد في الوصف فإن من ملّ التنفس مات كمدًا.

(٢) لما أن رأت منه ما رأت وعلمت منه ما علمت ومن خفقان قلبه ما جهلت انتنت نهدئ من روعه وتخفف من خوفه وتقوى من عزيمته، وتشد من أزره بتذكير ما لفضله بين الأقران وفوزه على أهل الزمان وإسلام نظراته له الزمام والسير وراءه وجعله لهذا الفن الإمام.

فذهبت تحقر من شأنها أمام علمه وعقلها أمام عقله ومكانتها بين أهل هذه الصناعة وتجعل الإقرار منها بإسلام الأئمة إليه الزمام بشابة طوق تنطوق به له بالفضل وتعترف له بالتقدم والسبق، وأن ما قالت ما هو بالنسبة له إلا سطر في كتاب فلا يحق لها التعالي عليه بل بإسلام القيادة إليه.

قلت: أقسم<sup>(١)</sup> بقدك الأهيف النصير، ووجهك البهي المنير، وطرفك الفاتن الفاتر، ولحظك الساجي الساحر، وقوامك الذابل الناضر، وورد خذك الجنى، ودرّ ثغرك النقى، وخمر ريقك الشهي، ونرجس لحظك الباهلي، وليل شعرك الدجوجي، على صبح جبينك المضي/[١٠/١] ودرر ثغرك التي هي بماء الحياة مطلولة، إنك أملح من شمس، وأفصح من قس، وأنور من بدر، وأغرر من بحر، وأضوأ من نهار، وأجرى ألفاظاً من صيّب مدرار، قد أبنت في هذا المقال عن حقيقة السحر الحلال، ونطقت بما يحير أرباب العلوم، ويعجز فرسان المنثور والمنظوم، وجريت على الجُدّد، واستوليت على الأمد، وأفحمت فصحاء الرجال، ولديك يُلقى البلغاء مخاريف العصي والخيال، فأنت أنت في الجمال والكمال، وعذوبة الألفاظ وحلاوة الدلال<sup>(٢)</sup>.

(١) معلوم هنا أن هذا القسم ليس قسمًا حقيقيًا، ولكن من قبيل المبالغة وليس فيه عزم على رغم من ترادف ما بعده عليه وكثرة ما عدد بما أقسم معه به على التذليل والتأكيد على ما يرد القسم عليه لأنه معلوم أن القسم لا يكون بغير الله تعالى للخبر الآخر «لا تحلفوا بآبائكم» ومن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله»، اللهم أنه ليس بثلث الأخبار جاهل ولا هو عنها ذاهل بل هو يتكلم من قبيل الفصاحة والبلاغة والغزل والتراقص بالعبارات والألفاظ فليس هذا منه بمثابة القسم. وربما قال متقول بأنه إنما أراد القسم الحقيقي لما شاع عنه من ادعاء النبوة فأقول إن صاحب هذا القول ليس بمنصف إذ أنه في هذا المقام هازل وليس يجاد فرما عظم ربه عن مقام الهزل هذه الألفاظ.

(٢) قد بالغ في وصفها في الذكاء والفصاحة أيًا مبالغة وإن كان هذا من حقها وكذا بالغ في الوصف تشبُّهًا وشعرًا وكذلك حسب ما يصف أرى أنه من حقها ومعلوم أنها صفات مجازية ومعلوم أن أعذب الشعر أكذبه وإذ ذلك كذلك فلا لوم عليه ولا مبالغة تدم عليه، وإن كنت أقول إن أعذب الشعر أصدق غير أن واقع الشعراء يقوي قولهم، ولكن الشعراء المسلمين تجنبوا المبالغات في أشعارهم قدر الطاقة حتى لا يدخلوا في ذمّة الشعراء المذمومين وركزوا على الحقائق والصدق وشادوا به ومدحوه وجلوه تجميلًا رائعًا وهو هنا يمدح معشوقته تثرًا بعبارات جميلة وصفات بدیعة وخلال حسنة وشمائل نبيلة أطربتها أيًا طرب وبلغت بها أعلى الرتب، ثم عرج إلى الشعر فوفاهها حقها ومستحقها بل وبوأها موبأ حسناً وأجلسها بمجالس الأمراء في هذا الشأن وأعطاهها مركز السلطان، إذ جعل المطايا تناخ عندها والفصحاء والبلغاء يسكنون بين يديها فهذه منازل ورتب عالية قد جعلها لها بأحقية وليست له منها هدية.

ويذهب في وصف جمالها في شعره بأن يخطئ نفسه إذ وصفها باليدر حيث يرى أنها أهي كثيرًا من البدر بل يجب أن يوصف البدر بها إن رقي إلى ذلك المقام ويصفها بأنها أنور من الشمس غير أن للشمس عيوباً في جهة نظره وهذه العيوب ليست في معشوقته فجعل الشمس لكي تقترب =

هويتها كالسدر في حُسْنِها      أخطأت بل أهى من السدر  
 كأنها الشمس ولكنها تبدو      على غصن نَقَا نضر  
 / [١٠/ب] فافتن على كل ملاح الورى      وفاق في أوصافها الشعري  
 في نغرها دُرٌّ، وفي لفظها دُرٌّ      وفي نظمها وفي نثرها

فقلت: دع وصفي بما لا يصدقه وهمي وحديسي، ولا يثبت علمه في خيالي وحس،  
 فأنا أعرف الناس بنفسي، وهم لنعبدها جذعة ونقل في السبب الذي لأجله لزمنا هذه  
 السبقة فمعي من أترابي وصويحبات شبابي من هن في غرارة النصابي وكلهن ينتظر إياي،  
 وقد أضربهن لبثي، وطال عليهن مكثي، وهذا النهار والشمس جنحت إلى الأصيل ولم يبق

من جمالها فلا بد لها أن تسلب منها صفات الحرارة والإشعاع فجعلها تتوارى خلف عيدان النقا،  
 ويقول ابن منظور عن النقا في لسان العرب قال ثعلب: النقاوى ضرب من التبت وجمعه نقاوات،  
 والواحدة نقاوة، ونقاوى، والنقاوى: ثبت بعينه له زهر أحمر.

وقال أبو حنيفة: النقاوى تخرج عيداناً سلبية ليس لها ورق، وإذا يبست ابيضت، والناس يغسلون  
 بها الثياب فتركها بيضاء بياضاً شديداً، واحداً نقاوة.

ثم لم يكتف بأن جعلها تفوق بنات جنسها حسناً وفوقها على أظهر كوكبين نراها فإذا به يذهب  
 إلى أنها أنور من سائر الكواكب بما فيها كوكب الشعرى لما له بين الكواكب من المنزلة الرفيعة  
 التي جعلت بعض الناس يعبدونه.

وقد قال ابن منظور عن الشعرى في لسان العرب: الشعرى: كوكب يُرى يقال له: المَرْزَمُ يطلع بعد  
 الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، تقول العرب: إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النحل يرى. وهذا  
 الشعرى: العصور التي في الجوزاء، والغميصاء التي في الدراع. وترجم العرب أنها أختا سهيل.  
 وطلوع الشمس على أثر طلوع الحقعة. وعَبَدَ الشعرى العبور طائفة من العرب في الجاهلية.  
 ويقال: لأنها عبرت السماء عرضاً ولم يعرها عرضاً غيرها، فأنزل الله تعالى: (وأنه هو رب  
 الشعرى) أي رب الشعرى التي تعبدونها.

وسميت الأخرى بالغميصاء لأن العرب قالت في أحاديثها: أنها يكت على أثر العبور حتى غَمِصَتْ  
 ثم راح ينشر الدر حولها من كل مكان، فقال: أن الدر يتحدر من بين ثناياها ومن فمها ومن بين  
 شفثيها وحتى ملأ ما حولها حتى أنه أصابه منها ما جعل شعره ونثره دُرّاً فقد أفاضت عليه هذا  
 الحسن والسياء والجلال والجمال حتى لكان الدنيا كلها تتلألأ بين يديه وبديها وتزهو وتزدهر  
 وتلبس أحسن ثيابها، وكأنه معها في عرس هي وجو هادئ صفي ونسيم ربيع ندى دب في كل  
 كيانه وأفاض على الكون من حوله حتى لكانه يعيش حلماً جميلاً، وعلى الحقيقة فإن كل ما يقوله  
 ما هو إلا حلم يقظة لطيف خيال.

سوى الرحيل قد ذهب غير القليل، فأبينَ عَمَّا في الضمير، وسَلَّ عن الفتيل والنكير<sup>(١)</sup>.

فشكوت إليها غلبة الهوى/[١/١١] وموجبات الجوى والخوف من عادية النوى.

فانصاعت متبسمه وعادت متكلمة وقالت: يا فديتك أترفع ذيلك قبل المخاض، وتدعي السغب قبل الانقراض، كيف تشكو الغرام و أوصابه وتستمقر ذعافه وصَايَة، وتعدد السوجد والقلق، وتصف السهر والأرق؟ وتدعي مسامرة النجم ومسورة المم ومكابدة الغليل والسهر سحابة الليل الطويل حتى وصلت السهاد، وهجرت النوم، وإنما كانت هذه المعرفة اليوم؟

أشوقاً ولم تضي غير ليلة فكيف إذا راح المطي بنا عشر

وكيف تقدمت هذه الأسباب على مسببها وهو محال؟ أم كيف أردت خداعي وطالما خدع النساء/[١١/ب] الرجال قدرتك على هذا الشأن ومعرفتك بعلم البيان أجزت على لسانك الخُلوب ما ليس له صورة في القلوب؟ فقلت قادراً وتلهو سادراً؟ لا

(١) لقد كان في ردها عليه بعد هذا الإطراء منه لها ما كان أفحم له مما كان قبله إذا قالت له: دع وصفي بما لا يصدفه وهي وحذسي ولا يثبت علمه في خيال: ... إلخ وكأنها تقول له دعك من المحاملات المزائدة وحذ في الجد ودع الهزل وحذ في الفعل، ماذا تريد مني فقد أطلت في إيقافي أمامك ومعني من ينتظري لأذهب إلى أمري وشائي وأصيل أهلي وخلائي، ودعك من التصابي الذي هو ليس من صفاتك ولا صفاتي وسَلَّ عن ما تريد معرفته من حالي وأحوالي وأنا على استعداد لأن أجيبك عن كل سؤال دق أو عظم صغر أو كبير جاز أو مُنَع فلنك الحق في السؤال عن كل شيء فقد أبحث لك السؤال وألزمت نفسي بالجواب مهما كانت الموانع أو الأسباب.

(٢) لقد كشفت له وبالحجة القوية عن وهي ما يقول، وكذب ما يدعي إذ كيف يسبق السبب المسبب، ثم هي تتعجب منه بأن يحاول أن يحل محلها بمعنى كيف يخدع الرجل المرأة والمرأة إنما هذا هو سلاحها، وكأنه تقول له بالمثل الشعبي المصري: «تبيع البية في حارة السفاين» والمثل الشعبي القائل: «علمناهم الشحانة سبقونا على الأبواب» فإن مثل هذا القول لا ينطلي على مثلي مهما أوتيت من فصاحة وبلاغة وسحر بيان فإن هذا إنما هو من شأن النسوان فهن اللواتي مهن فيه واشتهرن به فكيف يحق لك أن تخوفي هذا المخاض أو تنزل إلى هذا البحر المتلاطم الأمواج بغير ما أداة لخوضه بل وإمام أساطين ملاحية ومن سير عبايه وتربي في لجاحه وبين أمواجه، عليك أن تبحث عن غيرها فلربما تغلح فيها وقد دلت له على عدم نجاحه في دعواه بأدلة كثيرة برهنت بها على أنها لم ينطلي عليها ذلك.

ثم انصرفت عند قسمها بعدم تصديقه بأن تصفه بأبي وصف وأحلى رسم وذلك ردّاً منها على ما قدم هو في وصفها وحسن ثنائه عليها فكيف لا ترد هذا الجميل الفعل النبيل بخير منه إن لم يكن مثله فراححت تقول له ما أذهل عقله على الرغم من بيانه وكشفه له عن أنها علمت أن ذلك منه مباغلة، وأنه ليس بحاله مما جعله في حيرة أشد من حيرته الأولى وذهل كان أن يجهر على ما بفي



ومن زين صُبْحَ الجبين بليل الشعر، وغرس في عذب الرضاب صغار الدرر، وخلق أقماراً أرضية أهى من الشمس، وأحسن من القمر، وجَمَلَ العيون بالكحل، ونصب الحدود أغراضاً لمواقع القُبُل، وأجرى فيها ماء الحياء فأنبَت ورد الخجل وأبدع في الجمع بين يواقيت الشفافة ونرجس المُقَل، واطلع في أغصان القدود رمان النهود، وأرسل وارد الشعور إلى الأرداف والخصور، وجعل الأسود الغُلبَ فرائس/ [١٢/أ] نحور الحور<sup>(١)</sup>.  
لست ممن يغتر بالأقوال المزخرفة، ولا ينخدع بالأسجاع المصففة، حتى استعلم أخبارك وافترض آثارك، وأسبر أحوالك، وأعلم ما عليك معالك وأرود مرادك، فأنحقق مرادك، وأسأل عما عندك فؤادك، فإذا استحكم بك الهيام، وصكن من قلبك الغرام وأخبرت بما تعاني، وعرفت بالتجربة هذه المعاني، ونطق لسانك بما في قلبك، وظهرت شواهد الصدق على حبك، وشكوت مرارة الفراق، وذقت بعده حلاوة التلاق، وجربت ما قيل في سَهَرِ الليل وطوله وثبات نجومه، وبطء قفوله، فهنالك إلى الاختيار/ [١٢/ب] واشف قلباً قد أَضُرَّ به الوجيب وجفناً أفرجه البكاء والنحيب.

مَنْ زَارَنِي قَبِلْتُ عَيْنَ رَسُولِي      ظَنَنْتُ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِسُؤْلِي  
إِنَّمَا حِينَ قَالَ أَبْصَرْتُ مَأْمُولَكَ      قَبِلْتُ مَنْ رَأَى مَأْمُولِي  
إِنْ عَيْنًا تَأْمَلْتُ ذَاكَ الْوَجْهَ      أَحَقَّ الْعُيُونِ بِالتَّقْيِيلِ<sup>(٢)</sup>

معه من التماثل والمثول أمامها قبل السقوط بين يديها والذبول أمام عينيها.

(١) أصابت هي في اختيار القسم وأضافت إلى الله إذ قالت: لا ومن زين صبح الجبين بليل الشعر، وغرس... إلخ فبرهنت له بذلك أنه صاحبت الحق في هذا المجال وكيف يمكنها أن تكون جاهزة لاستخدام في كل وقت وعلى أي حال وبأسرع من أنيل الرجال وأذكي من هو أسرع في الجواب من الإتيان بالصواب، ووضعه في موضعه بالنصاب دون أخلال أو طناب وبلا خوف أو اضطراب لتخلع به من الرجال لب الألياب وفي سهولة ويرضا وبلا اغتصاب.

(٢) ليس هذا بالغريب من قول الشاعر: فقد سبقه من قال:

أمر على الديار ديار ليلي      أقبل ذا الجدار وذا الجدار  
فما حب الجدار شغفن قلبي      ولكن حب من سكن الجدار

وهذه عادة وصفة واضحة متكررة في العشاق إذ يجوبون أن يروا من رأى أحبابهم ويسمعوا حديثه، ويستعيدوا منه الخبر والحديث ولا يملون من تكراره وقد يَمَلُّ هو من تكرار الرد أو القول لكنهم يستزيدونه ويحثونه على الكلام حقاً ليستمتعوا بخبر أحبابهم وكأنهم يرونهم ويسمعونهم وهم بذلك يطمنون على أخبارهم ويخففون من حدة نار الشوق والضنا وبعد التماثل فلا أقل من السؤال.

قل ولا تكتم فيلاً ولا تفتّر وأعد حديثهم وردد تكريراً:

أَعِذْ ذِكْرَ نَعْمَانٍ أَعِذْ      إِنَّ ذِكْرَهُ مَسَا كَرَّرْتُهُ يَتَضَوُّعُ  
فَإِنْ قَرَّ قَلْبِي فَاتَمَمَهُ وَقُلْ لَهُ      مَنْ أَنْتَ بَعْدَ الْعَامِرِيَةِ مَوْلَعُ  
وَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّمْعَ يَجْرِي صَبَابَةً      عَلَى غَيْرِ لَيْلِي قُلْتَ دَمْعُ مَضِيعُ  
لَقِيتَ أُمُورًا فِيكَ لَمْ أَلْقَ مِثْلَهَا      وَأَعْظَمُ مِنْهَا مِنْكَ مَا أَتَوْعُ

فقال: إذا تبعتهن وهن يتمايلن هيفاً وليتأ وتلفتن شالاً وبميتاً فتظنهن أغصاناً لذاتاً  
تُقلُّ أثماراً سافرةً وطلباءً عينا/ [١٣/١] سترن المحاسن إلّا العيون كما يشهد المعرك الدار  
عيونا.

سَلَلْنَ سُيُوفًا وَلَا قَيْنَا      فَلَا تَسْأَلِ السَّيُومَ مَاذَا لَقِينَا  
بِمَشِينٍ عَلَى تَوْدَةٍ وَسُكُونٍ،      وَقَدْ حَبَسَ الْأَبْصَارَ وَتَمَنَّقْنَ بِالْعَيُونِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ أَجَادَ أَبُو  
الطَّيْبِ حَيْثُ قَالَ:

وَحَصْرُ تَثْبِيتِ الْأَبْصَارِ فِيهِ      كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جِدِّي نَطَاقًا  
وَقَالَ الْقَاضِي الْأَرْجَانِي:

جَاءَتْ بِقَدِّ كَالْقَضِيبِ غَدَاً      بَلَّوْا حِظَّ الْعُشَّاقِ مُنْتَطِقًا  
وَبَدَتْ وَقَدْ أَبَدَتْ مُحَاسِنَهَا      حُمْسًا ثُبَيْنُ عُذْرٍ مِنْ عُشِقًا  
لَيْلًا عَلَى صُبْحٍ عَلَى قَمَرٍ      فِي غُصْنٍ بَانَ فِي قَضِيبٍ نَقَا  
وَنَوَاطِرًا مَخْلُوقَةً فَتَنَّا      قَطَعَتْ عَلَى أَبْصَارِنَا الطَّرُقَا<sup>(٢)</sup>

(١) هذا واصف جيد بصف له كيف لقي؟ وكيف رأى؟ وكيف أقمن؟ وكيف انصرفن؟ وكيف  
تحركن؟ وحكى مشيتهن كيف كانت؟ ولحظتهن كيف فنن؟ وسترهن المحاسن بالنقاب وكأنه يقيمه  
مكانه فلكانه حضر المشهد لم يخبر به فقد نقل له صورة حية متحركة أمامه وكأنه قد صاحب  
الركب وسمع الصوت وأحسن بالحركة وطرق القلب وهففة الثياب وديب الأرجل وشايل  
الأجسام وإشاحات الأيادي فإما هو طالب أكثر من هذا لقد حل خياله محل ناظره وسمعه محل  
خاطره قلبه مصانعاً محل يده مودعاً، ودموعه تنساب لتسير فيها مراكب الشوق هم إلى محل  
ديارهم في أمان.

(٢) أتكلم عن الشعر ثم أترجم الشاعر. أما الشعر فقد جاء رائئاً فائقاً في الحسن وغاية في جمال التشبيه  
والكناية فقد وصف شعرها بسواد الليل وجينها بإشراقه الضحى واستدارة وجهها وجمالها ببياء  
القمر وقذها وهياها بالبان والنقا، ووصف العيون بالخور الدلال والقتال والفنن والسهام والصرع  
والتردي فمن كل ما ينسلب به قطاع الطرق فلك أن تصف به لحظ نواظرها حتى أنها لتجردك من

كسل مالسك وما مئلك وتصبر وكأنك ليس لكل سلطان حتى على نفسك وروحك وسكنتك  
وحرركاتك فقد سلبت من كل شيء، فأبلى شيء أبلى من هذا في وصفه؟  
أما عن الشاعر فقد جاءت ترجمته في مصادر عديدة أذكر لك منها:

سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٠)، الأنساب (١٧٤/١) المنتظم (١٠/١٣٩)، معجم البلدان (١/١٤٤)،  
الكامل في التاريخ (١١/١٤٧)، وفيات الأعيان (١/١٥١)، المختصر (٢/٤٩)، الوافي (٧/٣٧٣)،  
تذكرة الحفاظ (٤/١٣٠٦)، دول الإسلام (٢/٦٠)، العبر (٤/١٢١)، مرآة الجنان (٣/٢٨١)،  
معاهد التنصيص (٣/٤١)، شذرات الذهب (٤/١٣٧) وقال فيها في سنة أربع وأربعين وخمسمائة:

وفسها توفي القاضي ناصح الدين أبو بكر الأرجاني أحمد بن محمد بن الحسين قاضي تستر، وحامل  
لسوء الشعر بالشرق، وله ديوان مشهور. وروى عن ابن ماجه والأهري، وتوفي في ربيع الأول وقد  
شاخ.

وأرجان مشددًا بلد صغير من عمل الأهواز، وقال ابن خلكان: منبت شجرته أرجان وموطن  
أسرته تستر وعسكر مكرم من فورستان، وهو وإن كان في المعجم مولده فمن العرب عنده سلفه  
القديم من الأنصار لم تسمح بنظيره سالف الأعصار أوسي الأس خزرجية قسي النطق لإبادة،  
فارس القلم، وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس الذين نالوا العلم المتعلق بالثريا جمع  
بين العذوبة والطيب في الري والريا. انتهى كلام العماد.  
وقال ابن خلكان أيضًا: وكان فقيها شاعرًا وفي ذلك يقول:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع      في العصر أو أنا أفقه الشعراء  
شمري إذا ما قلت دونه الوري      بالطبع لا يتكلف إلا لقاء  
كالصوت في ظل الجبال إذا علا      للسمع هاج تجاوب الأصدا  
ومن شعره أيضًا:

شاور سواك إذا نابستك نائبة      يومًا وإن كنت من أهل المنورات  
فالعين تنظر منها ما نأى ودنا      ولا ترى نفسها إلا بمراة  
ومن شعره وهو معنى غريب:

رثيائي وقد ساوته في نحو له      خيالي لما لم يكن لي راحم  
فدلس بي حتى طرقت مكانه      وأوهمت نفسي أنه بي حالم  
وبنا ولم يشعر بنا الناس ليلة      أنا ساهر في جفنه وهو نائم  
وله أيضًا:

لو كنت أجهل ما علمت لسرني      جهلي كما قد ساءني ما أعلم  
كالصقر يرتع في الرياض وإنما      حبس الهزار لأنه يترم

وله ديوان شعر فيه كل معنى لطيف، ومولده سنة ستين وأربعمائة، وتوفي بمدينة تستر، وقيل:  
بعسكر مكر رحمه الله.

ويبين سيدة قلبك، وخازنة حبك، وسالبة لُبك/ [١٣/ب] وصاحبة هواك المخامر وجالبة همك المسامر، وهي تفوقهن جمالاً وتعلوهن كمالاً تفتن دلالات، وتسي العقول ميلاً واعتدالاً.

وقال البحرني<sup>(١)</sup>:

(١) هو شاعر وقته وقد صنف في سيرته المصنفات وألفت في دواوينه الكتب وله تراجم عديدة أذكر منها لك هنا على سبيل الاختصار:

الأغاني (٣٩ / ٢١)، تاريخ ابن عساكر (٤٢٦ / ١٧) المنتظم (١١ / ٦)، العبر (٧٣ / ٢)، البداية والنهاية (٧٦ / ١١)، سير أعلام النبلاء (٤٨٦ / ١٣)، معجم الأدباء (٢٤٨ / ٩)، معجم البلدان (مسيح) وفيات الأعيان (٢١ / ٦)، شذرات الذهب (١٨٦ / ٢)، تاريخ بغداد (٤٧٦ / ١٣) وقال فيه: الوليد بن عبيد أبو عبادة الطائي البحرني من أهل منبج بها ولد ونشأ وتآدب وخرج منها إلى العراق فمدح جعفرًا المتوكل على الله وخلفًا من الأكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرًا طويلاً، ثم عاد إلى بلده فمات به وقد روى عنه أشياء من شعره محمد بن يزيد المبرد، ومحمد بن خلف بن الرزبان، والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي، ومحمد بن يحيى الصولي، وعبد الله بن جعفر النحوي وغيرهم.

... أخبرني محمد بن يحيى قال أُملي عليّ أبو الفوت يحيى بن البحرني نسب أبيه بالرقعة سنة إحدى وتسعين ومائتين فقال:

هو: الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شلان بن جابر بن سلمة بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جذي بن تدول بن بحر بن عتود ابن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الفوت بن جهلمة - وهو طيء - بن أد بن زيد ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وقال المرزباني وجدت بخط أبي الحسن أحمد بن يحيى المنجم قال حدثني أبو الفوت، قال: ولد أبي سنة مائتين. قال المرزباني: وقال أبو عثمان الناجم: ولد البحرني سنة ست ومائتين.... وقال كان أبي يكنى أبا الحسن، وأبا عبادة، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فإنه أشهر... وهو تسامر من أهل منبج من أعمال جند قشرين وبها مولده، منشأه، ووفاته.

... حدثني صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي قال: رأيت البحرني ها هنا عندما قيل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب إلى هذا الباب - وأوماً إلى جنب المسجد يمدح أصحاب البصل، والباذنجان، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه، ثم كان منه ما كان.

... أخبرنا الصولي قال سمعت أبا محمد بن عبد الله بن الحسين ابن سعد القطر يلى يقول للبحرني وقد اجتماعا في دار عبد الله بن المعتز بالخلد، وعنده أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحرني شعراً في معنى قد قال في مثله أبو شام، فقال له: أنت أشعر في هذا من أبي شام، فقال: كلا والله، ذاك الرئيس الأستاذ، والله ما أكلت الخبز إلا به. فقال له المبرد: يا الحسن تألي إلا شرفاً من جميع جوانبك.

أَعْطَيْتَ بَسْطَةً عَلَى الثَّامِرِ حَتَّى هِيَ صَنْفٌ وَالْحُسْنُ فِي الثَّامِرِ صَنْفٌ  
نَعْمَةُ الْفُضْنِ تَوْدُ عَطْفَ مِنْهُ عَنْ زَهْرَةٍ تُدَابِكُ عَطْفُ

فلم أزل أقص آثارهن، وأجلو أخبارهن حتى وصلن دجلة، وقد طما عباها، وزخر  
وهما ماؤها، وهما وطفا مدها، وقهر ونهى السيل فيها وأمر فكان الموج هضاب أو إبل  
صعاب أو قطع سحاب أو ليل ضد واجتباب، والسنن كأنها عقارب أذانيها شائلة، وهي  
على مثل الصرح المذاب جائلة/[١٤/١] كما قال السري الرفاء الموصلي<sup>(١)</sup>:

... وقال محمد بن يحيى حدثني أبو الفوت، وقال: قال أبي: أنشدت أبا صام شعراً لي في بعض بني  
حميد، وصلت به إلى مال له خطر، فقال لي: أحسنت، أنت أمير الشعر بعدي، فكان قوله هذا  
أحب إلى من جميع ما حوته.

... قال روي عن أبي الفوت: أن أباه مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين.  
وأخبرني التنوخي أخبرنا المرزباني أن محمد بن يحيى أخبرني قال مات البحرني بمنج - وقيل:  
بحلب - في أول سنة خمس وثمانين ومائتين، وقيل: في آخر سنة أربع وثمانين ومائتين. ومولده  
سنة ست ومائتين.

(١) هو: أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الرفاء الموصلي الشاعر المحسن المجيد البغدادي من  
صاحب الديوانين المشهورة ومصادر ترجمته كثيرة أذكر منها في هذا المقام:

يتيمة الدهر (١٧٧/٢)، تاريخ بغداد (٩٤/٩)، الأنساب (١٤١/٦)، المنتظم (٦٢/٧)، معجم  
الأدباء (١٨٢/١١)، وفيات الأعيان (٣٥٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٦)، المعبر (٣٥٧/٢)،  
عيون التواريخ (١٩٤/١١) مخطوط، البداية والنهاية (٢٧٠/١١)، النجوم الزاهرة (٦٧/٤)، هدية  
العارفين (٣٨٣/١)، شذرات الذهب (٧٣/٣) وقال فيه:

الرفاء الشاعر أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الموصلي صاحب الديوان المشهور.

مدح سيف الدولة والوزير المهلب، والأكابر، قال ابن خلكان: كان في صباه يرفو، ويطرز في  
دكان بالموصل، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه،  
وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، ومدح الوزير  
المهلبى وجماعة من رؤسائهم، ونفق شعره وراج وكان بينه وبين أبي بكر محمد، وأبي عثمان  
سعيد بن هشام الخالدين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة قاعدى عليهما سرقة شعره وشعر  
غيره.

وكان السري مغرباً بنسخ ديوان كشاجم الشاعر المشهور، وهو إذ ذاك ربحان الأدب بثلث  
البلاد، والسري في طريقه يذهب، فكان يمس فيما يكتب من شعره أحسن شعر الخالدين ليزيد  
في حجم ما ينسخه ويتفق سوقه، ويعلى شعره بذلك عليهما ويفض منهما، فمن هذه الجهة  
وقفت في بعض النسخ من ديوان كشاجم على زيادات ليست في الأصول المشهورة.

ولا وصل إلا أن أروح ملججًا      على أدهم من فوق أخضر مزبد  
شوائب أذناب تخيل أنها      عقارب دبت فوق صرح مرمد  
وقال البحرّي:

وكان شاعرًا مطبوعًا عذب الألفاظ مليح المآخذ كثير الافتنان في الأوصاف، ولم يكن له رواء، ولا منظر، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر ومن شعر السري المذكور:

وكانت الإبرة فيما مضى      صائنة وجهي وأشماري  
فاصبح الرزق بها ضيفا      كأنه من تقبها جاري  
...ومن عزر شعره في التشبيب:

بنفسي من أجود لسه بنفسي      ويبلل بالتحية والسلام  
وحفسي كسامن في مقالي      كيون الموت في حسد الحسام  
وله كتاب المحبة والمحبوب والمشموم والمشروب وكانت وفاته سنة نيف وستين وثلاثمائة انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصًا.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:

كان بينه وبين أبي بكر وأبي عثمان محمد وسعيد بن هشام الخالدين حالة غير جميلة وليعضهم في بعض أهاجي كثيرة، فأذاه الخالديان أذى شديدًا وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره، فأنحدر إلى بغداد ومدح بها الوزير أبا محمد المهلب فأنحدر الخالديان، وراه، ودخلا إلى المهلب وتلبا ثريا عنده فلم يحظ منه بطائل وحصل في جملة المهلب بنادمانه، وجعلا هجيراهما تلب سري والوقبة فيه، ودخلا إلى الرؤساء، وإلى الكبار ببغداد، ففعلوا به مثل ذلك عندهما، وأقام ببغداد يتظلم منهما، ويهجوهما.

ويقال: إنه عُد القوت فضلاً عن غيره، ودفع إلى الورقة فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجر، وركبه الدُّن، ومات ببغداد على تلك الحال بعد سنة ستين وثلاثمائة. وكان الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ يزعم أنه سمع منه ديوان شعره، وقد روي عنه: أحمد بن علي المعروف بالهائم، وغيره.

أخبرنا علي بن أبي علي قال أنشدنا أحمد بن علي المعروف بالهائم قال أنشدنا السري بن أحمد الرفاء لنفسه وكب به إلى صديق له كان أهدى إليه قدحًا حسنًا فسقط من يده فانكسر:

يا من لديه العفاف والورع      وسيمتاه العلاء والرفع  
كأسك قد فرقت مفاصله      بين الندامى فليس يجتمع  
كأنما الشمس بينهما سقطت      فجسمها في أكفهم قطع  
لو لم أكن واثقاً بمشبهه      منك لكاد الفسواد ينصدع  
فجد به بدعة فعندي من      جودك أشياء كلها بدع

ورمت بنا سَمَتَ العراق أياق  
من كل طائفة بخمس خوافق  
قلت: ويلك خلّ علم البيان وعرفني حقيقة الشأن.

قال: فجلسن على شاطئ دجلة متأسفات على الجسور، مخوفات من العبور، حذرات من ركوب السفن في هذا التيار، مشفقات من خوض ذلك الغمار، دهشات من اقتراب ذلك البحر الزخار، وأنا بحيث أراهم/[١٤/ب] وأسمع نجواهم، قال علي بن يزيد الرقاع العاملي: وكأنها بين النساء أعارها عينه  
أحور من جساء ذرّجاً سيم  
وسنان أقصده النعاس فرنقت  
في عينه سِنَّةٌ وليس بنائم  
فقلت لإحدها: لو علمنا أننا ندفع إلى هذا الخطر، وتقدم على هذا الفرر، لما تحلحلت من هذا المكان ولسلمت أمرنا الليلة إلى فلان - تعنيك بالاسم واللقب، وتأتي من شركك بالعجب - فهو يحب الضيف المفاجئ في الليل الراجي، ويميل إلى الطارق في الجنح الفاسق، يهش مبتسماً وينشد مترنماً - قال حاتم:

أوقد فلان الليل لليل قَرّ  
والريح يا واقد ريح صِبر  
عسى يرى نارك من يـمـر  
إن جلبت ضيفاً فأنت حُر<sup>(١)</sup>

(١) هذا الشعر شعر حاتم الطائي وهو عنوان الكرم وإليه المنتهى فيه في الجاهلية وهو معروف مشهور، وهو جاهلي لا إسلامي وقد ترجم له الدينوري في الشعر والشعراء (ص ٣٩) فما قال في ترجمته: هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج وأمه: عتبة بنت عفيف من طيء. وكان جواداً وشاعراً، وكان حينما نزل عرف منزله وكان ظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم نهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقدرح سبق، وإذا أسر أطلق. ومُسرّ في سفر له على عترة وفيهم أسير فاستغاث به، ولم يحضر فكأكه فساوم به العنزيين، واشتراه، وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه وقسم ماله بضع عشرة مرة. قال أبو عبيد: أجود العرب ثلاثة: كعب بن مامة وحاتم طيء، وكلاهما ضرب به المثل، وهم بن سنان صاحب زهير.

وكانت لحاتم قدور عظام بفنائه على الأئمان لا تنزل عنها، فإذا أهلّ رجب نحر كل يوم وأطعم، وكان أبوه جعله في إبل له وهو غلام فمر به عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي حزام والناطقة الزبياني يريدون النعمان فنحر لكل رجل منهم بعيراً، وهو لا يعرفهم، ثم سأله عن أسمائهم، فقسموا له، ففرق فيهم الإبل، وجاء إلى أبيه وقال: يا أبت طوقتك بجد الدهر، طوق الحمامة، وحدته بما صنع، فقال أبوه: إذا لا أسكنك، قال: إذا لا أبالي، فاعتزله.

وكانت أمه عتبة لا تليف شيئاً سحاً وجوداً، وكان إحوتها بمنعوتها من ذلك، وتأتي عليهم،

وكانت موسرة، فحبسوها في بيتها سنة برزقوتها فيه شيئاً معلوماً لملها تكف عما هي عليه إذا ذاق طعم البؤس وعرفت فضل الغنى، ثم أخرجوها، ودفعوا إليها صرمة من مالها، فأنتها امرأة من هوازن فسألتها، فقالت لها: دونك الصرمة فقد والله مسنا من الجوع ما آليت معه أن لا أمتنع سائلاً شيئاً، فقالت:

لعمري لقد عضي الجوع عضة      فآليت أن لا أمتنع الدهر جائعاً  
فقولاً لهذا اللائم الآن اعفني      فإن أنت لم تفعل نعض الأصابع  
فهل ما ترون اليوم إلا طيبة      فكيف يتركى يا ابن أُمي الطائعا  
قال عدي بن حاتم: كان حاتم رجلاً طويل الصمت وكان يقول: إذا كان يكفيك تركه فاتركه.

وقالت امراته النوار: أصابني سنة اقشعرت لها الأرض، واغبرت الأفاق، فضنت الراضيع عن أولادها فما تبيض بقطرة، وراحت الإبل حديثاً حديس، وحلقت السنة المال، وأيقنا أنه الهلاك، فوالله إني لفي صبر الليلة شديدة البرودة بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاعى أصيبتنا من الجوع: عبد الله، وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين وقمت إلى الصبية، فوالله ما سكتوا إلا بعد هداة من الليل، وأقبل يعلني بالحديث فعلمت الذي يريد فتناومت، فلما تجورت النجوم إذ شيء قد رفع كسر البيت، فقال: من هذا؟ فذهب، ثم عاد فقال: من هذا؟ فذهب، ثم عاد في آخر الليل، فقال: من هذا؟ فقال: جارتك فلانة أتك من عند أصيبة يتعاون عواء الذئاب من الجوع فما أجد معولاً إلا عليك أبا عدي، فقال: أصحبهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقامت المرأة نحمل اثنين ويمشي جنباتها أربعة كأنها نعمة حولها رثاها، فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمديّة، ثم كشط، ودفع المديّة إلى المرأة وقال شأنك الآن، فاجتمعوا على اللحم فقال: سوء أناكلون دون الصريم، ثم أقبل يأتهم يثاً يثاً ويقول: هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا، والتفع ناحية بشبه ينظر إلينا، ولا والله، ما ذاق منه مضغة، وإنه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض إلا عظم وحافر، فعذله على ذلك، فقال:

مهلاً نسوار أقلبي اللوم والعزال      ولا تقولي لشيء فأت مساً فعلاً

وإن حاصلاً أتى ماوية بنت عفر بخطبها، فوجد عندها النابغة الذبياني، ورجلا من البيت يخطبها، فقالت: انقلبوا إلى رحالكم وليقل كل واحد منكما شعراً يذكر فيه فعله ومنصبه فإني متسوجة أكرمكم وأشعركم، فانطلقوا ونحر كل واحد منهما جزوراً، ولبست ماوية ثياب أمة لها، وأتبعتهم، فأت البيت، فاستطعمته، فأطعمها ذنب جزور، فأخذتها. وأت النابغة فأطعمها مثل ذلك، وأت حاتم فأطعمها عظمًا من العجر، وقطعة من السام وقطعة من الحاراك، فانصرفت وأهدى لها كل رجل منهما باقي جزوره، وأهدى لها حاتم مثل ما أهدى لها واجد من جاراته، وصحبها النوم، فأنشدها النابغة:

هلا سألت هداك الله ما حسبي      إذ الدخان تفش الأشتط البرما  
إني أصم أيساري وأصنحهم      مثنى الإيادي وأكسر الجفنة الأدماء



وأنشدها البيهقي:

عند الشدائد ما هبت الريح  
ولا كريم من الولدان مصبح

هلا سألت هداك الله ما حسبي  
إذا اللقاح غدت ملقى أصبرها  
وأنشدها حاتم:

ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
إذا جاء يوم حلّ في مالنا نذر  
وأما عطاء لا ينهسني الزجر  
من الأرض لا ماء لدي ولا خمر  
وإن يدي بها بخلت به صفر  
أراد شراء المال كان له وفر

أماوي إن المال غاد ورائح  
أماوي إني لا أقبول لسانيل  
أماوي أما مانع فنبين  
أماوي إن يصبح صداي بفقرة  
نرى ما أنفقتم لم يك ضرني  
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا

فلما فرغوا من أنشادهم دعت بالمائدة وقدمت إلى كل رجل ما كان أطعمها، فنكس البيهقي،  
والناطقة رؤوسهما، فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدم لهما وأطعمهما مما قدم إليه فتسللا لوإذا  
فتزوجت حاتم وفيها يقول:

وما أنا من خلانك ابنه عفررا  
إذا الخبل جالت في فنا قد تكسرا  
إذا ما اتسيت والكميت المصدرا  
أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا  
وإن شرت يوما به الحرب شرا

وإني لمنحاز المطي' على الوجي  
فلا تسألني وأسألني أي فارس  
وإني لو هاب قطوعي وناقتي  
وإني كاشلاء اللجام ولن تدرى  
أخو الحرب أن عضت به الحرب عضها

وكانت من بنات ملوك اليمن. ويقال: إن عدنيا بن حاتم منها، ويقال: من النوار، وعقب حاتم من  
ولده عبد الله، وليس له عقب من الذكور غيره.  
ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

فمالي بحمد الله رب معبد  
لي المال ربنا نحمدي غبه غدا  
أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

إذا كان بعض المال ربنا لأهله  
أخذه حطايظ بن يعفر فقال:  
ذريتي أكن للمال ربنا ولا يكن  
أرمني جواذاً مات هزلاً لعلني  
ويحسن قوله:

فإنك أنت المرء بالخير أجدر  
وغيرك منهم كنت أحبو وانصر  
بموت فكنت أنت الذي يتأخر

ألا أبلغا رهم بن عمرو رسالة  
رايتك أدنى من إناس قرابة  
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا

وقوله:

هذان أخلاق أجرى من الزلال، وأرق من نسيم الشمال، وأشعار/[١٥/أ] كالسحر  
الحلال، وأخبار أطيب من ذكر ليالي الوصال. قال البحري:

من معانٍ لو فصلتها القواني هجنت شعر جرول ولبيد  
حزني مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد  
وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المرام البعدي

فقلت: منهن دواء دائل ومهدية شفائك، والله لو بتنا الليلة عنده لأحييناها سرّاً  
وجداً ولأحييناها أنساً ووصالاً، ونعمنا به وأنعمناه بالاً، ولقطعناها ليلة من أندر أيام  
الشباب، وأحلى من رُضاب الأحباب، وفزنا بمفاكته/[١٥/ب] وجرينا معه في فنون  
وعيون، وجمعنا بين ليالي والمجنون.

فقلت أخرى: إن كان عزكم صادقاً، فلن تجدوا إلا موافقاً، وأنا رسولكم إليه  
والقادمة بأخباركم عليه، فما أربحها من تجارة وأحلاها عنده بشارة، فأفوز بوده  
والصواب، وأحصل أجر الشهداء في الجمع بين الأحباب.

إن من بشر المحب بوصل وسعى في اجتماعه بالحبيب  
لجدير بكل حمدٍ وشكرٍ وثواب من المجازي المنيب<sup>(١)</sup>

فقلت أخرى: بل المصلحة أن نغشاه من غير ميعاد، ونقصده وما أخذ في استعداد،  
فيتضح لنا حاله عند مشاهدته، نقرأ ما في ضميره من أسرته/[١٦/أ] ويكون محبوبة  
البشير، ويطلع على ليل الهم قمر البدر المنير أما سمعتن ما قال يصف هذه الحال:

فإنك إن أعطيت بطنك سوله فسرحك نالا منتهى الذم أجمعاً

(١) نعم من حق البشر أن يكرم وأن يهدي وأن يثاب حيث يأتي بالسرور والفرج والبشرى بانفراج  
الكرب وذهاب الهم والغم وإقبال الفرح والسرور وحدث المرجو والمأمول، فهو دائماً بذلك  
يقدم فكيف لا يحق له أن يناله من هذا الفرج والسرور؟ وهو مفتاح ذلك الحبور، وإنبساطه  
الوجوه، وإنشراح الصدور وآخر الكدور وأول النشور، نعم إن للمُبَشِّر مكانة عند المُبَشَّر بها  
يسمو ويعلو له بها في نفسه مكانه، ويظل بعدها كلما رآه قال: هذا وجهه يأتي بالخير فهو الذي  
بشرني بكذا وكذا وهو أيضاً من حظ المُبَشَّر أن يساق الخير على يديه إلى المهمومين  
المغمومين فيخرجوا من تلك الحال إلى أسعد حال وما كان عندهم بمثابة الحلم والخيال فهو يقول  
لم ابشروا فقد صار الحلم الذي تريدون حقيقة لا خيالاً فبشرى لكم منذ اليوم وعلى الدوام.

أفندي حبيباً مثل بدر الدجى      من فوف لذن القد مَئِيْدِ  
صدوده يُذكسي غليل الجوى      والوصل يروي غُلَّةَ الصَّادِي  
رأى جنوني وغرامي به      فزارني من غير ميعاد<sup>(١)</sup>

فقالَت مصباح النواظر، وراحة الأرواح والخواطر، وصقل الأفهام، ونهاية الأقدام، ودُرَّة الغواض، وظبية القناص، وفنتة العام والخاص: أعلمنه أنه لا نجاة له من الغرام ولا شفاء من السقام وقد أسرته تلك الإشارات، وقادته إلى الهوى آياته البينات/[١٦/ب] كم ادعى لحماته يوم الحب دفناً وجرتة تلك المقامات مسلوب الفؤاد، وحملته العين على تقحم الخطر، وساقه إلى الصباية الجمال المعبر، وملكته العيون، وسلبته السكون، وأتتم إخوان الصفا، وذوات الوفا والظفر، فمثلته غنيمة باردة، ونعمة زائدة، وإهمال أمره دليل على فساد الرأي وأفته، والاهتمام بما يحفظ وُدَّ صواب تفهم المصالح من ضمنه وأنا أرى أنا متى زرنانه استحكم وجده وكمده، وغلب صبره وجلده، والمصلحة أن تُنفذ إليه من يُعرفه مواقع هذه المنَّة، ويتبعه على قطف شار الجنة<sup>(٢)</sup>.

(١) حُقَّ له أن يشكر محبوبه إذ وصله بُعدُ بُعدٍ فانظر كيف يكون الحال عند التلاقي بين العشاق بعد طول فراق وشوق أضنى من طول الإباق فهو يقول أنه يفديه بروحه شكراً له على هذه الزيارة وهذا الرصال على الرغم من ألم وطول قسوة الصدود، هذا الصدود الذي أشعل في نفسه نار الشوق وأضناها من طول السهر ومرارة البُعد وخوف عدم الصدور بعد هذا الصدود، فقد جاء هذا الوصل ليروي غليله ويطفى ظمأه ويريح فؤاده ويطمئن باله ويهدئ حاله، ويعيد إليه اتزانته، وهو يشكره إذ علم أنه علم بحاله فرق له لما رأى ما نزل به من جنون الغرام وعذاب الوجد والهيام فزاره دون أن يخبره بموعد الزيارة حتى لا يضيف إلى شوقه شوق الانتظار ولغة الترقب للوصل.

(٢) هكذا قرروا أن يعلموه بالزيارة، ولا يدخلوا فجأة كالغارة، حتى يعد للأمر عدته وينشئ له أهيته، وما يليق بهذا اللقاء المحبوب، والرجاء المطلوب والأمل المنشود فيستعد بآلات الطرب والعود ومعبها ما يليق من أسباب السعود مما يبهج الأنظار ويعطر المكان ويذهب عن الكاسل الوسنان ويوقظ الهم ويعلي في النفس العزم ويقوى على الانتباه ويشرح الصدور الكوادر والنفوس الملال ويحضر الدلال ويذهب الكلال، وكل ما هو مباح وحلال ويدعو إلى دوام الحب ويحض على الوصال وينع أسباب الهجر والفصال.

وكذا من المطعوم ما يفتح الشهية ويسعد النفس التفية ويشجع على الزيادة منه بلا خوف أو روية من مشروب ومطعوم وما يسهل تناوله ويتيسر هضمه ولا يملأ المعدة قليله ولا يشبع كثيره فهو مطلوب مرغوب غير مشبوع منه ولا يمل تناوله.

والفتت/[١٧/]] كالطبي إذا رنا، والغصن إذا اثني فرأني مستراً وأنا أردد حذراً،  
فقلت: هَلُمَّ يا غلام، واقرا أستاذك السلام، وقل: قد أظفرك حكم القدر المتاح، ونحن  
ضيوفاك إلى الصباح، فهبي جميع الأسباب وانتظرنا عند الباب، وأخل الدار من الأغيار،  
واشكر معاونة الأقدار، وأنشده عني وصرح ولا تُكثني:

جَادَ بِمَا تَطْلُبُهُ الدُّفْعُ وَزَارَ      فِي جُنْحِ الدُّجَى الْبَذَرُ  
أَخَوَى رَشِيْقُ الْقَدِّ فَاتَنَّهُ      يَخْجَلُ مِنْهُ الْغُصْنُ النَّضْرُ  
فِي لَفْظِهِ خَمْرٌ وَفِي رَيْقِهِ خَمْرٌ      وَفِي وَجْهِهِ خَمْرٌ<sup>(١)</sup>

وكذا من المسليات المنبهات الداعيات إلى جذب أطراف الحديث الشاغلات عن أدراك الوقت  
للمعشوق فالمسليات تلهي المعشوق عن إدراك الوقت الذي قطعه أما العاشق فإنه يشعر بسرعة  
سريان الوقت والمعشوق يستكثر قليل الوقت ويستطيل مدته مهما صغرت فالمسليات ملهيات  
للمعشوق مفيدات للعاشق حتى لا يهدده المعشوق من حين لآخر بأنه يريد الانصراف لتباطئه  
على أهله وذويه حتى لا يشك أحد فيه لطول الغياب وتباطؤ الإياب.

فإعلامه بالزيارة يجعله يستغل كل لحظة ويستثمرها استثماراً عاطفياً تاماً لا يضيع منها ثانية في  
عبث أو إعداء بل يكون كل شيء قد أعد له وجهه فلا يقتل فيه الوقت هباءً فتعم البهجة على  
العاشق والمعشوق إذ لا وقت إلا للثناء والمدح وبث ما في النفوس من الحب والشجو وحلو  
الكلام، ونسي الوصل، والتحذير من البعد والفصل، مما يؤكد لكلا الطرفين ما عند صاحبه له من  
المنزلة والمكانة والدرجة العالية من المحبة والمودة، فتدوم وتطول ويرجى لها الازدهار ودوام  
القبول وتبعد عن الذبول والكهول وتظل نضرة طرية بهذه اللقاعات الشبيهة الطيبة الصفية النقية إلى  
أن يتم المراد ويحصل الوصال الذي هو غاية المراد والمآل.

(١) وجب عليك أن تشكر الأقدار إذ جادت عليك بما ضمت به عليك اللبالي والأيام من وصل حبيب  
الفؤاد فطال السهاد وبعد المعاد، وكادت تياس النفس من الرقاد، فما قد جاد عليك وأقدم إليك  
من ينير عليك ليالك ويقرب عليك ساعاته ويقصر عليك طوله ويطوي عنك بعده ويقرب إليك  
طرفه من طرفه بدر تهلل وقر تجلى ونسيم أقبل وسرور أنعش قد جاءك يتهادي على غير معاد  
ولا تحقّق حصول إلا في طيف الخيال فما قد قدم عليك ومثل بين يديك وألقى سلامه عليك  
وبسط وجهه إليك وأرخى جفونه حياءً منك ومدّ يده مصافحاً لك فهل بعد هذا مطلب وفوق  
هذا غاية فقد بلغ بك من الوداد النهاية. فأجلسه بين يديك وتأمله بقلبك وعينيك وتحسسه  
بسيديك فليس حياً زائراً ولا طيفاً غائراً بل هو حقيقة حق لا مرية فيها ولا جدال ولا قول  
يحتاج إلى استدلال.

فاستمع إلى حديثه وغذوته وجرس صوته وصلصل نغمته ليس وهما ولا تهوياً بل بحس أذنك  
تسمع ومقلة عينك تنظر ومن عطره أنفك تشم أريج المحبة والبهاء من نسيم نفسه الفواح العذب

فقلت: جعلت فداك ومن أستاذي الذي أبلغه معنى هذا الكلام؟ ومن أنا من هذا الأنام؟  
ومن الذي [١٧/ب] أبشره؟ وما البشارة؟ وإلى من وقعت هذه الإشارة؟

فقالت: ويلك، عُدْ عن الإطالة، فما أنفذت إلا لهذه الحالة، فقد جاءكم ما لم يكن  
في الحساب، ولعن الله رزقاً لا يدق الباب، وقد كنتم تقنعون من العين بالأثر، ومن العيان  
بالخبر، فدع موارد النزاع والصداع، فقد كشفنا عن القناع وسارعنا إلى اللقاء مع قرب  
العهد بالوداع وأنشده:

كُنْتُ تَرْضَى بِالطَّيْفِ إِنَّ عَاوَدَ الثُّومُ      جُفُونًا كَمَا زَعَمْتَ قِصَارَ  
فَجَرَّتْ بِالَّذِي تُرِيدُ الْمَقَادِيرَ      وَوَأَفَاكَ مَنْ تُحِبُّ وَزَارَ<sup>(١)</sup>

الصراح فتجد قلبك لحدثه يرتاح ويصير في حالة من الدهول مع الانشراح لا يكاد يصدق أن  
حلمه صار حقيقة وأمله صار منلاً وغايته صارت قرية ومناه قد بلغ متناه فيها أحسن وفادته  
وأدم معزته وأدخل عليه من السرور بعض ما أدخل عليك وعوضه شيئاً ما بذله في الوصول إليك  
أليس هو الذي بدأ، فما وجب عليك حقه فأره قدره عندك ومنزلته لديك بما هو محسوس ليعرف  
به ما ليس بملموس الذي لا تعرفه إلا النفوس فبالظاهر يعرف كثيراً مما في الباطن ومن النظرات  
تقرأ الأسرار، وتظهر كثير من الأخبار فدلل له بالظواهر عما تخفيه له بالباطن والإشارات تصل  
إليه سريعاً فيشكرها بإشارات اللواحق، وربما بالفاظ صراح وقول بواح لاغموض فيه ولا تلميح.  
فأسعد باللقاء وأسعد المعشوق وأهناً بيليك واشكر ربك حتى لا يكون ذلك اللقاء إنذاراً.

(١) ثم نصحته بأن يعد لذلك اللقاء عدته ونهته إلى تجنب ما يقبض مودته والتي أهمها تخلية المكان  
من الرقباء والحساد ومن يفسد هذا المعاد ويذهب صفو القعاد، كما حذرت من إضاعة الوقت  
فيما لا فائدة فيه وما يجلب الصداع من كثرة الكلام في غير داع ونهته على أن لا بضيع الوقت  
فيما لا يغذي شجرة المحبة ويقوى أواصر الألفة ويدعم عروق المودة فإن الوقت التي ستقضيه معه  
معدود محدود فلا داعي لما لا يفيد.

وعرفته من قبيل التذكير ببعض آداب اللقاء حتى لا يغفل عن بعضها من شدة ذهوله باللقاء فنهته  
ليتنبه لا لتعلمه ولا لتعرفه ولكن لتذكره حتى لا يغفل فيؤثر ذلك على نفسها عند لقائه فمن ذلك  
أنها أمرته بالانتظار عند الباب والالتزام بأدب الترحاب من القيام على القدمين وتلقي الحبيب  
باللسان واليدين والعينين، والسعي إليه بالقدمين، وتقديم كلمات الثناء والإطراء مما له في نفس  
الضيف من الاطمئنان لحسن اللقاء حتى لا يجلس وهو خذلان أو لا يدري أمر حب به صاحب  
الدار أم ملان، فبهذه الحال يقر لنا القرار وبهنا لنا الجلوس ونحس بحسن الاستقبال وإيّاك والجدال  
فهو مهلك للوقت موغر للنفس مهيح للطباع البغيضة محفي لحسن الخصال مظهر لسوء الأحوال،  
فاغتسم الوقت في دعم الوصال وتحسين الحال ليتكرر اللقاء إذا حسن البدء في الوصال. ثم تذكره  
شعراً بأنه كان يمتنى أن تزوره طيفاً في المنام وحيداً لو تكرّر هذا الطيف لكان من أسعد الناس

فلم أملك إعادة جواب ولا إطالة خطاب، وقد سابت إليك هوج الرياح، وأنتيك في الليل بشمس الصباح/[١٨/١] فقم على قدميك وتلق بالترحاب من قدم إليك، فهذا لم يكن ببالك ولا تصوراً في خيالك، وأنشد أبياتك الأمثال في وصفك هذه الحال:

أهلاً وسهلاً بك من مؤنس      ينظرُ عن طَرْفِ الطُّلا النَّافِرِ  
أهلاً وسهلاً بك من زائرٍ      يُحجِّلُ نَوْرَ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
أهلاً وسهلاً بك يا نزهة      وراحة للقلب وللناظرِ  
رددت بالقرب زمان الصبي      وطيب عيش السالف الغابر  
وعيشة ولت على حاجرٍ      جاد الحياء السكب رباً حاجرٍ<sup>(١)</sup>

فكدت أطير فرحاً بخبره السار، وقمت مرحاً إلى باب الدار، وقلت: رحُ إلى تلقى الضيف الكريم، وعُد أمامه على خط مستقيم، واختصر الطريق واحذر/[١٨/ب] التعويق فقلبي إلى قدومه مائل، ودمع الفرح على خدي سائل فمرُ يعدو ووقفت أشدو:

إِنْ تُمْ مَا جَاءَ رَسُولِي بِهِ      غَفَرْتُ مَا أَسْلَفَهُ الدُّهْرُ  
وَإِنْ وَقَسِي الْحُبُّ بِمِسْعَادِهِ      وَبَاتَ عِنْدِي وَلَسِي الْأَمْرُ

حالا، وأنه كان يكفي هذا الوصال في طيف الخيال في أقل أوقات النوم الذي قد حرمه من طول السهاد وبعد الحبيب.

فها قد جادت عليك الأقدار بما تمنى ونختار بأوقات قصار قد وافقت فيها بالحبيب فكن له محبياً ولا تصد الوقت واغتمه فيما يطفئ شوقك ويسعد حالك في الحقيقة قبل أن ينصرم منك الوقت وتمود بك الأقدار على ما كان عليه الحال من الهجر والبعد وطول الغياب، وعناء الليالي والأيام وعودة السهاد وانتظار طيف الخيال الذي ربما مَنُ عليك فجاء وربما عاملك هو الآخر بالعناد.

(١) هذا شعر لا يحتاج إلى شرح ولا إلى توضيح فهو غاية في المباشرة والتصریح مفهم بالحلب والترحاب وشغف بقاء الأحباب معبر عما بالقلب من المودة وسعادته بالحجر السار والحبيب الزائر المفضل الذي حل عليه بالدار وصار منه الوصال بعد هجر طال، هذه الزيارة التي ردت إليه الأيام الخوالي وأعادته إلى أيام الصبا والحبور والسعادة والظهور، زيارة تفر لها العين ومنهاها القلب ويرتاح لها الفؤاد، هذه المفاجأة التي لا يكاد يصدقها مع تحقيقه تحققها بعد أن ظن ألا يعقل أن تعود هذه الأيام ولا تلك الأحوال من القرب والوصال فانعم بهذه الحال واشكر ربك على كل مال.

سَمَحْتُ بِالنَّفْسِ جَزَاءَ لَهُ إِذْ لَا يُؤْذِي حَقُّهُ الشُّكْرُ<sup>(١)</sup>

وأنا في أثناء ذلك على مثل حرّ النار من طول الترقب والانتظار، استنشقت ربّيا الوصل من جهته، وأنطلق إلى قدومه وأوبته، فإذا به قد عاد تاعسا جدّ، خائبا قصّده، مفلولا جدّ، كابيا زنّده، باديا وجومه زائدة همومه متجهمة أسرته، نائية مسرته، قد عبس وجهه، وأتجه عبوسه/[١٩/٢] وشسه غائبة وغابت شموسه وخبت نار نشاطه وانقبض بعد انبساطه:

رَدَمَقَةَ تَجَرَّى عَلَى صَحْنِ حَدِّهِ وَنَارَ الْأَسَى تُذَكِّي بِأَضْلَعِهِ جَمْرًا  
وَقَدْ صَعَّدَتْ أَنْفَاسُهُ غَيْرَاتِهِ فَمَقَلَّتْهُ غَيْرَى وَمَهَجَّتْهُ خَرَى

قلت: إيه ما الخبر؟ وأين النجوم والقمر؟ وما فعلت الشمس المشرقة الأنوار؟ ومتى يحصل اللقاء ويدنو المزار؟ وما هذا الوجوم الذي اعتراك والهم الذي أراك به على ما

(١) ما أن وصل الخبر إليه حتى كاد يطير فرحا ولم يتمالك طربا فأعاد رسوله إليه وأوصاه بحسن الإحسان إليه والتقدم بين يديه واختصار الطريق عليه وحذره من التأني أو التأخير لأن صبره لا يطيق التأجيل فهذا خبر لا يحتمل التمهيل وأمر يقتض التعجيل فهو غاية المأمول والمراد أن يزوره في بيته خبير من زار وأحب من أحب به تنبیر الحياة وتستقيم الأمور وتعتدل الأحوال وينصلح الحال ويهدأ البال، وذهب ينشد الشعر في عفوه عما سلف من قسوة الأيام وما لاقاه منها من شدة الألم على بعد الحبيب، فقد جادت عليه بعد ذلك بما يجعله ينسى لها ما أسلفت من تلك القسوة هذا له من ناحية الأيام والدمر أما من ناحية الحبيب المقاطع الجاني الماجر الذي يادر بالوصال والعودة بعد الغياب والقرب بعد البعاد، والإقبال بعد الصدود والأعراض فإنه إن رَفَى له بهذا وبات عنده الليلة فلا يجد ما يكافئه به أقل من بذل روحه إليه فإن أي شكر دون ذلك يراه أنه لا يوفيه ولا يكافئه فقد مَنْ عليه بما لم يكن يظنه يعود، ولا إليه كان يتطلع، فهو لهذا يرى أن أقل حفرقه إنما هو بذل روحه له فمهما طلب فطلبه بحباب فلمن يستجيب إن لم يجب أحب الأحاب.

ومعلوم أن من زاره حبه نكون حاله غير كل حال فأنت تراه قائما قاعداً واقفاً ماشياً ساكناً متكئاً، فهو يتصرف بغير ما دراية أو غير ما إرادة، إذ هو حريص كل الحرص على إرضائه، خائف كل الخوف من جفائه جاهدًا في إصغائه متأملاً لحركاته وسكناته قاصداً إليه بقلبه وقالبه بفكره وناظره وسعده وجسمه متمنيا إشارة منه إليه ليجعلها فور نطقه بها أو إشارته بين يديه مهما كلفه ذلك من الجهد أو العناء أو مفاضية الآخرين المهم أن يرضى المحبوب ويوفى له بالمطلوب، فإن قدر على قضاء مراده كان ساعيا جديا فيما لم يطلب ليدخل السرور عليه، وتراه مائلا بين يديه آلين من الحرير وأطوع من الخادم الذليل فهو يجد في هذا التعب راحة وفي تلك المشقة لذة لا تعد لها لذة.

أراك؟

فقال: خرجت من عندك جازماً بالتوفيق متحققاً أنني أُرهن في الطريق، فوصلت المكان فلا خير ولا عيان، فنشدتهن والباغي يُحبُّ الوجدان، فلم أطلع لمن على حبيبة<sup>(١)</sup> [ب/١٩] أمر، ولا خبرت عنهن بخلو ولا مرُ، فوقفت وقوف الشحيح أضاع خاتمه، وألقيت محلهم قفراً فكنت حاتمة، فبينما أنا مفكر في الأمر الفادح، والخطب الذي هو لنار الأسى قادح، إذ اجتاز عليّ صبيّ حين بقل عذاره وكاد يصوح ورْدُهُ وجلناره، فقال: ما لي أراك بادي الأسف، مشفقاً على التلف؟ فقلت:

إني أضللت هنا شيئاً وجئت أنشدته وتركت معهوداً فحال عما كنت أعهده.

فتبسّم الغلام تبسم ذي عجب، وقال: قد عرفت الحال فدع الطلب، فأنا جهينة الخسير<sup>(٢)</sup> ولن يخبرك عن غاب إلا من حضر فحين سمعت قوله لزمته [ب/٢٠] ملازمة

(١) يسألها من موجعة وفجيعة إذ أقبل إليه رسوله كاسف بال حزين الفؤاد بادي الحداد ظاهر الذبول يجر أذيال الخسران وحيداً فريداً لا أنيس معه ولا رفيق ولا صاحب ولا عشيق فلما رآه عرف أن زمانه ما صفى وحيبه ما وفا، فأصابته غصة جعلته في حالة من الدهول كيف صار ما صار؟ ولماذا وعد حبيبه بذلك الميعاد وعاد إلى العناد؟ هل وصله منه ريب؟ أو ظهر له منه عيب؟ أم وشى به واثق؟ أم تخطفته الأوحاش؟ وأين صار بعد مفارقة رسوله وإرساله إليه؟ أم هل أبطأ الرجعة إليه؟ فصار يضرب أحاساً في أسداس ويقرع اليد بالرأس والرجل في المداس، ياله من أمر غريب وخير عجيب لماذا عاد رسوله كاسف البال دموعه هطالة على خده مدراره، وقد كان منصرفاً من عنده سعيداً شجياً طرباً هنياً أملاً في جلب أغلى بضاعة وأكرم ضيف وأعز حبيب، وأهسى وجهه، وأحلى سيره، وأنس جلسه وأطرب محدث، وأوفى رفيق. فما له بالك ونار الأسى تحرقه وتشعل في أضلاعه فيحيلها جحراً يكو به ويلهبه ويؤذيه؟

وما ليكائه نحيب وصوته عال غريب، صدره طالع نازل وأنفاسه متلاحقة وعبراته غزيرة ساخنة متصلة السيلان بادية للعيان؟ وما لعينيه حراوان وكأنهما عينا جان من شدة الأحران؟

ماذا دهاه، وما أصابه بعد مفارته أو بلاه؟ أنقد شيئاً عزيزاً؟ أم اعتدى عليه معتد؟ أم صال عليه صائل؟ أم اغتصب ماله مغتصب أم ظلمه سلطان؟ كل هذا دار في ذهنه في لحظة واحدة لما رأى ما رأى من حال رسول قادم بغيرهم وهذه حاله. فما كان منه إلا أن قال في نفسه ليس في وسعي إلا أن انتظر حتى يقدم عليّ ويصل إليّ حتى استطلع منه الخبر وأعرف السبب الذي غير حاله.

(٢) يشير إلى المثل العربي القديم المشهور: «عند جهينة الخبر اليقين». وهذا المثل من الأمثال العربية المشهورة المدونة في كتب الأمثال والتي منها:

الأمثال النبوية (١/٥٣٦)، أمثال (٢/٤٧٤)، جمهرة الأمثال (٢/٤٤)، جمهرة اللغة (٨٩٠)، الفاخر (١٢٦)، فصل المقال (٢٩٥)، كتاب الأمثال (٢٠١)، كتاب الأمثال لمجهول



الغريم، وقلت: اهديني، هديت إلى الصراط المستقيم.

فقال: إني حين رأيت تلك الشمس المضيئة والأقمار الأرضية تبعتهن متفرجاً على جمالهن الباهر، وحسنهن الزاهي الزاهر، فلما جلسن في هذا الموضع، وقفت بمرأى منهن ومسمع، فتفاوضن فيما أرسلنك فيه، وأطمعنك في الأمر الذي تبتغيه، فدعوتك فسمعت، وحدثنك فرجعت، فقلت: من هذا السعيد الذي يقصدهن وطوبى لمرريض بعدهن، فلما غبت قمن مسرعات إلى العبور، وقلت لا بأس بالسفن مع تعذر الجسور، ودعون ملاحاً فركبن معه لجة الغمار وأقدمن بعد/[٢٠/ب] تأخرهن على تقحم الأخطار وقلن: يا فتى إذا عاد إلى هنا شخص من صفته كيت وكيت فأنشده عنا هذين البيتين برب البيت:

أَيُّهَا الْقَانِصُ مَا أَحْسَنْتَ صَيْدَ الظُّبِيَّاتِ فَإِنَّكَ السَّرْبُ وَمَا زُوِّدْتَ غَيْرَ الْحَسَرَاتِ

وقل له: أردتم أن تعرفونا وتوهمتم أن تحذرونا فكابلناكم صاعاً بصاع وجريناكم عن خداع بخداع والبادي أظلم، كما يقال؛ وإن كنا نساءً فما يجب أن يقهرنا الرجال، ومثلنا لا يسمع كذا عاجلاً بالوصول<sup>(١)</sup>:

(٧٤) واللسان (٩١/١٣) (مادة جفن)، (١٠١/١٣) مادة جهن) والمنقصي (١٦٩/٢)، وجمع الأمثال (٣٩٩/١)، (٣/٢) الوسيط في الأمثال (١٢٠)، موسوعة أمثال العرب (٤/ ٣٩٠) والمثل عدة ألفاظ هي: عند جُهَيْنَةٍ (أو عند جُهَيْنَةٍ، أو حُفَيْنَةٍ) الخبر اليقين.

وحفينة أو جُهَيْنَة هذا هو رجل خُمَار اجتمع عنده رجلا فسكر، ثم توابا، فقام رجل يصلح بينهما فقتله أحدهما، فأخذ أهل القتل الرجلين، وذهبا هما إلى الحاكم فادّعى كل منهما أنه لم يقتل الرجل، فقال الحاكم هذا المثل. والمعنى: أن عليكم بجهينة أو حفينة أو حفينة فإن عنده الخبر من القتال.

وقيل: أصله أن حصيل أو حصين بن عمرو ابن معاوية الكلابي خرج ومعه رجل من جهينة يدعى الأخنس، فقتل الجهني الكلابي وكانت أخته أو امرأته تبكيه في المواسم فقال الأخنس (من الوافر):

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَاكِبٍ وَعَنْدَ جِهَيْنَةِ الْخَبَرِ الْيَقِينِ

وهو مثل يضرب لمن يطالع على حقائق الأمور أو إليه مآل الأمر أو من هو قائم على حقيقة الشيء الذي يختلف فيه أناس إذ أن كثيراً من الأمور يشوبها الغموض عن كثير من الناس وهي واضحة جلية لو أن أحدهم كلف نفسه سؤال أهلها دون غيرهم، فهذا تكشف الغمة وتجلي الأمور وتظهر الحقائق ونقل الشائعات ويبرأ المتهم ويعطى كل ذي حق حقه وتهتد الأمور ويذهب الاضطراب.

(١) لقد انصرفن وتركن خلفهن رسالة أظهن بها مشاعر العاشق وشوقه إليهن أكثر من شوقه الأول ولقنه درساً في الحب والعشق شديداً وقوياً متيناً ياله من درس لا ينساه وبلغ منهن إلى مثناه،

لَا بُدَّ قَبْلَ الْوَصْلِ مِنْ جَفْوَةٍ      تُذَكِّي غَلِيلَ الشُّوقِ وَالْوَجْدِ  
لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْحَقِّ لَمْ يَكْذُ      يُفَرِّقْ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّدِّ  
وَلَيْسَ يَذَرِي لَذَّةَ الْقُرْبِ مَنْ      لَمْ يَشْكُ يَوْمًا أَلَمَ الْبُعْدِ

وميعادنا ميعادنا، وعلى الله اعتمادنا، ثم أمرن الملاح بالجذف، وصرن في الجانب الشرقي، أسرع من رجع الطرف، وقد عرفت أنك مخدوع والأمر إليك في الرجوع. فلما وقفت على الجملة والتفصيل، وتحققت أنها سوفت بالأباطيل عدت إليك بقلب كتيب وصبر سليب.

فحين فهمت مقاله عدت الجلد والاصطبار، واستنجدت الدموع الغزار، وعدت قلقاً إلى الدار، وطال عليّ الليل فهو سنة، وما ألم بعين نوم ولا سِنَّة<sup>(١)</sup>:

فكذا يكون كيد النساء بالرجال بُعِدَ وَبُعِدَ ثُمَّ وَصَالَ، ثُمَّ هَجَرَ وَهَجَرَ ثُمَّ قَرَّبَ وَدَلَالَ، فَقَدْ أَشْعَلْنَ فِي نَفْسِهِ الشُّوقَ لِلْقَاءِ، وَحَرَمْنَهُ مِنْهُ حَتَّى يَسْمِيَ جَاهِذَا وَرَاءَ تِلْكَ الْغَايَةِ وَهَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ، وَيَعْرِفُ بَعْدَ الْوَصُولِ كَيْفَ كَانَ الْجَهْدُ الْمَبْذُولُ فِيحَافِظُ عَلَى الْخَصُولِ وَلَا يَبِيعُ سَرِيعًا وَلَا يَتْرِكُ سَفْهًا.

لقد لئمه على الترك عند إمكان الاقتناص وعزرنه بهذا الانتظار وذلك القرار ليعرف كيف يتعامل مع بنات الهوى وربات العشق والدلال ثم تركن له رسالة شعرية يَبَيِّنُ له فيها أن هذه من أصول صعة الدلال.

(١) في الشعر الذي تركنهن والقول الذي سرده جمال وعزاء ونصح ووفاء وأمل ورجاء فقد قلت له أن من دواعي دوام الحب واستمراره وطول عمره أن يتحلله الجفا أو البعد أو شيء من الصد وكل هذا ليس حقيقة، ولكنه مصنوع من صانع ماهر والآخر مخدوع ظاناً أنه حقيقة فيخاف من الفراق والسوماق ويخشى عدم التلاق والآخر يعلم أنه يلهب مشاعره ليقوى حبه ويصهر شوقه ويعرفه قسيمة ما يسمى إليه بالجهد في الحصول عليه حتى إذا علم أن صاحبه قد صار على ما يرام وصله بحساب وقدر وكان منه عل حذر حتى لا يكتشف السر ولا يهيم الكبر، فأجذني في نصحه بما تركن له من شعر وقد أجاد رسوله في سرد القصة ووصف حاله وحالهن وعودته إليه بهذه الصفة فقد أملنه بما أملن فقال له أنهن صادقات العهد فميعادهن ميعاد لن يخلف وسوف يفين به ولن يخلف على الرغم من خلفهن لوعده الأول فقد بررن سبب هذا الخلف، حيث إنه لصالح الحب والعشق وأنه من أصول الحب ودواعيه وأنه صفة بها يتصف المعشوق ليقوى الشوق، كيف والمعشوق من النساء اللواتي هن أصل لهذا الداء الذي إن لم يفعلنه فقدن قدرًا كبيرًا من حفتن وجساهن، فالخلفة والجمال في الدلال، وأصل الدلال والخنداع والخيال والرواغ والمنع والامتناع الذي كلما كثر زاد الحب وعلا التمني ولحت الرغبة والتهبت المشاعر وتداعت الخواطر وسرحت النواظر وتاهت الأفكار وحار في الأمر الشطار، مع ملاحظة أنه منهن بقدر يعرفنه فلا يزدن عنه

وطالَ عَلىَ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُ  
من الطولِ موصولٌ به الدهرُ [٢١/١]  
وشرعت في مسامرة القمر، وقلت هل من عون على السهر، وأنشدت عند تراكم  
المهموم والفكر:

أيها النائمون حولي أعيونني      على الليل حِسْبَةً واتجاراً  
حدثوني عن النهار حديثاً      وصِفْهُ فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَاراً  
وخاطبت الليل الطويل وقد لازمت العويل:

يا ليل طـل أو لا تطل      لا بُدَّ لي أن أسـمـهـرك  
لو بات عندي قـمـري      ما بت أرغـى قـمـرك

### [قولهم في الليل] <sup>(١)</sup>

ولهم في طول الليل وقصره وُبعد ما بين عِشائِهِ وَسَجَرِهِ معانٍ رائعة وأوصاف ناصعة،  
وأولهم وصفاً وأعرهم وصفاً امرؤ القيس <sup>(٢)</sup> حيث يقول:

حتى لا يفلت منهم الصيد ولا يطير منهم العصفور فهن يجدن التمتع وهن الراغبات، ويشكين  
وهن الظالمات.

(١) زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

(٢) امرؤ القيس هو ابن حجر بن عمرو الكندي، من فحول الشعراء مشاهيرهم ودواوينه في الصدارة،  
وقد ترجمت له كثير من المصادر وأنا أذكر هنا بعضاً مما ذكره ابن قتيبة الدينوري في كتابه الشعر  
والشعراء (ص ١٦) إذ يقول:

هو من أهل نجد من الطبقة الأولى وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد.

قال ليبد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح -يعني امرأ القيس-.

وملك حجر على بني أسد فكان يأخذ منها شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار إليها، فأخذ ثروتها،  
فقتلهم بالعصي فسموا عبيد العصا، وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص، فقام بين يدي  
الملك فقال:

يا عين ما بكِ فابكي بني      أسد هم أهل الندامة  
أهل القباب الحمر والنعم      المـسـؤـل والمـدـامـة  
مهلاً أبـيت اللـعن مهلاً      إن فـيـمـا قـلـت آمـه  
إلى أن قال:

أنت المـلـيـك عـلـيـهـم      وهـم العـبـيد إلى القـيـامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من هامة تكهن  
 كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي فقال: يا عبادي، قالوا: ليك ربنا، فقال: من الملك إلا صهب  
 الفلاب غير المغلب في الإبل كأنها الريرب، لا يعلق رأسه الصحب، هذا دمه يتشعب، وهو غداً  
 أول من يسلب؟ قالوا: من هو ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية أنباتكم أنه حجر ضاحية.  
 فركبت بنو أسد كل صعب وذلول فما أشرق لهم الضحى، حتى انتهوا إلى حجر، فوجدوه نائماً  
 فذبحوه وشدوا على هجائه واستاقوها.

وكان امرؤ القيس قد طرده أبوه لما صنع في الشعر بغاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً  
 فلم يصل إليها، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان.  
 ((فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل)) فلما بلغ ذلك حجراً أباه، دعا مولى له يقال له ربيعة، فقال  
 له: اقتل امرؤ القيس واتني بعينه، فذبح جوزراً، فأتاه بعينه، فقدم حجر على ذلك فقال: أبيت  
 اللعن، إني لم أقتله، قال: فانتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جيل وهو قوله:  
 فلا تترك يا ربيع هذه      وكنت أراي قبلها بك واثقا  
 فرده إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ثم إنه قال:

ألا عم صباحاً أبها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه، فطرده فبلغه مقتل أبيه وهو يدمون فقال:

تطاول الليل علينا دمون      دمون إننا معشر يمانون

وإننا لأهلنا عجبون

ثم قال: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً امر، ثم  
 قال:

خلي لي ما في اليوم مصحى لشارب      ولا في غسد إذ كان ما كان مشرب

ثم أتى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى يئس لأبيه، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقت لبرق بليل أهل      بضئ سناه بأعلى الجبل

يقتل بني أسد رهم      ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجأوا إلى كنانة فأوقع بهم ونجت بنو كاهل من بني  
 أسد فقال:

يا لهف نفسي إذ حظين كاهلاً      القاتلين الملك الحلاحلا

تالله لا يذهب شيعتي باطلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبى عليه ذلك الشعراء وقال عبيد بن الأبرص:

يذاذ المخوفنا بقتل أبيه      إذلالاً وحياً

أزعمت أنك قد قتلت      سراتنا كذباً ومينا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر فدخل معه الحمام فإذا قيصر أثلف

فقال:

إني حلقت بمينا غير كاذبة      بأنك أفلسف إلا ماجن القمر  
إذا طعنت به مالت عماسته      كما تجمع تحت الفلكة الوبر

ونظرت إليه ابنة قيصر فعمشقه، فكان يأتيها وفطن الطماح بن قيس الأسدي لها، وكان حجر قد قتل أباه فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعا فبعث قيصر في طلبه رسولا فادركه دون أنقرة بيوم ومعه حلة مسمومة فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه ونفطر جسده، وكان يحمله جابر بن حنين التغلبي فذلك قوله:

فأما تريني في رحالة جابر      على جرح كالقمر نحقق أكفاني  
فيا رب مكروب كررت ورايه      وعان فككت الفل منه ففادني  
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه      فليس على شيء سواء بخزان  
وقال حين حضرته الوفاة:

رب خطيئة عـمـيرة      وطعنة مـسـحـفـرة  
وجفـسنة متعـنـجرة      تبقي غـلـداً بأنـفـره

قال ابن الكلبي: هذا آخر شيء تكلم به ثم مات قال أبو عبد الله الجمعي: كان امرؤ القيس ممن يتعمر في شعره، وذلك قوله:

((تمثلك حبلى قد طرقت ومرضع)) وقال: ((سوت إليها بعد ما نام أهلها))، وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأنني غداة البين لما تحمّلوا      لدى سمرات الحبي ناقف حمنظل  
وقد أجاد في وصف الفرس:

مكبر مفرّ مقبل مدبر معا      كجلمود صخر حطه السيل من علي  
ومما يعاب عليه في شعره قوله:

إذا ما الثسريا في السماء تعرضت      تعرض أنساء الوشاح المفصل

وقالوا: الثريا لا تعرض وإنما أراه أراد الجوزاء فذكر الثريا على الغلط كما قال الآخر: كأحر عاد، وإنما هو: كأحر هود، وهو عافر الناقة قال يونس النحوي: قدم علينا ذو الرمة من سفر وكان أحسن الناس وصفاً للمطر فاختار قول امرئ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطيف      طبق الأرض تجري وتندر

أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ فضلوا الطريق، ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعض القوم:

لمسا رأيت أن الشريعة همما      وأن البياض من فرائصها دامي

[٢٢/١] فقلتُ له لما تطى بصلبه  
ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجل  
فيا لك من ليلٍ كأنْ نجومه  
كانُ الثريا علقَتْ في مصامها  
وأردفَ أعجازًا ونساءً بكلِّ كلٍ  
بصبح وما الإصباحُ فيكَ بأمثل  
بكلِّ مغارِ القتلِ بيذبل  
بأمراسٍ كتابٍ إلى حُمٍّ جندلٍ  
فإنه أتى بالمعنى المبتدع وكان مخترعًا فأحسن فيما اخترع.  
وقال النابغة<sup>(١)</sup>:

تيمت العين التي عند حارج  
يفيء عليها الظل عرمضا طامي  
فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس فقال: والله ما كذب، هذا حارج عندكم، وأشار  
إليه فمشوا على الركب، فإذا ماء غرق، وإذا عليه العرمض والظل يضيء عليه، فشربوا وملكوا  
ولولا ذلك لهلكوا.  
ومما يمتثل به من شعره قوله:  
وفاهم جدهم يبنى أبيهم  
وبالأشقين ما كان العقاب  
وقوله:  
وقد طوفت في الأفاق حتى  
رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) هو: زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة، ويقال: أبا شامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة الذبياني  
وزهيرًا. وقال الدينوري في الشعر والشعراء (ص ٢٠) في ترجمة النابغة الذبياني: قال شعيب بن  
صخر: سمعت عيسى بن عمرو ينشد عامراً بن مالك المسمعي شعر النابغة، فقلت: يا أبا عبد الله  
هذا والله الشعر لا قول الأعشى:

لستنا تقاتل بالمعصي  
ولا نرامسى بالحجارة  
ويقال كان النابغة أحسن الناس ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزمهم بيتاً كان شعره كلاماً  
ليس في تكلف ونيغ بالشعر بعد ما احتكك، وهلك قبل أن يهتر، قال: وكان يقوى في شعره فعب  
ذلك عليه ولسمعه في غناء:

من آل مية رائح أو مفتدي  
عجلان ذا زاد وغير مزود  
زعم البوارح أن رحلتنا غداً  
وبذلك خبرنا الفسراب الأسود  
فقطن ولم يعد. قال الشعبي: دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد  
الملك فقال: من أشعر الناس؟ قال: أنا فاظلم ما بيني وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟  
فعب عبد الملك من عجلتي فقال: هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذي يقول:

هنا غلام حسن وجهه  
مستقبل الخير سريع الستام  
للحارث الأكبر والحارث الأصغر  
والأعرج خير الأنسام

ثم هلند و هلند و قد  
 ستة أبائهم ما هم  
 ينسجج في الروضات ماء الغمام  
 هم خير من يشرب صفو المدام  
 فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين النابغة أشعر منه، فقال لي عبد الملك ما تقول في النابغة؟  
 فقلت: قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرة خرج وبياه وفد عطفان، فقال: أي شعرائكم الذي يقول:

أتيسنك عارياً خالقاً ثيابي  
 على خوف تظن بي الظنون  
 فألقست الأمانة لم تخنها  
 كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة، قال فأي شعرائكم الذي يقول:

حلفت ولم أنرك لنفسك ريبة  
 وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا: النابغة، قال: فأي شعرائكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي  
 وإن خللت أن المتأى عنك واسع

ويروي وازع قالوا: النابغة. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال حسان: وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته، فأجازني وأكرمني فإني لجالس عنده ذات يوم إذ صوت من خلف فيه يقول:

أنام أم يسمع رب القبة  
 يا أوهب الناس لعنس صلبه  
 ضمرابة بالمسشر إلا ذبـة  
 ذات نجاء في بديها جذبه

قال أبو شامة: فدخل فأنشده قصيدته التي على الباء، والتي على العين، وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولم يكن بأرض العرب يعير أسود إلا له فأمر له منها بمائة يعير معها رعاتها وكلابها فلم أدر، أحسده على جودة شعره أم على جزيل عطيته. قال أبو عبيدة عن الوليد بن روح قال مكث النابغة زمناً لا يقول الشعر، فأمر بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه، فلما نظر إلى الناس قال:

المرء يأمل أن يعيش  
 وطول عيش ما يضره  
 تفني بي شاشته ويفني  
 بعد حلسو العيش مره  
 ونخونه الأيسام حتى  
 لا يرى شيئاً يسره  
 كم شامت بي إن هلكت  
 وقائـل لله دره

ومما يتمثل به من شعر:

نيسبت أن أبا قابوس أوعديني  
 ولا فسرار على زار من الأسد

همل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان.....

ويقال إن النابغة هجا النعمان فقال:

قبيح الله ثم ثني بلعن  
 وارت الصائع الجبان الجهولا

والصائع هو عطية أبو سلمى أم النعمان، وكانت العرب تضرب أمثالا على السنة الهوام قال

وَلَسَيْلِي أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَإِكِيبِ

كَلَيْسِي لَهُمْ يَا أَسِيْمَةَ نَاصِبِ

وقال سويد بن أبي كاهل<sup>(١)</sup>:

المفضل الضبي: يقال: امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غلبت عليها فخرج أخوان يريدانها فوثبت على أحدهما فقتلته فتمكن لها أخوه في السلاح.

فقال: هل لك أن تؤمن فأعطيك كل يوم دينار فأجابه إلى ذلك حتى أتى ثم ذكر أحاه فقال: كيف يهنأني العيش بعد أخي فأخذ فأساً وصار إلى جحرها فتمكن لها فلما خرجت ضرها على رأسها فأثر فيه، ولما يمين، ثم طلب الدينار حيث فاته قتلها، فقالت: إنه ما دام هذا القبر بفنائني وهذه الضربة برأسي فلست أملك على نفسي فقال النابغة في ذلك.

فصيح ذا مال ويقتل وآثره  
وللسير عين لا تغمض ناظره  
رأيتك غداراً يمينك فاجسره  
وضربة فأس فوق رأس فاحره

تذكراني يجمع الله فرصة  
فلما وقبها الله ضربة فأسه  
فقال معاذ الله أعطيك إنسي  
أبي لي قبر لا يزال مقابلي  
ومما أخذ منه قوله:

عبد الإله حرورة المتعبد  
ولخالها رشدا وإن لم يرشد

لو أنها عرضت لأشحط راهب  
لرنا لهجتها وحسن حديثها  
أخذ ربيعة بن مقروم الضبي فقال:

في رأس مشرفة الذرى متبتل  
ولهم من ناموسه يستنزل

فلو أنها عرضت لأشحط راهب  
لرنا لهجتها وحسن حديثها

(١) هو: سويد بن أبي كاهل بن أبي غطف من بني يشكر، وكان الحجاج تقتل يوم رستفاذ على المنبر بأبيات من شعره وهو قوله:

قد صني لي موتاً لو يطع  
عسراً مخرجه ما ينتزع  
فلذا أسمعته صوتي أنقمع  
ومتى ما يكف شيئاً لم يضع  
فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع  
وإذا يخلو له الحمسى رتع  
تعدت أرض عليه فانتجع  
جلجل الرأس مثيب وصلع

رب من أنضجت غيظاً قلبه  
ويسراني كالشجي في حلقه  
مزبد يخطر ما لم يرني  
قد كفاني الله ما في نفسه  
لم يضرنني غير أن يحسدني  
ويجيبني إذا لاقيته  
هل سويد غير ليث حصادر  
كيف يرجون سقاطي بعدما  
وفيها يقول:



عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ وَرَجَعَ

كُلَّمَا قُلْتُ ظَلَامٌ قَدْ مَضَى

وقال بشار بن برد<sup>(١)</sup>:تنزل الأعصم من رأس السيف  
لسو أرادوا غيره لم يستطيعودعوت بـرقاها إنـها  
تسمع الحداث قسولاً حسناً  
(الشعراء والشعراء من ٩٦).

(١) قال الدينوري في الشعر والشعراء (ص ١٧٧): هو مولى لابن عقيل ويقال لبني سدوس، ويكنى أبا معاذ، وكان يرمى بالزندقة، وله شعر حسن في ذم الدنيا مثل قوله:

من سيقضي عيس يوم يطول  
عن وقوف برسم دار محيلكيف ييكي لمحيس وطلول  
إن في السبع والحساب لشغلاً

وبشار من المطبوعين الذين كانوا لا يتكلمون الشعر وحضر يوماً عند عقبة بن سلم وعقبة بن رؤبة يشد أرجوزة فاستحسنها بشار، فقال هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ، فغضب بشار وقال: لمثلي يقال هذا؟ والله لأننا أرجز منك ومن أيك ومن جدك، ثم غدا على عقبة بقصيدته التي أولها:

بالله خبر كيف كنت بعدي

يا طلل الحى بذات الصمد  
وفيه يقول:ثم انشئت كالنفس المرتد  
أدرك حظاً من سمي بجند  
وليس للملحف مثل الرد  
حملته في رقعة من جلديضنت نجد وجلت عن خسد  
ما ضر أهل النوى ضعف الكد  
الحسر يلحى والعصا للعبد  
وصاحب كالرمل الممد  
أخذه من الذي يقول:

ولا تدفع الموت النفوس الشحانح

يودون لو خاطراً عليك جلودهم  
وكان بهاجي حماد بن عجرد، وفيه يقول حماد:

إذا مسسا عمي القرد

وبأ أقبح من قرد  
وفيه يقول:لئن كنت جلدته العنبر  
تحول المسك عليه خرالو طلعت جلده عنبراً  
أو طليته مسكاً سحيقاً إذا  
ومن حيث هجائه قوله:فلم تلقه إلا وأنت كمين  
وفي كل معسوف عليك يمينإذا جئت للمرف أغلقه بابيه  
فقبل لأبي يحيى متى سندرك العلا

حَلَيْسِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا يَزْخَرُخْ وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصُّبْحِ لَا يَتَوَضَّعُ  
[٢٢/ب] أَضَلَّ النَّهَارُ الْمُسْتَنِيرَ طَرِيقَهُ أَمْ الذُّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ  
وقال جُحْظَةُ<sup>(١)</sup>:

(١) مصادر ترجمته من سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٥): الفهرست (٢٠٨)؛ تاريخ بغداد (٦٥/٤)، الأنساب (١٧٠/٢)، المنتظم (٢٨٣/٦)، معجم الأدباء (٢٤١/٢)، وفيات الأعيان (١٣٣/١)، المعبر (٢٠١/٢)، الواقي بالوفيات (٨٦/٦) مرآة الجنان (٢٨٨/٢)، البداية والنهاية (١٨٥/١١) لسان الميزان (١٤٦/١)، النجوم الزاهرة (٢٥٠/٣)، قال الخطيب في تاريخ بغداد:  
أحمد بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمّل أبو الحسن النديم المعروف بجحظة. كان حسن الأدب قصير الرواية للأخبار متصرفاً في فنون جمة، عارفاً من العلوم بصناعة النجوم حافظاً لأطراف من النحو واللغة مليح الشعر مقبول الألفاظ، حاضر النادرة، وأما صناعته من الغناء فلم يلحقه فيها أحد. روى عنه شيئاً من أخباره وبعض شعره أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، وأبو عمر بن حيوية، والمعالني بن زكريا، وأبو الحسن بن الجندي، وغيرهم.  
.... حدثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني من حفظه قال: حدثنا جحظة قال:

اتصلت عليّ أضاقة انفقت فيها كل ما كنت أملكه حتى بقيت ليس في داري غير البواري فأصبحت يوماً وأنا أقنّس من طنبور بلا وتر كما يقال في المثل. ففكرت كيف أعمل؟ فوقع لي أن أكتب إلى عبدة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بستين ولزمت بينه وحالفه القفرس فأزمته حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في عفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف كبر النفس، وعظم النعمة، ومواصلة الشرب والقصف - وأن أتطايب عليه ليدعوي وأخذ منه ما أنفقته مدة وكتبته إليه:

مَآذَا تَسْرِي فِي جُودِيْ وَفِي غَضَارِ مَـوَاردِ

وَمَسْمَعُ لَيْسَ يَخْطُبِيْ مِنْ نَسْلِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ

فما شعرت إلا بمحفة بحمرة يحملها غلمانة إلى داري وأنا جالس على باي، فقلت له: لِمَ جئت ومن دعاك؟ قال: أنت، فقلت له: إنا قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعشيت في بيتك، وما قلت لك أنه في بيتي وبيني والله أنزع من فؤاد أم موسى. فقال: الآن قد جئت ولا أرجع ولكن أدخل إليك واستدعي من داري ما أريد. قلت: ذلك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر يصيح، هذا ضر مدمع، ما هذا؟ فقلت هو ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعي فرشاً، وآله، وقماشاً، وغلماناً، وجاء فرأشوه، ففرشوا ذلك، وجاء وأمن السُّفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباحه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير بالآت ذلك، وحاشر ابنه بالصواني والمخروطة، والفواكه وآله التبخير والبخور، وألوان الأئبذة، وجلس يومه ذلك وليلة يشرب على غنائي، وعلى غناء مغنية أحضرتها له كنت ألقها، فلما كان من غد سلم إلى غلامه كبساً فيه ألفا درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من مفاخر الثياب، واستدعي

وَلَيْلٍ فِي كَوَاكِبِهِ جِرَانٌ  
عَدِمْتُ مَحَاسِنَ الْأَصْبَاحِ فِيهِ  
فَلَيْسَ يَطُوُلُ مُدَّتُهُ انْقِضَاءُ  
كَأَنَّ الصَّبْحَ جُودٌ أَوْوَقَاءُ  
وقال أبو هلال العسكري<sup>(١)</sup>:

عفته فجلس وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن، قال: مكاتك يا أبا الحسن احفظ بابك فكل ما في ذلك لك فلا تدع أحدا يحمل منه شيئا، وقال للفلمان: اخرجوا فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة.

... عن طلحة بن محمد الشاهد: أن حجلة توفي سنة أربع وعشرين ثلاثمائة، قال غيره: وكان مولده في شعبان من سنة أربع وعشرين ومائتين.

(١) هو: الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكري الإمام المحدث الأديب العلامة، ومصاد، كثيرة قد ترجمت له لشهرته، وأنا أذكر منها هنا على سبيل المثال: ذكر أخبار أصفهان (٣٣/٨)، معجم البلدان (١٢٤/٤)، أنباه الرواة (٣١٢/١)، المختصر في أخبار البشر (١٣٣/٢)، العبر (٣/٢٠) تاريخ الإسلام (٤٥٥ ب) الوافي بالوفيات (٧٦/١٢)، مرآة الجنان (٤١٥/٢)، البداية والنهاية (٣١٢/١١)، السجود الزاهرة (١٦٤/٤) بغية الوعاة (٥٠٦/١)، شذرات الذهب (٣/١٠٢) روضات الجنان (٢١٦)، هدية العارفين (٢٧٢/١)، أعيان الشيعة (١٤٠/٢٢) الرسالة المستطرفة (٥٤)، وسير أعلام النبلاء (٤١٣/١٦) وقال في ترجمته:

صاحب التصانيف، سمع من عبدان الأهوازي، وأحمد بن يحيى التستري، وأبو القاسم عبد الله بن محمد اليفوي وأبي بكر بن أبي داود، ومحمد ابن جرير الطبري، وأبي بكر بن أبي داود، ومحمد ابن جرير الطبري، وأبي بكر بن زباد، والعباس بن الوليد الأصفهاني وطبقتهم.

حدث عنهم أبو سعد الماليني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الزبيدي الأصفهاني، وأبو الحسن علي بن أحمد النعمي، وأبو الحسين محمد بن الحسن الأهوازي، والمقرئ أبو علي الحسن بن علي الأهوازي، وابن نعيم الحافظ، وأبو بكر محمد بن أحمد الوادي، وعبد الواحد بن أحمد الباطرقاني، وأحمد بن محمد بن زنجوية، ومحمد بن منصور ابن حنكاه التستري وعلي بن عمر الأيدجي وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر التستري السقطي، وآخرون.

قال الحافظ أبو طاهر السلفي: كان أبو أحمد العسكري من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم، والشجر في فنون الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف، ألف كتاب «الحكم والأمثال» وكتاب «التصنيف» وكتاب: «راحة الأرواح» وكتاب: «الزواجر والمواعظ» وعاش حتى علت به السن، واشتهر في الأفاق انتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان، وكان يملئ بالعسكر ويتستر ومدن ناحيته.

أخبرنا بنسبه أبو علي الحسن بن علي أخبرنا جعفر بن مثير أخبرنا أبو طاهر الحافظ حدثنا الحسين بن الطيوري أخبرنا أبو سعيد الحسن بن علي السقطي بالبصرة حدثنا أبو أحمد الحسن بن

عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد حكيم العسكري إملأ سنة ثمانين وثلاثمائة بستر، فذكر  
بحال من أماليه، قال السلفي: هي عندي ولما توفي رثاه الصاحب بن إسماعيل بن عباد فقال:  
قالوا: مضى الشيخ أبو حمد وقد رثوه بضروب السندب  
فقلت: ماذا فقد شيخ مضى لكنه فقْدُ فنون الأدب

أَرخَ أبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري اللغوي وفاة أبي أحمد في يوم الجمعة لسبع  
حلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائة. قلت: أظنه جاوز التسعين انتهى قول الذهبي في  
صاحب الترجمة. قلت: وأظن أن المراد ليس هو من ترجمت له ولكن أحسب أن المراد وهو:  
الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال اللغوي العسكري قال أبو  
طاهر السلفي: وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه واسم أبيه اسم أبيه وهو عسكري أيضاً، فربما  
اشتبه ذكره بذكره فإذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأدب فهو الحسن بن عبد الله بن  
سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال اللغوي العسكري نسبة إلى عسكر مكرم.

وقد وجدت في شذرات الذهب كنية الآخر تغاير كنية هذا، فهنا أبو هلال وذاك أبو أحمد قال أبو  
طاهر سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس إلا بيوري رحمة بهمدان عنه، فأنشئ عليه  
ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال: كان يبرز (يتبرز) احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، وكان  
الغالب عليه الأدب والشعر. روى أبو الغنائم ابن حمادة المقرئ إملاء قال: أنشدنا أبو هلال  
الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه:

فقد تخطاك شـباب	وتفـشاك مـسـشـيب
فأنسى ما ليس يمضى	ومضى ما لا يزوب
فأتاهب لـسـقام	ليس يشفيها طـبيب
لا تـوهمه بعـيداً	إنما الأني قـريب

ومن شعر أبي هلال في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة قوله:

وغـيوم مطـررات الحواشي	بومض مسن البروق وخـفـر
كلما أرخت السماء عُـراها	جمع القطر بين سفل وعُلـو
وهي تعطيك حين هبت شـمـالاً	برد ماء فيها ورقـة جـو
وترى الأرض في الملاءة تلج	مثل ريط لبسته فوق فرو
فاستعار المزارع منها لباساً	سوف يُمنّتي من الرياح بـصـو
فكان الكافور موضع تررب	وكان الجُمان موضع قـرد
ولـيالٍ أطلن مُـدَّة درس	مثلما قد مددن في عمر لهُـمـو

وقد روى عن أبي هلال أبو سعد السمان الحافظ بالري وأبو الغنائم ابن حماد المقرئ.

ومن مؤلفات أبي هلال العسكري الكثيرة أذكر:

- ١- كتاب التلخيص.
- ٢- كتاب صناعتي النظم والنشر.
- ٣- جمهرة الأمثال.
- ٤- معاني الأدب.
- ٥- كتاب التبصرة.
- ٦- شرح الحماسة.
- ٧- الدرهم والدينار.
- ٨- إعلام المعاني (في معاني الشعر).
- ٩- الفرق بين المعاني.
- ١٠- ديوان شعر.
- ١١- نواذر الواحد والجمع.
- ١٢- من احتكم من الخلقاء إلى القضاة.
- ١٣- الأوائل.
- ١٤- المحاسن (تفسير القرآن في خمسة مجلدات).
- ١٥- العمدة.
- ١٦- فضل العطاء على العُسر.
- ١٧- وما تلحقه فيه الخاصة.

وزاد صاحب البغية على هذه الكتب رسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة. ويبدو أن المؤلف رحمه الله كان رفيق الحال، وكان يكتسب قوته بكده، نلمح ذلك في شعره الذي ضاق فيه بالحياة وتبرم بأهلها، وروى ياقوت في معجم الأدباء عن أبي طاهر السلفي قال: ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحّد بتستّر قال: أنشدنا أبو حكيم العسكري اللقوي قال: أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه بالعكر:

إذا كان مالي مال من يلفظ العجم      وحالي فيكم حال من حاك أو حجم  
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى      وما ربحت كفي من العلم والحكم  
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالي      فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم  
كذلك تدل الآيات الآتية على أنه كان يمارس البيع والشراء بنفسه، وأنه كان في مجتمع لا يقدر العلماء والأدباء فهو يقول:

جُلّوس في سوق أبيع وأشتري      دليل على أن الأنعام فرود  
ولا خير في قوم تذل كرامهم      ويعظم فسبهم نذلهم ويسود  
ويهجوهم عن رثانة كسوتي      هجاء قبيحاً ما عليه مزيد  
قال ياقوت في معجمه:

غَابُوا فَلَمْ أَذِرْ إِلَّا فِي مَسْ  
لَيْلِي لَا يَتَغَيَّرُ حَرًّا كَا  
مَنْ الـوَجْدِ أَوْ جُنُونُ  
كَأَنَّهُ أَذَمَّ حَرُونَ  
وقال سيدوك:

عَهْدِي بِـ وَرَوَّاءِ الْوَصْلِ يَجْمَعُنَا  
فَالآنَ لَيْلِي مُذْبَا تُؤَادِّيْتَهُمْ  
واللَّيْلِ أَطْوَالُهُ كَاللَّمْعِ بِالْبَصْرِ  
لَيْلُ الْعَزِيزِ فَصَبَّحِي غَيْرَ مُتَنْظِرِ  
وقال الرصافي<sup>(١)</sup>:

[١/٢٣] يَا لَيْلَةَ طَالَتْ عَلَى عَاشِقٍ  
مُتَنْظِرٍ لِلصَّبْحِ مِيعَادًا

وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه، وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر حلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. وكتاب الأوائل هو آخر ما صنف المؤلف، ولم يعثر على أثر في التصنيف بعد هذا العام، ولهذا فإن ياقوت يرى أنه توفي سنة (٣٩٥) هـ رحمه الله رحمة واسعة، وقد مدحه أحد الشعراء بقوله:

وأحسن ما فُرات على كتاب  
ولو أني جعلت أمير جيش  
بخط العسكري أبي هلال  
لما قاتلت إلا بالسؤال  
فإن الناس ينهزمون منه  
وقد نبهتوا الأطراف العوالي

(١) الرصافي هو: أبو عبد الله محمد بن غالب الأندلسي الرفاء. الشاعر المغربي ترجم له: ابن الأبار في الشكلمة (٢/٥٢٠)، ابن خلكان في الوفيات (٤/٤٣٢)، الذهبي في تاريخ الإسلام (٤/٤٦)، (٢٩١٧/١٤) والصفدي في الوافي (٤/٢٩)، ابن العماد في شذرات الذهب (٤/٢٤٢)، الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١/٧٤) وقال: من رُصافة الأندلس. سار نظمه في الأفاق وتوفي في رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بما لقه. ورصافة: بلدة بقرب بلنسية، أنشأها عبد الرحمن بن معاوية السداحل. وقال ابن العماد في شذرات الذهب في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: وفيها الأديب الرفاء أبو عبد الله محمد بن غالب الأندلسي الشاعر المشهور ديوانه كله مِلَّحٌ ومن شعره في غلام نساج:

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي  
فقلت: لو كان أمري في الصباية لي  
أحببته حبي الثغر عاطره  
غزيل لم يزل في الغزل جائله  
جذلان تطلب بالغمراك أنله  
جذبا بكفيه أو فحصا بأخصه  
لمذاتهم بمذال ومبستذل  
لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي  
حلو اللمي ساهر الأجفان والمقل  
نباهه جولان الفكر في الغزل  
على السدى لعب الأيام بالدول  
تخطب الظبي في أشراك محتيل

كَادَتْ تَكُونُ الْحَوْلُ فِي طَوْلِهَا إِذَا مَضَى أَوَّلُهَا عَادَا  
وفي ليلة مطيرة<sup>(١)</sup>:

أَقُولُ وَفِي اللَّيْلِ امْتِدَادُ وَأَذْمُحُ الْعَيْثُ فِي انْسِفَاحِ  
أَظُنُّ لَيْلِي بِغَيْرِ شَكٍّ قَدْ بَاتَ يَنْكِسِي عَلَى الصَّبَاحِ

[ما قالوه في طول الليل وقصره]<sup>(٢)</sup>

فأما ما قالوه في قصر الليل وسرعة انصرافه، وقرب ما بين أطرافه فهو من أوصاف ليالي الوصل وعند اجتماع الشمل واتصال الحبل، فإن سمحت هذه الحبيبة بالتداني، ودنت شار وصلها من يد الجاني، وصفت الليل بقدر ما أحده في ليلة وصلها، وأما الآن فأنا قانع إن نمت بخيالها وكيف يزور الطيب ساهراً؟/[٢٣/ب] أم كيف يقر من يكابد وجداً ثائراً؟ وقد أتى الشعراء في وصف الطيف بالأوابد الفرائد وجاء وأمنه بما هو أحسن من دُرِّ القلائد في أجياد الخرائد.

وأبو تمام<sup>(٣)</sup> والبحري وإن أجادا في هذا المضممار وكان لهما مزية الاختراع والابتكار

(١) كم هو طويل ليل الحزن والأسى والخوف والبرد والجوع فهذه من الأسباب التي تجعل الليل طويلاً حزيناً ثقيلاً كيف وهذه الليلة جمعت بين كل ما ذكرت مع هطول المطر الغزير الذي يكاد يشترك الشاكي وكأنه دموع السماء تنساح منها حزناً وأسى على ما أصابه من الآلام التي منها هجر الحبيب وبعد الدار، وقلة الأخبار حتى كاد يظن أن ليس وراء هذا الليل من صبح من انزاله فيه بلا أنيس ولا حليس ولا مواس ييكي هو والسماء على حاله غير راج للصبح انبلاج.  
(٢) زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

(٣) هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس أبو تمام الطائي ترجم له كثير من المصنفين وترجمت في سيرته الكتب وقد جاءت ترجمته في: الأغاني (٣٨٣/١)، طبقات الشعراء (٢٨٣)، تاريخ الطبري (١٢٤/٩)، الفهرست (١٩٠) تاريخ بغداد (٢٤٨/٨)، وفيات الأعيان (١١/٢)، المعبر (٤١١/١) البداية والنهاية (٢٩٩/١٠)، النجوم الزاهرة (٢٦١/٢)، شذرات الذهب (٧٢/٢)، خزانة الأدب (١٧٢/١)، تهذيب ابن عساكر (١٨/٤)، معاهد التنقيص (١٤/١)، كتاب أخبار أبي تمام، وكتاب الموازنة بين الطائيين، وسير أعلام النبلاء (٦٣/١١) وقال في ترجمته: شاعر العصر أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي من خورن من قرية جاسم. أسلم وكان نصرانياً ومدح الخلفاء والكبراء وشعره في الذروة، وكان أسر طويلاً فصيحاً عذب العبارة مع هتمة قليلة.

وُلد في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يسقي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم وكان يتوقد ذكاء، وسمعت قريحته بالنظم البديع فسمع به المعتصم، فطلبه، وقتله على الشعراء، وله فيه

شعرهما يدل على طول نوم واستغراق يُوصل ليله بيوم. والبحري أشدهما نومًا، وأنا أكثر  
لومًا قال أبو تمام:

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَرَاكَهَ فَيَكْرُ إِذَا تَامَ فَيَكْرُ الْخَلْفِ لَمْ يَم

قصائد، وكان يوصف بطيب الأخلاق والظرف والسماحة.

وقيل: قدم في زي الأعراب، فجلس إلى حلقه من الشعراء، وطلب منهم أن يسمعوا من نظمه،  
فشاع وذاع وخضعوا له، وصار من ما صار، فمن شعره:

فحواك عين على نجواك يا مَذِلُّ حتام لا يتقضى قولك الخطل  
المذل: الخذر القاتر.

فإن ألمح من يشكو إليه هوى من كان أحسن شيء عنده الغذل  
ما أقبلت أوجه اللذات سافرة مَذ أدبرت باللوى أيامنا الأول  
إن شئت أن لا ترى صبرًا لمصطبر فانظر على أي حال أصبح الظلل  
كأثمان جاد مغناه فقيره دموعنا يوم بانوا فهي تنهل

وقد كان البحري يرفع من أبي تمام، ويقدمه على نفسه ويقول: ما أكلت الخبز إلا به، وإني تابع  
... ودويوان أبي هام كبير سائر، ولما مات رئاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نسباً ألم مُقْلَقُ الأَحْشَاءِ لما أتى من أعظم الأبناء  
قالوا حبيب قد نوى فأجبتهم ناشدتك لا تجعلوه الطائسي  
وللحسن بن وهب الوزير:

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائسي  
مانا معاً فتجاورا في حفرة وكذلك كانا قبل في الأحياء

وكان ابن وهب قد اعتنى بأبي تمام وولاه بريد الموصّل فأقام بها أكثر من سنة. ومات في جمادى  
الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقال بخلد الموصلي: مات في المحرم سنة اثنتين وثلاثين  
ومائتين. وأما نبطويه وغيره فأرخوا موته بسامراء في سنة ثمان وعشرين ومائتين. ويقال: عاش  
سيفاً وأربعين سنة. عفا الله عنه ورحمه. قال الصولي: كان واحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة  
شعره وحسن أسلوبه، ألف الحماسة فدلّت على غزارة معرفته بحسن اختياره، وله كتاب: «فحول  
الشعراء» وقيل: كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، وقيل: أجازة أبو دُلف بخمسين  
ألف درهم، واعتذر.



ظَنِي تَقْنَصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ  
فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنَ الْحُلُمِ<sup>(١)</sup>  
وقال:

عَاذَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرُّمْلِ  
بِالْفَكْرِ زُرْتُ طَئِيفَ الْخَيَالِ  
مِنْ رَمْلَةٍ بَيْنِي الْحِمَى وَبَيْنَ الْمُطَالِ  
وقال:

الْيَالِي أَخْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحْتُهُ الثُّوَى مَنْ الْأَيَّامِ يَا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ تَنْزَهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرًّا  
مِنْ الْأَجْسَامِ مُجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَخْلَامِ هَذَا مِنْ مَذْهَبِ الْقَوْمِ.  
وقال البحرني:

وَأَنسِي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودَهَا  
لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُورِقِ  
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِقِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا  
لَيَالٍ لَنَا تَرَدَّدَ فِيهَا وَتَلْتَقِي  
فَكَمْ عَلَيْهِ لِلشَّرْقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا  
بِطَئِفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقِ  
أَصْمَ عَلَيْهِ جِفْنُ عَيْنِي تَعْلَقُ بِهِ  
عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الرُّنْتَقِ<sup>(٢)</sup>

(١) يريد أن طيف الخيال إنما يأتي نتيجة شدة التركيز وكثرة التفكير وعمق الغوص في أحلام اليقظة التي تجعل الإنسان بين اليقظان والنائم فيرى أو يتمثل له المحبوب وكأنه قائم بين يديه وهو يصرفه كيف يشاء فيقول ما يريد أن يقول له ويجلسه كما يحب أن يجلسه ويحركه كما يحب أن يحركه، فما لم يقدر عليه في حال الحقيقة والواقع والمعايشة يصرفه في خياله كيفما شاء في خياله، فهو لا حالم ولا يقظان إذ أن فكره معاش من يحب معايشة تامة يرسم له أحلى الصور وأبهى، ويضحكه ويضاحكه ويسامره بما يريد، ويجيبه الطيف بما أحب أن يجيبه فإن الناس ينامون والعاشق يظن أنه نائم ولكنه يقظان يقلب فكره في معشوقه، ثم يقول لقد زارني محبوبي في نومه وما كان منه نوم لتكون زيارة.

(٢) هذا قد أحسن التصرف مع معشوقة، فأراح نفسه ولم يجهد معشوقة ولم يظهر التذلل والخضوع الشديد له بل فكر في طريقة سهلة تجلب إليه معشوقة وفي أبهى صورة وأصفى حالاته وأسعد أوقاته ودام انتشائه وسعادته فراح يضبط نفسه على أن يجلب طيفه متى شاء من ليل أو نهار أو عندما يجد أن معشوقه مشغول أو متمنع أو تحول بته وبينه الأسباب المانعة من الحضور فأحضر طيفه وسامره وحاكاه وضاحكه وصفاته وغازله وهناه، ثم تركه ينصرف عندما يشاء هو على موعد آخر لن يخلقه أبداً فهو قد مرس نفسه ودرجها على كيفية إحضاره في الوقت الذي يريد بالشكل الذي يعجبه والحالة التي يريد بها فيعرفه مطمئن البال قريح العين رضي النفس.

ثم إنه في تصرفه هذا مع طيف الخيال يضمن أمور كثيرة يخافها في الحياة والواقع فهو في الواقع يخاف العيون والواشين والحساد والمتقولين والمنفصين عليهما، أما في هذا الطيف الجميل فلن

/ [٢٤/ ب] وقال:

تَأَوُّفْتُ مِنْ وَجْدٍ تَقْرَضُ يَطْمَعُ  
تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَقَرُّعُ  
وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجَعَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ

بَلَسَى وَخَيَالٍ مِنْ أَتْبَلَةٍ كُلَّمَا  
إِذَا زَوَرَتْ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى  
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ  
وقال:

يَوْضُلِي مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْحَدِّ تَمْنَعُ  
وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُلْمَعُ  
لِأَسْمَاءٍ لَمْ تُحْذَرْ وَلَمْ تَتَوَقَّعُ  
تُعَاوِدُ فِيهَا الْمَالِكِيَّةُ مَضْجَعِي  
وَأَشْجَى بَيْنِي مِنْ حَبِينٍ مُؤَدَّعٍ<sup>(١)</sup>

أَلَمْتُ بِسَنَا بَعْدَ الْهَدْوِ فَسَامَحَتْ  
وَمَا بَرَحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى  
وَرَبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ  
أَرَانِي لَا أَنْفَكُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
أُسْرُ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍ مُسَلِّمٍ

يخترق عليه خلوته أحد وإن كان جليسه أو ضجيعه، فهذا عالمه هو وطيفه لا يشاركه فيه غيره فانظر كم يكون الصفو والاطمئنان والاستقرار والسعادة حينما تخلو بمعمشوقك دون واثي ولا رقيب وبلا حد للوقت فأنت السيد المتصرف في كل شؤونه وأموره، وهو لا يملك معك أمر بل تتصرف فيه كيف تشاء فيجيبك بلا تردد، وهل تريد أكثر من ذلك إنه طيف الخيال يصنع ما هو في الحياة محال.

وهو يختار الوقت الذي يحضره فيه بعناية حتى لا يقطع عليه خياله وأحلام قاطع من قواطع الحياة بأن ينادي عليه مناد أو يطرقه ضيف أو ما شابه ذلك فهو يختار الليل لهدوئه وسكوته وصفائه وطوله ودجاءه وستره ثم يرسل رسوله الخيال فيحضر الطيف في الحال ودون أدنى علة أو أعذار في الصورة التي يريد بالتمام والكمال فما هو إلا أن يضم جفني عينيه حتى يحضر في الحال بأسرع ما يكون أليس هو طيف الخيال، فترسم الصورة في أبهى مقصورة يحفها الخدم والحشم وتجلس بين يديه بعد أن تلقي التحية والسلام عليه وتنتظر إشارة من يديه لتفدّها دون تعقيب عليه، بل في لفظة وشوق لتدخل السرور عليه.

(١) هو هنا يحكي لنا ليلة أحضر فيها طيف الخيال واصفاً جمال هذه الليلة فيقول: إنها زارته في ليلة بعد هدوء الليل وكانت معه في أضفى حالاتها، فسمحت له بكل ما يشتهي ويتمنى من قول وفعل بما لا يمكن أن نقوله أو تفعله في الحياة منذ عرفها إلى هذه الساعة، فهي معه في الحالة التي يرجو ويتمنى فقد سمحت له بكل محظور أو ممنوع أو مرفوض فأباحته له كل ذلك وظلت معه على تلك الحال لا تعصي له أمراً لا ترد له طلباً، ولا تمنع له بدءاً، ولا تكف له لساناً، ولا تقطع عليه حديثاً إلى أن داهمه الصباح، فهو يرى أن تلك الليلة من أبهى لياليه، ويتمنى أن تتكرر معه مراراً يراها فيه، ولا تنقطع لها تلك العادة لتدوم عليه السعادة حتى أنه كان عند انصرافها ووداعها في

[٢٨/أ] وقال:

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَيَّ خَيَالَهُ  
عَدَدْتُ حَيْبًا رَاحَ مِنِّي أَوْ غَدَاً  
وَلَمْ أَرْ مَثِلَنَا وَلَا مِثْلَ شَأْنَنَا

وقال:

وَلَيْلَةَ هَوْنًا مَعَ الْعَيْسِ أَرْسَلْتُ  
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْيِئِي  
بَطِيفٍ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بِأَطْلُهُ  
بِغُفْغَفِي غَزَالٍ بَتُّ وَهَذَا أَعَزُّ لَهْ

فانظر إلى تناسب ألفاظه وحسن معانيها واعتبر شدة النوم المودع فيها.

حالة شجي فيقول:

وأشجى بين من حبيب مودع انظر إلى ماذا صار حاله؟

(١) في المخطوط هجداً، وهو تحريف واضح، وهو هنا يمتنى أن يراه في النوم، ويعتبر هذا إهداءً جميلاً طيباً من النوم إذا ساق إليه خيال حبيبة فإن مثل هذه الزيارة منه تشفي غليل وتروى عطش وظمأ طال به وها هو قد وضع بين يديه ما يرويه ويرد ما به من الصدى الذي وقع فيه من شدة الشوق والحنين والرجاء للقاء لقد تكرم عليه الكرى وأهدي إليه معشوقة في ليلة صفاء وهناء فأروى غليله ورد عطشه وهو يخشى أن يتبه من ذلك النوم حتى لا يقر حبيبه من يده، ويتمنى أن يطول ذلك الليل وليسعد بذلك اللقاء حتى لا ينصرف خيال حبيبه.

ثم هو يتعجب من حالهما إذ إنهما في الحياة الحقيقية بعدذان وفي الكرى والنوم والخيال نعمان ينال ما يرجوان من بعضهما مناماً، ولا يعرفان في الحياة إلا الآلام والتعب والعذاب من عدم تحقق الأحلام، فهو يتمنى أن يظل نائماً لينعم بحبيبه خير له من أن يستيقظ فيتألم ببعاده أو فراقه.

(٢) يحكي عن ليلة رأى فيها حبيبه في نومه في طيف خياله فهام في فياقي الصحراء كما تهيم العيس غير قاصدة بل ذاهبة، حيث قادتها أرجلها فهو وهي لا هدف لهما سوى إرواء الغليل وإطفاء الشعيل وإسكان الظما وجبر الخاطر وكأنهما ليسا في منام بل هم في حق وحقيقة وحياة طبيعية لا ينقصها شيء حتى أنه لا يريد أن يخطر بباله أن مجرد منام ولكن لابد مما لا بد منه ألا وهو ابتلاج الصبح أو الاستيقاظ من النوم وذهاب طيف الحبيب والعودة إلى مكابدة الأسى والألم والشوق والحنين والتمني والرجاء والانتظار والتلهف. فقد كان في نومه يعاطف ويناجي وينبغي غزاله وإن كان تشبيهاً ليس حقيقياً وأمرًا إنما هو خيالاً إلا أنه لا يحاكي الحقيقة وحسب بل يفوق الحقيقة بمراحل بعيدة إذ لا يمكن أن نقول في الحقيقة ما نقوله في الخيال ولا نستطيع أن نفعل في الحقيقة ما نفعله في الخيال.

إن في الخيال حرية كاملة في القول والفعل والحركة والسكنة والتصريح المبين عن مكنون ما في النفوس تجاه بعضهما البعض ففيه بنفس الرائي عن مكنون نفسه بجلاء ورضا.

وقال مهبّار<sup>(١)</sup>:

فِي الطَّبَاءِ الْعَاذِينَ أَمْسُ غَزَالُ  
لَمْ يَزَلْ يَخْدَعُ الْبَصِيرَةَ حَتَّى  
/ [٢٨/ب] لَا عِدَمْتُ الْأَخْلَامَ كَمْ نَوَلَّيْتُ  
ولقد أبان عن نوم شديد من قال:  
وَمَا لَيْلَةٌ فِي الدُّهْرِ إِلَّا يَزُورُنِي  
خَبَالُكَ إِلَّا لَيْلَةٌ لَا أَنَامُهَا<sup>(٢)</sup>

وقد سلم مهبّار مما وقعوا فيه حيث قال:  
وَابْعَثُوا لِي أَشْبَاحَكُمْ فِي الْكَرَى  
إِنْ أَذِنْتُمْ لِجُفُونِي أَنْ تَنَامَا<sup>(٣)</sup>

(١) هو مهبّار بن مرزويه أبو الحسن الكاتب الفارس جاءت ترجمته في:

تاريخ بغداد (٢٧٦/١٣)، دمية النصر (٣٠٣/١)، الذنيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع  
المجلد الثاني (٥٤٩) المنتظم (٩٤/٨)، الكامل في التاريخ (٤٥٦/٩)، وفيات الأعيان (٣٥٩/٥)،  
المختصر في أخبار البشر (١٦٠/٢) العبر (١٦٦/١٢)، البداية والنهاية (٤١/١٢)، النجوم الزاهرة  
(٢٦/٥)، شذرات الذهب (٢٤٢/٣)، تاج المروس (٥٥١/٣)، وكتاب مهبّار الديلمي بحث  
وتحليل لإسماعيل حسين.

قال سير أعلام النبلاء (٤٧٢/١٧) وقال:

الأديب الباهر، ذو البلاغتين أبو الحسين الديلمي، الفارسي، كان مجوسياً فأسلم، فقيل: أسلم على  
بد الشریف الرضی فهو شیخه فی النظم وفي التشيع، فقال له ابن برهان: انتقلت بإسلامك في النار  
من زاوية إلى زاوية كنت مجوسياً، فصرت تسب الصحابة في شعرك وله ديوان، ونظمه في الدرورة  
جزل حلو يكون ديوانه مئة كراس. توفي سنة شان وعشرين وأربعمائة.

وقال الخطيب في تاريخ بغداد: شاعراً جزل القول مقدماً على أهل وقته، وكنت أراه يحضر جامع  
المنصور في أيام الجمععات ويقرأ عليه ديوان شعره، فلم يُقدّر لي أن أسمع منه شيئاً ومات ليلة  
الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة شان وعشرين وأربعمائة.

(٢) ربما دل ذلك على النوم الشديد الثقيل الذي يدل على عدم الأكرات، وربما دل على التناوم  
واظهار النوم أو جلبه بخلق العين واجترار صور المحبوب حتى يحضر طيفه فيقضى معه الوقت  
ويسعد بلفاته ويطول معه الاجتماع والحديث والتدليل والمسامرة والمضاحكة حتى يصبر نفسه  
إلى حين اللقاء فمن يراه يظنه نائماً وفي حقيقة الأمر أنه إما هو في حالة استجلاب طيف خيال  
محبوه يصطير به على طول الغياب وتسلّي به إلى حين الإياب فهو يهوى الليل ليتناوم ليراه إلا أنه  
يغيب عنه حين يكون ليلاً يقطّأ فهو لا يزور، فلما لا يحب النوم إن كان فيه الزيارة؟!.

(٣) أما هنا فهو لا ينام ولا يتناوم حيث قدرته على التحيل وجلب طيف المحبوب قليلة فهو محب  
معذب يطول عليه الليل ويطوي النهار في انتظار إذن بالزيارة الحقيقية أو البدنية نهاراً وهو لا

ولابن التعاويذي<sup>(١)</sup> مزية على الأوائل والأواخر حيث قال:

يستطيع النوم إلا بإذن المحبوب، فإن أراد أن ينام فقد اشترط على المحبوب أن يزوره في النوم وإلا فلا سعادة له في النوم بل راحته في ذلك العذاب الذي هو الجوى والضنا فيظل ليله ساهراً مفكراً خبير له من أن ينام ولا يزار، نعم هناك من يستلذ العذاب في هوى المحبوب، ويرى أن ذلك من حقه عليه إذ كيف ينام وعيوبه يعذب بالسهر والسهاد فعليه أن يعاني ما يعانيه ويكابده ما يكابده.

(١) هو محمد بن عبد الله ويقال:

محمد بن عبيد الله، ويقال: محمد بن تشكين أبو الفتح، البغدادي، التعاويذي الأديب الشاعر، ومن مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء (١٧٥/٢١)، الأعلام (٢٦٠/٦)، ديوان الإسلام (ت ٦١٨)، هدية العارفين (١٠١/٢)، معجم المؤلفين (٢٧٨/١٠)، معجم الأدباء (٢٣٥/١٨)، كشف الظنون (٦٣٠)، شذرات الذهب (٢٨١/٤)، العبر (٢٥٣/٤)، وفيات الأعيان (٢٥٢/٢)، المختصر في أخبار البشر (٨٠/٣)، مرآة الجنان (٣٠٤/٣)، البداية والنهاية (٣٢٩/١٢)، الوافي بالوفيات (١١/٤)، نكتب الحميان (٢٥٩)، النجوم الزاهرة (١٠٥/٦)، التكملة (٦٠/١)، الروضتين (١٢٣/٢)، تاريخ ابن الوردي (١٠٠/٢)، المختصر المحتاج إليه (٦٦/١)، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

رئيس الشعراء أبو الفتح محمد بن عبيد الله، التعاويذي، البغدادي، الأديب، سبط المبارك ابن المبارك التعاويذي. كان والده من غلمان بني المظفر، وكان هو كاتباً بديوان المقاطعات وديوانه مجلدان. روى عنه: علي بن المبارك بن وارث آخر يأخذه، ورثني عينيهِ وأيام شبابه، ونظمه فائق. عاش خمساً وستين سنة ومات في شوال سنة أربع وثمانين وخمسائة.

قلت: ولد سنة (٥١٩) في العاشر من رجب، وقيل توفي سنة ثلاث وثمانين وخمسائة.

ومن مؤلفاته: الحجة والحجاب وديوان شعر في مجلدين.

وقال ابن الصمد في شذرات الذهب في ترجمته في وفيات سنة أربع وثمانين وخمسائة، وفيها: أبو الفتح ابن التعاويذي محمد بن عبد الله الكاتب الشاعر المشهور، نسب إلى التعاويذي لأنه نشأ في حجرة وهو جده لأمه، كان شاعراً لطيفاً عذب الكلام سهل الألفاظ سار نظمه في الأفاق وتقدم على شعراء العراق، وعمي في آخر عمره، وجمع ديوانه بنفسه قال ابن خلكان كان شاعر وقت لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والخلابة وفيما اعتفده لم يكن قبله بماتني سنة من يضاهيه وله في عماء أشياء كثيرة يرثي عينيهِ وزمانه وشبابه وتضرته، وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى، وعمل له خطية ظريفة ورتبة أربعة فصول، ولما جده بعد ذلك سمى الزيادات وفي بعضها مكملًا بالزيادات، ولما عمي كان يسميه راتب في الديوان، فالتمس أن ينقل باسم أولاده فنقل، وكان وزير ابن البلدي قد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم، وصادرهم وعاقبهم، فقال ابن التعاويذي:

يا رب أشكو إليك ضرراً أنت على كشفه قدير

قَالَتْ تَقْنَعُ أَنْ أَرْوِّكَ فِي الْكَسْرِ  
وَأَبِيكَ مَا سَمَحْتَ بِطَيْفِ حَيَّاهَا  
وقال آخر:

رَجَعْتُ طَئِيفَ خَيَالٍ  
وَالْمُذَارِبَاتُ جُفُونِي  
وَكُنَيْفَ لِي هُجُوعٍ  
وَالْمُرْسَلَاتُ دُمُوعِي  
[٢٩/١] وقد ظرف القائل:

طَئِيفُ خَيَالٍ هَاجِرِي  
عَاتِبِي عَلَى الْكَسْرِ  
أَلَمْ يَمِمْ وَمَا وَقَفَ  
نُصْرًا تَقَاهُ وَأَنْصَرَفَ  
وأنشدني شمس الدين الواعظ الكوفي<sup>(١)</sup>:

قُلْ لِمَنْ نَالَ حَظَّهُ مِنْ رُقَادٍ جَاعِلًا  
حُجَّتُهُ لَطِيفِ الْخَيَالِ

السبب صرنا إلى زمان  
ففيه أبو جعفر وزير

وكانت ولادة ابن التعاويذي في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسائة. وتوفي في ثاني شوال (أي في سنة أربع وثمانين وخمسائة). والتعاويذي نسبة إلى كُتُبِ التعاويذ، وهي الحروز.

قلت: وهذه التعاويذ يعتقد بها بعض الجهال إلى أيامنا هذه والمعجب أنه صارت هناك قنوات فضائية تبث هذه الأفكار في الأفق العربية بنا قويًا يجعل الناس البسطاء السذج ترسخ في أذهانهم هذه الخرافات أمثال قراءة الفنجان والأحجية والكونشينة (الورق) وقراءة الطالع والقراءة على الماء وما شابه ذلك، فلينبه القراء إلى ذلك ولينبهوا إليه وليحذروا الناس من شر ذلك على عقائدهم وتوحيدهم.

(١) هذا شاعر لالم على النائم جاعلاً حجته واهية إذ سُئِلَ كيف تنام وأنت من أهل العشق وأصحاب الهوى فيقول إنما أنام ليزورني طيف خيال المحبوب كي يلطف لما بي من الجوى، فهو يقول له: إنما أنت مدع إنما تريد أن ترقد لتستربح ولو كنت محباً حقاً لفارقك النوم وحاصم جفونك. ثم إنه يقول له لو أنك صادق في حبك وأضناك هذا الحب لحنوت عليك وجئت إليك لكنني وجدتك لا تستحق هذا الجهد، فأرسلت إليك طيفي بدلاً عني وهذا يكفيك على قدر ما فيك من هذا الادعاء.

فلو كنت صادقاً لما قَرَّ لي جفن ولا هدأ لي بال حتى أحاول لك الوصال مهما تربص بي الرقيب والمعدال، ولكن ليس يكافئ الخيال إلا الخال، ولا يكافئ الادعاء إلا الخيال حتى أتيقن من صدق حالك من سلوك شخصك لأمثالك ساعتها سأبادر بالحضور إليك والمشول بين يدك والسلام عليك والجلوس إليك والأنس بك والمنا يقربك والسعادة بالنظر إلى جمال عينيك.

لَوْ تَبَقَّضْتَ جَفْتُ نَحْوَكَ لَكُنِّي  
لَوْ صَدَقْتَ الْهَوَى صَدِقتَ  
وأجاد مجد الدين محمد بن الظهير الحنفي الأربلي حيث قال:  
أَحْبَابَنَا إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا  
وَحَازَكُمْ مِنْ بَعْدِ قُرْبِكُمْ الْبَعْدُ  
فَلَا تَبَعَثُوا طَيْفَ الْخَيَالِ مُسْلِمًا  
فَمَا لِحُفُونِي مِنْ بَعْدِكُمْ عَهْدٌ<sup>(١)</sup>  
وقد ظرف القائل في خلاف ما قالوه<sup>(٢)</sup>:

(١) أما هذا فقد أعرب عن صدق سريره وظاهره حيث قال صريحاً لن أنام فلا داعي؛ لأن تجهد نفسك أيها المحبوب في إرسال طيفك فليس لي في سواك بديل لا في يقظتي ولا في منامي ولن أنام ولن تقر لي عين حتى أنال ما أرجو وأصنى وإلا فالهلاك أغر أمانى فما قيمة الحياة بدونك وكيف أعيش ولست جوارك، فساظل على العهد لن أغمض العين التي بصرتكم ولن أغفلها عن جمال توديعها لكم وساظل أرهقها حتى أمتعها بسعادة عودة الرؤيا لشخصكم عند عودتكم لترقبكم منذ بداية مرماها إلى أن تصيروا بين أحضانها وتقرأ في قرارها ومتنهاها أليس ذلك داعياً لها إلى أن تصير منتظرة هذا اللقاء الجميل وحافزاً على الترقب الدائم للطريق المحتمل أن تعود منه، فإن لم يكن هذا حافزاً لها، فلا يحق لها أن تعيش ولا أن تتمتع بالنور والبدر والزهور دون بدر هو لي البدر وزهر هو لي الزهر ونسيم هو لي النفس وإلا فالرحيل هو الأمل.

(٢) هذا يرى أن المحب لا بد أن يكابد ويلات البعد والهجر والشوق والحِرمان حتى يشعر بقيمة المحبوب حين يكون بين يديه أما أن يرى محبوبة متى شاء وعندما يريد وإذا أراد أن يجالسها جالساً وإذا أراد أن يفارقه فارقة وإذا أراد حتى أن يضاجعه ضاجعه كيف يكون هذا؟ ما هذا إلا للمحبين الأزواج أو لسلازواج العشاق فهؤلاء أنعم أنواع العشاق إذ هم محبون متألون تنمو بينهم أواصر المحبة طيلة الأيام لا يخبو لهم ضوء ولا يهدأ لهم بال إلا بمخاطبة بعضهم البعض وبمخالسة بعضهم البعض ويظن من ليس له ذربه ولا خبرة بالعشق أن هؤلاء قد يمل أحدهم الآخر مع طول القرب، لا بل هم أهل حظ ونعيم حياهم الله بذلك الرزق والنعيم ييات أحدهم في حضن محبوبه لا يفارقه وهو معه في غاية الخوف من الفراق فهو لا يخاف إلا غوائل الأيام، لكنه طيلة الوقت معه، ولكن هذا الخوف الدفين فيه وفيها يجعلهما دائماً على قرب قريب والتصاق شديد، وذلك الخوف الذي هو المنعص الوحيد لهما إذ لا رقيب يخافون ولا حاسد يهايون ولا بواش يهتمون فهم أهل نعيم كما قلت خوفاً فقط من الدهر الذي يخفى المفاجآت وأخوف خوفاً من الفراق المجر عليه أحدهم أو المرض الذي قد يدهم بعضهم أو الموت الذي هو مصير كل العباد لكنهما الموت لا يرهبان به بل ربما يتمنيانه حتى يذهبا وقد استوفيا حظهما من بعضهما أو من الدنيا دون نقصان إذ ماذا في الدنيا بعد الدين غير الخلق الوفي والصاحب الصفي والمشير الرضي، فالموت ليس له عليهما سطوة ولا هيبة إلا الهبة التي أودعها الله فيه فإن المحبوب علم المحب أنه قريباً إليه صائر وله سلاق على يقين ما داموا قد اتحدوا على دين، وإن تفاقمت الأيام بعد موت أحدهم إلا أن عزاء

[٢٩/ب] أَتَطُنُّ أُنْكَ عَاشِقُ      وَتَبِينْتُ بِالْمَخْبُوبِ جَانِمُ  
الطَّيْفُ أَغْشَقُ مِنْكَ      إِذْ يَسْرِي إِلَيْهِ وَأَنْتَ نَائِمُ

وما زلت أعاني القلق، وأكابد الأرق، حتى برق عمود الصباح، وأعلن الداعي يحيى على الفلاح، وظهرت تباشير النهار، وأنا أذكر ما قيل في ذلك من الأشعار قال علي بن الجهم<sup>(١)</sup>:

الأخر أن صاحبه قد مضى على عهده وأنه إليه صائر غير مخلف لما تركه عليه. وأنا أرى أن هذا أنقى أنواع العشق وأفضل حظ لمن رزق العشق فلا يعشق سوى من هو له حلال ومسال، وليس هذا من تصرفات البشر، ولكنه كما قلت رزق وحظ لمن هو «ذو حظ عظيم»، ولكن هل يستطيع الإنسان أن يختار حظه؟ طبعاً لا فانا أرى أنه أوفق أنواع العشق ولكن لا أقول إن ما سواه خطأ بل أقول إنه ابتلاء يتلى به الإنسان فعلية بالصبر عليه إلى أن يجد له من الله فرجاً وخلاً ومخرجاً يريحه ويرضيه أو يبلغه به أمانيه. ثم يعود الشاعر فيكرر اللوم على العاشق ويقول له لو كنت عاشقاً ما كنت، وإن كنت فإن الطيف أعشق منك إذ هو يلاطفه طيفك وأنت نائم فهو ينوب عنك بإخلاصه لا مثلك يهنا بنوم ومحبوبه ساهر.

(١) قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمته (٣٦٧/١١): علي بن الجهم بن بدر السامي الشاعر من نائلة خراسان له ديوان شعر مشهور، وكان جيد الشعر عالماً بفنونه، وله اختصاص بجعفر المتوكل وكان متديناً فاضلاً. حدثنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكيري لفظاً بخلوان أخبرنا أبو بكر بن المقرئ الأصبهاني حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الخزازي حدثنا عبد الله بن شبيب المكي حدثنا علي بن الجهم بن بدر السامي حدثنا علي بن مسهر - كذا قال الدسكيري - وأحسبه عيد الأعلسى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال: أوصى مسلمة بن عبد الملك بثلاث ثلثة لطلاب الأدب، فقال: أنها صناعة يحقُّ أهلها.

... قال إبراهيم الحربي قال لي علي بن الجهم وجه بي المتوكل في حاجة له إلى بغداد فلما كان يوم جمعة صليت في الصحن فإذا سائل يسأل قد وقف فحدث أحاديث صحاحاً وأنشد شعراً مستوياً، وتكلم بكلام حسن فأخذ في قلوب الناس ثم قال لهم: يا قوم إني لم آت من عجز، وإني افتننت في علوم كثيرة، ولقد خرجت إلى الجعفر إلى المتوكل، فحملت التراب على رأسي فخرج المتوكل يوماً على حمار له يدور في القصر، فطرح التراب عن رأسي، وأنشدته القصيدة الفلانية، وأنشدتها فجود إنشادها، فأمر لي بعشرة آلاف درهم، فقال له علي بن الجهم: الساعة يفتح عليك أهل الخلد فلا يكفيك بيوت لأموال، فلم أعط شيئاً، فلم يبق أحد إلا لعنتي وذمني، فقلت للخدام: عَلَيَّ بالسائل فأتاني به، فقلت: تعرف علي بن الجهم؟ فقال: لا، فقلت للخدام: من أنا؟ قال: أنت علي بن الجهم، فقال السائل: ما تنكر من هذا؟ هات عشرة دراهم حتى أخرجك وأدخل غيرك فأعطيته عشرة دراهم، وأخذت عليه ألا يذكر.



قُمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السَّرَى  
وَهَزَزْتُ أَعْنَاقَ الْمَطْيِ أَسُومَهَا  
حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِي عَطْفِهِ  
وَحَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَمَّا  
وَقَالَ آخِرُ:

وَأَزَالُنِي لَيْلٌ يَنْوُءُ بِصَدْدِهِ مُتَطَاوِلُ  
قَصْدًا وَ يُخَجِّبُهَا السَّوَادُ الشَّامِلُ  
وَكَاَنَ آخِرُهُ خِضَابٌ نَاصِلُ  
يَهْتَرُ فِي بُرْدِي رَمَحٌ ذَابِلُ

أخبرني علي بن القمي أخبرنا محمد بن عمران الكاتب أخبرنا محمد بن يحيى قال: قال علي بن الجهم:

هِيَ الْأَيَّامُ تَجْمَعُ بَعْدَ بَعْدٍ  
خَلِيلِي الْهَوَى خَلَقَ كَرِيمُ  
وَقَالَ أَيْضًا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ:

نَسِيبُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَأَشَدُّهَا  
يَا قَلْبَ لِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلْهَوَى

عن أحمد بن فراس السامي: قال جرت بين أبي طالب الجعفري، وبين علي بن الجهم وحشة ثم أرسل أبو طالب يعتذر إليه فكتب إليه علي:

لَمْ تُنْذِقْنِي حَلَاوَةَ الْإِنْسَافِ  
وَتَرَكْتَ الْوَفَا جَهْلًا بِمَا نِيَه  
لَمْ أَجِدْ لِي إِلَى التَّشْفِي سَبِيلًا  
لِي نَفْسُ تَأْبَى الدَّنِيَّةَ وَالْإِشْرَافِ  
وَتَعَسَّفَنِي أَشَدَّ اعْتِسَافِ  
فَأَسْرَفْتَ غَايَةَ الْإِسْرَافِ  
بِقِسَافٍ وَلَا بِغَيْرِ قِسَافِ  
لَا تَعْنِدِي عَلَى الْأَشْرَافِ

قرأت في كتاب عمر بن محمد بن الحسن البصير عن أبي بكر الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر حدثني أحمد بن حمدون، قال: ورد علي المستعين في شعبان سنة تسع وأربعين يعني ومائتين - كتاب صاحب البريد بحلب: أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهًا إلى الفزوة، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب، فقاتلهم قتالًا شديدًا، ولحقه الناس وهو جريح بأخر رمي، فكان مما قال:

أَسْأَلُ بِالصَّبِيحِ سَبِيلَ  
يَا إِخْوَتِي بِدُجَيْلِ  
أَمْ زَيْدٌ فِي اللَّيْلِ لَيْلِ  
وَأَيُّنَ مِنِّي دُجَيْلِ

قال: وكان منزله ببغداد في شارع الدُّجَيْلِ، وأنه وجدت معه رقعة حين نزعته ثيابه بعد موته فيها:

يَا رَحِمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ  
فَمَارِقَ أَحِبَّابِهِ فَمَا انْتَفَعُوا  
مِمَّاذَا بِنَفْسٍ صَانِعَا؟  
بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا

[١/٣٠] رُبُّ لَيْلٍ كَاتِبُ حِرْ هَوْلًا وَكَالِدُهُرٍ  
 خَفْتُهُ وَالسُّجُومُ يُوقِدُنْ حَتَّى  
 وَقَالَ آخِرُ:

كَأَنَّ بَيْنَ هَزِيغَتَيْ نَوَى قَدَفًا  
 كَأَنَّمَا فُرْقَدَاهُ فِي اثْتِلَافِهِمَا  
 أَوْ بُعْدَ مَا بَيْنَ قَلْبِ الصَّبِّ وَالْجِلْدِ  
 يَا قَوْتَنَا مِلْكِ أَوْ نَاطِرًا أَسَدًا<sup>(١)</sup>

(١) هذا يصف ليل الحزن والشوق والخوف والجوع والبرد، والهجر والعشق بعد هجر الحبيب أو بعده بأنه كالبحر الهائج بالأفكار والأهوال، ويصف طوله كأنه الدهر لا يكاد ينقض ولا يظهر له بشائر صبح ولا ينتظر فيه انقراج. ثم يصف سواده بالخلاكة كما هو الحال في لون المداد أو الحبر الأسود إذ ليس بعد سواده سواد فلا أمل في أن يرى فيه بشرة خيراً روكم عالى من تلك الكآبة التي يبحث لها عن حل أو يأمل أن يجد لها فرجاً أو معيناً يعين له على الخروج من تلك الغمة التي يعاني منها ويصف حاله وحال أيامه أو دهره أو ليلائه بأنها نجمت في هذه الليلة التي تشجع وخاضها على الرغم من أن نجومه تنقد وتشتعل إلى أن خرج من تلك الغمة وجاءه الصباح الذي يريد أو انحل ما به من كرب وذهب ما به من هم وخرج من تلك الغمة، فوصف أن الصبح أطفأ هذا الوهج، هذا الاشتعال الذي أخفى النجوم أي أن الفرج أبرد ما كان في نفسه من نار الغمة، فالحمد لله على اليسر بعد العسر.

(٢) وهذا يصف بعد ما بين طرفي ليله وما يلاقي من المحن والهموم والغموم والكآبة التي تعتريه من كل جانب حتى أنه يجد أفصلاً فيما بينه وبين نفسه. ثم يذهب في تشاومه وكان كل شيء قد اتحد على أن يقف ضده أو على أن يحال بينه وبين مناه حتى أن نجوم ذلك الليل تضافت مع غيرها، ويريد بالفرقدين النجمين المعروفين بأنهما لا يغربان قد تربصا به كتربص أسد أو ملك قادر فكيف له الخلاص من هذا الأسد أو ذلك الملك، فهو في حالة شديدة من اليأس.

ويقول ابن منظور عن الفرقدين في لسان العرب في مادة فرق:  
 الفرقدان نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب.

وقيل: هما كوكبان في بنات نعش الصغرى يقال: لأبيكك الفرقدين حكاه اللحياني عن الكسائي - أي طول طلوعها، قال: وكذلك النجوم كلها تنتصب على الظرف كقولك:  
 لأبيكك الشمس والقمر والنسر الواقع، كل هذا يقيمون فيه الأسماء مقام الظروف قال ابن سيدة:  
 أنهم يريدون طول طلوعها فيحذون اختصاراً واتساعاً، وقد قالوا فيهما الفرقاد، كأنهم جعلوا كل جزء منها فرقداً.

قال:

لقد طال يا سواد منك المواعد ودون الجسد المأمول منك الفراق

قال: وربما قالت العرب لهما: الفرقد قال لبيد:

وقال السيد ابن طباطبا العلوي<sup>(١)</sup>:

بِإِسَاءِ لَيْلَةٍ حُلَّتْ بِزَهْرِ نُجُومِهَا  
لَمْ يَرْضَ لَيْلِي إِذْ تَجَلَّى بَدْرُهُ حَتَّى  
وَطَفَفْتُ أَرْمَقُ مِنْهُ بَدْرًا طَالِعًا  
وقال ابن النبب<sup>(٢)</sup>:

حَالِفُ الْقِرْقَدِ شَرِيًّا فِي الْمَدَى خُلَّةٌ بَاقِيَّةٌ دُونَ الْخُلَالِ

(١) في المخطوط العلوي، والتصويب من مصادر ترجمته القادمة بعد ففي سير أعلام النبلاء (١٥/٤٩٦)، وفيات الأعيان (٨١/٣) والبداية والنهاية (٢٣٥/١١)، وقال فيه:

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المصري.

كان من ساداتها وكبرائها لا تزال الحلوى تعقد بداره، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها.

وللسناس عليه رواتب من الحلوى فمنهم من يهدي إليه كل يوم، ومنهم في الجمعة، ومنهم في الشهر، وكان لكافور الأحمدي عليه في كل يوم جامان ورغيف من الحلوى.

ولما قدم المعز الفاطمي إلى القاهرة وتلقاه سأل إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت، فقال الجواب إلى أهل البلد، فلما دخل القصر جمع الأشراف، وسئل نصف سيفه وقال: هذا نسي، ثم نثر عليهم الذهب، وقال: هذا حسي، فقالوا: سمعنا وأطعنا.

والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا (أي ابن هذا الرجل) أو شريف آخر فالله أعلم، فإن وفاة هذا كانت في هذا العام (أي عام شان وأربعين وثلاثمائة) عن اثنتين وستين سنة - والمعز إنما قدم مصر في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

ابن طباطبا الشريف الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن حسن بن الشريف طباطبا واسمه: إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن السيد الإمام علي بن أبي طالب العلوي الحسيني المدني ثم المصري. كان محتشماً ذا أموال وعقار وعبيد، وضياح ودائرة واسعة بحيث قيل: كان في دهليز داره رجل يكسر اللوز دائماً لعمل الحلوى، وكان يصلح للخلافة وكان يهدي إلى الأستاذ كافور وإلى الكبراء وله جلالة عجيبة. توفي سنة شان وأربعين وثلاثمائة.

ويقال: بقي حتى قدم المعز، وطلب منه نسبه والظاهر أن ذلك يكون ولد هذا الشريف وقيل: بل الذي كَلَّمَ المعز الشريف أبو إسماعيل الرُّسَني.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حسن بن يوسف بن يحيى كمال الدين المصري الشاعر صاحب

الديوان جاءت ترجمته في مصادر كثيرة منها: عقود الجمان لابن الشعار (٤/أورقة ١٥٣)، تاريخ الإسلام (ورقة ١٩٧/٣٠١) المعبر (٨٤/٥)، فوات الوفيات (٦٦/٣) النجوم الزاهرة (٦/٢٤٣)،

وَاللَّيْلُ تَبْدُو الدُّوَارِي فِي مَجْرَتِهِ [٣٠/ب] // كَالْمَاءِ تَطْفُو عَلَى رَوْضِ أَزَاهِرِهِ  
وَكَوْكَبُ الصُّبْحِ نَجَابٌ عَلَى يَدِهِ مُخْلَقٌ تَمْلَأُ الدُّنْيَا بِسَنَائِرِهِ  
فلما تلبس ضوء النهار وقعت في الانتظار، كلما أحسست نبوة توجست، وكلما  
تذكرت الحبيبة تنفست:

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَاللَّيْلُ وَالْهَمُّ جَامِعُ  
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ<sup>(١)</sup>  
فأخذت أعلل نفسي بالمني وأتوهمها كلما رأيت حسناً، وأنا أراها بعين الشمس  
والقمر، وأتشاغل عن لماها بالمدام وأين الحُجُول من الغرر.  
قال مهيأ<sup>(٢)</sup>:

- وحسن المحاضرة (٥٦٦/١). وسير أعلام النبلاء (١٧٨/٢٢) وقال:  
الشاعر البديع ابن النبيه، مدح آل أيوب وسار شعره، وانقطع إلى الملك الأشرف وسكن نصيبين  
وبها مات في الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وستمئة.  
وقيل: إنه بقي إلى سنة إحدى وعشرين وستمئة. وفي نظمه مبالغات تفضي به إلى الكفر بالله لا  
أرى ذكرها.
- (١) هذا شاعر يتسلى عند غياب محبوبه بذكره والحديث عنه فهو بذلك يتخيل أنه معه وأنه يحادثه  
وأنه يسامره فيذكره إن غاب بذنه فقد حضر طيفه وهو مما يليه ويخفف عنه آلام البعاد أو  
الفراق ويمنيه بالرجعة حتى لا يشعر بطول الغياب هذا ما يفعله في نهاره من يجالسه.  
أما إذا جن عليه الليل وسكن كل حبيب إلى حبيبه وكل حل إلى خليله فإنه تتراكم عليه الهموم  
والأحزان فلا هو يجالس الحبيب ولا هو يجد الأنيس أو السميع أو المحدث الذي يث إليه شكواه  
ويقضي إليه بأسراره ويخفف عنه آلام السهر والأرق والانتظار والانشغال فالليل بالنسبة له جامع  
له ولهم. أما في النهار فإنه قد يجد شيئاً من السلوى بمشاغل الحياة ومكابدة المعيشة والتعامل مع  
بني جنسه، فهو لا يريد مجيء الليل إذ إن الليل بالنسبة له إنما هو السهر والأرق والضنى والحزن  
والهم إلى أن ينبج الصبح الذي لا يكاد يجيء فمضعجه كله قلب وأهات وأنين فلا رغبة له في  
الليل إلى حين عودة الم محبوب، فيقول: يا ليل ظل يا نوم زل يا صبح لا تطلع.
- (٢) سبق ترجمته، ومصادر ترجمته:

سير أعلام (٤٧٢/١٧)، تاريخ بغداد (٢٧٦/١٣)، دمية القصر (٣٠٣/١)، الذخيرة في محاسن  
أهل الجزيرة (٥٤٩/٢/٤)، المنتظم (٩٤/٨)، الكامل في التاريخ (٤٥٦/٩)، وفيات الأعيان (٥/  
٣٥٩)، المختصر في أخبار البشر (١٦/٢)، العبر (١٤٧/٣)، تمة المختصر (٥١٨/١)، الوالي  
في الوفيات (١٢١/٢٦)، عيون التواريخ (١٦٦/١٢)، البداية والنهاية (٤١/١٢)، النجوم الزاهرة

أَتَاكَ بِعَيْنِ الشَّمْسِ وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا      فَأَنْعَ تَشْنِيبَهَا بِهَا وَتَمَثَّلَا  
وَأَذْكُرَ عَذْبًا مَن رَضَاكَ شَاهَا      فَمَا أَشْرَبُ الصُّبَّاءَ إِلَّا تَعَلَّلَا  
[٣١/أ] وقال جحظة البرمكي:  
إِذَا مَا ظَمِئْتُ إِلَى رَيْقِهَا      جَعَلْتُ الْمُدَامَةَ مِنْهُ بَدِيلًا  
وَأَئِنَّ الْمُدَامَةَ مِنْ رَيْقِهَا      وَلَكِنْ أُغْلِلُ قَلْبًا غَلِيلًا<sup>(١)</sup>

### [وصفهم لريق الحبيب]

ولهم في نعت ريق الحبيب أوصاف تندر بالطيب، مع اعترافهم أنهم لم يذوقوا له طعمًا ولا عرفوه إلا وهما، قال مهبّار<sup>(٢)</sup>:

(٢٦/٥)، شذرات الذهب (٢٤٢/٣)، تاج المروس (٥٥١/٣)، وألف في ترجمته: الأستاذ

إسماعيل حسين كتاب بعنوان: مهبّار الديلمي بحث وفند وتحليل.

أما عن شعره هنا فهو يقول فيه بأن حبيبه أشبه بالشمس وضوحًا وفائدة وهاء فهي أقوى نجم نعرفه أو نراه وتذكر فوائده، ويحرقنا لهيبها ولا نستغني عن نورها فعلى الرغم من الضنى والوجد من قبل الحبيب إلا أننا نغفر له ذلك ونرضى منه ما لا نرضاه من غيره لما أصابنا من حبه ولما ابتلينا من عشقه. ثم يرجوه أن يذكر ما أصابه بسبب هذا الحب من العذاب والبلاء الذي قادة إلى شرب الخمر حتى ينسى ما ألّم به فصارت له دواءً مباحًا لهذا السبب فيعذره وليرجع حتى يغنيه عن هذا الدواء الذي لا يتناوله إلا المضطر ليرفع عنه هذا الاضطراب.

(١) جحظة البرمكي هو: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى أبو الحسن البغدادي البرمكي، الشاعر

المعروف بجحظة وقد سبق ترجمته ومن مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٥)، تاريخ بغداد (٦٥/٤)، الأنساب (١٧٠/٢)، المنتظم (٢٨٣/١)،

معجم الأدباء، (٢٤١/٢)، وفيات الأعيان (١٣٣/١)، العبر (٢٠١/٢)، الوافي بالوفيات (٦/

٢٨٦)، مرآة الجنان (٢٨٨/٢)، البداية والنهاية (١٨٥/١١)، لسان الميزان (١٤٦/١) النجوم

الزاهرة (٢٥٠/٣)، أما عن شعره هنا فهو قد ذاق ريقها وتعرف عليه جيدًا مرارًا وتكرار فصار

يسرجوه من حين إلى آخر ويتمناه لكنه لم يجد إليه سبيلاً للبعد أو للصد أو للمهجّر أو للدلال أو

للمنع فهو وجد بديلاً يستعاض به عن هذا الريق الشهي الذي يذيب كل خلايا جسمه ويحوّلها

إلى حالة من الهيام فالخمر هي التي قد يجد فيها سلوى له عن ريقها إلى حين إدراكه فهو يتصبر بها

عنه حتى ينال ما يريد، وإن كانت لا تُطفي له عطشًا ولا تروي له غليلاً ولا تسعف الإسعاف

الذي يبغيه إلا أنه لا يجد إلى ذلك إلا هذا السبيل فيتعلل به على الصبر إلى حين بلوغ المراد حتى

لا يتفطر منه ذلك القلب العليل والفؤاد الكليل.

(٢) هذا يقول إنه لم يذق طعم ريق محبوبه ولكنه يقول من باب قول الشعر من الخيال والتشهي

وَفِي الْحُسُولِ سَمْنَةٌ ضَانَّةٌ      تَبْذُلُ وَجْهَهَا وَتَصُونُ مَلَمَسًا  
 سَلَسَالَهَا إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ رَشْفًا      فَقَدْ وَصَفْتُهُ تَفَرُّسًا  
 وهو مأخوذ من قول شاعر الحماسة:  
 بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا وَمَا دُقْتُ طَعْمَهُ      وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسٌ<sup>(١)</sup>  
 وقد أحسن القائل ما شاء:  
 كَانَ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمَرُ شَجَّةٌ      بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ  
 وَمَا دُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا      كَمَا شَبِّمُ مِنْ أَعْلَى السُّحَابَةِ بَارِقُ<sup>(٢)</sup>  
 وأجاد زهير<sup>(٣)</sup> في قوله:

والتمني وإنه يعرف ذلك، من فيل الملاحظة والتفرس والتحمين بما ظهر من طيب حديثها وعطر  
 نسيها ونضارة وجهها وحسن مشيتها وفروع عودها وتناسق قدها ودلال حركتها وسكنتها فإنه  
 ممن كل ذلك استشف بأن ريقها أشهى مما يرجو أو يتمنى فهو أصفى من السلسيل وأحلى من  
 العسل وأشهى من الشهد وأعطر من البمار.

فهو بالعين يحدد نوع ريقها ويظن أنه ما ذاق في حياته أشهى منه بل أن كل شراب ذاقه حتمًا  
 دون ريقها في كل صفة من صفاته.

فسراح يتمنى أن يرتشف من ذلك المريق المعطر البارد الصافي الشهي اللذيذ المنعش المنشط الموقظ  
 المنبه المقوي المعين على الحيوية والسرور والنضارة والحيور.

(١) وهذا يصرح بأنه ما ذاق طعم ريقها، ولكنه يخمن أن يكون على أحلى وأشهى مما يتخيل لأنه  
 إنما تفرس ذلك، وأنه لديه خبرة لا تخطئ في علم الفراسة، فهو على يقين أن تكون أحلى ما  
 يصف أو ما يظن هو وكل طان، فإن عينه لا تخطئ الفراسة فيما خنت أو طنت أو رأت أثره  
 فكيف أو لماذا تخطئ في تحديد ريقها، وهذا ليس قولي في علمي بالفراسة بل هي شهادة الناس  
 لي به فإن نالها غيري وكانت ضمن نصيبه ووجد ما تفرست فلا يظن أنه لي بها علاقة فيها ريب  
 فما هو إلا التفرس فهي أبرأ من أن يظن بها ذلك بل هي بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب  
 عليهما السلام.

(٢) وهذا أيضًا يصف عطر فيها وعذوبة ريقها، ويعلن أنه على الرغم من جلال ذلك منه وطيبه فلا  
 يظن طان أنني لي بها صلة مادية إنما هو تفرس فقط وقد يصدق هذا التفرس لمن تعلق بها متحللاً  
 لها بالسكاح فلا يتهمها أو يريبها بما قلت فإنها هو المعلم المعلوم المشهور المعترف به وهو علم  
 الفراسة الذي لا يكاد يخطئ صاحبه، وكأنه في أيامنا هذه التحليل أو الأشعة التي تتحقق الأشياء  
 من خلالها فيحكم الحاكم على بينة ويصف الواصف للعلاج على يقين من تشخيصه للمرض.

(٣) هو زهير بن أبي سلمى، وقد ترجم له ابن قتيبة الدينوري في الشعر والشراء (٢٣) فقال: هو  
 زهير بن ربيعة بن قرط، والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما شبه في غطفان وليس لهم بيت شعر

يشتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير وهو قوله:

هم الأصلي من حيث كنت وأنتي من المزينين المتصفين بالكرم

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير. وكان زهير راوية أوس بن حجر. ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: أنشدوني لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال زهير، قيل: وما صار كذلك؟ قال: كان لا يعاقل بين القول ولا يتبع حواشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، وهو القائل:

إذا ابتدرت قيس بن غيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طاق مبرز سبوق إلى الغايات غير مخلص

ويروى غير مبلد والمخلد في هذا الموضع البطيء:

فلو كان حمد يخلد للناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمخلد

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر وكان يقدم زهير ويستجيد قوله:

قد جعل البتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلقى يوماً على علاته هرما يلقى السحابة فيه والندى خلفا

قال عكرمة بن جرير قلت لأبي: من أشعر الناس؟ قال: أجاهلية أم إسلام، قلت: جاهلية، قال زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك، ويصيب صفة الخمر قلت له: فأنت؟ قال: أنا نحرت الشعر نحراً. قال عبد الملك لقوم من الشعراء: أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهير:

نراه إذا ما جئته مستهلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

قيل لخلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنة كعب؟ قال: لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت أن كعباً أشعر منه يريد قوله:

لمن السديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

ولا أنت أشجع من أسامة إذ دعى النزال وبلغ في الذعر

ولا أنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلص ثم لا يفري

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمان بالبعث وذلك قوله:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وشبه زهير امرأة في الشعر بثلاثة أصناف في بيت واحد فقال:

نازعت المهاسبها ودر الـ بحور وشابهت فيها الظباء

فأما ما فويق العقد منها فمن أدماء مررتها الخلاء

ففسر ثم قال:

وَقَدْ شَهِدَ الْمِسْوَكَ عِنْدِي بِطَيْبِهِ      وَلَسْمَ أَرَّ عَدْلًا وَهُوَ سَكْرَانٌ يَطْفَحُ  
وقال الفقيه عمارة اليميني<sup>(١)</sup>:

وأما المقلتان فمن مهابة      وللندر الملاحسة والصفاء  
وقال بعض الرواة: لو أن زهيرًا نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ما زاد  
على ما قال:

فإن الحق مقطعة ثلاث      يمين أو نفسار أو جلاء  
يعني يمينًا أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتضح  
الدعوى ومما يتمثل به من شعره:

وهل بنيت الخطى إلا وشيجة      وتغرس إلا في معادنها السنخل  
ويستحسن قوله:

بطمنهم ما ارهوا حتى إذا طعنوا      ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا  
ويستحسن أيضًا قوله:

هو الجود الذي يعطيك نائلة      عفواً وظلم أحساناً فينظم  
وقد سبق زهير إلى هذا المعنى لا ينازعه فيه أحد غير كثير فإنه قال يمدح عبد العزيز بن مروان:  
رأيت ابنن لبلي يعتري صلب ماله      مسائل شنتي من غنى ومكرم  
سائل إن توجد لديه تجد بها      يداه وإن يظلم بها يظلم  
والحرم: القليل المال.

(١) هو: عمارة بن علي بن زيدان أبو عماد الحكمي، المذحجي، اليميني، الشافعي، القرضي الشاعر،  
صاحب الديوان المشهور، جاءت ترجمته في عدة مصادر منها:

الخريدة قسم الشام (١٠١/٣)، الكامل (٣٩٦/١١)، مرآة الزمان (١٨٩/٨)، الروضتين (١/١)  
(٢١٩)، وفيات الأعيان (٤٣١/٣)، مقرح الكروب (٢١٢/١)، المختصر (٥٤/٣)، العبر (٤/٤)  
(٢٠٨)، دول الإسلام (٨٤/٢)، تنمة المختصر (١٢٦/٢)، طبقات الإسنوي (٥٦٥/٢)، البداية  
والنهاية (٢٧٦/١٢)، صبح الأعشى (٥٢٦/٣)، السلوك (٥٣/١)، النجوم الزاهرة (٧٠/٦)،  
حسن المحاضرة (٤٠٦/١)، كشف الظنون (١٧٧٧)، شذرات الذهب (٢٣٤/٤)، معجم  
المطبوعات (١٣٧٧)، تاريخ يروكلمان (٨٠/٦)، وكتاب عمارة اليميني للدكتور ذي التون  
المصري طبعة، ١٩٦٦، وسير اعلام النبلاء (٥٩٢/٢٠) وقال:

ولد سنة خمس عشرة وخسمائة.

وتفقه بزيد مدة وحج سنة تسع وأربعين ونفذه أمير مكة قاسم بن قُليَّة رسولاً إلى الفائز بمصر  
فامتدحه بهذه الكلمة:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم      حمداً يقوم بما أولت من النعم



[قال محققه: لا يحسن هذا التعبير أو كان يقول الحمد للعيس بعد الله أو الحمد لله ثم العيس أو ما شابه ذلك مما يفيد الشكر لها بعد شكر الله تعالى فقد جانيه التوفيق في هذا البيت].

لا أجد الحسنى عندى للركاب يد	نمت للأجسم فيها ربت الخطم
قربن بعد مزار العز من نظري	حتى رأيت إمام العصر من أمم
فهل درى البيت أنى بعد فرقته	ما سرت من حرم إلا إلى حرم
حيث الخلافه مضروب سرادقها	بسین النقيضين من عفو ومن نقيم
وللإمامة أنوار مقدسة	تجلو البغضين من ظلم ومن ظلم
وللسنة آيات تنص لنا	على الخفيين من حكم ومن حكم
وللمكارم اعلام تعلمنا	مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلى ألسن تثنى عمامدها	على الحميدین من فعل ومن شيم

ومنها:

ليت الكواكب ترون لي فانظما  
عقود مدح فما ارضى لكم كلم  
ثم استوطن بغداد مصر. قال ابن خلكان: كان شديد التعصب للسنة، أدبياً، ماهراً، رائجاً في الدولة  
ثم تملك صلاح الدين فامتدحه، ثم أنه شرع في اتفاق من رؤساء في إعادة دولة العبيدين فنقل  
أمرهم إلى صلاح الدين، فشقق عمارة في شان في رمضان سنة تسع وستين وخمسائة وقد نسب  
إلى عمارة بيت فربما وضع عليه فأنقوا بقتله وهو:

قد كان أول هذا الأمر من رجل  
سمى إلى أن دعوة سيد الأمم  
وهو من بيت إمرة وتقدم من تهائم اليم، وإذ وساع يكون عن مكة أحد عشر يوماً.

قال عمارة: كان القاضي محمد بن أبي عقامة الحفائلي رأس أهل العلم والأدب يزيد يقول ليتك  
أنت خارجي هذ الوقد وسعيدة؛ لأنك أصبحت تعد من أكابر التجار وأهل الثروة، ومن أعيان  
الفقهاء الذين أفتوا، ومن أفضل أهل الأدب فهنيئاً لك.

وحكى عمارة أن الصالح بن رزك فاوضه، وقال: ما تعتقد في أبي بكر وعمر؟ قلت: أعتقد أنه  
لولاها لم يبق الإسلام علينا ولا عليكم، وأن حجتهم واجبة، فضحك، وكان مرتاضاً حصيفاً قد  
سع كلام فقهاء السنة. قلت: هذا جلّم من الصالح على رفضه. ولعمارة فيه:

ولو لم يكن يدري بما جهل المورى	من الفضل لم تستفق عليه الفضائل
لئن كان منا قاب قوسين فيينا	فراسخ من إجلاله ومراحل

وله:

لي في هوى الرشاء العذري أعذار	لم يبق لي مذ أقر الدمع إنكار
لي في الحقدود وفي لثم الخدود وفي	ضم السهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق إن رضيت به	أو لا فدعني وما أهوى وأحترار

شَهِدْتُ يَقِيًّا أَنْ مَرَّ أَكْ جَنَّةُ      وَقَالُوا وَمَا أَذْرِي رَيْفُكَ كَوْنُ  
وقال ابن هانئ المغربي<sup>(١)</sup>:

لَمُنِي جَزَافًا وَسَاعَتِي مَصَارِفَةٌ      فالتناس في درجات الحب أطوارٌ  
وله بيت كَيَّسَ فِي الْعَبِيدِينَ:

أَفَاعِيلُهُمْ فِي الْجُودِ أَفْعَالُ مُنَّةٍ      وَإِنْ خَالَفُونِي فِي اعْتِقَادِ التَّشْيِيعِ

قلت: يا ليته تشيع فقط بل يا ليته ترفض، وإنما يقال: هو انحلال وزندقة. ولعمارة فضائل وأخبار يطول بها، وصلب معه داعي الدعاة، قاضي الديار المصرية أبو القاسم هبة الله بن كامل وكان صاحب فنون.

(١) هو: محمد بن هانئ أبو الحسن وأبو القاسم الأزدي، المهلب، الأندلس، المغربي، الشاعر، وقد ترجمت له مصادر كثيرة أذكر منها:

سير أعلام (١٣١/١٦)، جذوة المقتبس (٩٦)، بغية الملتبس (١٤٠)، معجم الأدبار (١٩/٩٢)، المطرب من أشعار أهل المغرب (١٩٢) التكملة لابن الأبار (١٠٣/١) وفيات الأعيان (٤٢١/٤)، المختصر في أخبار البشر (١١٢/٢)، العبر (٣٢٨/٢)، البداية والنهاية (٢٧٤/١١)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٨٨/٢)، الفلاحة والمفلكون (١٠٢)، النجوم الزاهرة (٦٧/٤)، نفع الطبيب (٢٩٣/١)، هدية العارفين (٤٧/٢)، شذرات الذهب (٤١/٣) وقال في ترجمته في ذكره لأحداث سنة اثنتين وستين وثلاثمائة: وفيها أبو الحسن، وأبو القاسم محمد بن هانئ حامل لواء الشعر بالأندلس. قيل إنه ولد يزيد بن حاتم، وكان أبوه هانئ في قرية من قرى المهديدة بأفريقية وكان شاعرًا أدبيًا، فانتقل إلى الأندلس، فولد له محمد المذكور بها بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فبهر فيه وكان حافظًا لأشعار العرب وأخبارهم، واتصل بصاحب اشبيلية وخطى عنده وكان كثير الانهماك في الملاذ متهمًا بمذهب الفلاسفة، ولما اشتهر عنه ذلك نفم عليه أهل اشبيلية، وساءت المقالة في حق الملك بسبه، واتهم بمذهبه هو أيضًا، فأشار الملك عليه بالغبية عن البلد مدة ينسى فيها خبرة، فانفصل عنها وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة فخرج إلى عدوة المغرب ولقي جوهر القائد ثم رحل إلى جعفر ويحيى بن علي، وكان بالمسيلة وهي مدينة الزاب وكانا واليها فيالغا في إكرامه والإحسان إليه ونهى خبره إلى معز أبي تميم معبد بن منصور العبيدي وطلبه منهما، فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه، ثم توجه المعز إلى الديار المصرية وشيعة ابن هانئ ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها، فأقام عنده أيامًا في مجلس الأنس، فيقال: إنهم عربوا عليه فقتلوه، وقيل: خرج من تلك الدار وهو سكران فنام على الطريق فأصبح ميتًا، ولم يعلم سبب موته.

وقيل: وجد في سانية من سواني برقة مخنوقًا بتكة سراويله، وكان ذلك في بكرة نهار الأربعاء ثالث عشر رجب من هذه السنة، وكان عمره ستًا وثلاثين سنة، وقيل: اثنتين وأربعين ولما بلغ المعز

هل من عالم يبرين  
ولمن ليالي ما ذممتا عهدا  
المشركات كأنهن كواكب  
بيض وما ضحك الصباح وإنما  
أدمى لها المرحان صفحة خده  
أعدى الحمام تأوهي من بعدها  
ياتوا سراغا للهوادج رقوة  
وكانما صبغوا الدجى بشياهم  
ماذا على حلل الشقيق لو أنها  
ولأعطشن الروع بعدهم فلا  
أعير لحظ العين هجة منظر  
لا الجوجو مشرق ولو اكسى

وَمَا عَذَبَ الْمِسْوَاكُ إِلَّا لِأَنَّهُ  
وَقُلْتُ لَهُ صِفْ لِي جَنَّا رَشَقَاتِهَا  
وقال آخر:

مِنْ آلِ هَارُونَ تَعَشَّمْتُهُ  
[٣٢/١] قَدْ أَنْزَلَ السُّلُوى عَلَى قَلْبِهِ  
يَقْتُلُنِي بِالصُّدِّ وَالْثَنِيهِ  
أَقُولُ وَالْمَنْ عَلَى فِيهِ<sup>(١)</sup>

لا يبعدن إذا العشير له يرى  
أيام فيه العبقري مغوف  
والبراغية شرع والمشرقة  
والعهد من لسياء إذ لا فوقها  
حزني لئذاك الجو هو آنة  
هبل يد فـين منه أجود سابع  
ومهند فـفيه الفرند كأنسه  
عضب المضارب مقهر من أعين  
قد كان رشح حديدته أحلى وما  
وكانما يلقي الضريبة دونه

وهي طويلة، قال في العبر: كان متغصاً في اللذات والمحرمات منهياً بدين الفلاسفة، شرب ليلة عند ناس فأصبح مخوفاً وهو في عُمر الخمسين انتهى.

(١) هذا شاعر عشق من بني هارون امرأة قد شغلته وصدت عنه صلود الدلال لا صدور الأعراض إلا أن هذا الصدود يورقه ويشغله ويخوفه خشية أن يكون صدور أعراض، لكنه يرجع بأن هذا الصدود صلود دلال لأنه يجد منه طعم المن والسلوى فهو يقبله ولكن على مضض فالتقرب أحب إليه من هذا الدلال المضني المحيف الذي يخشى مع زيادته أن يتقلب إلى صد حقيقي وأعراض بالكلية ثم جفاء ثم هجر، وهذا ما لا يجب أن يصل إليه الحال وربما أراد بالسلوى، سلوى القلب عن المحب في حال هجره أو بينه لسبب أو لآخر، فإن كان ذهب إلى هذا المعنى، فقد قال ابن حزم في طوق الحمامة في السلوى (ص ١٠٣ وما بعدها):

والسلوى في التجربة الجميلة ينقسم قسمين سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان يخلو به القلب ويفرغ به البال، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط، وهذا قسم ربما اخفى صاحبه الذم لأنه حادث عن أخلاق مذمومة، وعن أسباب غير موجبة استحقاق النسيان، وستأتي مينة إن شاء الله تعالى، وربما لم تلحقه اللائمة لعذر صحيح.

والثاني سلو تطبيعي: وهو قهر النفس، وهو المسمى بالتصبر، ترى المرء يظهر التجلد وفي قلبه

وقال كمال الدين بن العديم<sup>(١)</sup>:

فَوَا عَجَبًا مِنْ رَيْفِهَا وَهُوَ طَاهِرٌ خَلَالٌ      قَدْ أَمْسَى عَلَيَّ مُحَرَّمًا

أشد لدغاً من وحش الإشتى، ولكنه يرى بعض الشر أهون أو يحاسب نفسه بحجة لا تُصرف ولا تُكسر، وهذا قسم لا يُذم آتيه، ولا يلزم فاعله لأنه لا يحدث إلا عن عظمة، ولا يقع إلا عن فادحة إما لب لا يصبر على مثله الأحرار، وإما لخطب لا مرد له تجرى به الأقدار، وكفاك من الموصوف به أنه ليس بناس لكنه ذاك، وذو حنين واقف على العهد، ومتجرع مرارات الصبر والفرق العامي بين المنصبر والناس أنك ترى المنصبر وإن بدا غاية الجلد وأظهر سبب عيوبه والتحمل عليه لا يحتمل ذلك من غيره وفي ذلك أقول قطعة منها:

دعوني وسبي الحبيب فلاني      إن كنت أبدي المهجر لست معاديا  
ولكن سبي الحبيب كقلوبهم      أجساد فلُقاه الإله الدواهي

والناس ضد هذا. وكل هذا فعلى قدر طبيعة الإنسان وإجابتها وامتناعها قوة شكن الحب من القلب أو ضعفه وفي ذلك أقول، وسيت السالي فيه المنصبر قطعة منها:

ناس الأحبة غير من يملوهم      حكم المقصّر غير حكم المقصير  
ما قاصر للنفس غير مُحببها      ما الصابر المطبوع كالمنصبر

والأسباب الموجبة للسلو المنقسم إلى هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها وبمقدار الواقع منها يُعذر السالي أو يُذم.

فمنها الملك، وقد قدمنا الكلام عليه، وإن كان سلوه عن ملك فليس حبه حقيقة، والتمس صاحب دعوة زائفة، وإنما هو طالب لذة ومبادر شهوة والسالي من هذا الوجه ناس مذموم. ومنها الاستبدال: وهو وإن كان يُشبه الملل ففيه معنى زائد، وهو بذلك المعنى أقيح من الأول وصاحبه أحق بالذم. منها: حياء مركب يكون في المحب يحول بينه وبين لتعرض بما يجد فينطاول الأمر وتراخي المدة ويولي جديد المودة ويحدث السلو. وهذا وجه وإن كان السالي عنه ناسياً ليس بمنصف إذ منه جاء سبب الحرمان. وإن كان متصبراً فليس بملوم إذ أثر الحياء على لذة نفسه.

(١) كمال الدين بن العديم هو: محمد بن هبة الله العقيلي أبو غانم الشاعر ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٨٧/٢٢) في وفیات من مات سنة سبع وعشرين وستمائة ولم يترجم له.

وهو هنا يتعجب من طيب ولذة ريقها، وكأنه قد ارتشف منه كثيراً ثم فارقها تفرقاً يحرم عليه الاتصال بها غير أنه لم يذقها كما لم يذق طعم الخمر وكلاهما قد حرم الله تعالى عليه فالخمر محرمة بما نص الله تعالى عليه في كتابه الكريم، وأما هي فمحرمة تحريماً مؤقتاً إلا بالزواج الذي شرع الله، غير أنه لم يتمكن من هذا الذي أباح الله فلهاذا هي محرمة عليه، وعلى الرغم من ذلك يتصور أنه قد ارتشف من ريقها وعرف لذة هذا كما عرف لذة الخمر وكلاهما لم يلمس فاه، ولكن لشدة شوقه لهذا تخيله تخيلاً يشبه عنده الحقيقة الملموسة.

هُوَ الْحَمْرُ لَكِنْ أَيْنَ لِلْحَمْرِ طَعْمُهُ وَلَذَّتُهُ  
مَعَ أَنْسِي لَمْ أَذْقْهُمَا  
وقال التهامي<sup>(١)</sup>:

(١) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن فهد، التهامي، الشاعر، ومن المصادر التي ترجمت له: سير أعلام النبلاء (٣٨١/١٧)، دمية القصر (١٣٥/١)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٢/٤/٥٣٧)، وفيات الأعيان (٣٧٨/٣)، المختصر في أخبار البشر (١٥٥/٢)، العبر (١٢٢/٣)، تمة المختصر (٥٠٨/١)، مرآة الجنان (٣٠/٣)، تمة اليتيمة (٣٧/١)، البداية والنهاية (١٩/١٢)، النجوم الزاهرة (٢٦٣/٤)، شذرات الذهب (٢٠٠٤/٣) وقال في ترجمته في أحداث سنة ست عشرة وأربعمائة: وفيها أبو الحسن التهامي على بن محمد الشاعر له ديوان مشهور، دخل مصر يكتب من حسان بن مرقع فظفروا به وقتلوه سرًا في جمادى قال ابن بسام الأندلسي في كتاب السذخيرة في حقه: كان متميز الإحسان، ذرب اللسان، غلي بينه وبين ضروب البيان يدل شعره على فوز قدح دلالة التسييم على الصبح، ويعرب عن مكانة من المعلوم أعراب الدمع عن سر الهوى المكتوم.

وقال ابن خلكان: له ديوان شعر صغير أكثره نخب ومن لطيف نظمه من جملة قصيدة طويلة يمدح بها الوزير أبا القاسم:

قلت لخلقي وثغور الربا      ميسمات وثغور الملاح  
أيهما أحلى ترى منظرًا      فقال لا أعلم كل أقباح

ولها مرثية في ولده وكان قد مات صغيرًا وهي في غاية الحسن، ولم يمنعني من الإتيان بها إلا أن الناس يقولون هي عذرة فتركها، وكان من جملتها بيتان في الحساد ومعناها غريب:

إني لأرحم حاسدي لحرمنا      ضمت صدورهم من الأوغار  
نظروا صنيع الله بي فعيونهم      في جنة وقلوبهم في نار  
ومنها في ذم الدنيا:

جبلت على كدر وأنت تريدها      صفوا من الأقداء والأكدار  
ومكلف الأيام ضد طباعها      متطلب في المساء جذوة نار  
وإذا رجوت المستحيل فأنسا      تبني الرجاء على شفير هار  
ومنها:

جاورت أعدائي وجاور ربه      شتان بين جواره وجواري  
وتلهب الأحشاء شيب مفرقي      هذا الشعاع شواطئ تلك النار  
وله بيت بديع من قصيدة وهو:

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الوري      طرًا فلا تعيب على أولاده

ورآه بعض أصحابه بعد موته في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: فبأي الأعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولدي:

لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْحَوَانَا نَغْرُ مِسْمَهَا      مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيْبًا سَاعَةَ السَّحْرِ  
وقال بعض العرب:

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا بَعْدَ هَجَعَتِهَا      وَأَحْسَنَ النَّاسِ عَيْتًا حِينَ تَنْقَتِبُ  
وأصل هذا من قول امرئ القيس:

/ [٣٢/ب] كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ      وَنَشْرَ الْخُرْزَامِي وَرِيْحَ الْقَطْرِ  
يُعْلِلُ بِهِ بَرْدَ أَنْيَابِهَا      إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ<sup>(١)</sup>

فهذه معانٍ تشحذ طيبة الخواطر، وتنبه على الوجد كل فاطر، وتخلج الرياض جادها صوب السحاب الماطر، وما زلت على مثل هذه الحال من الحرق والبلبال، وقطع مسافة الأيام والليالي، وأنا على مثل حرّ المقاتلي، إلى أن دنا وقت الميعاد، وأطل يومه أو كاد، فَبِتُّ في الليلة التي تسفر عن صباحه، وتجلّى بغيره وأوضحه، أراقب النجوم وهي أنضاء

جاورت أعدائي وجاور ربه      شتان بين جواره وجواري

انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصاً. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: التهامي شاعر وقته... له ديوان شعر صغير، وكان ديناً ورعاً عن الهجاء ولد باليمن، وقدم الشام والعراق والجليل، واستندح ابن عباد، وصار معتزلاً، ثم ولي خطاية الرملة، وزعم أنه علوي. وذهب إلى مصر بخير لحساب بن مفرج، فقتل مراراً سنة ست عشرة وأربعمائة. قلت: وعلق محقق سير أعلام النبلاء على ديوانه بقوله في الهامش:

هو مطبوع في الإسكندرية عام ١٨١٣م ومن جيد شعره مرثيته التي قالها في رثاء ولده وكان صغيراً:

مات صغيراً حُكِمَ المنية في البرية جار      ما هذه الدنيا بدار قرار

ثم ذكر منها أبيات، ثم قال: وقد طبعت مرثيته هذه في كتاب: بلوغ الأرب بشرح قصيدة في كلام العرب.

(١) معلوم تغير نفس الإنسان وريقه أثناء النوم ويظهر ذلك عند قيامه من النوم وهذا عام في كل البشر غير أنه استثناء من ذلك بل وجعلها طيبة الريق لا متغيرته فيه إن قامت من نومها لا تحتاج إلى مضغضة ولا غيرها لعدم تغير رائحة الفم أو لإعادته إلى تضارته وحيويته بل هو طيب الذات قبل وأثناء وبعد النوم. ثم راح يمدح عيونها بالجمال والحدود والحسن وأن ذلك الجمال البديع يشتد حسنه ويظهر كماله وتأثيره على القلوب حين تخفى باقي معالم وجهها فلا يتركز النظر إلا عليه فبإذا به لا ينظره جمالا ولا تدانيه عيون فلا هي عيون منها ولا هي عيون حواء بل هي عيون من نوع خاص يجلب القلوب ويجرى إلى الهوى ويسحر الناظر ويؤثر فيما يقع عليه تأثيراً جذاباً غيراً فلا يكاد يتحول عنه جمالاً ولا يستطيع لإدامة النظر إليه خجلاً وإجلالاً وتقديراً وإكباراً.

أسفار، وأشاهد الفلك وقد عطل المدار، وكان النجوم مقلّ اعترها السهّاد، وجفاها السرقاد، فما تطرف لها جفون/[٣٣/أ] ولا تطرق لها عيون، بل كأنها زهر روضة لا يصوخ نباتها، أو كأنها ثابتة مجتمعة، فلا يتغير نباتها، ولا يرجى شتاتها، أيها نظرت إليه وجدته مقيماً لا يرحد، ومستقرّاً لا يخلخل، كأن سواد الليل حيرها فما تهدي إلى مغربها، ولا تعرف وجه مذهيبها، أضلها الظلام، وأضناها ليل التمام، فلم تنجح إلى أنفول، ولا حدثت نفسها بقول، كأنما فلكها قد أعيا، وأخذها البرطقيّة، فتغير نظام دورانه، وكلما ظن أنه استقل، عاد إلى مكانه، فبعثاً لها من ليلة طال أمد عمرها، وأريت على حولها وشهرها، وشكرها لها إذ كان يومها موعداً للوصل وسلمناً إلى بلوغ/[٣٣/ب] الآمال فلم أزل أحبيبها وجداً وغراماً، وتنتني تذكراً وهياماً:

أَحْيَيْتُهَا وَالذُّمُّوعُ تُنَجِّدُنِي شُؤُونُهَا وَالظُّلَامُ يُنَجِّدُهَا<sup>(١)</sup>

(١) وفي نحو هذا يقول ابن حزم في الوصل في طرق الحسامة (ص ٥٩):

ومن لذّيذ معاني الوصل المواعيد، وإن للوعد المنتظر مكاناً لطيفاً في شغاف القلب، وهو ينقسم قسمين: أحدهما: الوعد بزيارة الحب محبوبة وفيه أقول قطعة منها:

أسامر البدر لما أبطأت وأرى في نوره من سنا لإشراقها عرضاً  
فبت مشترطاً والود مختلطاً والوصل منبسطاً والمجر منقبضاً

والثاني: انتظار الوعد من الحب أن يزور محبوبة، وإن لبيدائ الوصل وأوائل الإسعاف لتوجّها على الفؤاد ليس لشيء من الأشياء. وإني لأعرف من كان ممتحناً بهوى في بعض المنازل المصانية فكان يصل متى شاء بلا مانع، ولا سبيل إلى غير النظر والمحادثة زماناً طويلاً، ليلاً متى أحب ونهاراً، إلى أن ساعدته الأقدار بإجابة ومكنته بإسعاد بعد يأسه لطول المدة ولعهدي به قد كاد أن يختلط عقله فرحاً، وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك:

برغبة لو إلى ربي دعوتها لكان ذنبي عند الله مغفوراً  
ولو دعوتها أمد الغلا لفدا واضرارها عن جميع الناس مقصوراً  
فجاد باللثم لي من بعد منعتة فاهتاج من لوعتي ما كان مغفوراً  
كشارب الماء كي يطفئ الغليل به فغص فانصاع في الأجداث مقبوراً  
وقلت:

جرى الحب من مجرى النفس وأعطيت عيني عنان القيس  
ولي سيد لم يرزل نافراً وربما جاد لي في الخلس  
فقبلسته طالباً راحسة فزاد أليلاً بقلبي اليأس



وكان فؤادي كبيت هشيم  
ومنها:

ويا جوهر الصين سحقاً فقد  
ثم قال:

ولاني لأعرف جارية اشتد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء، وهو لا علم عنده وكثر غمها، وطال أسفها إلى أن ضنيت بحبه وهو بفرارة الضبا لا يشعر ويمنعها من إبداء أمرها إليه الحياء منه؛ لأنها كانت بكرًا بخاصها مع الإجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدري لعله لا يوافق، فلما صادى الأمر وكانا ألفين في النشأة شكت ذلك إلى امرأة جزلة الرأي كانت تثق بها لتوليها تربيتهما، فقالت لها: عرضي له بالشعر، ففعلت المرة بعد المرة، وهو لا يابيه في كل هذا، ولقد كان لفتًا ذكيًا، لم يظن ذلك فيميل إلى تنيش الكلام بومه إلى أن عيل صبرها وضاق صدرها، ولم تسك نفسها في قعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين ولقد كان يعلم الله عقيقًا متصاؤنًا بعيدًا عن المعاصي، فلما حان قيامها عنه بدّرت إليه فقبلته في قمه، ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة، وهي تنهادي في مشيها كما أقول في أبيات لي:

كانها حين تخطو في تأوذهما  
قضيبي نرجسة في الروض مَيَّاسُ  
كانما خلدها في قلب عاشقها  
ففيه من وقمها خطر وسواس  
كانما مشيها مشي الحمامة لا  
كدُّ يعاب ولا ببطء به باس

فَبُهِتَ وسقط في يده وقتٌ في عضده، ووجد في كبده، وعلته وجمة، فما هو إلا أن غابت عنه، ووقع في شرك الردى، واشتعلت في قلبه النار، وتصعدت أنفاسه، وترادفت أوجافه وكثر قلقه، وطال أرقه، فما غمض تلك الليلة عينا، وكان هذا بدء الحب بينهما دهرًا، إلى أن جذَّب جملة يد السنوي، وإن هذا لمن مصائد إبليس وداعي الهوى التي لا يقف لها أحد إلا من عصمه الله عز وجل.

ومن الناس من يقول: إن دوام الوصل يؤدي بالحب، وهذا هجين من القول، إنما ذلك لأهل الملل، بل كلما زاد وصلًا زاد اتصالًا. وعني أخبرك أنني ما رويت قط من ماء الوصل ولا زادني إلا ظمًا. وهذا حكم من تدأوى برأيه وإن رأيه عنه سريع، ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغابات السني لا يجد الإنسان وراءها مرمى، فما وجدني إلا مستزيدًا، ولقد طال بي ذلك فما أحسست بسامة ولا أرهقتني فترة، ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت أحب فلم أجل خاطري في فن من فنون الوصل إلا وجدته مقصورًا عن مرادي، وغير شافٍ وجدي ولا قاضي أقل لبانة من لباناتي، ووجدتني كلما ازدددت دنوًا ازدددت ولوغًا وقدحت زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس:

وددت بأن القلب شق بمديّة  
وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري  
وأصبحت فيه لا تحلين غيره  
إلى مقتض يوم القيامة والحشر

إلى أن كاد الظلام يشف لونه ويحمر جونه، وبدأت أعلام الصباح منشورة وطلعت رايات النهار منصورة، وولى زنجي الليل وهو هزيم، وركض هارباً وعقبه كليم، وذُرَّ حاجب الغزالة مشرق الأنوار، وأجرت بوح سيل الذهب المذاب على الأقطار، وأسفرت ذكاء عن وجهها المنير، وألقت ضمائر الظلام عن عارضها المستدير.

//[٣٤/] وقد ذكرت هذا الفصل شعراً مرقوماً يفوق درأً منظوماً... <sup>(١)</sup> ابن هاني الجامعة لهذه المعاني التي أولها:

أَلَيْسْنَا إِذَا أُرْسِلَتْ وَارِدًا وَخَفَا  
وَبَشْنَا نَرَى الْجَوَازَاءَ فِي أَذْنِهَا شَفَا  
وهي مشهورة بقائلها، فلا تُعِيبُ بِإثباتها يد ناقلها، فمن أرادها فقد دلتها ومن أنكرها فقد عرفته <sup>(٢)</sup>.

تعيشين فيه ما حبيت فإن أُمْتُ سكنت شفاف القلب في ظلم القبر

وما في الدنيا حالة تعدل محين إذا عدما الرقباء وأمنأ الوشاة، وسلمأ من البين، ورغبأ عن الحجر، وبُعِدأ عن الملل، ونقدا العذال، وتوافقأ في الأخلاق وتكافأ في المحبة، وأتاح الله هما رزقاً داراً، وعيشاً قاراً، وزماناً هادئاً، وكان اجتماعها على ما يرضي الرب من الحال وطالت صحبتهما والتصاقهما، واتصلت إلى وقت حلول الحمام الذي لا مرذ له ولا بدمنه هذا عطاء لم يحصل عليه أحد، وحاجة لم تقضى لكل طالب، ولولا أن مع هذه الحال الإتفاق من بغتات المقادير المحكمة في غيب الله عز وجل من حلول فراق لم يكتسب، واحترام منية في حال الشباب أو ما أشبه ذلك لقلت: أنها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من كل دخيلة.

ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله إلا أنه كان ذهي فيمن كان يحبه بشراسة الأخلاق، ودالة على المحبة فكانا لا يتهايانا العيش ولا تطلع الشمس في يوم إلا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعاً بهذا الخلق لثقة كل واحد منهما بمحبة صاحبه إلى أن دنت النوى منهما ففترقا بالموت لهذا العالم.

(١) موضع النقط كلمة أو أكثر غير واضحة في المخطوط.

(٢) وهو هنا يقول لنا بأن الانتظار قد أقضى إلى الوفاء والوصال، فبلغ المراد لم يضع صبره هباءً بل ونفى المحبوب بما قطع على نفسه من الوعد، وفي ذلك يقول ابن حزم في طرق الحمامة في الوفاء (ص ٧٦): ومن حديد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء، وإنه لمن أقسى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات، وفي ذلك أقول قطعة منها:

أفعال كل امرئ تنبئ بعنصره والعين تغنيك عن أن تطلب الأثر  
ومنها:

وقال مجد الدين محمد بن الظهير الخنفي، شاعر<sup>(١)</sup> من بلدتنا الغراء، ومجيد من أعيان الشعراء شعره أجرى من الماء تحدر من صيب وأقبل في النفوس من ابن غمام زوج بانية عنب بمدح السعيد الشهيد تاج الدين أبا المعالي محمد بن نصر بن الصلايا العلوي الحسيني<sup>(٢)</sup> سقى الله عهده سبل العباد، وروى ثراه بكل ملت الودق ذي أبارق وأرعاد.

/[٣٤/ب] أَلَا يَكُنْ أَسْلَمِي يَا دَارَ مِي عَلَى الْبَلِي وَلَا زَالَ مُنْهَمَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ  
فلقد كانت أيامه مواسم المسرة، وأوقاته وقفًا على المبرة، فمضى محمود السجايا

وهل ترى قط دقلى أنبت عنباً أو تذخر النحل في أوكارها الصبرا  
وأول مراتب الوفاء أن يفى الإنسان لمن يفي له وهذا فرض لازم، وحق واجب على الحب والمحوب لا يحول عنه إلا خيبت المحمد لا خلاق له ولا خير عنده....  
ويقول في طوق الحمامة أيضاً في البين في (ص ٨٥): في الأوبة بعد البين:  
وإن الأوبة من البين الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تياس من العودة فيه لروعة تبلغ ما لا حد وراءه، وربما قتل، وفي ذلك أقول:

للتلافى بعد الفراق سرور كسرور المغيق حانت وفاته  
فرحة تبهج النفوس وتحيي من دنا منه بالفراق مماته  
ربما قد تكون داهية الموت وتودي بأهله هجماتـه  
كم رأينا من عب في الماء عطشان فزار الحمام وهو حياته  
ولمى لأعلم من نأت دار محبوبة زمناً ثم تيسرت له أوبة فلم يكن إلا بقدر التسليم واستيفائه حتى دعت نوى ثانية فكاد أن يهلك وفي ذلك أقول:

أطلت زمان البعد حتى إذا انقضى زمان النوى بالقرب عُدت إلى البعد  
فلم يك إلا كره الطرف قربكم وعادكم بعدي وعادني وجدي  
كذا حائر في الليل ضاقت وجوهه رأى السبرق في داج من الليل مسود  
فأخلفه منه رجاء دوامه وبعض الأراجسي لا تفيد ولا تجدي  
وفي الأوبة بعد الفراق أقول قطعة منها:  
لقد قرت العينان بالقرب منكم كما سحنت أيام يطوبكم البعد  
فلله فيما فد مضى الصبر والرضا والله فيما قد قضى الشكر والحمد

(١) لم أقف على ترجمة محمد بن الظهير الخنفي الشاعر فيما بين يدي من المراجع فابحث عنه.

(٢) وكذا لم أقف على ترجمته هذا أيضاً وأكد أن له ترجمة ليست لدي الآن فابحث عنها

فيما يتوفر لك من مراجع في مكتبك.

طلّاع الثنايا، شريف الخلال والمآثر، والمزاياء، إذا اقتسمت غنائم الشرف، فله المربع  
 منها والصفايا، إلى الخيرات منقطع القرين، وفاق غرابة الأوس في تلقي راية المجد باليمين:  
 أَيَا قَبْرٍ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِثَتْ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ زِينَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَنَزَعًا  
 وأنفذ هذه الأبيات إليه من الشام على يد أخيه وأولها:  
 لَوْ وَجَدْنَا إِلَى الْقَاءِ سَبِيلًا لَسْتَفِينَا بِالْقُرْبِ مِنْكَ غَلِيلًا  
 وَسَقَيْنَا عَلَى الرُّؤُوسِ سِرَاعًا وَرَأَيْنَاهُ فِي هَوَاكُم قَلِيلًا  
 قَدْ سَأَلْنَا الْقَبُولَ حَمْلَ التُّحَيَاتِ فَيَأْتِيَنَّهَا أَصَابَتْ قَبُولًا<sup>(١)</sup>

(١) وفي هذا المعنى يقول ابن حزم في طوق الحمامة (ص ٨٣) في البين لي قصيدة له منها:

مضى تستغني نفسي أضر بها الوجد وتصبّ دار قد طوى أهلها البعد  
 وعهدي يهتد وهي جارة بيتنا وأقرب من هند لطالبتها الهند  
 بلى إن في قرب السديار لراحة كما يملك الظلمان أن يدنو الورد  
 ثم يقول:

للتلاني بالفراق سرور كسرور المفريق حانت وفاته  
 فرحة تهبج النفوس وتحى من دنا منه بالفراق ماته  
 ربما قد تكون داهية الموت وتوذي بأهله هجمات ه  
 كم رأينا من عبء في الماء عطشان فزار الحمام وهو حباته

وإني لأعلم من نأى دار محبوه زمناً، ثم تيسرت أوبة، فلم يكن إلا بقدر التسليم واستيقانه حتى  
 دعت نوى ثانية. فكاد أن يهلك وفي ذلك أقول:

أطلت زمان البعد حتى إذا انقضى زمان النوى بالقرب عدت إلى البعد  
 فلم يك إلا كرة الطرف قريبكم وعادوكم بعدي وعادوني وجدي  
 كذا حائر في الليل ضاقت وجوهه رأى البرق في داج من الليل متود  
 فأخلفه منه رجاء دوامه وبعض الأراجي لا تفيد ولا تجدي  
 وفي الأوبة بعد الفراق أقول قطعة منها:

لقد قرت العينان بالقرب منكم كما سحنت أيام يطوبكم البعد  
 فله فيما قد مضى الصبر والرضى والله فيما قد قضى الشكر والحمد

ثم يذكر خبر حدث له فيذكر فيه شعر، ثم يذكر شعراً آخرَ خاصاً بالعودة واللقاء فيقول فيه:

بشرى أتت والياس مستحکم والقليب في سبع طباق شداد  
 كنت فوادي حاضرة بعدما كان فوادي لا يسا للحداد

/ [٣٥/ أ] ويقول فيها:

مَلَّتِ الْيَدُ وَخَدَعَا وَالْذَّمِيلَا  
إِلَى السَّيْلِ السَّيْلِ سَيْلَا  
جَاعِلَ كُلِّ كَوَكَبٍ قِنْدِيلَا  
قَدْ أَعْدَدُوا أَسِنَّةً وَنُصُولَا  
نُورُهُ يَأْتِي بِالْثَنْدِي مَطْلُولَا  
عَادَ مَعْقُودُ سَلَكِهَا مَخْلُولَا  
بَارَ حَجَرٍ مَا أَوْشَكَتْ أَنْ تَزُولَا  
كَمَا شَارَفَ الْخِصَابُ التَّصُولَا  
دَهَمَ اللَّيْلُ وَإِنِّي مَشْكُولَا  
كَاجِلَ لِلظُّلَامِ طَرَفَا كَحَبِيلَا  
وَرُحْنَا مِنْ خَمْرَةِ الشُّهْدِ مَيْلَا  
مُطْلَقَا وَإِنِّي أُنْسِمُ عَلِيلَا  
الصَّاحِبِ الصَّدْرِ مُرْتَجِي مَأْمُولَا<sup>(١)</sup>

وَقَلَاةً فَلَيْسَتْهَا بِمَنْوُنْ  
مِثْلَ ظَهْرِ الْمَجْنِ لَا يَجِدُ الْخَرْتُ فِيهَا  
جَمِئَتْهَا وَالظُّلَامُ رَاهِبُ لَيْلِ  
أَوْ عَظِيمُ لِلزَّنَجِ يَفْدُمُ جَيْشَا  
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ رَوْضُ أَرِيضُ  
وَكَأَنَّ السُّجُومَ دُرٌّ عَقُودِ  
لَيْلَةٌ كَالْعِدَافِ لَوْ لَمْ يَرَعَهَا  
رَقَّ جَلَبَابُ جَنَحِهَا وَبَدَا شَفَا  
وَتَوَلَّتْ وَأَشْهَبَ الصُّبْحُ يَنْتَلُو  
وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ مِثْلَ الْجَنِينِ  
/ [٣٥/ ب] مَا انْقَهَتْ وَالشُّهَادَةُ حَتَّى انْتَهَى الصَّبْرُ  
وَتَنَى النُّجْمُ عَنِّي سُرَاهُ عَنَانَا  
وَاجْتَلَيْنَا وَجْهَ الشُّهَارِ كَوَجْهِ

يُجَلِّي بِلَوْنِ الشَّمْسِ لَوْنَ السَّوَادِ  
صِدْقِي وَفَاءِي بِقَدِيمِ الْوَدَادِ  
لَكِنَّ لَظْلًا بَارِدَ ذِي امْتِدَادِ

جَلَا سَوَادِ الْغَمِّ عَنِّي كَمَا  
هَذَا وَمَا آمَلُ وَصَلًا سَوَى  
فَالْمَزْنَ قَدْ تَطَلَّبَ لَا لِلْحَيَا

وَلِي هَذَا الْفَاءُ وَنَحْوَهُ يَقُولُ الْمُتَنِي فِي دِيْوَانِهِ:

وَرَوِيَاكَ أَحْلَى فِي الْعَيُونِ مِنَ الْغَمَضِ  
شَهِيدَهَا بَغْضَ لِفَسِيرِي عَلَى بَعْضِ  
تَخَصُّصٍ بِهِ يَا خَيْرَ مَاثِرٍ عَلَى الْأَرْضِ

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمُضِي  
عَلَى أَنَسِي طَوَقَتْ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ  
سَلَامُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ عَرْشُهُ

(١) ويقول ابن حزم في طرق الحمامة أيضاً في الوصل (ص ٥٩):

ومن وجوه العشق الوصل، وهو خط رفيع، ومرتببة سرية ودرجة عالية، وسعد طالع، بل هو الحياة المهددة، والعيش السني، والسرور الدائم ورحمة من الله عظيمة.  
ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكابرة لقلنا أن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه، والفرج الذي لا شائبة فيه ولا حزن معه، وكمال الأمانى ومنتهى

المراجعي. ولقد جريت اللذات على تصرفها، وأدركت الخطوط على اختلافها فما المدون من السلطان، ولا المال المستفاد، ولا للوجود بعد العدم ولا للأوبة بعد طول الغيبة ولا للأمن بعد الخوف ولا الثروح على المال من الواقع في النفس ما للوصل ولا سيما بعد طول الامتناع وحلول المهجر حتى يتأجج عليه الحوى، ويتوقد لهيب الشوق وتنصرم نار الرجاء، وما أصناف النبات بعد غيب القطر، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات في الزمان السجسج ولا خريف المياه المتخللة للأفانين النوار ولا تأنق القصور البيض قد أحرقت بها الرياض الخضراء، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه وحُمدت غرائزه وتقابلت في الحسن أوصافه، وإنه لمعجز ألسنة، وإنه البغاء مقصر فيه بيان الفصحاء وعنده تطيش الألباب وتعزب الأنهام، وفي ذلك أقول:

وسائل لي عُمالي من العمر	وقد رأى الشيب في الفودين والعذر
أجبت ساعة لا شيء أحسبه	عمرًا سواها بحكم العقل والنظر
فقال لي كيف ذا يُبْنَى لي فلق	أخبرتني أشنع الأنبياء والخبر
فقلت إن الذي قلبي بها علق	قبلتها قبلة يومًا على خطر
فما أعدت ولو طالبت سني سوى	تلك السوية بالتحقيق من عمري

ومن لذيق معاني الوصل المواعيد. وإن للوعد المنتظر مكانًا لطيفًا من شغاف القلب وهو ينقسم قسمين: أحدهما الوعد بزيارة المحب للمحبوب وفيه أقول قطعة منها:

أسامر العبد لما أبطأت وأرى	في نوره من سنا إشراقها عَرَضًا
فبت مشترطًا والود مختلطًا	والوصل منبسطًا والمهجر منقبضًا

والثاني: انتظار الوعد من المحب أن يزور محبوبه، وإن لمبادئ الوصل أوائل الإسعاف لتولجاً على الفؤاد ليس لشيء من الأشياء وإني لأعرف من كان منتحنًا يهوى في بعض المنازل المصالبة فكان يصل مني شاء بلا مانع ولا سبيل إلى غير النظر والمحادثة زمانًا طويلاً كيلاً متى أحب ونهاراً إلى أن ساعدته الأقدار بإحابة ومكنته بإسعاد بعد يأسه لطول المدّة، ولمهدي به قد كاد أن يختلط عقله فرحاً وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك:

برغبة لو إلى ربي دعوت بها	لكانت ذنبي عند الله مغفورا
ولو دعوت بها أسد الفلا لقدًا	إضرارها عن جميع الناس مقصورا
فجاد باللمث لي من بعد منعته	فاهتاج من لوعتي ما كان مغفورا
كشارب الماء كي يطفئ الغليل به	فقص فانصاع في الأحداث مقبورا

وقلت:

وأعطيت عني عنان القربى	جري الحب مني مجرى النفس
ولي سيد لم يزل نافراً	وربما جادلي في الخلس
فقبلته طالبا راحة	فزاد السيل بقلبي اليبس

وتبعته أنا فقلت من أبيات في المخلوم شمس اليبدين صاحب الديوان أعز الله نصره:

وَكَيْلٍ غَدَايَ الْإِهَابِ ارْتَدَّتْهُ      وَصَخْبِي نَشَاوَى مِنْ نَعَايٍ وَمِنْ لَعَبِ  
كَأَنَّ السَّمَاءَ اللَّازُورْدِي مَطَرٌ      وَأَنْجَمُهُ فِيهِ دَنَائِيرُ مِنْ ذَهَبِ  
قَدْ أَطْرَدَتْ فِيهِ الْمُجَرَّةُ جَذُولًا      فَلَاخَ عَلَسِيهِ مِنْ كَوَاكِبِهَا جَبِ  
كَأَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَجْهَ مُحَمَّدٍ      إِذَا أُمُّهُ الرَّاجِي فَأَعْطَاهُ مَا طَلَبِ

فنهضت أسابق رجع الطرق مسارعاً إلى متين الطرف [٣٦/أ] واستصحب ذلك الغلام إلى موضع ميعاد بدر التمام وحين رأيت مسارح تلك الغادة المكسال، وشممت من تلك التربة، أُرْجُحُ مساجب الأذيال، أنشدت، ودموع العين آخذة في الانهيار:

وَحَقِّكَ إِنَّ الْجِدْعَ أَضْحَى ثُرَابُهُ      عَيْبَرًا وَكَافُورًا وَعَيْنَانَهُ رُثْدَا  
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ مَشَتْ بِجَنَابِهِ      أُمِيمَةً فِي سِرْبٍ وَحُرَّتْ بِهِ بُرْدَا<sup>(١)</sup>

وكان فوادي كسبت هشيم  
وبيس رمى فيه رام قيس  
ومنها:

ويا جوهر الصين سحقاً فقد      عنيت بـياقوتة الأنـدلس

(١) ويصف ابن حزم في طوق الحمامة (ص ٦٢: ٦٣) أحوال المحبين عند اللقاء بأنها أنقى وأهنا الأحوال فيقول:

روي عن زياد بن أبي سفيان رحمه الله أنه قال لجلسائه من أنهم الناس عيشة؟ قالوا: أمير المؤمنين فقال: وأين ما يلقي من قريش؟ قيل: فانت، قال: أين ما ألقى من الخوارج والثغور؟ قيل: فمن أيها الأسير، قال: رجل مسلم له زوجة مسلمة لها كفاف العيش قد رضيت به ورضي بها لا يعرفنا ولا نعرفه. وهل فيما وافق إعجاب المخلوقين وجلا القلوب، واستمال الحواس، واستهوى النفوس واستولى على الأهواء واقتطع الألياب واختلس العقول مستحسن يعدل (إشفاق عجب على محسوب. ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيراً، وإنه لمن المناظر العجيبة الباعثة على الرفقة الرائعة المعنى لا سيما أن كان هو يتكتم به، فلو رأيت المحبوب حين يعرض بالسؤال عن سبب تغضبه بمحبته وخجله في الخروج مما وقع فيه بالاعتذار وتوجهه إلى غير وجهه وتحليه في استنباط معنى يُقيمه عند جلسائه لرأيت عجباً ولذة مخفية، لا تقاومها لذة، وما رأيت أجلب للقلوب ولا أغوص على ديارها ولا أنفذ للمقاتل من هذا الفعل، وإن للمحبين في الوصل من الاعتذار ما أعجز أهل الأذهان الذكية، والأفكار القوية ولقد رأيت في بعض المرات هذا فقلت:

إذا مزجت الحق بالباطل      جوّزت ما شئت على الغافل  
ونبيهما فرق صحيح له      علامة تبدو إلى العاقل

وقريب منه قول النميري<sup>(١)</sup>:

تَضَوُّعٌ مِسْكًا بَطْنُ نُعْمَانَ أَنْ مَشَتْ  
يُخْمَرْنَ أَطْرَافَ النَّبَاتِ مِنَ الثَّقَى  
بِهِ زَيْتَبٌ فِي نِسْوَةِ عَطَرَاتِ  
وَيَخْرُجْنَ جَنَحَ اللَّيْلِ مُغْتَجِرَاتِ

وجاءت العين بما هو أغزر من نوء العين فكفكفته تجلداً فوكف، وسمه وقوفاً فما وقف، وأردت/ [٣٦/ب] الإنكار فاعترف وصاب، فكأنه من لجة البحر اغترف أرى آثارهم فأذوب شوقاً، وأسكب في مواطنهم دموعي، وأسأل من بفرقتهم زماني بمن عليّ

كأنهم إن تفرج به فضة  
وإن تصادف صائغاً ما هراً  
جازت على كل فني جاهل  
مُؤَزَّرٌ بَيْنَ الْخَمَضِ وَالْحَائِلِ

(١) هو: نصر بن منصور بن حسن أبو المواهب النميري، الأمير الأديب الشاعر جاءت ترجمته في كثير من المراجع منها:

إرشاد الأديب (٧/ ٢٠٨)، المرأة (٨/ ٤٢١)، الروضتين (٢/ ٢١١)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٨٣)، المختصر المحتاج إليه (٣/ ٢١٣)، التكملة (١/ ١٦٦)، نكت الحميان (٣٠٠)، البداية والنهاية (١٢/ ٣٥٢)، عقد الجمان (١٧/ ١٥٨)، النجوم الزاهرة (٦/ ١١٨)، تاريخ ابن الفرات (٨/ ٤١)، شذرات الذهب (٤/ ٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢١٣) وحالة أمه بنت بنت سالم بن مالك ابن صاحب الموصل بدران بن مقلد العقيلي ولد بالرقعة بعد الخمائة. وقال الشعر وهو مراهق وله ديوان.

ضعف بصره بالجدري. ثم اختلفت عشيرته، واحتل نظامه، فقدم بغداد، وحفظ القرآن وتفقه لأحمد، وأخذ النحو عن ابن الجواليقي، وسمع منه هبة بن الحصين وجماعة.

وصحب الصالحين ومدح الخلفاء، وأضر بأخيه روى عنه عثمان بن مقبل، وأبها عبد الرحمن وابن الديلمي، وابن خليل، وعلي بن يوسف الحمامي، وكانت لأبيه قلعة نجم، وهو القائل:

يسر هدي في جميع الأنعام  
وهل عرف الناس ذو نهية  
هم الناس ما لم يجربهم  
وليتك تسلم حال الجهاد  
قلعة إنصاف من يصحب  
فأمسى له فيهم مآرب  
وطلبى الذناب إذا جربوا  
منهم فكيف إذا قُربوا  
وله:

أحب علياً والبترول وولدها  
وأبشراً ممن نال عثمان بالأذى  
وعجبني أهل الحديث لصدقهم  
ولا أححد الشيخين حق المتقدم  
كما أتتراً من ولاء ابن ملجم  
مدى الدهر في أعالمه والتكلم

ومات في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمائة.



منهم بالرجوع.

وظفقت أجول في تلك العراض، وأطلب الخلاص، ولات حين مناص، فألوم نفسي نارة، وأعزرها أخرى، واستنصر بأمداد الصبر وهي وانية جسري، إلى أن كاد اليأس يغلب الأمل، وامتد أمد الانتظار حتى قلت: إن يومه بآخر الدهر قد اتصل، فإذا الشرب قد عنَّ وصدَّق الحبيب الظن وذهب فن وأقبل فن، وحصل جُودٌ وثَمُّ مَنْ.

فصمت أفرش خدي في الطريق له ولا وأسحب أكامامي على الأرض / [٣٧/١] وحررت عند مشاهدة جمالها، وشغلني حُسنها عن السلام عليها، فوقفت ذاهلاً، وقد أصبح شجيان بياني باقلاً، فابتدرتني بالتسليم، وابتسمت عن مثل الدُّر النظيم، وقالت: كيف وجدت نفسك بُعدنا؟ وهل شكوت بُعدنا أم هل عندك شيء مما عندنا؟ وهلاً أحسنت تلقينا؟ ولتلك لقيت من الصبابة ما لقينا، وكيف دهشت حين قدمنا؟ وهل عدمت الجلد كما عدمننا؟ وهل غلبك الهوى فلم يجر لسانك؟ أم استولى عليك الوجدُ فسلب بيانك؟ خَبَّرني عن ضميرك واشرح لي كافة أمورك. فأنشدت وقلبي دائر، ودمعي في المأقن حائر:

/ [٣٧/ب] لمْ أُنْسَهُ لَمَّا بَدَأَ مَتَمَّيلاً يَهْتَزُّ مِنْ لَبَنِ الضُّئِيِّ وَيَقُولُ  
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْهَوَى فَأَجَبْتُهُ فِي قِصَّتِي طُؤْلُ وَأَنْتَ مَلُؤْلُ  
فبسمت عن مثل اللالئ وقالت: اسمع ما قال: الجمال ياقوت<sup>(١)</sup> في وصف خالي

(١) هو أبو منصور ياقوت مذهب الدين الرومي الشاعر مولى التاجر أبي منصور الجيلي، وقد جاءت ترجمته في: إرشاد الأريب (٧/٢٦٧)، وعقود الجمان (٩/١٧٥)، تكملة المنذري (٣/٢٠٤١)، وفيات الأعيان (٦/١٢٢)، النجوم الزاهرة (٥/٢٨٣)، مرآة الجنان (٤/٤٩) تاريخ ابن الفرات (١٠/٦٦)، شذرات الذهب (٥/١٠٥)، سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٠٨) وقال في ترجمته:

كان من أهل الناطمية وسمى نفسه عبد الرحمن، وحفظ القرآن، وتأدب، وتقدم في النظم وهو القائل:

خليلي لا والله ما جن غاسق وأظلم إلا حنَّ أو جنَّ غاشق  
ومن شعره:

جسدي لبعدك بما مثير بلابلي دنف بحبك ما أبلى بلابلي  
يا من إذا ما لام فيه لوائمي أوضحت عنري بالعدار السائل  
أجيز قلبي في الوجيز لقاتلي أم كلُّ في التهذيب أو في الشامل

الحالي:

صَدَقْتُمْ فِي الْوَشَاةِ وَقَدْ مَضَى فِي حُجْمِ عُمْرِي وَفِي تَكْذِيبِهَا  
وَزَعَمْتُمْ أَنِّي مِلْتُ حَدِيثَكُمْ مَنْ ذَا يَهْمِلُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا  
أما نحن فأشواقنا إليك مترددة، وأنفاسنا لبعذك متصعدة، وليلنا بعدك طويل ونومنا

أو طرفك القاتل قد أنفك في تلف النفوس بسحر طرف بابلي  
ولأبي الدر هذا ديوان صغير. ونظمه سائر بالعراق والشام في ذلك الوقت. وجدوه ميتاً في بيته في  
جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وستمئة. وقال ابن العماد في ترجمته في شذرات الذهب في  
أحداث سنة اثنين وعشرين وستمئة: وفيها: أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي، الملقب مهذب  
الدين الشاعر المشهور مولى التاجر أبي منصور الحلبي.  
قال ابن خلكان: اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب وأستعمل قريحته في النظم فجاد فيه ولما هير  
ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيماً في المدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الدبشي في جملة من  
أسمه عبد الرحمن، وذكر أنه نشأ ببغداد، وحفظ القرآن الكريم وقرأ شيئاً من الأدب وكتب خطأ  
حنناً وقال الشعر، وأكثر منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة وراق شعره، ومن شعره:  
ألست من السولدان أحلى شأنلاً فكيف سكنت القلب وهو جهنم!!  
وقال ابن النجار في تاريخ بغداد:

وجد أبو الدر المذكور ميتاً في بيته يوم الأربعاء ثامن عشر من جمادى الأولى من السنة.  
وكان قد خرج من النظامية فسكن بدار يدرب دينار الصغير فلم يعلم متى مات وقد ناهز الستين،  
والله أعلم.

وفال ابن خلكان أيضاً: الرومي: بضم الراء وسكون الواو بعدها ميم نسبة إلى بلاد الروم وهو  
إقليم مشهور متسع كبير البلاد وها هنا نكتة غريبة يحتاج إليه ويكثر السؤال عنها وهي: أن أهل  
الروم يقال لهم: بنو الأصفر، واستعمله الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي  
من جملة قصيدته المشهورة:

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يسبق منهم مذكور

ولقد تبعت ذلك كثيراً فلم أجد فيه أحداً شفى الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم نقلت منه ما  
صورته عن العباس عن أبيه قال: انخرق ملك الروم في الزمان الأول فبقيت امرأة فتنافسوا في  
الملوك حتى وقع بينهم شرقة فاصطلحوا أن يملكون أول من يشرف عليهم فجلسوا مجلساً لذلك،  
وأقبل رجل معه عبد حبشي يريد الروم، فأبى العبد منه، فأشرف عليهم، فقالوا: انظروا في أي  
شيء وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاماً فسموه الأصفر، فخاصمهم المولى، فقال: صدق  
أنسا عبده فأرضوه وأعطوه حتى رضي فيسب ذلك قبل للروم بنو الأصفر لصفرة لون الولد لكونه  
مولداً بين الحبشي والمرأة البيضاء والله أعلم. انتهى.

وقد غبت قليل، تتعلل بلفائك، وتعرض للئسيم إذا هب من تلقائك<sup>(١)</sup>:

مَا أَظْلَمْتَ لَيْلَةً وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ      يَعْتَادُهَا مِنْ نِزَاعٍ نَحْوُكُمْ أَرْقُ  
لَا تَمْنَيْتُ أَنْ الرِّيحَ لِي نَفْسٌ / [١/٣٨]      يَسْرِي إِلَيْكُمْ وَأَنْ الثَّجَمَ لِي حَدَقُ<sup>(٢)</sup>

وأنه كيف صبرك على فراقنا، وحالك بعد انطلاقنا؟ وهل ساعدك الجلود؟ أم استولى عليك الكمد؟ وهل ذقت منامًا وهجرناه؟ أو عرفت قرارًا أنكرناه؟<sup>(٣)</sup>:

وَحَقُّكَ كَدَرْتُ صَفْوَ الْحَيَاةِ      وَطَيْبَ الرِّقَادِ بِهَذَا الصُّدُودِ  
وَلَوْ نِلْتُ مِنْ زَمَنِي مَا أُرِيدُ      لَتَادَيْتُ يَا لَيْلَةَ الْأَنْسِ عُودِي<sup>(٤)</sup>

(١) يقول ابن حزم في طوق الحمامة في الحنين (ص ٩٣):

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى      يبني بينهم عني فقد وقفا  
أقول والمليل قد أرخى أجلته      وقد تألى بالأل ينقضي فولي  
والنجم قد حار في أفق السماء فما      يمضي ولا هو للتغوير منصرا  
مخالفة مخطئا أو خائفا وجلا      أو راليا موعدا أو عاشقا ذنفا

(٢) ويقول ابن حزم أيضا في البيت (ص ٨٣) في طوق الحمامة:

متى تشقى نفس أضربها الوجد      وتصب دار قد طوى أهلها العبد  
وعهدي يهند وهي جارة بيتنا      وأقرب من هند لطالبها المند  
بلى إن في قرب الديار لراحة      كما يمسك الظمان أن يدنو الورد

(٣) يصف ابن حزم الأودية بعد الفراق ينظم في طوق الحمامة (ص ٨٦) يقول فيه:

لقد قرت العيان بالقرب منك      كما سحنت أيام يطويكم السعد  
فله فيما مضى البصر والرضى      والله فيما قد قضى الشكر والحمد

(٤) ويقول ابن حزم أيضا في طوق الحمامة في نحو هذا (ص ٦٩)

تذكرت وكذا للحبيب كأنه      لخولة أطلال ببرقة نهمد  
وعهده بهمد كان لي منه ثابت      يلوح كياقي الوشم في ظاهر اليد  
وقفت به لا موقنا برجوعه      ولا أيسا أبكي وأبكي إلى الغد  
إلى أن طال الناس عذلي وأكثروا      يقولون لا تهلك أسى وتجلىد  
كان فنون السخط ممن أحبه      خلايا مفين بالتواصف من ذد  
كأن انقلاب الحجر والوصل مركب      بجور به الملاح طورا ويهتدي  
فوقت رضى يتلوى وقت تسخط      كما قسم التراب المفايل باليد  
ويسم نحوي وهو غضبان معرض      مظاهر سطي لؤلؤ وزبرجد

وهذه الجملة والتفصيل، والأولى والاختصار إذا لم يفد التطويل، فإن أنكرت أمراً، فَسَلَّ قَلْبِكَ فهو عارفٌ، أو استقلت دعماً فشاهده دمعك النازف، وقد عرفت حالك أيام السَّعاد، / [٣٨/ ب] وتحققت كلما تجري، فلا حاجة إلى التعداد ووقفت على الحقيقة وحدثت ما ظهر من تلك الطريقة، وقد كايثلك الصباية، وما صرَّحت ومعني من الصبر صَبَاية:

عَلَيْهِ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بِالصَّبْرِ<sup>(١)</sup>

أَلْفَنَّا الثَّجَافِي وَأَطْمَأْنَنْتُ قُلُوبَنَا

(١) وفي نحو هذا يقول البهاء زهير:

وأحلف لا كلمته ثم أحنت  
فيا معشر العشاق عنا تحدثوا  
ويكسر جفنًا هازئًا بي ويعبت  
وكسنا خلونا ساعة نتحدث  
وحثام أبقى في الغرام وأمكت  
أموت مرارًا في النهار وأبعث  
منتظر لطفًا من الله يحدث  
خلافتك الحسنى أرق وأدمت  
أحاديث فيها ما يطيب ويخبث  
ويسأل عني من أراد ويسبحت

يعاهدني لا حسانني ثم يسكت  
وذلك دأبي لا يزال ودأبه  
أقول له صلي يقول نعم غدا  
وما ضر بعض الناس لو كان زارني  
أمولاي لي في هواك معذب  
فخذ مرة روجي ترحني ولا أرى  
فبي هذا الضيم منك الحامل  
أعندك من هذا الجفاء الذي بدا  
تردد ظن الناس في فأكثروا  
وقد كرم في الحب من شائل  
وقال مجد الدين بن مكناس:

أنديته من قمر بدا في سعده  
وتسرددت فضلاته في خده  
نيران أحشائي عليه ووجده  
روت العوالي عن مستشف قده  
عينك فوق الردف مبلل جمعه  
وعلمت أن ضلاله في رشده  
وحياة مبسمة الشهي وبرده  
خلع القلوب ببرقه وبرعه  
اللقاء من جور الحبيب وبعده  
خبري فصف فعلى الغرام وأبدته

أهدى تحيته وجاد بوعده  
بدر جرى ماء الحياة بثغرة  
أسكنه قلبي فأوقد خده  
من لي به حلو الشمائل أهيف  
يا عاذلي في حبه لو أبصرت  
لعذرت كل متيم في حبه  
فوحق موني في هواه صباية  
ما جاد غيث الدمع إلا عن هوى  
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما  
وإذا سألتك أن تؤدِّي في الهوى

فُتِرَ بما تريد وأحكم حكم المالك على العبيد، فحين سمعت كلامها، وفهمت نظامها، زاد غرامي أضعافاً، واستحفني الطرب استخفافاً، وكدت أطيّر فرحاً وجدلاً، ولو لم أتعاسك لصرت مثلاً:

إِذَا الْخَبَرُ اسْتَحَفَّكَ مِنْ بَعِيدِ نَتَاهُ فَكَفَيْتَ ظَلْمُكَ بِالْقِيَانِ  
فقلت: يا قرة العين الساهرة، وقرار القلوب/ [٣٩/أ] النافرة شفيت نفساً أشفت  
على التلف، ونعشت قلباً أودى به وارد الأسف، وكففت دعماً ما نهنهت إلا وكف،  
ورفعت أملاً كان في الحضيض فنال الشرف، وأحييت روحاً أمانتها الجفاء، ولازمها الهم  
فعليها الغفاء، فاستدركت ما بقي من دمائها، وبقيت عليها فضل مائها وسقيتها فعدادت  
مخضرة الأوراق، واعدتها على دواعي الوجد وعوادي الفراق:

رَأَيْتُ أَنْ الْوَجْدَ قَدْ شَفَنِي وَخَانَنِي فِي بَعْدِكَ الصَّبْرُ  
فَعُدْتُ بِالْحَسَنِي عَلَى مُقَرَّمِ ذَابَ اسْتِيَاقًا فَلَاكَ الْأَجْرُ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

تصدق بوعد إن دمعي سائل  
فخذك موجود به التبر دائماً  
أبداً قمرًا من شمس طلعة وجهه  
تنقلت من طرف مع القلب والهوى  
جعلتك للتميز نصباً لحاظري

ما سبق كله من المستطرف (ص ٤٤٧، ٤٤٩)

(١) وللجواب على هذا جاء في المستطرف كل فن منتظف قال يحيى بن أكرم (ص ٤٥١):

بأي غزالا غازلته مقلتي  
وسألت منه زورة تشفي الجوى  
بتنا ونحن من الدجى في خيمة  
عاطيته والليل يسحب ذيله  
وضممته ضم الكمي لسيفه  
حتى إذا مات به سنة الكرى  
أبعدته عن أضلع تشفاه  
لما رأيت الليل آخر عمره

بين المذنب وبين شطي بارق  
فأجابني عنها بوعد صادق  
ومن النجوم الزهر تحت سرادق  
صهبا كالسك الذكي لناشق  
وذؤباته حائل في عاتقي  
زحزحته عني وكان معانقي  
كي لا ينام على فراش خانق  
قد شاب في لم له ومفارق

قالت: خلنا من هذه الأقوال فلك المنة على كل/ [٣٩/ ب] الأحوال، وعد إلى الدار، وانتظرنا وقت الاصرار فإننا الليلة لك ضيوف، وعليك عكوف، وخلّ هذا الكلام الذي بين يديك ليكون مع عودنا إليك دليلنا عليك، وحظنا في هذا أوفر نصيبنا منه أكثر، فاستعد لوصولنا، فنعم البذل نحن من خيائنا فتوقفت منها بالعهود، وراجعتها في الوفاء بالموعد، وأذكرتها تلك الخدعة، والّا تعيدها جذعةً، فتيسمت عن واضحات كالدرر، ونظرت عن طرف وستان، ذي حورٍ، وقالت: تلك حال، وهذه حال، ولم يبق إلا اللقاء والوصال، ولقد ندمت على تلك الليلة التي ذهبت ضياعاً، فقد كان الصواب أن تأتيك فيها سراعاً [٤٠/ أ] ولكن لا حيلة فيما مضى، ومن الذي أعطاه دهره الرضا، وقد أصحب الدهر الشامس، وابتسم الخط العابس، وحضر الحبيب الغائب، وغاب الرقيب، وضحك العيش بعد القطوب، ولم تبق حاجة في نفس يعقوب<sup>(١)</sup>. فعدت إلى الدار آخذاً

صعب عَلى بأن أراك مفارقي

فما أهى الفزلة والغزالا  
ولكن قد وجدت به ضلالا  
سواد العين فيه فحال خالا  
وجدت له من الألفاظ لا لا  
لنا ذراً وقصد سكن السزلالا  
رأيت على سوائفه نعالا  
وقد أهدي إلى قلبي السوبالا  
وأشكر من صنائعه الجمالا

ومناكم المطلوب قلنا لهم منا  
يحاكي إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

ودعت من أهوى وقلت تأسفاً  
وقال ابن نباتة:

بدا ورنيت لرواحظه دلالا  
وأفر عني سنا قمر منير  
صقيل الخد أبصر من رآه  
وممنوع الوصال إذا تبدى  
عجبت لغفره البسام أبدى  
شهدت بشهد ريقته لأني  
فيا عجبا لحسن قد حسواه  
سأشكو الحسن ما بقيت حياتي  
وقال ابن رفاعه:

يقولون: هل من الحبيب بزورة  
فقالوا لنا: غوضوا على قده وما

(١) وفي المصدر السابق (ص ٤٥٦) يقول في نحو هذا المعنى صفي الدين الحلبي:

وأنتك تحت مدارع الظلماء  
وكذا الدواء يكون بعد الداء  
ضنت بها فقصت على الأحياء

أبت الوصال مخافة الرقباء  
أصفتك من بعد الصلود مودة  
أحييت بزورتها النفوس وطالما

في الاستعداد جازماً بحصول المراد. فسألني بعض الإخوان إذ رأى سرعة العود مع قرب المسير، وشاهد الطلاقة على الأسارير، فأنشدته الأبيات النوارد التي أقر بحسنها كل ناظم وناثر:

أَجِلْ عَيْتِيكَ فِي عَيْنِي تَجِدْهَا      مُشْرِئَةً جَسْنَا وَرَدَ الْخُدُودِ  
وَصَافِحِي تُجِذُّ عَبْقًا بِكَفِّي      يَضُوعُ إِلَيْكَ مِنْ رَدْعِ السُّهُودِ  
[٤٠/ب] وَهَاسَمْعِي (إِلَيْكَ) فَإِنْ فِيهِ      بَقَايَا مِنْ حَدِيثِ كَالْعُقُودِ<sup>(١)</sup>

أُمْتُ بَلِيلِ وَالنَّجُومُ كَانَهَا      دُرٌّ بِسَبَاطِنِ خَيْمَةِ زُرْقَاءَ  
أُمْتُ تَعَالُطِيَنِ الْمَدَامِ وَبَيْنَا      عَتَبَ غَنِيَّتِ بِهِ عَنِ الصَّبَاءِ  
أَبَتْ إِلَى جِسْدِي لَتَنْظُرَ مَا أَتَهَتْ      مِنْ بَعْدِهَا فِيهِ يَدُ الْبَرِّ حَاءَ  
أَلْفَتْ بِهِ وَقَعَ الصَّفَا فَرَاعَهَا      جَزَعًا وَمَا نَظَرْتُ جِرَاحَ حِثَائِي  
أَمْصِيَّةٌ مِنَّا بَلِيلَ لِحَاطِهَا      مَا أَحْطَأَتْهُ أَسِنَّةُ الْأَعْدَاءِ  
أَعْجَبْتُ مِمَّا قَدْ رَأَيْتُ فِي الْحِشَا      أَضْعَافَ مَا عَايَنْتُ فِي الْأَعْضَاءِ  
أَمْسَى وَلَسْتُ بِسَالِمٍ مِنْ طَلْعَةِ      بِخِلَاءٍ أَوْ مِنْ مَقْلَةٍ بِخِلَاءِ

وقال ابن نباتة في المصدر السابق في (ص ٤٥٧) في نحو هذا المعنى:

رَقْتُ لَنَا حِينَ هَمَّ السَّفَرُ بِالسَّفَرِ      وَأَقْبَلْتُ فِي الدُّجَى تَسْمَعِي عَلَى حَذَرِ  
رَاضِي الْهَوَى قَلْبِهَا الْقَاسِي فَجَادَلْنَا      وَكَانَ أَبْخَلَ مِنْ تَمُوزَ بِالْمَطَرِ  
رَأَتْ غَدَاةَ النَّوَى نَارَ الْكَلِيمِ وَقَدْ      شَبَتْ لَمْ تَبْقَ مِنْ قَلْبِي وَلَمْ تَذَرِ  
وَشَيْقَةَ لَوْ تَرَاهَا عِنْدَمَا سَفَرْتُ      وَالْبَدْرَ سَلَاهُ إِلَيْهَا سَهْوُ مَعْتَذَرِ  
رَأَيْتُ بِدْرِينَ مِنْ وَجْهِهِ وَمِنْ قَمَرِ      فِي ظِلِّ جَنَحَيْنِ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ شَمْسِ  
وَشَفْتُ دُرَّ الْمُحْيَا مِنْ مَقْبَلِهَا      إِذْ نَهَيْتَنِي إِلَيْهَا نَسْمَةُ السَّحَرِ  
رَنَتْ نَجُومُ الدُّجَى نَحْوِي فَمَا نَظَرْتُ      مَنْ يَرِشِفُ الرَّاحَ قَبْلِي مِنْ فَمِ الْقَمَرِ  
رَاقَ الْعَسْتَابَ وَأَبْدَتْ لِي سَرَائِرَهَا      فِي لَيْلَةِ الْوَصْلِ بِلَ فِي غَرَّةِ الْقَمَرِ

(١) تكرر هذا البيت بنهاية الصفحة السابقة وأول الصفحة التي نحن بصدرها [٤٠/أ]، [٤٠/ب] من المخطوط.

وَعَدُّ عَنِ الْفَوَادِ فَقِيهِ سِرٍّ أَضِنَّ بِهِ عَلَى كُلِّ الْوُجُودِ<sup>(١)</sup>

(١) وفي المستطرف (ص ٤٥٧) لصفي الدين الحلي في هذا المعنى:

فقطرت سائر الأرجاء بالأرج  
في كلمة الليل أغتتنا عن السُّرُج  
بحاري من ثبال الفنج والدَّعَج  
فكان غفرانها يغني عن الحجج  
فما عليّ إذا أذنت من حرج  
كُفّي فذاك جوى لولاك لم يهج  
والصمت في الحب أولى من اللهج  
ولذة الحب جور الناظر الفنج

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج  
جلت علينا عمياً لرجلته لنا  
حورية الخد تحو ورد وجنتها  
جزت إساءة أفعالي بمفصرة  
جادت لعرفاتها آتني المريض بها  
حبست يدي لترى ما بي فقلت لها:  
جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي  
جادت لحاظك فينا غير راحة  
وقال آخر في (ص ٤٦٥):

حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق  
طوراً، وحاول أن يسعى فلم يطق  
فعل التسيم بغصن البانة الورق  
وكألت وجنتاه الحمير بالعرق  
إن العناق حرام قلت في عنقي

ما زال ينهل من حرف الطلا قمري  
وقاسم يخطر والأرداف تقعده  
فعائل فعلت فعل الشمول به  
جاذبته لعناقي فأنشئ حجلاً  
وقال لي بفتور من لواحظه

وقال كمال الدين بن النبيه (ص ٤٤٧) في نحو هذا المعنى:

كم تحت لمة ذا التركي من عجب  
والخذ يجمع بين الماء والذهب  
وأقتر مبسمة الشهدي عن حبيب  
بل في جنى فمة أو ريقه الشنب  
بدر رمى عن هلال الأفق بالشهب  
وافانم الصب منها غير مقترب  
فمي ويلثمها سهم من الخشب  
لا عن رضا معرض عني بلا غضب  
وليس لي في قيام العذر من سبب  
كما قيل رماح الخطب بالعذب  
بمعصم بشعاع الكأس مختضب  
في حجر لدن أو في قشرة العنب

الله أكبر كل الحسن في العرب  
صبح الجبين بليل الشعر منعقد  
تفتت عن عبير الراح ريقته  
لا في العذيب ولا في بارق غزلي  
كانه حين يرمي عن حنيته  
يا جاذب القوس تقريباً لوجنته  
أليس من نكد الأيام يحرمها  
من لي بأعيد قاسي القلب مبتسم  
فكم له وجود الذنب من سبب  
فيل أعطافه نسيها بطرته  
أشار نحوي وجنح الليل معتكر  
بكرراً جلاها أبوها قبل ما جلّت



وقلت: هذه جملة يطول شرحها وليلة قد أسفر صبيحُها، واستدعيت المشروب،  
والمشموم، وهيات الظاهر والمكتوم، وأعدد المنثور والمنظوم، وأحضرت أنواع  
الرياحين، وثقَّلت بالجمع بين الورد والياسمين، ونضدت مجلسًا للشراب، وجمعتُ للأوتار  
والإطراب وروقت سلافاً أرق من الماء، وأجرى من الهواء، وأحسن من الذهب، وأنور  
من اللهب، وأسلس من النسيم، وأصفى من التسنيم، وأشدَّ لإشراقاً من الشمس كأنها  
أفرغت في الزجاج من القلب [٤٠/ب] على الغرر البدائع، والمعاني التي هي أعذب  
من جناء النحل ممزوجاً بماء الوقائع والألفاظ التي أصحب أيُّها وأطاعه عصيها، وانتالت  
عليه انتالاً وثبت أعناقها إليها أرسالاً، فحكم فيها حكم العارف الخبير، وأبرزها بحسن  
نظمه، كالروض النضير، وأنا أذكر من أشعاره ما حضر، ومن أراد الزيادة، فعليه بديوانه  
يستخرج منه الدرر، قال:

قَامَتْ تُرْنِي وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ      صُبِيحًا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَنْبِ  
كَأَنَّ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا      خَصْبَاءُ وَدَرٍ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ<sup>(١)</sup>  
هذا التشبيه في غاية الحسن، وقد أخذ عليه: [٤١/أ] «صُغْرَى وَكَبْرَى» ما هو

(١) وقال هاشم الرفاعي في ديوانه (ص ٢٨٤) في قصيدة أنشودة عاشق:

كعباب يسُرُّ العين من حسن خطوها	تأود أعطافٍ ولين قيودٍ
كان بياض الوجه والفرع حوله	تبلغ بدرٍ في دُخْنَةٍ بيد
تريك بهاء الورد في وجناتها	وتبسم عن مثل الأنواع نضيد
تفوق المها في الحسن طرفاً ومُقَلَّةً	وتحكي ظباء القاع لفئة جيد
من اللآء يشفين الخلى بنظرة	نيمس بقلب في الغرام عميد
ومن عجب في الخفن بدا وكم	له من شهيد راح إثر شهيد

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان فائنة في نفس الديوان (ص ٢٨٦):

ملُ عنيك دعوة للزوال	وبجفنبك فإنك من نصال
لست أقوى عليها لست أقوى	إما أنت شملة من جمال
قد دعوت الضواد حتى تردى	فأبنت الدلال كل الدلال
بسمة الوجه في دجى الشعر تحكي	ومضة الفجر في ظلام الليالي
ذلك الثغر باهتصارك يغري	ذلك الصدر ملهب للمخيل
في قوام متى احتواه ذراعسي	وأطل الردى فليست أبالي

معلوم عند من رغب في جداله. وما هذه الرسالة مما تحتمل الخوض في هذا وأمثاله  
وقال:

قَالَ أَبْغِنِي الصَّبَاحَ، قُلْتُ لَهُ: أَتَشَدُّ حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مُصْبَحًا  
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحًا  
مِنْ قَهْوَةٍ جَاءَتْكَ قَبْلَ مِرَاجِعِهَا عَطَلًا فَالْبَسَهَا الْمِرَاجُ وَشَاخًا  
عَمِرَتْ بِكَاتُمِكَ الزَّمَانِ جَدِيدَتِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ الشَّامَةَ بَاحْسًا<sup>(١)</sup>

وقال:

لَا تَبْكُ لَيْلَى وَلَا تُطْرَبُ إِلَى هِنْدٍ وَأَشْرَبُ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حُمْرَاءِ كَالْوَرْدِ  
كَأَسًا إِذَا انْحَدَرَتْ مِنْ كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذْتُهُ حُمْرَتَهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ

(١) وفي الجمال والدلال يقول الشريف الرضي في المستطرف (ص ٤٥٩):

وهيس بين مزغفر ومغفر هيفاء إن قال الشباب لها انهضي  
وإذا سألت الوصل قال جمالها جسودي وقال دلالها لا تفعلني

ويقول محمد بن سوار بن إسرائيل في نحوه:

وعدت بوصل والزمان مسوف نشوة غصباء منهل ثغرها  
ورنخال بين البدر منها والنقا لا تحسن الخلف شيمة مثلها  
يا بانة قد اطلعت أغصانها وغزالة يحكي الغزالة وجهها  
ما تأمرين لمفرم تسطو به نسنا بوجهك وهو صبح مشرق  
وبهر غصن البان منك على النفا حوراء ناظرها حمام مسرف  
در وريفها سلاف مسرف غصنا يمس به التسيم مهنف  
وعدت ولكن الزمان يسوف وردًا جنبًا باللواحظ يقطف  
ويعبر ناظرها الحسام الأوطف أجنايك الممرض ولا تستعطف  
وسواد شعرك وهو ليل مسدف مالي إلى أحد سواك تشوف

قلت لقد أسرف الشاعر هنا وبألف أيما مبالغة في القسم الذي أورده، والواجب أن لا يكون  
القسم بغير الله تعالى جاداً أو هازلاً تحرياً للتوحيد أصلاً أو للعقيدة وتعويداً للسان على ألا يخل  
بصحة التوحيد، فإن كثيراً من الناس لا يهتم بمثل هذا فيرده من حيث لا يحتسب ومنهم من  
يبالغ فيعتبر من أقسم بغير الله تعالى مشركاً، قلت وهذا من الإنطراط وهذا من التفريط والدين  
وسط ومعلوم بأن الأقسام تكون للتعظيم ولكن هو لا يريد تعظيم يعظم به عن الله.

فَالْحَمْرَ يَأْقُوتَةُ وَالْكَأْسُ لَوْلُوتُ  
تَسْقِيكَ مِنْ يَدِهَا حَمْرًا وَمِنْ قِمِّهَا  
[٤١/ب] لِي تَشْوَتَانِ وَلِلْشَمَانِ وَاحِدَةٌ  
وقال:  
وَمَدَامَ تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا  
جَلَسَتْ مَا تَرَاهَا عَنِ الْوَصْفِ

(١) ونحوه من قال كمال الدين بن النيه في المستطرف (ص ٤٧٤):

باكر صبوحتك أهني العيش باكرة  
والليل نجري والنداري في بمرته  
وكوكب الصبح نجاب على يده  
فانهض إلى ذوب ياقوت لها حجب  
حمراء من جنة الساقني لها شبة  
ساق تكون من صبح ومن غسق  
بيض سواقفه لعسن مراشفه  
مفلج الثغر معسول اللمى غنج  
مهيف القد يبدي جسمه ترفاً  
تعلمت بأنه السوادي شائله  
كانه بسواد اللحظ مكتحل  
فلو رأت مقلتا هاروت آيسه  
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنماً  
فالعمر كالكأس تستحل أوائله  
وأجر على فرض اللذات محتضراً  
أقول في البيت الأخير:

على الرغم من عظيم أمه في ربه سبحانه وتعالى إلا أنه جانبه التوفيق فيه نعم وصف ربنا سبحانه  
وتعالى نفسه بالرحمة والرأفة والحنان والود الجود والكرم فلا يفتخر مغتر بحلمه وجوده وكرمه  
ويجسر على إتيان معاصيه جهاراً نهاراً بل ويدعو إليها كهذا الداعي إلى ذلك فإن المرء قد يؤتى  
من مأمته والمرء لا يدرى منيته، ولا يدرى بما يختم له ولا يدرى أيغفر الله له أم لا فليكن المسلم  
على حذر دائماً واضعاً عفو ربه ومغفرته نصب عينيه ولا ييأس من رحمة وروحه إن غلبته نفسه  
الأمارة بالسوء ولا يستسلم لوساوس الشيطان.

مِنْ كَفِّ سَاقِبَةٍ مُقَرَّطَةٍ      نَاهِيكَ مِنْ أَذْبٍ وَمِنْ ظَرْفٍ<sup>(١)</sup>  
وقال:

عُتِّقْتُ فِي الدِّانِ حَتَّى اسْتَفَادْتُ      نُورَ شَمْسِ الضُّحَى وَبَرَدَ الظَّلَالِ  
وَلَعَنَرُ الْمَدَامَ إِنْ قُلْتُ فِيهَا      إِنْ فِيهَا لَمَوْضِعًا لِلْمَقَالِ<sup>(٢)</sup>  
وقال:

فَطِيبْ بِحَدِيثٍ عَنْ نَدِيمٍ مَسَاعِدِ      وَسَاقِبَةٍ يَسُرُّ الْمُرَاهِقَ لِلْحُلُمِ  
ضَعِيفَةً كَسَرَ الظَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا      قَرِيَّةٌ عِنْدَ الْأَفَاقَةِ مِنْ سَقَمِ  
هذا هو الشعر الذي تستشعر به النفوس / [١/٤٢] ويلوح على وجه الأشعار غرّة،

(١) وفي نحو هذا قال الأبيهي في المستطرف (ص ٤٧٧):

في مجلس أنس:

وبجلس راقٍ من واثٍ بكدره      ومن رقيبٍ له باللوم إسلام  
ما فيه ساعٍ سوى الساقى وليس له      على الندامى سوى الريحان شام

(٢) هذا قوله في الخمر، وأقول بقول من قال:

ألا يا قوم ليس في الخمر رفعة      فلا تقربوا منها فلست بفاعِل  
فإني رأيت الخمر شيئاً ولم يزل      أخو الخمر دخالاً لشر المنازل

وفي المستطرف (ص ٥٢٧):

قال الحسن: لو كان العقل يشتري لتغالي الناس في هنة، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده،...  
وقال بعضهم:

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة      فليس لإخوان النبيذ حفاظ  
إذا دارت الأبطال أرضوك بالمنى      وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم: إياك وإخوان النبيذ فينما أنت متوج عندهم بخدوم مكرّم معظم إذا زلت بك القدم  
فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه:

وكل أناسٍ يحفظون حریمهم      وليس لأصحاب النبيذ حریم  
فإن قلت هذا لم أقل عن جهالة      ولكنتي بالفاسقين عليم

وقال الصفدي:

دع الخمر فالراحات في ترك راحها      وفي كأسها للمرء كسوة عار  
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها      ممدار ع قارٍ في ممدار عفار

وماذا عسى أن يقال في شيخ الصناعة وفارس البراعة<sup>(١)</sup>.

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ غَبَبْتُ عَنْ لَيْلَى وَلَمْ أُنْسَمْ  
وقد قيل: أنها قد قيلت فيه، والذي قالها: والبة بن الحباب<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا رأي في الشعر وأسأل الله تعالى ألا يكون في الخمر لأن الخمر معلوم مضارها شرعاً وواقعاً فلا يقبلها إلا إنسان فاجر أو زنديق أو هازل ماجن أو من لا يحترم عقله ولا يخاف ربه وهي شيء كسرهه من أهل الجاهلية ذوي الرأي والساد والرشاد فضلاً عن تحريم الشرع لها، وكذلك معلوم أن لها بعض المنافع التي قد يعرفها أو يستخلصها منها أهل الطب ويتجنبوا منها مضارها، أما لنا نحن معشر البشر فلا فائدة لنا فيها على الإطلاق، وليس وراءها إلا كل شر وسوء وفساد وخراب ودمار، ومن اغراك ببيت شعر أو قول مبالغ فيه عن فوائدها أو لذتها أو ما تحدث به من النشوة فإنما هو كذب وهراء وخداع من إنسان فاسد كذبه الواقع والتاريخ والشرع، فاحذر أن تصفي لقول قائل فسيها بخير فلا خير فيها لنا، والله لا يحرم علينا ما يصلحنا، ههنا الله وإياك سواء السبيل ورزقنا وإياك حسن الختام آمين.

(٢) قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣ / ٥٨١) في ترجمته:

والبة بن الحباب أبو أسامة الشاعر من بني فعين بن الحارث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهو كوفي وكان من الفتيان الخلفاء المهان وله شعر في الغزل والشراب وغير ذلك. ولما مات رثاه أبو نواس وكان والبة أستاذه. ثم ذكر الخطيب بإسناده إلى محمد بن يحيى الدهقان. عن عمه قال: ولي يحيى خراج الأهواز فأخرج معه والبة بن الحباب. وكان يأنس به - فوجهه إلى البصرة ليشتري له بها حوائج، وكان فيما اشترى له بخوراً، فصار إلى سوق العطارين فاشترى منها عوداً هندياً، وكان أبو نواس يرى العود وهو غلام، فاحتجج إليه في بري ذلك العود وتنقيته، فلما رآه والبة كاد أن يذهب عقله عليه، فلم يزل يخذعه حتى صار إليه فحمله إلى الأهواز، وقدم به إلى الكوفة بعد منصرفهم فشاهد معه أدباء الكوفة في ذلك الوقت فتأدب بأدبهم. وبإسناده أيضاً إلى أبي نواس قال: سبقتي والبة إلى بيتين من الشعر قالهما ورددتني كنت سبقته، وأن بعض أعصابي اختلج مني:

وليس فتى الفتيان من راح أو غدا      لشرب صبوح أو لشرب غبوق  
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا      لضر عدو أو لنفع صديق

وقدم والبة بغداد بأخوه، وجرى بينه وبين أبي العتاهية مهاجرة حتى خرج عن بغداد فراراً من أبي العتاهية. وذكر بإسناده إلى محمد بن عمر قال الجرجاني قال: رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي فقال له: إن والبة بن الحباب قد هجاني ومن أنا منه؟ أنا جرار مسكين، فجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه، فأحب أن تكلمه أن يمسك عني قال: فكلم أبي والبة في أمره، وقال له: تكف عنه، وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك، فلم يقبل، وجعل يشتم أبا العتاهية، فتركه، ثم جاءه أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته، فأخبره بما رد عليه والبة، فقال لأبي: لي الآن إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: لا تكلمني في أمره، قال: قلت: هذا أقل ما يجب لك، قال: فقال أبو العتاهية يهجو:

والمشهور أنها له، يقول فيها:

عَتَقْتُ حَتَّيْ لَوْ اتَّصَلْتُ      يَلِلسَانِ نَاطِقٍ وَفَمِ  
لَا حَتَّيْتُ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً      نَمُ قَصُوتُ قِصَّةِ الْأُمَمِ  
قَرَعْتُهَا بِالْمَزَاجِ يَدُ      خُلِقْتُ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ  
فِي نَدَامَي سَادَةِ زَهَرِ      أَخَذُوا اللَّذَاتِ عَنِّي أُمَمِ  
فَتَمَسَّشْتُ فِي مَقَاصِلِهِمْ      كَتَمْتُ شَيْءَ الْبُرِّ فِي السَّقَمِ  
فَعَلَّيْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجْتُ      مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِي الظَّلَمِ  
/ [٤٢/ب] فَاهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا      كَاهِنِدَاءِ السُّفْرِ بِأَلْعَلَمِ

وليكن هذا المقدار من شعره كافيًا في هذا المختصر، ولو أردت الإطالة لأتيت بكل

أواليب أنت في العرب      كم مثل الشيص في السرط  
هلم إلى الموالي العبيد      في سبعة وفي رحب  
فأنت بنا لعمرك الله      أشبه منك بالعرب  
غضبت عليك ثم رأيت      وجهك فأتجلى غضي  
لما ذكررتني من لون      أجساددي ولـون أبي

وقال وكان والبة أشقر اللون والشعر أبيض فأخرجه أبو العتاهية بلونه من العرب، وأضافه إلى  
الموالي وغيره بالشقرة إذ كانت من ألوان العجم دون العرب وقال فيه أيضًا:

نطقت بنو أسد ولم تظهر      وتكلمت سرراً ولم تجهر  
أما ورب البيت لو جهرت      لتركها وصباحها أغبر  
أيروم شتمي منهم رجل      في وجهه عبر لمن فكر  
وابن الحباب صليبه زعموا      ومن المحال صليبه أشقر  
ما بال من أباه عرب إلا      لو أن يحسب من بني قيصر  
أترون أهل البدو قد مسحوا      شقراً أما هذا من المنكر؟  
أكلنا خلقنا أبا أسامة أم      لطحت سالتيك بالمصفر؟

قال: فبلغ الشعر والبة فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتني في أبي العتاهية وقد رغبت في الصلح فقال  
له: هيهات، إنه قد أكد على إذا لم تقبل ما طلب أن أحلى بينك وبينه، وقد فعلت قال والبة: فما  
انراي عندك، فقد فضحتي وهتكني؟ قال: أرى أن تخرج الساعة إلى الكوفة، قال: فركب زورقاً  
ومضى من بغداد إلى الكوفة.

شعره، فكله غُرَّرَ. وقال ابن نباتة السعدي<sup>(١)</sup> وأجاد:

نعمت بها يخلو عليّ كؤوسه      أغرّ الشنايا وأضح الجنيّد أخور  
فوالله ما أدري أكانت مدامةً      من الكرم تجني أم من الشمس تغصّر  
إذا صبها جنح الظلامش وعيها      رأيت رداء الليل يطوي وينشر

وقال ابن الجهم: قلت لجارية نجعل الليلة مجلسنا في القمر؟ قالت: ما أولئك بالجمع بين الضرائر. قلت: فأبي الشراب أحب إليك؟

قالت: ما ناشبت زوجي في الخفّة، ونكحتني في الطيب [٤٤/١] وريقي في اللذة،

(١) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد التميمي السعدي.

جاء ترجمته في مصادر كثيرة منها: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣٤)، الإمتاع والمؤانسة (١/ ٤٦٦)، الأنساب (البياتي) المنظم (٧/ ٢٧٤)، اللباب (٣/ ٢٩٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٩٠) العير (٣/ ٩١)، البداية والنهاية (١١/ ٣٥٥)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨٣)، مفتاح السعادة (١/ ٢٤٤)، شذرات الذهب (٣/ ١٧٥)، قال الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمته:

عبد العزيز بن عمر بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج بن مطر بن خالد بن عمرو بن رزاح بن رباح بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تيم بن مرة بن أدين طانجة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو نصر أحد الشعراء المحسنين المحدثين.

وكان جزل الكلام فصيح القول، وله ديوان روى لنا أكثره أبو الفتح بن شيطا المقرئ عنه. سمعت رئيس الرؤساء أبا القاسم علي بن الحسن يقول: ما شاهد أبو نصر بن نباتة أشعر منه، وما كان يعاب شيء إلا يكبر فيه أنشدنا التنوخي قال أنشدنا أبو نصر بن نباتة لنفسه:

وتأخذ من جوانبنا الليلي	كما أخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجل لبّيب	يحبس فيشتكي ألم الجراح؟
أرى التشمير فيها كالقناني	وحمرمان العطية كالسنجاج
ومن تحت التراب كمن علاه	فلا يفرك أنفاس الرياح
وكيف يكد مهجته حريض	يرى الأرزاق في ضرب القيداح؟

وأنشدنا علي بن محمد بن الحسن الحربي قال أنشدنا أبو نصر بن نباتة لنفسه:

وإذا عجزت عن العذر فداره	وامزج له إن المزاج وفراق
فالنار بالماء الذي هو ضدها	تعطي النضاج وطبعها الإحراق

أخبرنا التنوخي قال: قال لنا ابن نباتة: ولدت في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

حدثني التنوخي وهلال بن الحسن قال: توفي أبو نصر نباتة الشاعر في يوم الأحد الثالث من شوال سنة خمس وأربعمائة.

ووجهي في الحسن، وخُلقي في السلاسة<sup>(١)</sup>.  
وقال ديك الجن<sup>(٢)</sup>:

(١) هذه جارية جزلة العبارة حسنة التعبير جيدة الفهم عفيفة النفس ذكية اللحظ تعرف ما يراد منها وما تريد، وأي شيء يبغي الرجل من المرأة غير أن تجذبه من نظرة عين أو لمحة إشارة أو كلمة هامسة تؤديها ما يريد وتوصله إلى بغيته دون أن يشعر به أحد من جلسائه أو الناظرين إليه، وعرفت ما يجب أن يقع عليه ناظره من الألوان والحركات والسكنات والملابس، وما إلى ذلك ثم أن حسنها على أنفه فلا يلتقط منها إلا كل ما طاب ريحه وهاج أريجها وحرك سواكن نفسه عبقه فلا تغفل عنه بل تتفنن في المداومة عليه وتتقي أجوده وأغلاه وأنفذه وأبهاء. ثم هي تتعهد نفسها بالغسل والوضوء والتنظيف وتناول المنكهات الحسنة كالنعناع وغيره من مطيبات النفس والقم حتى إذا اقترب منها لا يعود إلا وقد روى غليله وأحب المعاودة المرة بعد المرة للطيف عبير فمها، ولذة ريقها. ثم هي تتعهد بشرة وجهها بما يحسنها من الماء والوضوء والمجملات التي لا تؤثر على البشرة بل يقويها وينضجها فتثير في نفسه دائماً نضرة الشباب وحيوية المرأة وأنونة الحركة ووداعة السكنة وبراعة النظرة فبها طفلة كبيرة لعبة بين يديه تجيب لما يريد وتبعد عما لا يحب فيزداد كل يوم لها قرباً ولا يمل لها صحبة.

وأجمل من كل هذا حسن الخلق الذي يجلب به من السلاسة التي جعلتها ديدنها فهي لا ترفض له أمراً، ولا ترد له طلب ولا تقضب له الجبين ولا تظهر له الأثين وتخفي عنه كل حزين وتبدي له كل ما يزين وتجنبه كل ما يشين فكيف لا يتمسك بها أو كيف يصبر على فراقها فهي سلوته وأنس خلوته ومهجة فؤاده لا يرضى بها بديلاً ولا يعرف غيرها خليلاً.

فليت النساء يعرفن ما تعرف أو ينصحن بما نصحت ويفمنن ما أردت، فإنهن إن فهمن فهمها قسرت حياتهن، وسعد أزواجهن وصفي دهرهن وذهب كدرهن، وطاب عيشهن ورفرفت عليهن السعادة بأجنتها الفخفاشة وروثهم بمياهها الرقاقة التي تعش الكتيب وتفرح الحزين، وتجير الكسير وترخي الغضبان وتولد الحب والود والحنان.

(٢) هو: عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي الحمصي المسلماني الشيعي، كبير الشعراء أبو محمد، المعروف بديك الجن. جاءت ترجمته في العديد من المراجع والتي أذكر منها: الأغاني (٥١ / ١٤)، وفيات الأعيان (١٨٤ / ٣)، وأعلام النساء (٥ / ٢٢٧٧) في ترجمته ورد، وسير أعلام النبلاء (١٦٣ / ١١) وقال في ترجمته: طريف ماجن خمير خليع بطال، وله مراثي في الحسين. مرَّ به أبو النواس بحمص فأضافه، وقال: فتنت الناس بقولك:

موردة من كصف ظمي كأنما تناوها من خلد فادارها

وكان له ملوك مليح وسرية فوجدتها في لحاف فقتلها، ثم تأسف عليهما ورثاها، وكان يصيغ لحيتهم بزنجار.

مات سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين.

وقال الأصفهاني في الأغاني في ترجمته: اشتهر ديك الجن بجارية نصرانية من أهل حصص أحبها



وشادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوجها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها ورد.  
وقد أعسر واختلت حاله، فرحل إلى سليمة فاصداً أحمد بن علي الهاشمي، وأقام عنده مدة طويلة، فأذاع ابن عمه بسبب هجائه له أنها تهوى غلاماً له، وفرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فاستأذن أحمد بن علي في الرجوع إلى حمص، وقدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص وكان ذلك، فاخترط سيفه حين وصوله، فضرها به حتى قتلها، وحينما بلغه الخبر على حقيقته وصحته ندم ندماً شديداً، ومكث شهراً لا يرقأ له دمع ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رفقته، وقال في ندمه على قتلها:

يا طلعة طلوع الحمام عليها	وجنى لها ثمرة الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	روى المسوى شفتي من شففتها
قد بات سفي في بحال وشاحها	ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعلها وما وطئ الحمص	شيء أعز علي من نعلها
ما كان قتلي لها لأني لم أكن	أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضمنت على العيون بجنسها	وأفتت من نظر الحسود إليها

وقال الأستاذ كحالة في ترجمته «لورد» في أعلام النساء:

مغنية نصرانية من حمص كانت تجيد الغناء مع فصاحة وبراعة وكان يهواها ديك الجن الشاعر المشهور، وشادى به العشق حتى غلب عليه وذهبت به واشتهر بها فدعاها إلى الإسلام ليتزوج بها فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها وفي ذلك يقول:

انظري إلى الشمس القصور وبدورها	وإلى خسزماها وهجرة زهرها
لم تبك عينك أبيضاً في أسود	جمع الجمال كوجهها في شمرها
وردية الوجنات يختبر اسمها	من ريقها من لا يحيط بخبرها
وشابلت فضحكت من أردافها	عجباً ولكني بكيت لحصرها
تسفيك كأس مدامة من كفها	وردية ومدامة من ثغرها

ثم أخبر أنها تهوى غلاماً له فاخترط سيفه فضرها به حتى قتلها وقال في ذلك:

ليثني لم أكن لعطفك نلت	وإلى ذلك الوصال وصلت
فألذي مني استملت عليه	العار ما قد عليه اشتملت
قال ذو الجهل قد حلمت ولا	أعلم أني حلمت حتى جهلت
ثم لانم لي بجهله ولمأذا	أنا وحدي أحبت ثم فلتت
سوف أسى طول الحياة	وأبكيك على ما فعلت لا ما فعلت

فَقَامَ تَكَادُ الْكَاسُ تَحْضِبُ كَفَّهُ      وَتَحْسِبُهُ مِنْ وَجَّتِيهِ أَشْعَارَهَا  
مُشْعِشَةً مِنْ كَفِّ ظَنِّي كَأَنَّمَا      تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَذَارَهَا  
وقال آخر:

رَقَى الدُّجَا جُ وَرَقَّتِ الْخُمُرُ      فَشَابَهَا فَشَاكَلُ الْأُمُرُ  
فَكَأَنَّهَا خُمُرٌ وَلَا قَدْحٌ      وَكَأَنَّهَا قَدْحٌ وَلَا خُمُرُ  
وقال آخر:

وَحَمْرَاءُ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءُ بَعْدَهُ      بَدَتْ بَيْنَ ثُوبِي نَرْجِسٍ وَشَقَائِي  
حَكَتْ وَجَنَةَ الْمِعْشُوقِ صِرْفًا فَسَلَطُوا      عَلَيْنَهَا سِرَاجًا فَانْكَسَتْ لَوْنُ عَاشِقِي<sup>(١)</sup>  
وقال ابن دفيد:

/[٤٤/ب] قُلْتُ زُجَاجَاتٍ أَتَنَّا فَرَاغًا      حَتَّى إِذَا مِلْتُ بَصَرْتُ الرَّاجِ  
خَفْتُ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا قَوْتُ      وَكَذَا الْجُسُومُ تَخْفُ بِالْأَرْوَاحِ  
وقال أبو عثمان الخالدي:

هَتَفَ الصُّبْحُ بِالْذُّنَا فَاسْتَقَيْنَهَا      قَهْوَةً تَشْرُكُ الْحَلِيمَ سَفِينَهَا  
لَسْتُ أَذْرِي مِنْ رِقَةٍ وَصَفَاءٍ هِيَ      فِي كَأْسِهَا أَمْ الْكَاسُ فِيهَا  
وقال التَّنُوخِي<sup>(٢)</sup>:

ثم بلغه حقيقة الخبر، فندم ثم ذكر القصيدة التي أوردتها قبل.

(١) أقوال المخمورين في الخمر كثيرة وهي كذب ومبالغ فيها، ثم إن هناك من تحدث عن الخمر ولا يريد بها كالمصوفة الذين جعلوها رمزاً من رموزهم وهم لا يشربونها بل يحرمونها ولا يقرّبونها، فلا تغتر بمن مدحها، وهناك من شبه بها محبوبته وهو أيضاً مبالغ في رفع قدر الخمر لا في قدر محبوبته إذ الخمر رضية لتحريم الله تعالى لها وحض رسول الله ﷺ على تركها والابتعاد عنها والنهي عن عصرها وحملها وبيعها وشراؤها.

(٢) هو أبو العلاء: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن مطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن أسحم بن النعمان -الساطع بجماله- بن عدي بن عيد غطفان بن بن عمرو بن بريح بن حزيمة بن تيم الله -الذي هو مجتمع تنوخ- ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر -وهو هود النخعي- القحطاني، ثم التَّنُوخِي، المعري الأعشى اللغوي الشاعر صاحب التصانيف السائرة والمتهم في نحلته.

وهو مشهور وقد ترجمت له كثير من الكتب، وصنفت في سيرته المصنفات ومما أورد ترجمته في من الكتب: سير أعلام النبلاء (٢٣ / ١٨)، تمة الشيعة (٩ / ١)، تاريخ بغداد (٢٠٤ / ٤) دمية القصر (١٥٧ / ١)، الأنساب (٩٠ / ٣)، فهرستا بن خير (٣٤٣)، نزهة الألبا (٣٥٣)، المنتظم (١٨٤ / ٨)، معجم البلدان (١٥٦ / ٥)، معجم الأدباء (١٠٧ / ٣)، الكامل في التاريخ (٩ / ٦٣٦)، اللباب (٢٢٥ / ١)، (٣ / ٢٣٤)، أنباء الرواة (٤٦ / ١)، الإنصاف والتحري لابن النديم، وفيات الأعيان (١١٣ / ١)، المختصر (١٧٦ / ٢)، تاريخ الإسلام (٤٦١ / ٣ / ١١)، العبر (٣ / ٢١٨)، دول الإسلام (٢٦٤ / ١)، ميزان الاعتدال (١١٢ / ١)، تمة المختصر (٥٣٩ / ١)، ممالك الأبصار (١٨٢ / ٢ / ١٠)، السواني بالوفيات (٩٤ / ٧)، نكت الحميان (١٠١)، مرآة الزمان حوادث سنة (٤٤٩)، مرآة الجنان (٦٦ / ٣)، البداية والنهاية (٧٢ / ١٢) روض الناظر لابن الشحنة (١٦١ / ٨)، طبقات النحويين واللغويين لابن قاضي شبة (١٦٩)، لسان الميزان (٢٠٣ / ١)، عقد الجمان للعيني (١٤٠ / ٢٠ / ١)، النجوم (٦١ / ٥)، بغية الوعاة (٣١٥ / ١)، مفتاح السعادة (٢٣٧ / ١)، معاهد التنقيص (١٣٦ / ١)، شذرات الذهب (٢٨٠ / ٣)، كشف الظنون (٢٧٨ / ١)، روضات الجنات (٣٣)، إيضاح المكنون (٤٢٧ / ٢)، هدية العارفين (١ / ٧٧) وقال الذهبي في سير أعلام في ترجمته: ولد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

وأضر بالجدري، وله أربع سنين وشهر، سالت واحدة وبيضت الجني، فكان لا يذكر من الألوان إلا الأصفر لثوب أحمر ألبسوه إياه. وقد جذر، وبقي خضاً وأربعين سنة لا يأكل اللحم زهداً فلسفياً. وكان فتوحاً متعقفاً، له وقف يقوم بأمره ولا يقبل من أحد شيئاً ولو تكسب بالمديح لحصل مالا ودنيا فإن نظمه في الذروة، يُعَدُّ مع المتنبي والبحتري.

سمع جزءاً من يحيى بن مسعر، رواه عن أبي عروبة الحراني. وأخذ الأدب عن بني كوت وأصحاب بن خالوية، وكان يتوقد ذكاءً.

ومن أراد تواليفه: رسالة الغفران في مجلد، قد احتوت على مزدكة وفراغ، ورسالة الملائكة، ورسالة الطير على ذلك النموذج وديوان سقط الزند مشهور، وله لزوم ما لا يلزم، من نظمه، وكان إليه المنتهى في حفظ اللغات.

وارتحل في حدود الأربعمائة إلى طرابلس وبها كتب كثيرة، واجتاز باللاذقية، فنزل بها ديراً به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامع أبي العلاء وحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع من انحلال دل عليه ما ينظمه ويلهج به ويقال: تاب من ذلك وارعوى.

وقال الباهرزي: أبو العلاء ضرير ما له ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف ومحجوب خصمه الألكد محجوج، قد طال في كلل ظل الإسلام أنازه، وشرع بالألحاد إنناؤه، وعندنا خير بصره، والله العالم بـبصيرته والمطلع على سيرته، وإنما تحدثت الألسن بإساءته بكتابه الذي عارض به القرآن وعُتُوُّه به: الفصول والغايات في محاذات السور والآيات. وقال غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن:

له شعر كثير، وأدب غزير، ويرمى بالإلحاد وأشعاره دالة على ما يُزُنُّ به، ولم يأكل لحماً ولا ييضاً

ولا لبنا بل يقتصر على النبات ويحرم لإيلاف الحيوان ويظهر الصوم دائماً وله:

صروف الزمان مفروق الإلفين      فاحكم الهني بين ذاك وبينني  
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً      وبعثت أنت لقبضها ملكين

.. وقال السلفي: ومن عجيب رأي أبي العلاء: تركه أكل مالا ينبت حتى نسب إلى التبرهم، وأنه يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع، وإنكار الرسل وتحريم إيذاء الحيوانات حتى العقارب والحيات وفي شعره ما يدل عليه، وإن كان لا يستقر به قرار، فأنشدني أبو القاسم الأسدي أنشدنا أبو العلاء لنفسه:

أقروا بالإله وأتبعوه      وقالوا: لا نسي ولا كتاب  
ووطء بناتنا جلّ مباح      رويدك فقد طال العتاب  
صادوا في الضلال فلم يتوبوا      ولو سعوا صليل السيف تابوا

وقال السلفي: ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار سعت أبا المهدي بن عبد المنعم بن أحمد السروجي سمعت أخي أبا الفتح القاني يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخي بالعمرة بغتة فسمعتة ينشد:

كم غودرت غداة كعاب      وغمرت أمها العجوز  
أحرزها الوالدان خوفاً      والقبر حرز لها حريز  
يجوز أن تخطي المنايا      والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تاه مرات وتلا قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مُّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ \* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ \* يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٥] ثم صاح وبكى وطرح وجهه على الأرض زماناً، ثم مسح وجهه وقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا هو كلامه فصيرت ساعة، ثم سلست، ثم قلت: أرى في وجهك أثر غيظ؟ قال: لا. بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق، وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى، فتحققت صحة دينه.

قال السلفي: سمعت أبا زكريا التبريزي يقول: أفضل من فرأت عليه أبو العلاء، وسمعت أبا المكارم بآهر وكان من أفراد الزمان يقول: لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره شانون شاعراً وختم في أسبوع واحد مئتي ختمة: إلى أن قال السلفي: وفي الجملة، فكان من أهل الفضل الوافر، والأدب الباهر، والمعرفة بالنسب وأيام العرب، قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث على ثقات، وله في التوحيد وثبات وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروعة شعر كثير، والمشكل منه فله على زعمه تفسير.

قال غرس النعمة: حدثنا الوزير أبو نصر بن جهمير حدثنا المنازي الشاعر قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت: ما هذا الذي يروى عنك؟ قال: حسدوني وكذبوا عليّ، فقلت: على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة؟! قلت: أي والله.

وَرَّاحٍ مِنَ السَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ      بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَادٍ  
 هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ جَامِدٌ      وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَادٍ  
 كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ      إِذَا قَامَ لِلشُّرْبِ أَوْ بِالْيَسَارِ  
 تَدْرَعُ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ      لَهُ فَرْدٌ كُمْ مِنَ الْجُلَسَاءِ

وقيل: وتروي ليزيد بن معاوية:

/[٤٥]/ وَأَنْتَ مِنْ لَذَاتِ ذَهْرِي لَقَانِعٍ      يَحْلِسُ الْحَدِيثِ أَوْ نَبْرُ عَيْشَتِي  
 ... (١) لَمْ يَنْبَقِ شَيْءٌ سِوَاهُمَا      حَدِيثُ صَدِيقِي عَتَقِي رَحِيقِي

ثم قال غرس النعمة: وأذكر عند ورود الخبر بموته، وقد تذاكرنا إلحاده، ومعنا غلام بأبي غالب بن نيهان من أهل الخير والفقه فلما كان من الغد حكى لنا قال: رأيت البارحة شيخاً ضريراً على عاتقه أفعيان متدلبان إلى فخذيه، وكل منهما يرفع فمه على وجهه فيقطع منه لحماً ويزدرده، وهو يستغيث فهالني وقلت: من هذا؟ فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري الملعود...

وقيل: أوصى أن يكتب على قبره:

هَذَا مَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ      وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ  
 قلت: الفلاسفة يعدون اتخاذ الولد وإخراجه إلى الدنيا جناية عليه، ويظهر لي من حال هذا المخذول أنه متحير لم يجرم بنحلة: اللهم فاحفظ علينا إيماننا.

... وكانت علته ثلاثة أيام، ثم توفي في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة وعاش ستاً وثمانين سنة.

(١) بعض كلام طمس لعيب في المخطوط، ويزيد بن معاوية وهو: ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية أبو خالد القرشي، الأموي، الدمشقي الخليفة المشهور. وقد ترجمت له مصادر عديدة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

المعارف (٣٥١)، تاريخ السيقوي (٢/ ٢١٥)، مروج الذهب (٢/ ٥٦٧)، جمهرة الأنساب (١٠٣)، تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٩٥ - أ)، الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٦)، منهاج السنة (٢/ ٢٣٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٩١)، المعبر (١/ ٦٩)، البداية والنهاية (٨/ ٢٦٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٠)، لسان الميزان (٦/ ٢٩٣)، القلائد الجوهريّة (٢٦٢)، تاريخ الخميس (٢/ ٣٠٠)، شذرات الذهب (١/ ٧١)، رغبة الأمل (٤/ ٨٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥)، وقال في ترجمته: له على هناته حسنة وهي غزو القسطنطينية وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري.

عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة فكانت دولته أقل من أربع سنين ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه،

وقال آخر:

وَمَذَامِي حَمْرَاءَ فِي قَارُورَةِ زَرْقَاءَ      زَرْقَاءَ تَحْمِلُهَا يَدُ بَيْضَاءَ  
فَالرَّاحُ شَمْسٌ وَالْحَبَابُ كَوَاكِبُ      وَالْكَفُّ قُطْفٌ وَالْأَبَاءُ شَمَاءُ

وقال محيي الدين<sup>(١)</sup> رحمه الله يصف مجلساً:

فقام بعده ولده نحوًا من أربعين يومًا ومات، وهو أبو ليلى معاوية عاش عشرين سنة، وكان خيرًا من أبيه، ويبيع ابن الزبير بالحجاز والعراق والمشرق. ويزيد ممن لا نسبه ولا نجه وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك في ملوك النواصي بل فيهم من هو شر منه، وإضا عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي ﷺ بتسع وأربعين سنة والعهد قريب والصحابه موجودون كايين عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده. وعن زياد الحارثي قال: سقاني يزيد شرابًا ما ذقت مثله، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما أسلسل مثل هذا، قال: هذا رمان حلوان، بمسل أصبهان، بسرك الأهواز، بزيب الطائف بماء بردي. ... وكان قويًا شجاعًا ذا رأي وحزم وفطنة، ونصاحة، وله شعر جيد، وكان ناصيًا، فطًا، غيظًا، جلفًا، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين واختتمها بواقعة الحرة، فمقتته الناس، ولم يبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين كأهل المدينة قاموا لله وكرداس بن أذية الحنظلي البصري، ونافع بن الأزرق، وطواف بن معلي الدوسي، وابن الزبير بمكة.

... وعن الحسن: أن المغيرة بن شعبة أشار على معاوية ببيعة ابنه ففعل، فقبل له: ما وراءك قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة.

قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء أولادهم ولولا ذلك لكانت شورى.

... وعن صحر بن جويرية عن نافع قال: مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى ابن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى، فقال ابن مطيع: إنه يشرب الخمر، ويترك الصلاة ويتعدى حكم الله، قال: ما رأيت منه ما تذكر، وقد ألفت عنده، فرائته مواظبًا على الصلاة، متحريرًا للخير، يسأل عن الفقه، قال: ذاك تصنع ورياء.

... توفي يزيد في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين.

(١) هو العالم المشهور الذي لا يفعله مخالفه فضلًا عن واقعه، وهو غني عن التعريف وإن كان لا بد فهو: الشيخ الأكبر الإمام محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، الحاصي، المرسي، المشهور بابن عربي صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، وقد ألفت في سيرته المؤلفات الكبار، وترجمت له الكتب الصغار والكبار ومن المصادر التي ترجمت له أذكر:

ديوان الإسلام بتحقيقي (ت ١٥٤٤)، سير أعلام النبلاء (٢٣، ٤٨)، هدية العارفين (٢/ ١١٤)، الأعلام (٦/ ٢٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٤٠)، كشف الظنون (١٤)، إيضاح المكنون (١/ ٧٣)، السكلمة لوفيات السقلمة (ت ٢٦٧٢)، طبقات الأولياء (٤٦٩)، العقد الثمين (٢/ ٢)

فِي مَجْلِسٍ ظَهَرَتْ مَسَائِرُ حُسْنِهِ      وَجَلَّتْ بَصَائِرُنَا وَجْوهُ سُرُورِهِ  
فَكَأَنَّه تِلْكَ السَّمَاءُ كُؤُوسُهُ      كَشُمُوبِهِ وَسَقَاتُهُ كَبُذُورِهِ

وقال الحماني<sup>(١)</sup>:

فِي مَجْلِسٍ جَعَلَ السُّرُورُ جَنَاحَهُ      ظِلًّا لَنَا مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ  
لَا تُسْمَعُ الْأَذَانُ فِي جَنَابَاتِهِ      إِلَّا تُرْتَمِ السُّنُّ وَالْعِيدَانِ  
[٤٥/ب] أَوْ صَوْتُ تَصَفِّقِ الْجَلِيلِينَ وَتَقَرَّةِ      وَتُكَاةِ رَاوُوفِي وَضِحْكِ قَتَانِي

١٦٠)، نفع الطيب (٦٠ / ٧)، الوافي بالوفيات (١٧٣ / ٤)، البداية والنهاية (٢٤١)، لسان  
الميزان (٣١١ / ٥)، النجوم الزاهرة (٣٣٩ / ٦)، مرآة الجنان (١٠٠ / ٤)، ميزان الاعتدال (٣ /  
١٠٨)، شذرات الذهب (١٩٠ / ٥)، روضات الجنات (١٩٢) فهرس (٢٣٣ / ١) عقود الحمان  
(٢٣٣٨) (١٧٩ / ٧) التكملة لوفيات النقلة (٧٢، ٢٩) تاريخ الإسلام (٣٠١٢) (١٩: ٢٠٤)  
المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (الورقة ١١)، وقال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء: العلامة  
صاحب التوليف الكثيرة... نزيل دمشق ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف وسع بمكة من  
زاهر بن رستم وبدمشق من ابن الحرستاني، وببغداد، وسكن الروم مدة وكان ذكياً كثير العلم  
كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرّد، وتعبّد، وتوحد وسافر وتجرّد، واتهم  
وأُنبجّد، وعمل الخلوات وعلّق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن تواليفه كتاب «الفصوص»  
فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر نسأل الله العفو والتجاة فوغوثاه بالله!

وقد عظمه جماعة وتكلّفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد  
شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول عن ابن عربي: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم  
العالم، ولا يحرم فرجاً.

قلت: إن كان محي الدين رجع عن مقولاته تلك قبل الموت فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز.  
تسوّي في ربيع الآخر سنة شان وثلاثين وستمائة. وقد أوردت في التاريخ الكبير. وله شعر رائق  
وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيراً من عبارته له تأويل إلا كتاب الفصوص.  
قال محققه: وقد جمعت له في هامش كتاب ديوان الإسلام (٥٤٤) مؤلفاً ذكرتهم كتاباً كتاباً  
فراجعهم فيه إن أحببت.

(١) الذي وقفت على ترجمته هذه النسبة من الشعراء فيمن ذكرهم السمعاني في الأنساب (٢ / ٢٥٨)  
هم:

علي بن محمد العلوي الحسين الشاعر الكوفي، ويعرف بالحماني (وأظنه صاحب هذه الأبيات)  
وعمر بن سفيان بن حمان البارقي الحماني الشاعر نسب إلى جده وهو معروف بالمعقر سي  
بذلك لقوله:

لها ناهض في الجلو قد مهدت له      كما مهدت للبلبل حسناء عاقر

وأنشدني محيي الدين رحمه الله:

أَنَا فِي مَنْزِلِي وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ  
فَأَبْسُطُوا الْعُذْرَ فِي التَّأخَّرِ عَنْكُمْ  
صَدِيقًا وَقِيَّنَا وَعَقَّارًا  
شَقْلَ الْخَلَى أَهْلُهُ أَنْ يُعَارَا

فهذه أشعار روائع، ومعانٍ نواصع، وألفاظ حلوة والمبادئ والمقاطع، وهذا المختصر لا يحتمل التطويل، وقد يستغنى عن الكثير بذكر القليل، فلما أنجزت كل الأمور، وأعددت أسباب السرور، أخذت في الانتظار، وقد تقوضت خيام النهار وراحت، ولون الشمس إلى الاصفرار، وخلعت لباس المورد، وارتدت بالبهار، أقبلت/ [٤٦/ أ] في قميص كأنها غصن بان، وترنو بعين وسان، تمشي قناة، ثم يذكر قدها أن الشني للغصون، فتشتي فضائل الأفق بنورها، وسلبت الليلة لباس ديجورها:

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَحْلَامَ نَائِمٍ      أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي التَّرَكْبِ يُوشَعُ<sup>(١)</sup>  
وخلفت الشمس عند مغيبها، وزادت عليها بحسنها وطيبها، فتلقيتها بدمع أجراه  
الفرح والجذل، وأطلقه السرور فسحَّ وهمل.

فقلت: ما هذا البكاء وقد واصل الحبيب وغاب الرقيب، وعالج الداء الطبيب؟  
فَأَجَبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتَكَ زَائِرِي      وَسَمَحْتَ لِي بَعْدَ النَّوْيِ بَدَائِي  
طَفَحَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَتْنِي      مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَائِي<sup>(٢)</sup>

(١) يوشع المذكور هنا هو يوشع صاحب موسى عليه السلام حين كان معه رحلته المشهور وزعموا أن الشمس وقفت له في قصة مشهورة، فصار مضرباً للمثل وتناوله الشعراء في شعرهم، ومن ذلك قول جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح إذ يقول في وصف حسناء تسير بالليل:  
ومسا أنس المليحة إذ بدت      دجى فاضاء الأفق من كل موضع  
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت      وأني قد أوتيت آية يوشع

(٢) ما أجمل اللقاء بعد الفراق والاجتماع بعد البين وتكحيل العين بالحبيب الزين، فإن لهذا اللقاء شجواً يعجز عن التعبير عنها الشعراء، وتقف الأقلام متحجرة أمام هذه الأحاسيس فلا يناسب على الورق مدادها، ولا يعرف طعمها إلا من ذاقها وهي تحس فلا تكذب ولا تقال وهي ترى ولا نسمع، والتعبير عنها يكون بعكس ما هو مألوف كان يبكي المتلاقيان من الفرح انظر إلى قدر هذا الشوق الذي يتحول عن شكله الطبيعي إذ يحل محل الضحك البكاء تعبيراً عن الفرح والسعادة والغبطة والسرور.



/ [٤٦/ب] قد خلت أمامها إلى الدار، ونعمت عينا بالحلال... <sup>(١)</sup> نشر درك  
الأماني والأوطار.

واستقر بها المجلس فأعجبها ترتبه، وراقها أرجه وطيبه، وأخذنا في شأننا، واستنطقنا  
اللسن عيداننا، وكدنا نظير ونحن في مكاننا، ودارت كؤوس الرّاح، ورشفنا شفاة الأقداح،  
فلما أخذت ماء خدها من الهام، ودبت ديبب البرء في السقام، انبسطت نفس وثم أنس،  
وتحرك ساكن، وصفا آجن، واجتمع أحباب، وجرت أسباب وعطفت أجياد على أجياد،  
وقرب فؤاد من فؤاد، وواصل محب حبيب، وآمن عازله ورقبه <sup>(٢)</sup>.

/ [٤٧/ا] تأمل من خلال الشك فانظر بعينك ما شربت ومن سقاني

(١) كلمة غير ظاهرة بالمخطوط.

(٢) وفي نحو هذا الوصل يقول ابن حزم شعراً في طوق الحمامة (ص ٥٩):

وسائل لي عمالي من العمر	وقد رأى الشيب في القودين والعذر
أجبت ساعة لا شيء أحسبه	عمراً سواها بحكم المفل والنظر
فقال لي كيف ذا يُنت لي فلقد	أخبرتني أشنع الأنباء والخبر
فقلت: إن التي قلبي بها علق	فبَلَّثها قبله يوماً على خطر
فما أعتد ولو طالعت سني سوي	تلك السويعة بالتحقيق من عُمرِي

وقال في الرقيب فساد لهصفو المحين (ص: ٥٠) ومن آفات الحب الرقيب، وإنه لحمن باطه  
وبرسام ملح وفكر مكب، والرقباء أقسام، ثم تكلم على أنواع الرقباء. ثم ذكر الحيل في استرضاء  
بعض الرقباء ليكون عيوناً للمحبين بدلاً من أن يكونوا عيوناً عليهم فقال:

ورب رقيب أرقبوه فلم يزل	على سيدي عمداً ليعبدي عنه
فما زالت الألفاظ تحكم أمره	إلى أن غدا خبرني له آمناً منه
وكان حساماً سُل حتى يهني	فعدا مُحِبّاً ما لنعمته كُنّه

وقال في الرقيب الذي لا تجدي معه حيلة؛ ثم هو متمرس على الرقابة يجيدها شاماً:

رقيب طالما عرف الغراما	وقامى الرُجْد وامتنع المناما
ولاقي في الهوى المأ أليماً	وكاد الحب يورده الحِمَامَا
وأثفن حيلة الصب المَعْنَى	ولم يضع الإشارة والكلامَا
وأعقبه التسلي بعد هذا	وصار يرى الهوى عاراً وذامَا
وصير دون من أهوى رقيباً	ليُبعَد عنه طَيْباً مستهما
فأبى بلية صبت علينا	وأي مصيبة حلست لهما مَا

تَجِدُ شَمْسَ الضُّحَى تَسْرِي بِشَمْسٍ إِلَى مِنَ السَّرْحِ الْخَسْرَوَانِي  
وهصرت قدود وجنيت خدود، وضمت نهود، ورشفت ثغور برود، وقبليت شفاه  
ونغسور، وتمت أحوال وأمور، واستحكم فرح وسرور، وأشرق على وجه الأنس نور،  
ومعدن عذار، ونبد وقار، وشربت عُقَار، وطلب عند الهَم ثار، وطافت كؤوس وطابت  
نفوس، وجنيت غروس، وجلبت غرُوش، وزال هَمَّ وَبُؤْس، وادال دهر، وجرى نهر، وفتح  
زهَر، وقرب وصل، وبعد هجر، وتدانَت قلوب، وساعف محبوب، وحصل مطلوب  
/[٤٧/ب] وأصبح مجنون، وأنشدت ولي ذاهل، ونادى الأنس أهل<sup>(١)</sup>:

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَنًا بَعْدَ فَرْقَةٍ وَأَدْنَى فُرَادًا مِنْ فُرَادٍ مُعَذَّبٍ  
فَبَيْتَنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زَجَاجَةً مِنْ رَاحٍ فَبَيْعًا يَبْتَسِنَا لَمْ تَشْرَبْ<sup>(٢)</sup>  
وجرينا في ميدان الخلاعة، وبدلنا في طاعة الهوى جُهْدَ الاستطاعة، وعاصينا الوقار

(١) وقال ابن الرومي يصف حسن حديث محبوبته:

حديتها السحر الحلال لو أنه  
إن طال لم يُنَلَّ وإن هي أوجزت  
شرك العيون وفننة ما مثلها

ويقول بشار بن برد في حسن حديث المحبوب:

وكان حلوا حديتها  
وكان تحوت لسانها  
وتخال ما جمعت عليه  
وكانها ببرد الشراب

(٢) وقال المعري في ديوانه يصف ليلة:

ليلتي هذه عروس من الزنج  
هرب النوم عن جفوني فيها  
وكان الحلال بهوي الثريا  
وسُهِلَّ كوجنة الحب في اللون  
يسرع اللحم في احمرار كما تسرع  
ضرجته دما سيوف الأعادي  
ثم شاب الدجى وخاف من الحجر  
ونضا فجره على نسر الواضع

عليها فلان من جُمان  
هروب الأمن عن فُرَادِ الجُمان  
فهما للوداع معشوقان  
وقلب الحب في الخفقان  
في اللحم مقلعة الفضيان  
فبكت رحمة له الشعريان  
فغطى المشيب بالزعفران  
سيفاً فهُمَّ بالطيران

والنهي، وبلغنا كل قلب ما اشتهى، وأعطينا النفوس أمانها، وسلمنا قوس التصابي إلى باربها، وجنيت ثمار المعاني، وحصلت على المطالب والأمني، وأنشدت أبيات أبزون العُماني:

أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ      وَالْأَفْقُ مِمَّا أَكْسَى مِنْ عَرْفِهِ عَطِرٌ  
فَلَمْ تَزَلْ تَسْحَارِي فِي الْعِتَابِ مَعًا      أَشْكُو إِلَيْهِ جَفَاءً وَهُوَ يَعْتَذِرُ  
/ [٤٨/١] حَتَّى إِذَا مَا اعْتَقْنَا وَأَنْسَابَتْ لَنَا      عَلَى أَرَادِلِنَا عَيْشٌ لَهُ خَطَرٌ  
فَادَيْتُ يَا لَيْلُ دُمَ لَيْلًا بَلَا سَحَرٍ      فَقَالَ لَيْلُكَ هَذَا كُلُّهُ سَحَرٌ<sup>(١)</sup>

[وصف الليل مع الاتصال]<sup>(٢)</sup>

وذكرت في وصف الحال والاستعانة بالليل على استمرار الوصال قول من قال:

بَشْنَا عَلَى حَالِ نُسُوءِ الْعِدَى      وَرُبَّمَا لَا يُعْنِكُنُ الشَّرْحُ  
بَوَائِنَا اللَّيْلُ وَقُلْنَا لَهُ:      إِنْ غَبِتَ عَنَّا دَخَلَ الصُّبْحُ<sup>(٣)</sup>

(١) ومما قال الأشبهي في المستطرف فيما قيل في الليل (ص ٤٦٨):

ورب ليل سهرناه وقد طلعت  
كانما أدهم الظلماء حين نجا  
وقال آخر:

ليل المحبين مطوي جوانبه  
ما ذاك إلا لأن الصبح نَمُّ بنا  
وقال غيره:

فلم أر مثل الحيل ذوي التصابي  
فيشكو طوله أهل النجاني

(٢) زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

(٣) ومما قال الأشبهي أيضًا في الليل وطوله وقصره في المستطرف (ص ٤٦٨):

لَيْلِي وَلَيْلَى سَوَاءٌ فِي اخْتِلَافِهِمَا  
يَجُودُ بِالطُّوْلِ لَيْلَى كُلَّمَا بَخَلْتُ  
وقال آخر:

إن الليالي للأنام مناهل  
فصارهن مع المموم طويلة  
وقال غيره:

رب ليل لم أذق فيه الكد  
حظ عيني فيه دمع وسهر

واحتشنا الطاس والكأس، وديت الحميا في الحميا في القدم والرأس ونشئت في المطار،  
والقوائم، وسرت سري الكرى في مقلة النائم، وأنشدت الأبيات النوادر الدالة على قوة  
عارضة الشاعر التي تجاري شيم السحر لطفًا، وتفوق نظم الدرر [٤٨/ب] صفاً  
ورصفاً:

عَاطِيَتُهُ وَاللَّيْلُ يَسْنَحُ ذَيْلُهُ	صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ الْفَتِيحِ لِنَاشِقِ
وَضَمَمَتُهُ ضَمَّ الْكِمِّي لِسَيْفِهِ	وَذَوَّبَتْهُ حَوَامِلُ فِي عَاتِقِي
حَتَّى إِذَا نَابَتْ بِهِ سِنَّةُ الْكَرَى	زَحَزَحَتْهُ عَنِّْي وَكَانَ مُعَانِقِي
أَبْعَدَتْهُ عَنْ أَضْلَعِ مَشْتَاقَةٍ	كَثِيلاً يَبِينْتُ عَلَى فِرَاشِ خَانِقِي <sup>(١)</sup>

---

كلما هيج ليلى حرفي	صحت بالليل أما فيك سحر
وقال آخر:	
بـالـ لـيل طـلل أولـا تـطل	لا بـد لي مـن مـهـرك
لو بات عندي قمري	ما بست أرعى قمرك

(١) نحو هذا الوصف جاء في قصة في مصارع العشاق (١٣٢٥) تحت عنوان الأخوات الثلاث  
وكتاهن يقول فيها:

ذكر لي رجل من أهل المدينة: أن رجلاً خرج حاجاً فنزل تحت سرحه (شجرة كبيرة لا شوك  
فيها) في بعض الطريق بين مكة والمدينة، فنظر إلى كتاب معلق على السرحة فيه: بسم الله الرحمن  
الرحيم:

أيها الحاج القاصد بيت الله الحرام: إن ثلاث أخوات خلون يوماً فَبَحْنَ بأهوائهن وذكرن  
أشجانهن، فقالت الكبرى:

عجبت له إذ زارني في النوم مضجعي	ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا
وقالت الوسطى:	

وما زارني في النوم إلا خيالـه	فقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً
وقالت الصغرى:	

بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة	ضحيجي ورباه من المسك أطيبا
وفي أسفل الكتاب مكتوب: رحم الله امرأً نظر في كتابنا وقضى بالحق بيننا ولم يجر في القضية.	
قال: فأخذ الكتاب ففتح، فكتب في أسفله:	

أُحَدِّثُ عَنْ حُورٍ تَحْدِثُنَ مَرَّةً	حديث امرئ ساس الأمور وجربا
---	----------------------------

ولم أتبع الشاعر في شففته ولا اختصرت شيئاً من العشاق عملاً بطريقته، وذكرت قصر ليل الوصال، فأخذت في الحنين والأعوال، وقد أطل الشعر في ذلك وأجادوا، وبلغوا فيما قصدوه منه ما أرادوا وأنا أورد منه ما يليق بهذا المختصر، وأذكر منه ما حضر وقد [٤٩/أ] يستدل على الشجرة بالواحدة من الثمر<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

[قولهم في قصر ليل الوصال]<sup>(٢)</sup>

قال بعضهم:

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا  
تَطُولُ فِي هَجْرِنَا وَتَقْصُرُ فِي الْوَصْلِ

يَغْتَرُ فِيهَا الْعِشَاءُ بِالسَّخَرِ  
فَمَا تَلْقَيْ عَالِي قَدَرٍ<sup>(٣)</sup>

ثلاث كيكرات الهجان عطاب  
خلون وقد غابت عيون كثيرة  
فبحن بما يخفين من لاجع الهوى  
عجبت له إذ زارني في النوم مضجعي

نواعم يغلبن اللبيب المشيبا  
من اللآء قد يهوين أن يتغيبا  
معا واتخذت الشعر ملهى ومعلبا  
ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

(١) وقال شاعر اكتفى من محبوه بتغيبيل اليد بدلاً من الخذ:

يَا غَزَالَ لِي إِلَيْهِ  
وَالَّذِي أَجَلَلْتُ خَدَيْهِ  
بِأَبِي وَجْهَكَ مَا أَكْثَرَ  
أَنَا ضَيْفَ وَجْزَاءِ الضَّيْفِ

شِاعٍ مِّنْ مَّقَاتِلِهِ  
فَقَبْلَتْ يَدَيْهِ  
خَسَادِي عَلَيْهِ  
إِحْسَانِ إِلَيْهِ

(٢) زيادة من عمل المحقق غفر الله له.

(٣) ويقول موسى بن علي الطبراني طالباً الوصل من محبوبته فنصحته بالتناوم بالليل حتى تعطيه ما يطلب خيلاً فقال:

شكوت لها الغرام عسى رضاها  
فقال لي إذا ما الليل أرخى  
فسيمت البطاح ولا دليل  
فقال بل تناوم إن وجهي

يُسرني بعد شفقوي النجاحا  
ستائره فسئل عن البطاحا  
سوى عرف تضحته الرياحا  
إذا امتيقظت يذكرك الصباحا

وقال سيدوك:

عَهْدِي بِهِمْ وَرِثَاءُ الْوَصْلِ يَجْمَعُنَا  
فَالْيَوْمَ لَيْلِي وَقَدْ بَأَثُوا فَدَيْتَهُمْ  
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَالْمَنْحِ بِالْبَصْرِ  
لَيْلُ الضَّرِيرِ فَصُبْحِي غَيْرَ مُتَّظِرٍ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

اللَّيْلُ إِنْ هَجَرْتَ كَاللَّيْلِ إِنْ وَصَلْتَ  
أَشْكُو مِنَ الطُّوْلِ مَا أَشْكُو مِنَ الْفَصْرِ<sup>(٢)</sup>

(١) وعلى ذكر الضرير والحب أذكر قول مظفر بن إبراهيم بن جماعة، وقد كان أعمى، وقد أحب فتعجبوا من حبه وكيف بلغ هذا الشأ في الحب وهو لا يعرف صورة عبويه وما الذي دفعه إلى كل هذا القدر من الحب، فقال:

قَالُوا أَعَشَقْتَ وَأَنْتَ أَعْمَى  
وَحُلَاةُ مَسَا عَيْنَيْتَهَا  
وَحَسْبَالَهُ بِكَ فِي الْمَنَامِ  
مَنْ أَيْنَ أَرْسَلَ لِلْفَوَادِ  
وَمَتَّى رَأَيْتَ جَمَالَهِ  
وَبِأَيِّ جَارِحَةٍ رَصَدْتَ  
وَالْمَعِينِ دَاعِيَةِ الْمَسْوَى  
فَأَجَبْتُ: إِيَّيْكَ مَوْسُو  
أَهْوَى بِجَارِحَةِ السَّمَاعِ  
ظَبِيًّا كَحَبِيلِ الطَّرْفِ أَلْمَى  
فَسَقُولُ: قَدْ شَفَقْتُكَ وَهَمَا  
فَمَا أَطَافَ وَلَا أَلْمَا  
وَأَنْتَ لَمْ تَنْظُرْهُ سَهْمَا  
حَتَّى كَسَاكَ هَوَاهُ سَقَمَا  
لَوْ صَفَهُ نَشَرَا وَنَظَمَا  
وَبِهِ تَنَمَّ إِذَا اسْتَنَمَا  
الْمَعَشِقُ إِنْ صَصَاتَا وَهَمَا  
وَلَا أَرَى ذَاتَ الْمُسْتَعْنَى

بغية الوعاة (٢/ ٢٨٩).

(٢) هكذا حال العشاق هم دومًا على شكوى فإن وصل المحبوب استفلوا الوصل، وإن هجر استظلوا الهجر فلا يقر لهم حال لا بالهجر ولا بالوصل فهم إن جالسهم محبهم أحسوا بالقلق من خوف طلب القيام والانصراف فطيلة الوقت قلق مضيق لجمال وحلاوة الوصل بخوف الانصراف وخوف انصرام الوقت فيصرم الوقت دون أن ينصرم ويضعه في الخوف والوجل. وإن غاب المحبوب عنه في الزيارة صار يومه طويلًا وليله عليلًا ينتظر منه طلة أو نظرة أو يترقب وقت حضوره فإن أخلف ساعة كانت عليه دهرًا فهو يقضي حياته كلها انتظارًا إما انتظار قدوم وإما انتظار انصراف فيذيه هذا ويضنيه ذاك فلا يقر له قرارًا ولا يهدأ له بال، ولا ينفع معه نصيح ولا توجيه لمن هذه حاله ولا علاج ولا دواء لها ومن حاول علاج هذه الأحوال فإنما هو طالب محال فليس للعاشق علاج سوى المعشوق فإن رآه استراح، وإن غاب عاد إلى ما كان عليه من الضنى والوجد وانتظار العود والوصل والانصراف فاللهم اجمع كل حبيب بمحبوبه، وأدم هما الحب والسعادة، وأبعد عنهما منغصات الحياة وأسباب اليبس وأرسلهما إلى طريقك المستقيم حتى تجمعهما في جنات النعيم.

وقال ابن التعاويذي:

وَأَظْلَمْتُ نَيْلِي وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ      ذَهَبَتْ بِوَصْلِكُمْ كَظِلِّ الطَّائِرِ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

/[٤٩/ب] كُلُّ اللَّيَالِي الْمَاضِيَاتِ خَلَاةٌ      تُفْصِدِي نَعِيمَكَ بِالسَّوِي حَاجِرٍ  
مَا كُنْتُ فِي اللَّذَاتِ إِلَّا خِلْسَةً      سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ سَمَحَةً غَابِرٍ<sup>(٢)</sup>

(١) وهذا كسابقه يقول إن الهجر يطيل عليه الليل ويجعل ليله بلا صبح وسواده خائكاً ونجومه منطفئات ونسيم برده فارساً وأطرافه متباعدة وساعاته متناقلة وسيره فيها الأرق والقلق والحزن والجوى والضنى والسهر والوجد والهيام واهم أمانيه فيه أن ينام رجاء أن يرى لمحبه طيف خيال يسري عنه بعض ما يلقي من الآلام ويعزيه في غربته التي هو فيها والناس حوله نيام هائنين بما هم فيه من راحة البال والاستقرار، فقد عاناهم الله من عذاب الحب وويلاته وآلامه التي يجد لها الحب لذة ما بعدها لذة وقت الوصال، يجعلها كل من هو في هذا الاستقرار وهو يرى أن الساعات التي يقضيها مع محبوه تمر كاسرع من مرور ظل الطائر في جوف السماء على الجالس على الأرض فهو أسرع من طرف العين ومضى البرق يريد أن يقول له إني أجلس معك ولا أجلس فلا تحب أن جلوسك معي هذه الساعات بقدر ما تحسه أنت بل هو بقدر ما أحسه أنا وأنا أحسه بهذه السرعة وهذا القدر من وميض البرق وطرف العين وسرعة الطائر فاعذرنني في عني عليك ولومي لك في استقلالي للوقت الذي أفضيه معك حبيبي.

(٢) يقول لها إنه مهما قدم لها من الشكر على هذا الوصل بعد هذا الهجر الذي أضناه في الليالي السالفة فإنه لا يقدر على ذلك ولو بالسوي حاجره أي بحجة عنه، وعلى الرغم من ذلك كله ما نلت من لذة وصلك إلا أقل من طرفة العين وقد كانت خلسة لا على قرار ولا على هدوء حال، وهذا حال العشاق كما قلت في لوم دار الليالي والأيام يريدون أن لا يكون الدهر إلا خليلاً وحله وظلاً ظليلاً وماء بارداً وصوت عصفور، وضحكة مخلص ونظرة محب ولمسة عاطف وقبلة حان وحضن واله ولقاء عاشق، هذا هو أقصى أمانهم لا يريدون مالا ولا سلطاناً ولا متاعاً ولا قصوراً ولا زروغاً هم فيما هم فيه عن الخلق غافلون يتركونهم يرتعون في الدنيا وزينتها وهم لا يعرفون من الدنيا سوى بعضهما البعض.

فاللهم ارزقنا حباً للحلال عن الحرام، وحباً لمن أحبك، وحباً لك يملأ علينا قلوبنا وابصارنا وأساعنا إلى أن نلقاك غير راضين بسواك آمين.

[خاتمة الكتاب]<sup>(١)</sup>

فحين بلغت إلى هذا المقام وأتيت بما أتيت من النثر والنظام، رعدت رعدة أيقظتني من المنام، فانتبهت فلا محبوبة ولا مُدام، ولا آسَ ولا خزام فعجبت من قوة الخيال، واستمرار هذا المحال. وأنا أستغفر الله من التجوز في المقال وتحقيق هذا المحال. والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله خير آل.

كتبها ياقوت بن عبد الله بمدينة السلام في العشر الأوائل من شعبان سنة أربع وسبعين وستمئة هجرية، / [٥٠/أ] حامداً الله تعالى على نعمه ومصلئاً على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين ومسلماً تسليمًا كبيراً<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) زيادة من عمل المحقق غفر الله تعالى له آمين.

(٢) قال محققه أبو [سلام] سيد بن كسروي بن حسن:

وقس الفراغ من تحقيقه في صباح يوم السبت السادس من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، الموافق الأول من الشهر السابع من ميلاد عيسى عليه السلام، سائلاً المولى عز وجل حسن الختام بالموت على دين الإسلام آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الكتاب الثالث

# رسالة التلطيف في الجلاء والهزك

تأليف

الأديب شمس الدين أبي عبد الله محمد بن دانيال

المتوفى ٧١٠ هـ

تحقيقه

سيد كسروي حسن



## مقدمة الحق

[٢/١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كسبت إلي أيها الأستاذ البديع والماجن الخليع، لازال سترك رفيعاً، وحجابك منيعاً،  
تذكر أن خيال الظل<sup>(١)</sup> قد مجته الأسماع، ونبت عنه لتكراره الطباع.

وسألتني أن أصنف لك من هذا النمط ما يكون بديعاً في أشخاص السقط. فصدي  
فيما رمته مني، وأن ترويه عني، ولكن رأيت تمنعي من هذا المرام، يوهمك أي قاصر عن  
هذا الاهتمام، واهن الفكرة/ [٢/ب] عاجز الفطرة عن غزارة النبوع، وإجابة خاطره

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «خيل» في تعريف الخيال أو خيال الظل (ص ١٣٠٦).  
والخيال: خيال طائر يرتفع في السماء فينظر إلى ظل نفسه، فيرى أنه صيد، فينبض عليه ولا يحب  
شيئاً، وهو خاطف ظله.

... وتخيل الشيء له. تشبه، وتخيل له أنه كذا أي تشبه وتخيل. يقال: تخيلته فتخيل لي. كما  
تقول: تصوره فتصور، وتبينته فتبين، وتحققته فتحقق والخيال، والخياله: ما تشبه لك في اليقظة  
والحلم من صور... والخيال والخياله: الشخص والطيء. ورأيت خياله وخيالته: أي شخصه  
وظلته. من ذلك في التهذيب: الخيال لكل شيء تراه كالظل.

وكذلك خيال الإنسان في المرأة وخياله في المنام صورة مثاله، وربما مرَّ بك الشيء شبه الظل  
فهو شمال.

... وقال الأصمعي: الخيال: خشبة توضع فيلقى عليها الثوب للغنم إذا رآها الذئب ظن أنه إنسان.  
وفي اللسان أيضاً في مادة «طيف» (ص ٢٧٣٩)، طيف الخيال: مجيئه في النوم، قال أمية بن أبي  
عائد:

ألا يا لقومسي لطيف الخيال أرق من نـازح ذي دلال

وطاف الخيال، يطيف طيفاً ومطافاً ألم في النوم قال كعب بن زهير:

ألقى ألقى بك الخيال يطيف ومطافاً لك ذكره وشغوف

وأطاف: لفة. والطيء: الخيال نفسه. والطيء: المس من الشيطان، وقرئ قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمُ  
طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾، (طيء من الشيطان)، وهما بمعنى، وقد أطاف وتطيف. وقولهم: طيف من  
الشيطان، كفولهم: لهم من الشيطان، وأنشد بيت أبي العيال الهذلي: فإذا بها وأبيك طيف جنون.  
وفي حديث المنبث: فقال بعض القوم: قد أصاب هذا الغلام لم، أو طيف من الجن، أي: عرض  
له عارض من منهم. وأصل الطيف الجنون، ثم استعمل في الغضب، ومس الشيطان. يقال: طاف  
يطيئ ويطوف طيفاً وطوفاً فهو طائف. ثم سمي بالمصدر، ومنه: طيف الخيال الذي يراه النائم.  
وفي الحديث: فطاف بي رجل وأنا نائم. والطياف: سواد الليل، وأنشد الليث، عقيان دجن بادرت  
طيفاً.

المطبوع.

فجلت في ميدان خلّاعتي، وأجبت سؤالك لساعتي، وصنفت لك من باب المحون  
والأدب العال لا السدون، ما إذا رست وبوت مقصودة، وخلوت بالجمع، وجلوت  
الستارة بالشمع، رأيت بديع المقال، يفوق في الحقيقة ذاك الخيال، فإذا دعيت إلى مجلس  
السرور، فأخرج طيف الخيال مكان القور، واستبدي بالنشيد وغنّ في الرست هذا  
/[٣/أ] القصيد:

خيالنا هذا الأهل الرتبُ	والفضل والبذل وأهل الأدبِ
حوى فنون الجدل في هزله	وزاد حسناً وأتى بالعجبِ
فانظره يا من فهمه ثاقب	فإن فيه للعرفان أدنى سببِ
إذ قسام فيه ناطق واحد	عن كل شخص ظاهر واحتجبِ
مذاهب الفضل به جمّة	فتسقطوه سادتي/[٣/ب] بالسذهبِ
ترجمة طيف الخيال السذي	حكى هلالاً طالعاً بالحذبِ

فإذا فرغ الرئيس من هذا الإنشاد، يشرع فيما بنا وشاد:

نادى: يا طيف الخيال، يا كامل الخصال، فيخرج شخص أحدب، وينقض كالبازي  
الأشهب، فيسلم سلام القادم ويقف مطرقاً كالواجم، فيرد الرئيس عليه السلام، ويلقاه  
بالمدح قبل الكلام.

شعر:

قسماً بحسن قوامك الفتان	يا أوحّد الأمراء في الحُدبانِ
أنت الحسام زهي ببرشق حدة	فاقت على الخطيّة المُرانِ
يا مخجل الفصن الرطيب إذا	مشى من حديثه يمس بالرمالِ
يا مخجلاً شكل القضيّب بقده	حاشاك أن تُعزى إلى نُقصانِ
ما عاب قامتك الحسود جهالة	إلا أجبت مقالته ببيانِ
/[٤/ب] هل يحسن الجودان إلا أن	كداتنه في حلبة الميّدانِ
أم هل برأس المتن إلا ردفه حسناً	فكيف بمن له ردفانِ
ولنعم أسنمة الجمال وجملها	ذات الجمال بملتقى الأضغانِ

لولاك ما اشتقنا قباب المنحنا  
والعود أحذب وهو الهى مُطرباً  
وكذا سفين البحر لولا حديّة  
ومدبر إلا كسير يدعى أحذباً  
وإذا اكسى الإنسان قيل تشلاً  
يعزيك في الحديبان كل مكديج  
مستجمع الكتفين أحذب قد بدا  
/[٥/ب] فيقول طيف الخيال: لا فض فوك. وصان من سيف الحسبة قواك،  
من حاجر والتل من عسفان  
ولقد سمعت بنعمة العبدان  
في ظهره لم يقو للطوفان/[٥/أ]  
في علمه والقسط في الميزان  
بالمدح قامت حديبة الإنسان  
يمشي الهويّنا مشية السرطان  
في هيئة المنحوف والضعفان

وترقص على عادته في الخيال ويغنى ارتجالاً:

سلام على السادة الحاضرين  
سلام على من حوى ذا المقام  
فهم خير من خوطبوا بالسلام  
ومن قبل رقصتي بهذا الخيال  
أعظم رب العُلا ذو الجلال  
ومن بعد هذا نصلي على  
نبي كريم هداًنا إلى  
عليه من الله أزكى صلاة  
فليس لنا في الشفاعة سواه  
وندعو لسلطاننا بالبقاء  
فلولاه ما زال عنا الشقاء  
وأسأل رب العباد الغفور  
ويقيهم أبداً في سرور  
ومن بعد هذا إليكم أتيت  
وقد كنت لولا الخداعة  
سلام المشوق الكتيب الحزين  
من السادة الأتقياء الكرام  
وأكرم من صوفحوا باليمين  
/[٦/أ] ومن قبل أن ابدي بالمقال  
إلهاً تعالى عن العالمين  
النبي الذي حاز أعلى العُلا  
صراط هدى في البرايا مبين  
وعثرته الغرُّ أهل الحياء  
شفيع العصاة مع /[٦/ب] المذنبين  
وبالبصر والفتوح والارتقاء  
وذاك المطاع القوي الأمين  
يديم لنا عز هذا الحضور  
فقولوا معي رفاقي آمين  
/[٧/أ] لأحكي بعض ما قد رأيت  
أنيت على أعين الخلاعة معين

ثم يقول: السلام عليكم يا سادة، ودمتم في نعمة وسعادة، واعلموا أن لكل شخص مثالا، وقد قيل في الأمثال: إنه يوجد في الأسقاط، ما لا يوجد في الأسفاط، على أنه لكل خيال حقيقة، ولكل أسلوب طريقة، وفي المزال راحة من كلال الجدل، والنحنس نظير السعد، وقد يُمل المليح، ويُستحسنُ القبيح، والمصفوع حلیم، وباذل فلسه كريم، والمواجر مصافي، والمبادل موافي، ويقاضي المنيوك صراعة، والذب جسارة<sup>(١)</sup> وشجاعة، والزنق افتراس/ [٧/ ب] والتكيس اختلاس، والغيرة شُع ورقاعة، وجلد عميرة<sup>(٢)</sup> قناعة، وهو طيف الإيقاظ، ودواء الإنعاض.

ومن الوجدادة إلى التجارة، سوقها قائم، ودخلها دائم، نحل لها الأكياس عُقد الأكياس، والأبنة<sup>(٣)</sup> دار المترفين بعض الكتاتين، ونما عليك أن يقال/ [٨/ أ] هذا قبيح، وكل شيء على وجهه مليح، وفي القيادة سر الانقياد، وكل أحد يتفاعل، بطلعة القواد، فإنه جامع الشلل والمرياض بالمشي في الرمل، وهو الطحان الذي يجمع الحجرين على

(١) الدبيب والدباب: هو الرجل يفعل بالثام فعل قوم لوط، ولهذه الخصلة أناس قد اشتهروا بها وهم أدوات يستعينون بها عليها ومن أهم هذه الأدوات الحيط. والتراب والريق. والمقراض، والحصى، وغير ذلك كثير، ويحتالون في الوصول إلى غرضهم بأشياء كثيرة منها التناوم، إطفاء السرج عمداً أو بإظهار أنه عن غير قصد، وهو عمل من أعمال الخيانة والاعتصاب وهناك الأعراض يعاقب عليه الإسلام عقوبة شديدة.

(٢) معروف أن المراد بجلد عميرة هو الاستمنا باليد أو ما يعرف في أيامنا هذه بالعادة السرية للرجال وقد ذهب قوم من العلماء إلى تحريم ذلك، وذهب آخرون إلى إباحته عند الضرورة ومن بينهم أحمد بن حنبل عليه رحمة الله، ومن ذهب إلى تحريمه استدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

وذهب من إباحة إلى أن الضرورات تبيح المحظورات وأنه ليس هناك نص صريح على التحريم وإباحة العزبة الناتجة عن عدم القدرة على الزواج أو البعد عن الزوجة لسفر أو سجن أو ما شابه ذلك، والله تعالى أعلم.

(٣) في لسان العرب (ص—١٢): الأبنة بالضم: العقدة في العود أو في العصا وجمعها أبن، وقال الأعشى: قضيب سراء كثير الأبن

وقال ابن سيدة: هو أيضاً مخرج الفصن في القوس.

والأبنة: العيب في الخشب والعود.

.. والأبنة: العيب في الكلام، وهو المراد هنا والله أعلم.

وربما أراد بقوله: أذي بعض الكتاتين أنه العيب الكائن في العود الخشب من العقل وغيرها مما يؤدي إلى تعب وأذي الكاتب أثناء بري القلم أو شق سن الريشة أو قطعها.

الحبة والدقيق والجليل على الحبة مع جمعه الثقال مع القطع المتمتع بليالي الجمع.  
وفي القهوة سلوة<sup>(١)</sup> الأحزان، لولا خفة الميزان وطاعة الشيطان، وعصيان الرحمن،  
وحدة الحدود، مع النصارى واليهود، ومن أجل / [٨/ب] هذا عدلت السودان إلى  
سُكْرُكَةٍ<sup>(٢)</sup> السدرة، وأكثروا من الدخول إلى المعصرة، وعلقوا ذا الباب وفتحوا أبواب  
البشتكي والطبطاب، واستغنوا بالفار المطخن عن الفرخ المسمن، وشاركوا الخمارين في  
المسرة، وفتحوا باللفتية<sup>(٣)</sup> عن الخماسية والجرة، والأكصافاعة الحرافيش، الذين عرفوا سرَّ  
الحشيش؛ لأنهم ذاقوا لذة الكسل، وهربوا من نصب العمل، وزعموا أنها تفعل في معدة  
المعمود، فعل القرص في الجلود<sup>(٤)</sup> فاستغفوا بذلك الغفار / [٩/أ] عن معاقرة العقار،  
فأكلوها في الأسواق والمشاهد<sup>(٥)</sup>، إلا أنني بعد توبتي من هذه الخصال، وتوديعي أخي

(١) ربما أرد بالقوة ها هنا الخمر لما تبعه من كلام على الكراهية الشديدة، والعقوبة على تعاطيها أو  
تناولها وتشبه من فعل ذلك باليهود والنصارى في أفعالهم.

(٢) قال ابن منظور في اللسان في مادة «سكرك» (ص ٤٩٠-٢): قال أبو عبيد: ومن الأشربة  
السُّكْرُكَةُ قال أبو موسى الأشعري في حديث السُّكْرُكَةِ: هو خمر الحبشة، وهو من الذرة يُسَكَّرُ،  
وهي لفظة حبشية، وقد عربت فقبل: السُّقْرُوعُ.

(٣) وفي اللسان أيضاً في مادة لفت (ص ٥٢٠-٤):  
اللفْتِيَّة: أن يضاف ماء الحنظل الأبيض، ثم تنصب به البرمة، ثم يطبخ حتى ينضج ويخثر، ثم يذَرُّ  
عليه دقيق.

واللفتية: المصيدة المغلقة. وقيل: هي مرقه شبيه الحيس.  
وقيل: اللَّفْتُ كالقتل، وبه سبت المصيدة لفتية، لأنها تُلَفَّتْ، أي تقتل وتلوي.

(٤) هذه من المغالطات التي يليها من انحرفوا عن الجادة ولفقوا الحق بالباطل وزعموا أن الخير كامن  
في الشر فادعوا أن الحشيش منفع للبدن وعلاج للبطن والمعدة وهذا ادعاء كاذب يروج له  
الكسلاء الذين يقعدون عن العمل ويدعون إلى الكسل ويتربحون من وراء أفساد الناس وتزيين  
الباطل والشر للناس ليثروا هم ثراءً فاحشاً ويلقى غيرهم في الهم والحزن أو السجن والمرض ما  
يلقى

(٥) يَحْدُ الأكل في الشوارع والأسواق والأماكن العامة من الفوداح في المروعة، وكانت ترد به شهادة  
الشاهد، وكذا كانت ترد شهادة الرجل إذا رئي في الشارع عاري الرأس.

أما اليوم فقد تغيرت الأحوال فلا مانع من أن يري الرجل حاسر الرأس إذ صار هذا هو الشائع  
الآن فليس في ذلك قدح في المروعة وإن كنت أنا لا أسير في الشارع حاسر الرأس مطلقاً. وكذا  
الأكل في الأسواق والشوارع يظل قادحاً في المروعة ما عدا أهل الأسواق من التجار ومن يعاونهم،  
وكذا الأكل في المطاعم وما أعمد لذلك وإن كنت لا أكل فيها أيضاً مطلقاً.

الأمير وصال، ورجوعي من الموصل الحدياء إلى الديار المصرية، في الدولة الظاهرية، سقى الله عهداً، وأعذب في الجنان وردها، وجدت تلك الرسوم دارسة، ومواطن أنسها غير آنسة، عافية الآثار، ساقطة الحد بالعفار، وقد هَرَمَ / [٩/ب] أمراء السلطان جيش الشيطان فانكفت السنة الخراطمي، وكسرت الأقداح والبواطلي، وتأذى الخلأع غاية الأذية، وصلب خسار وفي عنقه نباذية وصلب، وأنشد الحال وقال من قال:

لقد كان حدّ السكر من قبل صلبه      خفيف الأذى إن كان في شرعنا حدّاً

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي      ألا تُسب فإن الحدّ قد جاوز الحدّاً<sup>(١)</sup>

ثم شاعت الأخبار، وقوي الإنكار / [١١/أ] وانكسر الحُمار، وانطحن المزار، وانزوى المسطول في القرنة الغبراء، وصارت كل يابسة بين يديه خضراء، وتقرن في الأصفاة، وبات محمص الفؤاد، فدعاني بعض الإخوان إلى محله، وأنزلني بين قومه وأهله، فاعتذر إلي من قصوره في إكرامي، ولاختصاره في الضيافة إذ لم يأت بهرامي وقال: غلب على ظني أن أبا مُرّة<sup>(٢)</sup> قد مات وعُدّ من الرفات فقم بنا نيكه، وتندب حاله ونرثه فابتديت / [١١/ب] وقلنا بيتاً بيتاً وينشد:

(١) حقاً إن الله يزعم بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن لقد كان الظاهر يبيرس من الرجال أو الحكام الصالحين الذين أخذوا على أنفسهم أن يقيموا شرع الله تعالى بين الناس وفي البلاد فشاع في عهده السكون والمهدوء وعلا الحق وظهر واندحر الباطل ونحسر، وما ذلك إلا بأخذه على يد أهل الضلال ونصرته لأهل الخير والبر والمعروف، مما هيا الفرصة لمن أراد أن يعود إلى الله تعالى من العصاة والشاردين عن نفل الطاعة والإيمان، فلما أن وجد أهل الضلال أن قبضته على الأمور قوية وعزيمته فتية أفلتوا عن منكرهم بقوة السلطان وعاد بعضهم إلى حقيقة الإيمان فآلهم أهد حكمانا إلى طريقك المستقيم لتأمن البلاد ويسعد العباد.

(٢) أبو مرة: هي كنية إبليس اللعين الشيطان الرجيم، وظهر من الخير السكينة والمسرور ما جعل أصحاب السرور يظنون هذه الظنون وتنفطع منهم الآمال في رجوع الحال إلى ما كان عليه من الفساد.

فلو أن الحاكم أخذ على أيدي أهل الضلال أخذ أهل الحق والشرع لا تصلح حال العباد والبلاد وساد السرخاء وعم الخير وانتشر الأمن وساد العلم وخفت الجهل وشرأبت أعناق دعاة الفضيلة ونكست رؤوس دعاة الرذيلة وعلا صوت الشرع وخرس نباح الباطل.

أه لو جرب حكام اليوم شرع الله مرة بدلاً مما هم فيه اتبعية لعباد الصليب والذهب ودعاة الدعارة وتجار النخاسة لعرفوا أن ما تركوا خيراً مما أخذوا عند الله وعند الناس ولكن هو هدى الله يهدي إليه من يشاء فلو شاعوا لسهل لهم الأمر ووقفهم إليه.



مات يا قوم شيخنا إبليس  
 وتعالى حذسي به إذ تُوفي  
 وهو لو لم يكن كما قلت ميتاً  
 أين عيناك تنظر قد عطل الحكر منه  
 والبواطلي<sup>(١)</sup> تكسر  
 وذو السعف ذاهلون وهم  
 كم خليع يقول: ذا اليوم يوم مثل  
 وفقي قائلًا: لقد هان عندي  
 / [١٢/أ] والفاني مكسرات كما قد تكسرت  
 وعجين البقول قد بددوه  
 أين سنكوكتي وطاجنة القار  
 يهبوهن الطراير والطار  
 / [١٢/ب] أين عيناه والحشائش يحرقن  
 قلعوها من البساتين إذ ذاك صغاراً  
 والحرافيش يتباكون حولها  
 ذا ينادي رفيقه يا عنيكير  
 اسمر الكذك ما بين الأكواش  
 ليس يصبها كش الزوينة  
 / [١٣/أ] ادخلوا هذه بلاد عفاف وسور  
 أين عيناه تنظر القحب شتن  
 وخللا منه ربعه المأنوس  
 ولعمري ممانته محدوس  
 لم يغير لحكمته ناموس  
 السراورق والهجريس  
 والخمار من بعد كسرهما محبوس  
 من بعد هذا كادت تسيل نفوس  
 مثل ما قيل قمطير عُبوس  
 بعد هذا في شرها التعريس  
 كسرة في ربا البدود والكوس  
 وهو بالثرب خلطه ميسوس  
 وأين المزارق والدبوس  
 وضاعت خريطتي والفلسوس  
 بنار تراع منها الهجوس  
 خضرأ وهن غُروس  
 دموعاً يطففي هن الوطيس  
 وهذا يصيح يا جاموس  
 يسعى وهو كذك لكل حسن مكوس  
 إلا من صدها الوصف أو فتى سالوس  
 الخُلاع فليها نحوس  
 وخَرَّين دورهما بالفوس

(١) البواطلي: هي الآنية التي توضع فيها الخمر، وقد قال ابن منظور في لسان العرب في مادة بوط (ص ٣٨٧):

بوط: البُوطَةُ: التي يذيب فيها الصائغ ونحوه من الصنائع.

قال ابن الأعرابي: باط الرجل، يَبُوطُ: إذا ذل بعد عزٍ أو إذا افتقر بعد غني.

وقضيب ونسرجس وانشراح  
 ذي تنادي حريفها لوداع  
 انقض كل ذاك والعهد في حلقي  
 لا عناق ولا وطء ولا تَسْبُويسُ  
 ايسن زَامِرْدَ عَيَطُوا إلى بزَامِرْد  
 ولم يبق بعدها لي أنيس  
 ينادي قوادها: يا عز أنا  
 والاحمدون أو [١٣/ب] طاس  
 عَلسَ الله نجم سَتَى فقي  
 نجم سَتَى قد علسته النحوسُ  
 أبست نمشي خُراست كل زمان  
 سابع ضرب است رملها انكيسُ  
 من لنا بعد ذلك الشيخ خدرُ  
 لا قحاب فسيه ولا خندريسُ  
 من تُري بعد موته يضحك المعشوق  
 وسير ومونس وجليسُ  
 سائليه أرمم العين حتى  
 إن بسدا لي التعيسيسُ  
 لشفائي بعلم جالينوس  
 [١٤/أ] سأغوي له حياتي وأغوي  
 من له الكاس بعدها والكيسُ

ثم يقول: والله قد سطا علي الزمان وصال وفرق بيني وبين أخي وصال. وما قصدت هذه الدبار إلا في طلبه، وما تغربت إلا بسببه، فلعل أن يجمع شلي بشمله، ويوصل جبلي بجله.

فينادي رسيل الخيال<sup>(١)</sup>: يا أمير وصال، فيخرج جندي بشربوش، وسباله منفوش، ويقول: سلام على من حضر مقامي، وسمع كلامي، من عرفني فقد شفع/[١٤/ب] بأنسي، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي، أنا أبو الخصال، المعروف بالأمير وصال صاحب الدبوس والناموس، والشالوس، أنا ملاكم الحيطان، أنا مُحَبِّط الشيطان، أنا أنهش من ثعبان<sup>(٢)</sup> وأحمل من

(١) ومن هنا يبدأ الكتاب في الاستقامة ويدور موضوعه حول الأداء المسرحي الذي يديره المؤلف بين البشر تارة وبين الحيوانات أخرى، وبين الطيور ثالثة وهكذا نجد أن المؤلف يحول الكلمات إلى خيال متحرك وصور تتلاحق وتتراص في مخيلة القارئ حتى وكأنه ينظر إلى المسرحية الرشقة الحركية المنمقة الكلمات البراقة الألفاظ، والبراعة الفائقة في العرض، وفي الأخذ بالقلوب والألالب حتى يصير المشاهد وكأنه قد أسلم قيادة للمؤدي أو المؤلف يحرك كشاعرة كيف يشاء، وهذا الجو يسود الكتاب في كل فصوله.

(٢) ذهب ليظهر قوته وعزيمته وطاقته الفائقة، فأخذ يضرب العديد من الأمثال فساق لنا كُثْلاً لا بأس به.

قَبَّان<sup>(١)</sup>، وأنطرح من كبش، وأنسن من حَشْ<sup>(٢)</sup>، أنا أسرق من تعاس، وأنا أَلَوَطُ من أبي نواس<sup>(٣)</sup>.

نشأت بين دكموش وبين دكلاش، وقمور، وملكاش، وولَاجْ وحرَّاجْ، ودُبورْ،

(١) القَبَّان: هو ميزان معروف مشهور، وعليه نحمل الأحمال الثقيلة لتوزن، ومن أشهر ما يستخدم في حمله أو وزنه القطن.

ويقول ابن منظور في لسان العرب في مادة «قبن»:

القَبَّان الذي يوزن به لا أدري أعربي أم معرب. وقال الجوهري: القبان القسطاس معرب... وقال أبو عبيدة: ولا أحسب هذه الكلمة عربية إنما أصلها قَبَّان، ومنه قول العامة: فلان قَبَّان على فلان إذا كان بمنزلة الأمين عليه والرئيس الذي يَتَّبِعُ أمره ويحاسبه، وهذا سمي الميزان الذي يقال له: القَبَّان.

(٢) الحَشْ: هو ما يُدْخَل فيه، واشتهر من ذلك الجحور التي في الأرض ومنها الخبر المشهور، «ولا هي تركتها تأكل من خشاش ذات رائحة كريمة لبول الدواب فيها وعدم تعرضها للشمس فتنبت منها رائحة تنتنه.

وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة «حَشْ»: قال الأصمعي: حششت في الشيء دخلت فيه.

... واتحشَّ الرجل في القوم اتخشاشاً إذا دخل فيهم... ومنه يقال لما يدخل في أنف البعير: حَشَّاش، لأنه يُحْشُ فيه، أي يدخل فيه.

(٣) المشهور في الأمثال: «ألوط من يحيى بن أكنم» وذكروا باللواط وسرعته أشياء كثيرة ولم يذكروا من البشر سوي هذين الرجلين.

والذين أظن أنهما ظلما ظلماً شنيعاً فيحيى بن أكنم فقيه قاض، وكان ممن يدخلون ولا يحجبون عن المأمون، وكان ذا ظرف ولطف، وفي موسوعة أمثال العرب (٣/٢٠):

أورد هذا المثل، وقال: أصله من مرو، وتقدم في الفقه وآداب القضاء، وكان حسن العشرة، عذب اللسان، وأفسر الحظ من الجدل والمزحل، ولله المأمون قاضي القضاة وأمر بالآل يحجب عنه ليلاً ولا نهراً. قلت: فكيف يولي القضاء وقد اشتهر عنه مثل هذا الأمر ولا أظنه إلا من حسد الحساد وكيد الكائدين له.

أما أبو نواس، فهو شاعر معروف مشهور بالجدل والمزحل الموعظة الحسنة والأمثال الساخرة، والحكم المشهور ولكنه قد اتهم بالذَّبِّ، واللواط، واحسبه منهما بريء وإن كان ورد في شعره ذلك إلا أنني أظن أنه بريء مما نسب إليه وألا لأقام عليه القضاة في أيامه الحد أو لأوقعوا عليه العقوبة، وهجابه به نظراؤه من الشعراء، ولقدحوا في خلقه وعابوه، وكمن من الأقوال تلصق بالناس وهم منها براء وهم عنها غافلون، وما أسهل أن تلصق تهمة بإنسان ولكن من الصعب أن تلصق به الصلاح ويطيعك الناس دائماً في القدح والذم ولا يطيعونك في المدح إلا قليلاً إلا عندما يتحقق لهم ذلك يقرن أما في الباطل فلا يطلبوا بينة ولا دليل ولا برهان عافانا الله وإياكم من التهم.

ودُسُورُ، أنا قبضة من كف وقاد، وغمرة من عين قواد، أنا أصفع [١٥/أ] من كف خباز<sup>(١)</sup>، وأرفس من رجل رزاز، أنا أبرم من حبل، وأقف من نبل<sup>(٢)</sup>، وأوكل من نار، وأشرب من رمل، أنا أبط من مبضع<sup>(٣)</sup>، وأشحر من ضفدع، أنا أوطأ من مفتاح، وأخش من لحلاح، وأظهر من كوكب، وأدور من لولب، أنا أبلغ من فم، وأردي من سم. وأقدمت على العفاريت، وسلخت الموتى في التواييت، واحترقت الزحام، ودكست من قيام<sup>(٤)</sup>، أحل العقْد، ولو كانت من المسد، وأسامر، وأقامر، وأنا ظفّار، حمّار، حمّار<sup>(٥)</sup> [١٥/ب] لماز، حمّار عياب، دباب، معربد، مهدد، ماسك، فاتك، غرة غرة،

- (١) ثم يعود مرة أخرى إلى سرد الأمثال ويذكر منها مجموعة بسرعة وفي براعة.
- (٢) التقييف: سرعة الأخذ أو الطعن، ومن هذه الأمثال في مجمع الأمثال: «أقف من سنّور»، وقال الميداني تعليقاً عليه في (١٥٧/١):  
التقييف: الأخذ بسرعة، يقال: رجل تقف لقف إذا كان جيد الحذر في القتال.  
يقال: هو السريع الطعن. وفي موسوعة الأمثال العربية (٨٤/٢) قال تعليقاً على المثل الذي ذكره الميداني: التقف: الأخذ بسرعة، أو سرعة الطعن.  
والسنّور: الحر، ولفظ «السنور» مؤنث، وإن أريد الذكر، وهي إذا وثبت على القارة لم تخطئها. قلت: والتقف في الحذف والمهارة والفتنة وسرعة البديهة والملاحظة وحسن التقدير والتدبير ومنه أن تقول: هذا إنسان متقف أي واسع المعارف حسن التقدير والتعبير سريع البديهة موسوعي المعرفة. وأراد يمثله هنا السرعة والشجاعة.
- (٣) يريد السرعة والخفة والحذق والجودة وفي لسان العرب في مادة: «بطط»:   
بَطَّ الجرح وغيره يَبْطُ بَطًّا، وَبِجَّةٍ بَجًّا إذا شقه.   
والمِبْطَةُ: المِبْضَعُ.   
وبطط القرحة: شققها.   
وفي لسان العرب أيضاً في مادة: «بضع»:   
المِبْضَعُ: المشروط، وهو ما يُبْضَعُ به العرق والأديم.
- (٤) يريد أنسه أسرع من العفاريت في الوصول إلى ما يريد، ولا يصعب عليه أمر عسير ولو كانت الموتى في القبور، فإنه يقدر هلي نبش قبورهم وأخذ أكفانهم، ولا يتعذر عليه السير بين العباد وإن كانوا في أشد حالات الأزدحام.
- بل وهو قادر على إبعاد القائل بقوته ومهارته ويقول ابن منظور في لسان العرب في مادة: «دكس» الدكّاس: ما يمشي الإنسان من الناس ويتراكب عليه. ... والدكس لغة في الكادس... ودكس الشيء: حشاه، والدكس من الظباء القعيد.
- (٥) قوله حمّار: أي كثير التهريج والمزاح سبال الكلام بغير تلحم أو انقطاع.
- وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة «همر» الهمر: الصب.. همّر الماء والدّمع بهمر همراً =

مفروك، مدلوك، قوآذ، داروك، هندمت، وهمكمت، وسودت، وشعدت، شرت، وجمرت، وقرقت، ورقصت. فلا تجهلوا حالي ولا مقداري، فقد كشفت لكم عن أسراري.

فيقول له طيف الخيال: أنت حمال المقامات ومن خُلف مثلك ما مات. فيقول الأمير وصّال: أين تلك الأيام التي كانت مواهب إذ كانت / [١٦/أ] ياسعاف الأحبة حبايب، وأين أوقات العشوق والاجتماع، بباب اللوق<sup>(١)</sup>، وأين قصصنا في بستان الخشاب، وشربنا في عرصة أم شهاب، ولقد كنت في هذه الرحلة كثير الحنين إلى تلك الزّمن، متأسفاً على مافات من طيب ذلك الزمن، وكنت كلما اشتد شوقي وغرامي أقول في السالف من أيامي:

شعر:

حي مصرأ فَعُوطَة الخشاب      فربا الخورُ معدن للتصايب  
/[١٦/ب] معدن اللهو والخلاعة      وماوى علوقنا والقحاب  
كان من قبل توبي لي مالا      لأهل الجنان فيه ثوابي  
من قصور وقاصرات حسان      وكؤوس مملوءة بـشراب  
ولنا في مخادع أن شهاب خلوة      كل ونب يضطّرط أم شهاب

صب...

ورجل همّار، ومهمّار، ومهمّر، أي مهذار ينهمر بالكلام، وقال بمدح رجلاً بالخطابة: تريع إليه هوداي الكلام إذا حطل النثر المهمّر قال الأزهري: ... الهى والمكثار، والمهمار الذي يهمر عليك الكلام مبرأ أي يكثر... والهمّري: الصحابة من النساء.

(١) باب اللوق: يقول الاستاذ محمد كمال السيد عماد في كتابه: «أسماء ومسميات من مصر القاهرة» (ص ١٨٤) في الفصل الثاني في الإسماعلية وباب اللوق، وجاردن سيتي:

لمحة تاريخية: ذكرنا في الكلام على «باب الخرق» (باب الخلق) في الفصل الخامس من القسم الأول: أنه لما انحسر النيل غرباً في القرنين السادس والسابع الهجريين (١٢، ١٣م) ظهرت أراضي نعرفها في الوقت الحاضر بجهة القصر العيني والمنيرة وجاردن سيتي، وميدان التحرير، وباب اللوق وغيرها، وكان يعبر عنها بأرض اللوق كما ذكرنا المعنى اللفظي اللوق، ومنطقة اللوق كانت تغطي مساحة عابدين شرقاً إلى مجري النيل الحالي غرباً، ومن حي المنيرة جنوباً إلى موضع شارع (٢٦ يوليو) شمالاً (شارع فؤاد الأول سابقاً).

أم وطأنها ليلاً وقد هدت الأعين فاطمأننت للوطء ثم تسمنت  
فردا أجلا من الجلاب وهو فيها جاز حد النصاب  
/[١٧/] بين غنج مستعذب وشهيق ودنو ملاصق وانقلاب  
بات قلبي من وصلها بارد العيش وأيري من فرجها في التهاب  
حبذا ليلة السرفاف وقد بات فؤادي من وصلها في ارتقاب  
إذ تبدت كالبدور بين نجوم من قيان كواعب أتراب  
ولها خشية الرقيب إشارات من سلام يخفتها وعتاب  
فنظمنا شمل العناق وأهويت إليها في هيئة الذباب  
قال لي زوجها المتكحل: من قد أنا؟ وجري بشايي  
/[١٧/ب] قلت: طباخ ذي الهربة في العرس وهذا قدرتي وذا دكشايي  
وما أنسى بنتها الخلفية ذات القامة الألفية التي ما زالت تبدي البكارة بالكارة، وكلما  
كنت حاولت سلوك ذاك الطريق زلفته إلى خوذة الترليق، وينشد:

شعر:

باب استها دون غشيتي مُغلق وما إلى سطح فرجها مسلك  
جارية ما شمت مبعرها إلا وأمسيت ليلتي أنهق  
/[١٨/] بكر لها بولة ألد شذاً من ماء ورد لمن به استاشق  
يكاد بيض الخصاص على حرها بخره عند وطئها يسزلق  
ما زلت أحتال في توسيعه وكأنه من خسرم لإبرة أضيق  
حتى غدا باب سُرمها سلساً يدخل في مثل قولهم يفتق  
وصار أيري عموداً بركنها إذا جرى نسيل وطئها خلق  
فيقول أطلع إلى غرفتي بالخور، والطالع التور، والنيل في عتفوان الشباب، وقد طوى  
الأرض طي السجل للكتاب، وكانت أيامي به أيام الوفاء<sup>(١)</sup>، وإخواني إخوان الصفا

(١) يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد في كتابه «أسماء ومسميات من مصر القاهرة» في الفصل الثالث: وفاء النيل وجبر الخليج، (ص ٦٢): كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بوفاء النيل وكسر

السد احتفالاً فحماً يليق بهذه المناسبة الدورية الهامة في اقتصاد ورفاهية الدول.

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية وكان المصريون القدماء يقدسون النيل ويرفعونه إلى مقام المعبودات مثل: رع، وأمون، وأوزوريس، ومن أوصافه عندهم: رب الرزق الوفير، والد الأديان، وحائز الكائنات، والمحبي، وكان اسمه:

حمي أي الفيض.

وقيل في تفسير الآية الكريمة: ﴿فَوَعَدْنَاهُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ في المباراة بين موسى عليه السلام بمعجزاته المساوية وبين سحرة فرعون إنه يوم وفاء النيل وكانوا يرمون للنيل برجل ممتليء الجسم تظهر عليه ثديا امرأة، وفي بعض الأحيان كانوا يرمون الماء خارجاً منهما، وأمامه مائدة القرابين عليها الزهور والأسماك والطيور أنواع مختلفة، ومن خلفه كاهن يقدم له رسوم العبادة. فإذا فاض النيل وعمت مياهه الأرض تفرغ الجميع بما فيهم فرعون والأمراء للاحتفال.

وكان على شاطئ النيل من منف إلى أسوان قصور للأمراء وأعيان الدولة ينتقلون إليها في هذه المناسبات، ويألفون في تهيتها بفاخر الأثاث، وتزويدها بأشهى الأطعمة لاحتمال أن يشرفهم فرعون بالنزول فيها وكان فرعون والأمراء يستقلون البواخر الكبيرة لرحلة طويلة في النيل على سبيل الزهرة، وفرصة لتفقد أحوال الأقاليم.

وكانت سفنهم على درجات وأنواع:

فسفينة فرعون: من أربع طبقات كل طبقة ارتفاعها عشرة أقدام، وكانت مذهبة من الداخل والخارج، ومزينة بصور المعبودات. وكانت سفن الأمراء: وحكام المديريات ورؤساء الجيش: من ثلاث طوابق كل طبقة تسعة أقدام، ولم تكن كاملة التذهيب، تختلف في اللون والارتفاع عن سفينة فرعون.

وكانت سفن الكهنة والضباط والأعيان: من طبقتين كل طبقة ثمانية أقدام ومزينة بعديد الألوان.

أما سفن الباقين فمن طبقة واحدة مدهونة بلون واحد بسيط.

وكانت أصوات الموسيقى تتجاوب من السفن وأمواج من أفراح الناس تسير فوق أمواج مياه النيل.

وكانوا يترقبون وفاء النيل في شوق وتلهف، فوفاؤه يشير باليسر والرخاء وتخلف الوفاء نذير بالفقر والerman لمدة عام كامل وظلت هذه عادتهم منذ أقدم العصور.

ولا سند تاريخي لأسطورة عروس النيل التي تحكي أن المصريين القدماء كانوا يلقون في النيل كل عام بنتاً بكرأ ليتحقق الوفاء.

فمن الرقي الروحي للمصريين أنهم آمنوا بخلود الروح وأنهم لم يعرفوا القربان البشري في طقوسهم الدينية كباقى الديانات القديمة، ولو كانت الأسطورة صحيحة لظهرت في أوراق البردي أو في النقوش التي حفلت بها جدران المعابد وسجلوا فيها شتى صور الحياة الاجتماعية والتاريخية. وقد أنكر أغلب المؤرخين هذه الأسطورة قلت: وأما ما ذكر من أن عمرو بن العاص أرسل إلى عمر

[١٨/ب] وكنت لا أرد إلا سلسيلا، وكانت الهموم ليس لها إلي قلبي سيلا، وينشد شعرا:

في منزل حُفَّ بالرياض فما أعدم نوراً به ولا تورا  
وكان خوراً تحيا النفوس به وكان سعيي إليه مشكورا  
فكنت لا أعدم في الاغتياق والاصطباح، والغدو والرواح، مُلَحَّةً استفيدها، أو حرفة  
استفيدها، حتى طمست تلك الأعلام، وقلت على سبيل المنام ورؤيا الأحلام وينشد  
شعراً:

[١٩/أ] رأيت في النوم أبا مرة وهو حزين القلب في كرة  
وعينه العوراء مقروحة تسيل دمعاً قطرة قطرة  
يصيح يا ويلاه من حسرتي تلك التي ما مثلها حسرة  
ومن حوله عصبية فيهم على قلوبهم كثرة  
من علق مثل بدر الدجاء فتمسته في واحد بدره  
شمس ضحى بدر دجى وجهه يظله من خلقه شعرة  
مظفر اللحظ بعشاقه وإنما في جفنه كسرة  
تقبيله نفساً لمن حازه وجوز اللبنة في التمرة  
يهون بسذل المال في وصله طالع الميزان والزهرة  
ومن سحور اللحظ فتاة لحسها شمس الضحى ضرة  
[١٩/ب] يحمل ذاك النقش من جسمها ماء نعسيم قام بالقدرة

ابن الخطاب في شأن هذا الأمر ورد عليه بكتاب الفاء في النيل فهذه أيضاً من الأساطير، وأما  
الثابت تاريخياً أن النصاري كانوا يلقون بنايوت في النيل في الثالث من مايو (٨ بشنس) من كل  
عام فيه أصعب من أصابع الموتى بدلاً من أصعب الشهيد من كنيسة بشبرا كانت أيامها على ضفاف  
النيل، فأبطل ذلك الناصح صالح بن الناصر سنة (٧٥٥هـ)، ثم هدمت الكنيسة التي كان بها أصعب  
الشهيد وأحرق الأصعب والصندوق، وذري رمادها وبطل هذا العيد أو الاحتفال نهائياً من يومها.  
وكم من الأساطير تعاك نحو هذا الاحتفال والغريب أنها ترد في المساجد والكنائس وليس لها أي  
حقيقة علمية ولا تاريخية ويصدقها كثير من السذج والبسطاء.



تقول للعشاق ومن معصمي  
إذا رأى عاشقها فـرجها  
وكل قواد له ضرورة من فمه  
يقول للكيفاح<sup>(١)</sup> من خلفه  
سبحان من ولد في خذها النقي  
يا معشر الناس اغتنموا وصلها  
وكل لوطي له نعمة على  
إن نسمت في وجهه فسوة  
/[٢٠/] وكل زناء يرى بولة القحبة  
وكل بكر ما لها عذرة  
سحاقة قد كلكت بصرها  
وكل خمار على عنقه رق  
ومن حشيش سيطل على  
ومن بني حام أخا مزره  
وكل بغاء به أبنة  
وكل جلاد على خلوة  
وكل غيار ولص ونطاط

تزهوا في الماء والخضرة  
يود أن ترضعه بظرة  
يتبعها شجرة  
إن كان ما يرضى بها برة  
بياضاً دس في حمرة  
لا تركوا الوطاء على فشرة  
ميط اللحم في السفرة  
يقول ما أعطرها نشرة  
في صحنه نشرة  
لكن هواها من بني عذرة  
وما به من ذلكها شعرة  
وفي عاتقه زكـرة  
شاربه قد بقلت خضرة  
قد عكر الوقت لو مرده  
مبادل أبغما من الإبرة  
عميرة هاجت به غمرة  
وفي تـبانه صـرة

(١) ربما أراد به الكيفح وهو الزوج، وربما أراد به من يُقبَل لأن في لسان العرب الكيفح زوج المرأة والذي يقبل ففسي مادة «كفح»: المكافح: المباشر بنفسه... وأكفح الدابة لكفاحاً: تلقى فاحا باللجام يضربه به لتلقمه..

وتقول في التقبيل: كافحها كفاحاً قبلها غفلة. وجاهاً، وكفح المرأة يكفحها وكافحها: قبلها غفلة. وفي الحديث: «إني لأكفحها وأنا صائم»، أي أواجهها بالقبلة. وكافحته: أي قبّلته.

وفي حديث أبي هريرة: أنه سُئل: أُنقبَل وأنت صائم؟ فقال: نعم وأكفحها، أي أتمكن من تقبيلها واستوفيه من غير احتلام.

ومن خيالي ومن مطرب  
 / [٢٠/ب] فقلت يا إبليس من ذا الذي  
 وما الذي أزعج اجنادك النوك  
 فقال لي: يا صاحبي إنني وقعت  
 قلت جيوشي ووها منصبي  
 ومنزل المزمار قفسر وقد علته  
 وبات قلاً المال في فاقة  
 وكاد أن يسطو الحشيشي  
 ولا تسألني عن بنات الخطا  
 يطلبن أزواجاً فلا قحبة منهن  
 وكل قضيب يرى سكرة الموت  
 / [٢١/ا] كم جهد ما أغوى وأغوى  
 وكم أرى العينين مكحولة  
 وكم وكم أسهر الليل في  
 وقد كسدت سوق المعاصي  
 هذا على أي على غيرتي  
 فقلت: يا إبليس سافر بنا  
 إليك أن تسكن مصرًا  
 فإن فيها ملكاً<sup>(١)</sup> قاسطاً

وزامر قد جاد في الزمرة  
 أسأل من مقلتك العبرة  
 وإن كانوا ذوي خبرة  
 في فرج أخت ماكرة  
 وعدت لا أجر ولا أجره  
 من ذلته كسرة  
 وقلبه يقل على جمره  
 وأن يخرج الخنجر والشفرة  
 أكسره في اليوم في الحجرة  
 إلا أصبحت حشرة  
 ولا تلقاه في سكرة  
 وكم أصفق المفصوص والكرة  
 لمن رمى بالعين والنظرة  
 خدمة العاشق بالليل إلى بكرة  
 فلا شرب ولا قصف ولا عمرة  
 أقود لا أجر ولا أجره  
 وطول الغيبة في السفرة  
 وأن تقرها إن كنت ذا خبرة  
 لا راحت راياته نُصرة

(١) سبق أن بين أن ذلك الملك هو الظاهر بيبرس، وقد ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب فقال:

الملك الظاهر بيبرس هو السلطان الكبير ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقداري، ثم الصالح صاحب مصر والشام، ولد في حدود العشرين وستمئة، واشتره الأمير علاء الدين البندقداري الصالح نفيض الملك الصالح على البندقداري، وأخذ ركن الدين منه فكان من جملة ممالكه ثم طلع ركن الدين شجاعاً فارسياً مقدماً إلى أن مهر أمره وبعد صيته وشهد رفعه المنصورة

[٢١/ب] دام قريير الطريق في بلده آمنه تزهو على الترة  
 فيحسن بذوي الألباب، ترك هذا الباب والتوبة قبل التوبة، والاستغفار عند نفاذ  
 المقدورات، والتستر من هذه القاذورات، فإن هذه الدولة قاهرة وآثارها ظاهرة.  
 ثم يقول: يا طيف الخيال اطلب كاتب التاج بابوج، فإنه فارقتني عند الخروج، ولي  
 عنده تواقع وودائع، وحسابات الفدادين والمزارع. فيناديه طيف الخيال فيخرج على هذا  
 المثل فيقبل يد الأمير وصّال [٢٢/أ] فيقول: كيف حالك يا شيخ بابوج؟  
 فيقول: حال الزمن المفلوج قد اضرت بي البطالة وأنا بذلك في أسوأ حالة، ولولا  
 جاريستك العروسة والراهبات في الكنيسة، وحيائي من السيد اليسوع، لأسلمت، وأنا  
 قربت المرجوع وإلا أموت بالجوع.  
 فيقول له الأمير وصّال: إن أسلمت ألبستك خلعة ثنية، واستعملتك عمالاً  
 بالوسية<sup>(١)</sup>، هات قل لي التقليد والشكة والقصيد، فالجماعة متطلعون إلى ما فيها،

بديماط، ثم كان أميراً في الدولة المعزية وتنقلت به الأحوال وصار من أعيان البحرية وولي السلطنة  
 في سابع عشر ذي القعدة سنة هان وخسين، وكان ملكاً سريعاً، غازياً مجاهداً مؤيداً عظيم الهبة  
 خليفاً للملك يضرب بشجاعته المثل له أيام بيض في الإسلام وفتوحات مشهورة، ومواقف  
 مشهودة، ولولا ظلمة وجبروته في بعض الأحيان لعد من الملوك العادلين قاله في العبر.  
 وقال ابن شعبة في تاريخ الإسلام: توفي بقصره الأيلق بمرجة دمشق جوار الميدان وغسلوه وصبروه  
 وعلقوه في البحيرة إلى أن فرغ من الظاهرية فنقلوه إليها وكان قد أوصى أن يدفن على الطريق  
 وتبني عليه قبة، فابتاع له ولده الملك السعيد دار العفيفي بسبعين ألف درهم وبناها مدرسة  
 للشافعية والخنيفة ونقله إليها ووقف عليها أوقافاً كثيرة.  
 وفتح بيرس من البلاد أربعين حصناً كانت مع الفرنج افتتحها بالسيف عنوة أنهى ملخصاً وقال  
 الذهبي: انتقل إلى عضو الله ومغفرته يوم الخميس بعد الظهر الثامن والعشرين من المحرم بقصره  
 بدمشق، وخلف من الأرواد المذكور: الملك السعيد محمد ولي السلطنة وعمره (١٨) سنة والحضر،  
 وسلامش، وسبع بنات ودفن بترية أنشأها ابنه انتهى.

(١) قوله: واستعملتك عمالاً بالوسية: أي أقطعك أرضاً بعاملها فكلمة الوسية تعارف عليها في  
 الأرياف أو القرى التي تعمل بالزراعة على أنها قطعة الأرض الكبيرة التي يملكها رجل ثري ويقوم  
 على رعايتها وإصلاحها وزراعتها عمال له دالمون عليها.

ويوصف أصحاب هذه الأرض بأنه أثرياء ثراءً فاحشاً يكاد لا يحصى أصحابها ثرواتهم ولا  
 يقدرون على عد ما يملكون عدلاً دقيقاً فهو يريد أن يقول له لو أسلمت لجعلتك من أثرياء الناس

ومنتظرون إلى سماع شعرها وقوافيها.

[٢٢/ب] فينادي التاج بابوج الكاتب: يا شركيس، هات الجرمدان والكيس، فيخرج الغلام ويضعها بين يديه بعد السلام فيقول طيف الخيال: تحيات الأمير وصال؛ اقرأ من التقليد ولو خمسة أوصال. فيقف المنشود، ويبدأ بقراءته وهو منشور، ويقول:

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، الذي يجزي بالإحسان إحساناً، وبالصبر نجاة، وبالعفو غفراناً. أحده حمد من اتضع فارتفع، وأشكره شكرأ من رزق كيساً [٢٣/أ] فانطبع. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن أول ما يبدأ به استجلاب الفرع ويستحضر لسماع النوار والملك، من يقوم في دفع الهموم. مقام ابنة الكروم، ولما كان الأمير الأجم الأوحده عز الذين فخر البلد والمجانين شُفهُ صُرْم<sup>(١)</sup> غلام أمير المؤمنين سيف الحسبة، وصال الحجة، أطال الله بقاءه وأعطاه من الصفع أوفاه ممن يتحمل بطلعته المحال، كان جديراً أن تُمدَّ إليه الأكف والسواعد، وأن يكون كالبحر [٢٣/ب] الذي ساحلة للصادر والوارد، فقوضنا إليه أمور السرور، وجعلناه أميراً على مسخرة الجمهور وأضفنا إليه من الولايات، ما يأتي ذكره في هذه الجهات، وهي ولاية مصر القديمة، بالتياب مع ما دثر من الجدران الخراب، وشد عمائر الأهرام وما يجاورها من التلال والآكام، وشد أحكام القبور، وعدد كلاب القرى والكفور، وتفاوت السبخ وصرف النوى والكعاب، وشد كياة الرمل والحصى والتراب واستخراج أوقاف المواخير، وحصر [٢٤/أ] ما يتكسر من شقف الفواخير، وشد الدّر، وصياغ التاريخ واللفت والجزر، فليأشر ما عُدِقَ به، واستخدم بسببه، ولا يدع من البدع المضحكة باباً مقفلاً، ولا عملاً من أعمال المسخرة معطلاً، ولينظر في باب الممازحة، والمداعبة، ويعدل في أجناد الصفع وأنواعه ولا يعدل عن تحرير ضربه وإيقاعه، ولا بعد الصفعة المقيمة ولا الثابتة بالمتقلبة، ولا يصفح عن الصفيح، ولا يرضى في الشريح المريح، ولا يتلفظ في ذلك إلا بما يسوغ [٢٤/ب] ولا يضع اللحمة إلا في النضوغ،

الذين يشار إليهم بالبنان.

(١) هذا الأسم ونحوه من الأسماء التي اخترعها المؤلف من بنات خياله لتتمشى الأسماء مع جملة ما في الكتاب من الخيالات والمقولات واللامعقولات، ول يظهر قدرته على اشتقاق الأسماء المضحكة من بنات أفكاره، وصميم خياله ليكون الموضوع محبوك الأطراف، مترابط الأوصال متكامل الجوانب سلس التناول، لا تعجه الأسامع ولا تله الطباع.

وعليه بالسياط لمن خرج عن حد الضراط، فمن بدل فسوه بدشوه، أو شرط ضرورة مفششة رخوة، فليشهره في الميمنة والميسرة، ولو أني بالمقموصة، أو الميزرة، وعليه بالتعال لمن خرج عن رسم البدال.

فمن هرب عند انقضاء آربه فليجد في طلبه، ويأمر ألا ينطح أحد لعدله، إلا بعد لبس كم سراويله، ليأمن بذلك من هربه، ومن الشعر في طلبه، ولينظر في أمور القواد، واللاطة والمدكسين / [٢٥/أ] والقحاب العاشقات والعجائز المساحقات، ويتفقد أحوال المخانة والزقاقة، والشيوخ القوافية، فمن ترك العبيد السود، واعتنى بإدخال أير من الجلود واندمن بالسمن في نواحي فلسه، واستعان بالهرة على لحسه، فليسقط اسمه من ديوان السبغا، ويعتقل مع من بغا<sup>(١)</sup>. ولينظر في أحوال الصغار الملاح، والصغار الأيور والكبار الفقاح. فمن كان صغيراً دله منصفاً في فرجه ودخله، كأن أهلاً للإمرة على الملاح بالتقليد، وأن يفتح في الوجدادة كل / [٢٥/ب] أقليد.

ولينظر فيمن يختلف من القوادين والمؤلفين فمن كذب على فاسق أو لها بعاشق، فليؤدبه على هذه العادة، ويحبه من ديوان القيادة. ولينظر بعد هذه الأمور في الأنبة والخمور، فمن قتلها

(١) قوله: «فمن ترك... إلى قوله: مع من بغا» هذا القول يوافق أحوال فساق أهل هذا الزمان وإن كانت قد تطورت الأمور تكنولوجياً وقد أشرت في بعض الكتب السابقة التي قمت بتحقيقها إلى أن هناك منتجات جديدة اختصت بهذا الشأن وطالبت العلماء بأن ياصلوا هذه المنتجات ويصدروا بشأنها فتاوي صحيحة غير قابلة للجدل في حلها أو حرمتها ومن هذه المنتجات ما يسمى بالدمية الأنثوية وهي عروسة تشبه المرأة شاماً في كل تفاصيل جسمها بما في ذلك بضعها وهي من البلاستيك اللين يستعملها بعض الشباب أو السجناء أو المغتربون الذين قد تعرضوا للعزة وكذلك هناك أيور بلاستيك أيضاً أو دمي ذكور يستعملها النساء اللواتي تعرضن للطلاق أو الترمول ولا يسرغن في الزواج فعلى العلماء أن يصدروا أحكامهم الصحيحة الصريحة في شأن هذه المنتجات المطروحة حالياً في السوق ولا يضعوا رؤوسهم في الرمال بدعوى الورع والذي أسيه أنا بالورع الكاذب فليصدروا أحكامهم بعد الدراسة الطويلة المتأنية حتى يكون الناس على بصيرة من أمره وعليهم أن يذكروا أسباب إحلالهم أو تحريمهم لهذا المنتج حتى يكون المؤمن على بصيرة من دينه ولا يشعر أنه في صحراء الحياة دون قائد يقوده ولا دليل يرشده، وحتى يشعر بأن العلماء يواكبون العصر ويسيرون مع الحضارة خطوة بخطوة ولا يتخلفون عنها ويشعر أنهم دائماً إلى جواره يجيبون له عن كل سؤال يمن له أو يشغل باله لإجابته شافية كافية يقوم على الدليل والعقل والنقل والبرهان الساطع ولندع كلمة فيه خلاف أو فيه أقوال أو فيه وجوه فهذا يحل وذاك يحرم ويصبح المؤمن في حيرة فيفقد الثقة في مصداقيتهم، ثم يتصرف حسب هواه ثم يكون أشبه على من أوتوا علم الكتاب فكتموه.

بالمزاج، أو هتكها في الزجاج أو عربد في المقام أو عثر في المدام فليمنعه من تعاطي الكاس وبجالسة الندماء الأكياس. ولا يغفل في هذه الولاية عن تفتيش الخراب وتعاهد كيسات الكلاب، ويخلص بينهم من شبكة التعاضل، ويختص عند النتائج بإخاء / [٢٦/أ] الفاضل، ويتولى غمد فند الغراب، وتجمع زيب الغنم، وهر الجمال والكلاب. ويبادر إلى دراسة الترائب، ويحملها نقيه من الغلت بالجملة، إلى طوحين غخاب الجلة، ويحتفظ بما يرمى من دواخل البلح، وقشور البصل، والقوالسيح العصب، خثانة الكروش من المسالخ بحيث يجري عليه من الأقطاع صول وششكان، وأم الأنطاع، ويقرر له فيها من الزبل إرددين، ومن النقد الحاضر / [٢٦/ب] فلسين وينعم عليه من التشريف بقاء ويفلطاق من ليف، مفري بجلود الفناقد الكبار، ويعمم بعمامة من سنج عناكب الدار، ويمتطق بحياسة من جلود الأفاعي، ويُقدّ له مركوب أدهم من كلاب المراعي، وينشر عليه لسوء من الأدم الأحمر، ويقلد سيفاً من الجريد الأخضر ويقاد إليه من القرود ثلاثة أتباع، ومن الخراب الخاص ثلاثة ضياع، ويرتب له كل يوم برسم الطبخ، عشرة أرتال من لحم الميتة السيلح، وصحن من حلاوة خبيص البطيخ / [٢٧/أ] ولا يغفل عن وظيفة من وظائف هذه الإمرة، ولا يركب إلا بالمقارع والدرة.

وكتب في الخامس والأربعين من جمادى الأوسط، والسلام<sup>(١)</sup>.

فيقول طيف الخيال: يا شيخ هذا التقليد، فأين القصيد، التي فيها صرّيعر الشاعر<sup>(٢)</sup>

(١) انظر إلى مبالغات الخيال التي سار في ركبها هذا العالم المتمكن من الضرب في بحور هذا الفن ضرباً لا يكاد يجاريه فيه آخر فقد سار سيراً حثيثاً في سرعة سردوكان الأمر جد الجدد، وكان ما يقوله حتى الحق وكأنه قد شاهده عياناً فهو يحكيه عن واقع وقع وحاصل حصل، فيالعظمة ما أودع الله تعالى في الإنسان من قدره على التحيل والحكي وكان الشيء مرئياً رأي العين وشاخص أمام السامع شخوص المحسوسات الملموسات المدركات بالحواس المعنادة ولكنه ما هو إلا خيال في خيال حتى في نهاية المقال نجده يحرق قوله بتاريخ ليس له وجود لا في الشهور ولا في الأيام فأين الخامس والأربعون من الأيام؟ وأين جمادى الأوسط بين الشهور؟

(٢) هو: علي بن الحسن بن علي بن الفضل أو الفضل البغدادي، الكاتب الشاعر، المشهور بـ: صرّيعر، وقيل: صرّذر، وقيل: صرّذرعر جاءت ترجمته في:

ديوان الإسلام (ت ١٣١٦)، هدية العارفين (١/٦٩١)، الأعلام (٤/٢٧٢)، معجم المؤلفين (٧/٦٦)، كشف الظنون (٧٧٣)، شذرات الذهب (٣/٣٢٢)، وفيات الأعيان (٣/٣٨٥)، دية القصر (١/٣٠٦)، الكامل في التاريخ (١٠/٨٨)، البداية والنهاية (١٢/١٠٨)، النجوم الزاهرة (٥/٩٤)، المعبر (٣/٢٥٩)، المنتظم (٨/٢٨٠)، قمتة المختصر (١/٥٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/٣٠٣). وفيه:

الشاعر المغلق، أديب وقته أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي الكاتب، ويلقب بصُربغر.

صاحب بلاغة وجزالة، ورقة وحلاوة، وباع أطول في الأدب.

سمع أبا الحسين بن بشران، وأبا الحسن بن الحماسي وعنه: أبو سعد الزوزني، وعلي بن عبد السلام وفاطمة بنت الخيري.

قال ابن عبد السلام الكاتب: كان نظام الملك يقول له: أنت صُرْدَر لا صُربغر.

وقال ابن البحار: مدح الخليفة القائم، ووزيره أبا القاسم بن السلعة، ولم يك في المتأخرين أرق طبعاً منه، مع جزالة وبلاغة.

وقال بعض الأدباء: هو أشعر من مهيبار.

وقيل: ظلم أهل شهربان، وسعى بهم وخلط في دينه.

تقطر به فرسه فهلك في ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة.

وقع به الفرس في زُتية للأسد فهلكا معاً وقيل: إنا أبوه لقب بصربغر لبخله.

قال محقق سير الأعلام بالهامش الزية: حفزه تحفر للأسد سميت بذلك لأنهم يحفرونها في موضع عال (انظر وفيات الأعيان ٣/٣٨٦) وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ في ذكره لأحداث ووفيات سنة (٤٦٥) وفيها أيضاً: توفي علي بن الحسن... وكان نظام الملك قال له: أنت صُرورُ بر، فبقى عليه وهو من الشعراء المهجدين وهجاه ابن البياض فقال:

لئن نسبك الناس قدماً أباك      قسموه من شعره صربعاً

فإنك تنثر ما صوره      عقرواً لسه وتسميه شعراً

وهذا ظلم من ابن البياض فإنه كان شاعراً محسناً ومن شعر ابن صرور قوله:

تزارون عن أذرعات يميناً      نوا شز ليس يطفئ البُرينا

كلفن بنجد كأن الرياض      أخذن لنجد عليها يميناً

وأقسم يحملن إلا نحيلاً      إليه ويسيلن إلا حزيناً

فلما استمتع زفير المشوق      ونوح الحمام تركن الحنيننا

إذا جئتما بأنسه السوادين      فارحوا التسوع وحلوا الوضينا

فثم علائق من أجلهن      ملاء الذجي والضحي قد طوينا

وقد أنبأهم مياه الجفون      بأن بقلبك داء وفيينا

وبنحو هذه الترجمة ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية وذكر قول الهاجي له ثم قال:

قال ابن الجوزي: وهذا نظم فاحش فإن شعره في غاية الحسن، ثم أورد له أبياتاً حسناً منها:

ببديع الشعر وإن كان عرض بالتعريض.

أفتش الريح عنكم كلما نفحست مسكاً فأرضكم مسكاً وأعطارُ  
قال: وقد حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث من ابن شيران وغيره، وحدث كثيراً، وركب يوماً  
دابة هو ووالدته فسقطا بالشونيزية جميعاً في بئر فماتا قدفنا بير، وذلك في صفر من هذه السنة  
قال ابن الجوزي: قرأت بخط ابن عقيل صريح جازنا بالرصافة، وكان ينيذ بالاحقاد، وقد أورد له  
ابن خلكان شيئاً من أشعاره وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله. وقال ابن العماد في شذرات  
الذهب في وفيات سنة (٤٦٥) وفيها:

صدر الشاعر صاحب الديوان أبو منصور... أحد نجباء شعراء عصره جمع بين جودة السبك  
وحسن المعنى، وعلي شعره حلوة رائعة وهجة فائقة، وله ديوان شعر وهو صغير ما لطفه قولاً  
من جملة قصيدة:

فَسائل عن شامات بحرري	وباب الرمل يعلم ما عينا
وقد كشف الغطاء فما نبالي	أصصرحنا بذكرك أم كينا
ألا لله طيف طيف منك يسعي	بكاسات الكري زوراو مينا
مطيه طسوال الليل جفني	فكيف شكا إليك وحافينا
فأمنينا كأننا ما افترقنا	وأصبحنا كأننا ما التقينا

وقوله في الشيب:

لم أبك أن أرحل الشباب وإنما	أبكى لأن يقارب الميعاد
شعر الفتى أروائه فلماذا اذوي	جفت على آثاره الأعواد

وله في جارية سوداء وهو معنى حسن:

علقتها سوداء مصقولة	سواد قلبي صفة فيها
ما انكسف البدر على نعه	ونوره إلا ليحك بها
لأجلسها الأزمان أوقاتها	من زوجات بليالها

وإنما قيل له: صدر، لأن أباه كان يلقب: صر بعر لشعته، فلما نفع ولده المذكور وأجاد في الشعر  
قيل: صدر، ولقد هجاه البياض الشاعر فقال: فذكر البيتين المذكورين في المصادر السابقة ثم قال:  
ولعمري ما أنصف هذا الهاجي فإن شعره بارد وإنما العدو لا يبالي بما يقول، وكانت وفاته في صفر  
في قرية بطريق حراسان وكانت ولادته قبل الأربعمائة قاله ابن خلكان.



فيقول التاج بابوج: وحق رأس مولانا ماها غيبة، وما هي محفوظة في العيبة، فيخرج القصيد، ويتدئ بالنشيد ويقول:  
/ [٢٧/ب] شعر:

إن البلادَ السَّتي أصبحتَ واليهيَا  
وَعُمِرتَ مِنكَ بِالْعَدَلِ الْعَمِيمِ  
مَنْ بَعْدَ مَا أَصْبَحْتَ طَرًّا خَرَابِ  
كَأَنَّهُا لَمْ تَبْضُ فِيهَا وَلَا فَقَسَتْ فِيهَا  
فَأَقْفَرَتْ بَعْدَمَا كَانَتْ مَسَاكِنَهَا  
هَبْتَ رِيَّاحَ دَبُورٍ فِي جَوَانِبِهَا  
فَلَمْ يَهْرُهَا كَلْبٌ وَلَوْ ظَهَرَتْ  
وَالْهَفَ نَفْسِي عَلَيْهَا يَوْمَ زَارَكَ  
مَنْ بَعْدَهَا لَمْ أَجِدْ أَرْضًا أَفْشَ  
/ [٢٨/أ] أَنْتَ الشَّجَاعُ الَّذِي ذَاقَ الْبِرَازَ بِهِ  
كَمْ نَارَ حَرْبٍ لَدَى الْهَيْجَاءِ مَا وَقَدْتَ  
لِلَّهِ رَمِيكَ وَاسْتَيْ قَالَ مَنْ بَطَلَ  
كَمْ قَدْ خَرَقْتَ بَطُونَ الدَّرَاعِينَ هَا  
وَعَصْبَةٌ تَشْرَبُ الْأُبُولَ مِنْ عَطَشِ  
/ [٢٨/ب] سَلْ أَرْضَ حِرَانَ مَذَامِيسَ سَاكِنِهَا  
وَفَاخَرْتِكَ جَمَاعَاتٍ وَرَبَّمَا قَالَتْ:  
إِنْ قُلْتُ طَوْلُكَ فِيهَا فِي الْعَيَانِ  
لَا تَعْجَلْنَ وَكُنْ مُسْتَرْفِقًا  
وَإِنْ رَكِبْتَ إِلَى حَصْدِ الْغَلَالِ  
/ [٢٩/أ] عَلَيْكَ بِالذَّرَّةِ اجْعَلْهَا لِرَأْسِكَ  
فَالْتَحَسَّنْ أَنْتَ تَرَاهُ غَيْرَ مَكْتَرَثٍ

أَضَحَتْ وَلَا جَنَّةَ الْمَأْوَى نَوَاحِيهَا  
إِلَى أَنْ طَلَّاتِ حَاضِرَهَا وَبَادِيَهَا  
هِيَ عَلَى أَسَافِلِهَا تَبْكِي عَوَالِيهَا  
وَلَا نَبَتَتْ فِيهَا خَوَافِيهَا  
فِيهَا خَرَائِبٌ قَدْ لَدَّ الْأَسَى فِيهَا  
فَكَانَ سَقَطَ لِسَوَاهَا أَلْفَ سَافِيهَا  
رَسُومَهَا لَعَوَى فِيهَا عَوَافِيهَا  
هِيَ وَيَا خَرَابَ مَعَانَ فِي مَعَانِيهَا  
هِيَ صَبَابَةٌ فِي ضَمِيرِي كُنْتُ أَخْفِيهَا  
وَكَلَّمَا حَمَلْتُ جَرَّ الْفَتَى فِيهَا  
إِلَّا أَنْتِ بِسَاسَ مِنْكَ تَطْفِيهَا  
سَهَامَ أَيِّ قَسِيٍّ أَنْتِ مُخْنَبِيهَا  
حَتَّى تَرَاقَتْ نَفُودًا مِنْ تَرَاقِيهَا  
وَتَأْكُلُ الرُّوثَ جَوْعًا أَنْتِ حَيِّهَا  
هَلْ جَاعَ صَعْلُوكُهَا أَوْ جَاعَ صَوْفِيهَا  
قَصِيرٌ فَرْدُ الْقَوْلِ تَسْنِفِيهَا  
فَمَا قَدْ قُلْتُ طَوْلُكَ فِيهَا حِينَ تَعْطِيهَا  
وَحَذَّ الْمِيَاهِ بِالْحَكْمِ عَدْلًا مِنْ مَجَارِيهَا  
وَلَمْ تُحْصِدْ جَمِيعًا لِنَقْضِي حَصْدَ بَاقِيهَا  
وَالْأَذَانَ لَا تَسْتَهَاونَ فِي مَرَامِيهَا  
إِلَّا بِصَفْعِكَ هُوَ أَنْ رَمَتْ تَنْبِيهَا

خذها مدائح من يلقاك مبتسماً ليصبح الحاسد الغضبان يطوبها  
فأنت كالبان أعطافاً مرنحة لمن يشبه إن رام تشبيها  
فهي التي في الورى إن أنشدت طرباً صدرها علّمت منها قوافيها  
/[٢٩/ب] فإذا أتى على آخر القصيدة نصحك طيف الخيال، فيستريب الأمير  
وصال، فيقول: أي شيء بأن لك من التعريض في هذا القريض؟ فيقول له طيف الخيال:  
كأن الشاعر صُرِّعَ رُقل ثوابه فساء خطابه.

فيقول الأمير وصال: هذا ظاهر الحال، ولأعملن على انقلاب دسسته، اطلبوا لي المقدم  
شعشاعة هذه الساعة.

فيأتي المقدم شعشاعه ومعه صرَّعَ الشاعر يرفل لإرفال الأباغر، فينظر إليه الأمير  
وصال نظرة الخلق [٣٠/أ] وقد كاد من غيظه أن يحتق، فيرتجل معتذراً، وينشد  
مبتدراً:

أتوعدني الهوان فليت شعري	أهذا كان جائزة لشعري
وهذا كان منك جزاء مدحي	وكل قريحتي وعناء فكشري
فلإن يك ذا الوعيد بأخذ روحي	كما أوعدتنى يا طول عمري
وقالوا: سوف تسقيني سوماً	يسيل لها خراي ولست أدري
/[٣٠/ب] وإلا سوف ترسفني نبلاً	يشاهد ريشها من ناب حجري
وتطحنني مصوصاً بعد ذبحي	وتأكل من مصارينى ودبري
فأرعد ثم أبرق في وعيدي	وقل ما شئت من نظم ونثري
وكن كالثيب ذا ذنب وقرن	وكن كالكلب ذا ناب وظفر
ستلقي للذي أعددت جلدأ	ولو أصليته نفحات جمر
/[٣١/أ] فلا تك طائشاً كالكم بها	وقد أغراء قول القم ليعري

فيقول الأمير وصال: ويك ما قصة هذا المذكور؟ فيقول «صُرِّعَ بع»: الكم بها  
استي»، ملك من ملوك العجم، تغلب على قلعته شخص يقال له: قفالك بن زربول  
الخرداسي، من أهل مدينة العنكذوم، فخرج إليه أهلها ليقاتلوه، فأمرهم فأمر أن تنحت  
لهم أوتاداً وتدف في أديارهم ليليل عليها خراهم ويموتوا.

وكسن كحرا تلوك البوزكسي أمير القبط من / [٣١/ب] أكتاف مصر، وقد صفوا  
 بها الأعداء جيشاً لطرطر ابن كل حرب العُدْخِرِي وكانوا أحدثوا فيها أموراً لأمير بلغوه  
 بخت نصر<sup>(١)</sup>.

(١) بخت نصر هو: بخت نصر أو يختصر أو نبوخذ نصر:

ملك بابل، غزا القدس وخرّب بيت المقدس بعد ١٩ سنة من ابتداء حكمه و(٩٩٧) سنة من وفاة  
 موسى عليه السلام (الفضائل الباهرة ١٧١) بخت نصر: جاء اسمه في المصادر الأثرية نبوخذ نصر  
 وهو ملك بابل جاء إلى اورشليم بعد أن زالت عنها السيطرة الآشورية، فسلمه حاكم يهوذا فيها  
 يهوذا ياقسيم المدينة (٩٩ ق.م) اهار في يورتر: النهج القويم في التاريخ القديم طبعة بيروت سنة  
 (١٨٨٤) وعاش يهوذا قسيم منذ ذلك التاريخ عبد النبوخذ نصر، إلا أنه عاد فتمرد بعد ثلاث  
 سنوات فأقاله نبوخذنصر، وأقام مقامه ابنه يهوياكين (٥٩٧ ق.م) ثم عاد فأقال هذا أيضاً مع عدد  
 من عظماء قومه إلى بابل وأقام مقامه صدقيا (سفر الملوك الثاني ٢٤-١) ولكن سرعان ما انقض  
 صدقيا على البابليين، عندئذ جرد عليهم نبوخذ نصر جيشاً بقيادة نبوزردان (الطري ١/٣٨٢)، ثم  
 جسد هو من ورائة فحاصر اورشليم (٥٨٧ ق.م) وذات المدينة في هذا الحصار الأمرين جوعاً  
 ومرضاً إلى أن فضل اليهود الهرب، فتلّموا السور وهربوا، وكان على رأسهم صدقيا.

لكن البابليين لحقوا بهم وأتوا بهم إلى ملكهم نبوخذ نصر الذي فقأ عين صدقيا وأرسله إلى بابل.  
 بعدئذ نهب نبوخذ نصر اورشليم ودك سورها، ودمر الهيكل الذي بناه سليمان وأجلى شعبها إلى  
 بابل فقتل منهم من قتل واستعبد من لم يقتل.

وهكذا انقرضت دوله يهوذا (٥٨٦ ق.م)، اهار في يورتر: النهج القويم في التاريخ القديم وهكذا  
 أصبحت اورشليم مستعمرة بابلية دفعوا الضرائب لبابل وانتشرت فيها اللغة البابلية التي غدت لغة  
 البلاد الرسمية حتى الفتح الفارسي لأورشليم (٥٣٨ ق.م).

(إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لأبي عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن  
 عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة  
 للكتاب ١٩٨٢، ١/١٢٤/ ١٢٥ هامش ١٠) يختصر ملك بابل غزا القدس وخرّب بيت المقدس  
 بعد ١٩ سنة ابتداء حكمه، و(٩٩٧) سنة من وفاة موسى عليه السلام.

ويقول ابن ظهير عن بختنصر (بخت نصر): ومن الفراعنة أيضاً الذين خربوا الدنيا وغلّبوا على مصر  
 «بخت نصر» وهو من قرية من بابل يقال لها «هو» دخل مصر في ستمائة ألف فارس وراجل وهو  
 راكب على فرس يشبه الأسد متقلداً سيفاً طوله عشرة أمصار، وعرضه شبر، أخضر النّصل ينحدر  
 منه شيء يشبه ماء السّر، وغمدته من ذهب مرصع بالجوهر والياقوت الأحمر مكتوب عليه هذه  
 الأبيات بالعجمي وفسروها بالعربي، وهي هذه الأبيات شعر:

الشعر مـصـرـع لـه سـطـوة      بـسـنـزل الجـبـار عـن عـرـشـه

وأنت إن لم تـسـرـجْ أو تـتـقْ      كـالـمـيت مـمـولاً عـلى نـعـشـه

فيقول الأمير وصال: وما قصة هذا؟

فيقول صربعر: خرا تلوک، أبو دلوکه الملكة كانت بمصر قديماً، وكانت عارفة بالسحر، وأعمال السبى، فطوراً تطعمك من خراها فتجده خلوى، وطوراً تسقيك من بولها فتجده جلاباً، وكانت تلوک / [٣٢/أ] في دستها فتكون قرداً، وتصير خنزيراً، وكلباً، وتارة تكون حماراً مُصرّماً. وكانت تنام وتخرى على جنبها فيخرج خراها زبدة. وكان لها قبة تضرب فيها على سائر الألحان، فقصدها خارجي يقال له: طرطر السالحي بن شم شم بن كل خرت العُد خري، فقعد عليها أياماً، فبعثت إليه خرابلوک، ومعه هدايا منها: صنم من نحاس جالس على قصرية من ذهب، كلما مضت من النهار ساعة، ضرب فيها ضربة قوية عالية يسمعا أهل القصر وفي آخر / [٣٢/ب] النهار يوجد فيها جعص ياقوت وكيس فيه درة من جلد وحش يسمى: سلحي شم، إذا كنت مصدوعاً وشفعت بها زال صداعك في الوقت، فقبل منهم ورحل عنهم.

وفي «تيسا تكون» وكلب كنت اتأسى لو عقلت لكل خر

وقد جدع أنف فيما تلکاً ولا نادى لذلك بالکبر

فيقول الأمير وصال: قد فهما قصة «دلوکه»، فما قصة «تيسا تكون»؟

فيقول صربعر: «تيسا تكون» / [٣٣/أ] من آل بکر الخراذق، و«کست» أخو

لا تنبش الشرف قُبلى به	فقل من يعلم من نبشه
إذا طفنى الكبش بلحم الكلبي	أدرج رأس الكبش في كرشه
كسم من نجا من بد أعدائه	وميت مات على فرشه
من يفتح القفل بمفتاحه	نجا من التهمة في فشه
ونابش الموي له ساعة	يأخذ أنبش من نبشه
له في قدرته خـــ	تجرى المقادير على نقشه

واختلف فيه فقيل: إنه آمن قبل موته.

وقيل: آمن فلم يقبل إيمانه، لما قتل من الأبياد (الفضائل الباهرة في عاين مصر القاهرة تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس / ٩١/٩٢).

راجع الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ٤٦٧/٦.

زوجته، وكلب كتّا» هي زوجة تيسا تكون، فبلغه أن لها عشيقاً يغشاها ليلاً، فدخل عليها الحياء ليلاً في ليلة مظلمة وعندها أخوها كست بشفرة كان أعدها، فلما عرفه ندم على فعله، واعتذر إليه فقبل عذره ودقن كفست إذ سقطت بكاس تناولها ضحى من مُصَّرْ بَعْر، / [٣٣/ب] فأمسك عنه حُلماً حين ألقى السلاح إليه معتذراً بعذره.

فيقول الأمير وصال: وما كان من دقن كفست؟ فيقول صربعر: دقن كفست رجل جبار، وكان عنده رجل عشاب اسمه مُصَّرْ بَعْر، وكان عنده حشيشتان تسمى أحدهما: سلحي كل، والأخرى رَوْنِي شُم. وكان من خاصية سلحي كل: أنه إذا أكلها شيخ اسود شعره ولحيته، وروثي شم: من المسهلات التي إذا أكلها الإنسان / [٣٤/أ] انسهل عليها حتى يموت أو يغشى عليه أو يسقط شعره.

فطلب دقن فكفست من مُصَّرْ بَعْر العشاب الحشيشة المسودة وهي سلحي كُل، فانبدلت عليه بالمسهلة، فسقطت دقن كفست، وانسهل عليها، فقال له: ما هذا؟ فاعترف بخطئه فعفا عنه:

وإذا صفعوا قفأ لك أهل دَلِي على لحية كبال صفاع غَدِرِ  
فاغضي عنهم كرماً وحلماً وكان بسيفه الهامات يفري  
/ [٣٤/ب] فيقول الأمير وصال: ما قصة هذا؟ فيقول صُرَّ بَعْر: هو قفالك بن رزبول الكم ها استي، دخل إلى مدينة دَلِي متكرراً لحاجة له، وكان رجلاً جليلاً فشبوه برجل كان يؤذيهم، فصفعوه على تل يقال له: لحية كبال فما آخذهم، وعفا عنهم:

وأم خسرادق العذراء لما رآها العقطريا غير بِكْرِ  
وقد ضرط الجنين لكاهنهم ضُحى في جوفها بُرقاً ويسُحِرِ  
/ [٣٥/أ] فأسبل ذيله ستر عليها وقد كادت تبث بغير ستر

فيقول الأمير وصال: وما قصة هؤلاء المذكورين؟ فيقول صُرَّ بَعْر: هذه أم خسرادق كانت راهبة في دير الحبيس، العق طرياً السرياني، وجدها حبلى، فاختلف الرهبان عليها، وأحضروا لها كاهنين يقال لأحدهما: مرقورا، والآخر جعصي مُصَّرْ.

فوضع أحدهما يده على بطنها وهو يقول: بلغته ليعلم هل هي حبلى أم لا؟ فضرط الجنين في جوفها فستروا / [٣٥/ب] أمرها، فكان الذي افتضها يسمى بابوج من دير شم قلايط فزوجوه لها سترأ لها:

ومسلمة الوجيه العلق سلاحي لندمان أتساه بالثخري  
 فيقول الأمير وصال: وما قصة المذكور؟ فيقول صرُّ بعز: هذا الوجيه العلق سلاحي  
 من بلدة تسمى: العلق سلاح من بلاد أصفع كنا المتاخمة لبيس. كان جباراً عاتياً، وله  
 نديم من بلاد أصفع كنا / [٣٦/١] يسمى الكم بما استي، من أكاريد جبل سُف حُف،  
 فاصطبحا يوماً، فقال: أريد اليوم أسمع ما لا سمعته، وأكل ما لا أكلته، وأرى ما لا رأيته.  
 فقال له نديمه الكم بما استي: لي الأمان وأفعل ذلك؟ فأمنه. فقال له: شواريك في استي يا  
 قواد، فهذا ما لا سمعته.

ثم كشف عن فمحه<sup>(١)</sup>، فقال: أبصر وجهك في هذه المرأة، فهذا ما لا رأيته.  
 ثم خري بين يديه فقال: كل خراي فهذا ما لا أكلته. فضحك حتى وقع على الأرض  
 وبال/ [٣٦/ب] عليها وعفا عنه. فيقول الأمير وصال: العفو عن هفوات النديم من شيم  
 الكريم.

ثم يقول الأمير وصال: رب بيان بسط عذراً، وإن من البيان لسحراً والعفو عن  
 الخلائق، يوجب عفو الخالق، والقول السليم أفته من الذهن السقيم.  
 وأفواه الشعراء تمنح الشهد وفيها إبر النحل وطالما أفضت إلى الحقد والدجل والبدايا،  
 والقرايح مرايا يستطيع فيها ما يقابلها من المزايا.  
 والأفكار جمر يتوقد لا يخبو إلا إذا خفا ضوء الفرقد<sup>(٢)</sup>، / [٣٧/١] يفوح بما تلقية

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «فمح»: «فمح»:

والفمحة معروفة، قيل: هي حلقة الدبر وقيل: الدبر الواسع، وقيل: هي الدبر بجمعها، ثم كثر حتى  
 سي كل دبر فمحه، قال جرير:

ولو وضعت فمّاحُ بن ثُمَيْرٍ علي خبث الحديد إذا لذابا

(٢) الفرقد هو نجم من نجوم السماء الالامعة، ويقول ابن منظور في لسان العرب (ص: ٣٤٠٢):

والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى.

وقيل: هما كوكبان قريبان من القطب.

وقيل: هما كوكبان بنات تعيش الصغرى، يقال: لأبكنك الفرقدين (حكاه اللحياني عن الكسائي)  
 أي طول طلوعهما.

قال: وكذلك النجوم كلها تنصب على الطرف كقولك: لأبكنك الشمس والقمر، والنسر الواقع،  
 كل هذا يقيمون فيه الأسماء مقام الظروف.

قال ابن سيدة: وعندي أنهم يريدون طول طلوعها فيحذفون اختصاراً واتساعاً.

فيه، فإن كان طيباً فيا طيب قوافيه.

قل للتاج بابوج: لا بد ما أقطع لسانه بالعطا وأعطي فاه من الصلات باسبغ غطا وأكتب له على أبواب البهاء الصير في بما يكفي فما أنا بحمد الله بخيل، وكل ساعة عليه أحيل. فيقبل صرُّ بحر الشاعر قدميه وينصرف بعد السلام عليه.

ثم يقول الأمير وصال: يا أخي يا طيف الخيال، قد عزمت على ترك مسائل الخلاعة، والتوبة لله مخلصاً، والعمل لله بعمل السنة والجماعة، فقد دنا الرحيل [٣٧/ب] ولم يبق إلا القليل وأنا أستغفر الله من القنوط، والعمل بعمل قوم لوط، وقد صممت على الزواج، والنسل وطلب التاج، فاطلب لي أم رشيد. إن كانت كالتّي تخرج بالليل خاطبه، لكنها تعرف كل عاهرة، وكل مليحة بمصر والقاهرة؛ لأنها تخرجهن من الحمامات متنكرات في ملاحف الخدامات، وتضمن القحاب المكبوسات من الحجرة، وتحلين بالخلي والنياب بلا أجرة، أقود من مقود، وأجمع من مسرد، أقود من القُرط للأذن [٣٨/أ] بالفُسْطَاط، وأجمع للأسين من مسمار مقص الخياط، وهي مع هذا تتلطف بقلوب العشاق ولا تبيع السوط إلا على الذواق، ولا تخلف في وعد، ولا تماكس في نقد، ما شهدت مشربة تعرضت فيها لسيلان السمع، ولا فتشت مناديل الجمع، ولا تضم المسموم من حول البواطى، ولا تنشب بحم الزبادي ولا تجمع ما تروق من الدُرادي، ولا تبذل سمروجة عتيقه بجديدة، ولا تتحكم في ثياب الحرقاء تحكم القعيدة، وأكثر الأوقات تطوف [٣٨/ب] على الحرائر في الدور، وتبيع الخام والمقصور، وأصناف الطيب والبحور، وتسلف بالدين وتواعد إلى يوم الخميس والإثنين، ولا تماكس في جذر، ولا تأتي الميعاد ولو كانت ليلة القدر، هذا وجهها لا يخلو من البانة، والزجاجة، والخمرة، والإسفيداج وجوزة مغربية وخطاط وجسارة برسم الأباط، وصوفة مطيبة، وأدهان مرطبة وحُسن يوصف، ودلوك، وبرمكية، ومكنومة وبنفسجية، وهي من الخفاف اللطاف، يقبل

وقد قالوا فيهما: الفراق، كأنهم جعلوا كل جزء منها فرقداً، قال:

لقد طال ياسوداء منك المواعد... دون الجدا المأمول منك الفراق قال: وربما قالت العرب لهما الفرق، قال ليبد:

خالف الفرق شرباً في الهوي خُلِّقَ باقيه دون الخلل

/ [٣٩/أ] الأرض إيليس بين يديها كل يوم، ولا ينهبها غيره من النوم، فاجمعوا شملها، بشملها، وصلوا جبلي بحيلها<sup>(١)</sup>.

فينادي رسيل الخيال: يا أم رشيد، يا ست العبيد، فخرج العجوز وتقول: مُسَيِّم بالسعادة، ولا زلتم بخير والخير عادة، يا أولادي لا بليتم بالكبر وثقل السمع وضعف البصر، من هذا الذي طلبني في ليلى الدامس، والدرب مغلق والطرف ناعس، وأزعجني والنجوم راكدة وكل صبية مع عشيقها راقدة؟ / [٣٩/ب] فيقول طيف الخيال: طلبك الأمير وصّال الذي ربي في النعم والدلال.

فيقول الأمير وصّال: يا خالتي أم رشيد، كيف نعم الله عليك؟ وما طلبتك إلا لتزوجيني، وإلى غيرك لا تحوجيني، وأريد هذه العروسة تكون دُرِّيَّة اللون، حسنة الكون، ملفوفة البدن، لا رقيقة ولا مفرطة في السمن، أسيلة الخد قائمة النهد<sup>(٢)</sup>، وينشد:

(١) لقد وصف هذه القوادة وصفاً جمع فيه لها أوصاف الحسن والذم، والمدح والمفدح والزين والشين ما فاق الوصف وعجز عن ذكر مثله أغلب الوصاف، وطاف فيها بخياله أيما مطاف فرفع من شأنها في المعرفة بالخير والشر رفعا جعلها في الصدارة في كلامها فهي تعرف القبح جيداً كما تعرف الجمال وتعرف الصلاح كاملاً كما تعرف الفساد ودروبه الملتوية المتشعبة وتعرف ما يفضلهُ العباد وتصبح ونحسي مع مُقُور العباد، فقد أحسن في وصفها بخياله وطلب منها ما يروق من شأنها لحاله.

(٢) يريد بقوله: درية اللون هي البهية المبهجة ذات اللون الأبيض المشرب بحمرة التي إذا نظرت إليها أخذت بلبك لوضاعتها. وحسنة الكون: أي متناسقة الأعضاء فما يجب أن يكون منها دقيقاً كالخاجب والأنف والشفاه كان دقيقاً، وما يجب أن يكون نحماً أو عظيماً منها كان عظيماً كالنهود والأرداف، وكان يجب أن يكون ضامراً منها كان ضامراً كالبطن وما يجب أن يكون مخصراً منها كان مخصراً كالخضر أو الوسط إلى آخر تلك الأوصاف. ثم أجمل الوصف فقال: ملفوفة البدن لا رقيقة ولا مفرطة في السمن.

ثم عاد يؤكد على الحسن والجمال فركز على مواطنة الظاهرة، فقال أسيلة الخد قائمة النهد وأسيلة الخد هي ذات الخد الوضيء الأبيض الناعم الأملس المستوي اللين السهل. وقد قال ابن منظور في مادة «أسل»: والأسيل: الأملس المستوي، وقد أسل أسالةً، وأسُلَّ خَدَهُ أسالةً: أمْلَسَ وأطال، وخد أسيل: وهو السهل اللين... وقال أبو زيد: من الخدود الأسيل وهو السهل اللين الدقيق المستوي، والمسنون اللطيف الدقيق الأنف.

ورجل أسيل الخد إذا كان لين الخد طويله، وكل مسترسل أسيل وقد أسل بالضم أساله، في صفة صلي الله عليه وسلم: كان أسيل الخد، وقال ابن الأثير: الأسئلة في الخد الاستطالة والآن يكون مرتفع الوجنة.



/[٤٠/أ] بيضاء مصقولة الخدين ناعمة  
 كأنها اللؤلؤ في الجذ مكنون  
 حسن جرى قلم الباري فأبدعه  
 خطاً تحار لرؤياه الدواوين  
 فقدما ألف حسنها ومبسمها ميم  
 وحاجبها في شكله نسون  
 وضدغها عطفه وار ومقلتها صاد  
 وطفولتها من صدغها شين  
 راشت لواحظها نبلا فحاجبها قوس  
 على أنه بالموت مقرون  
 /[٤٠/ب] فالخذ وصدغ إذ يدوا  
 آس وورد وريحان ونسرين  
 والغصن يعهد في البستان مفرسه  
 وهذه غصن فيه بساتين

إلا أن هذه الصية نفرت من زوجها الأول من ألم الافتضاض<sup>(١)</sup>، وداواها الأوائل بدواء مضاض، وكانت بسلامتها قد ألفت السحاق، وتعلمت من دار معلمتها أم إسحاق، وهي والعهد معذورة إذا نفرت من البعل، ووضعت الثعل على الثعل، لأنني كنت/[٤١/أ] في أيام الشبية أعاني العطف والطفية، معدومة من النساء الظراف، والمساحقات الخفاف، دلالة فراكة حكاكة، أطيب اللخالخ، في الأحقاف اليمنية، وأنقع حب السفرجل<sup>(٢)</sup> في السكارج الصينية، وأقاوم بالزيتون الثعابين، وما كنت أساحق إلا

#### وقائمة النهذ معرف.

(١) تسبب هذه الطريقة للزوجة ألماً مبرحاً وربما جعلتها تكره العشرة الزوجية أو اللقاء الشرعي بين الزوج وزوجته طيلة حياتها، فإن كثيراً من الناس لا يفهم أن هذه الطريقة عندما تكون هي بداية العلاقة الجنسية التي كانت تنتظرها العروس وتمناها منذ بلوغها إلى أن زفت إلى زوجها الجاهل وكانت تبني عليها أحلاماً وآمالاً إذا بها تخيب كل آمالها بل تفاجأ بأنها أقسى وأأسوأ ما لاقت في حياتها مما يسبب لها صدمة العلاقة بأكثر مما كانت تمنوها مئات المرات، إن الافتضاض بالإصبع اعتداء سافر، ووحشي على أنوثته الأنثى وأجرام شديد في حقها وهدر لكرامتها وإنسانيتها فمن منا يقبل أن يضع أحدها أصبعه في عينه فيفقاها، ثم هو يصيح ويشكره؟!

لسنكن واقعين هذا مثل هذا بلا شك، ولكن الأمر لا يقع علينا، نحن معشر الرجال ولو كان الأمر واقع علينا لكان لنا معه وفيه شأن آخر، لو شعرنا بشيء مما تشعر به المرأة عندما يفعل بها هذا لأقمنا المحاكم في كل الدنيا لمن يفعل ذلك، إن افتضاض المرأة بالأصبع من أبشع ما تعرض له الأنثى من المآسي في أول حياتها الجنسية والزوجية مما يترك في نفسها هذا الأثر السيء الذي أشار إليه المؤلف هنا وإن مثل هذا الأمر تكتب فيه الكتب ولكن لا حياة لمن تنادي؟

(٢) قال د/ عويضة في الموسوعة الغذائية (ص ١٩٣) السفرجل: إن أقرب الفواكه إلى الكمثرى هو السفرجل الذي يعتبر إحدى الفواكه الصيفية المشهورة ولكن صعوبة مضغه تجعله أقل حظاً في

بدهن البان، ولمن أقول بسلامتي من فحول الأزواج، والحبل والنساج وأن أرضع / [١] ٤١  
 / [ب] من الويل وهزي لمهده طول الليل، محرومة من طول نومي ونعاسي وقصرية الخرا  
 عند رأسي، ويتعلق المرضع بمقاعي ويديه بالزفرة، ويدس أصابعه في أنفي وهي ملوثة  
 بالقذرة، وإذا خرجت من الحمام، وأنا نظيفة اللباس، خيطني الزوج يذاك المهراس، فأبيت  
 في شدة من وجع الأحشاء، لا أقدر أنتنفس، ولا أنجشأ، بعد مكابدة شواربة الطوال  
 ومقاسات شعر صدره، الذي هو في خشونته كشعر البغال، واليوم يعز علي وقد دثر  
 / [٢] ٤٢ [١] الكبير<sup>(١)</sup> أساتي، واشتعل الشيب برأسي، ووهن عظمي وزاد من السمن شحمي  
 ولحمي، وانقطع من الرجال أملّي وامتنع من أمّني، وأصبحت لا خلفي ولا قدامي<sup>(٢)</sup> إلا

التناول من الكمثري والتفاح.

وأصل السفرجل من جنوب أوروبا، وهو من أعظم المحصولات في جنوب فرنسا وهو نبات  
 شجري سكرية قابضة يحضر من عصيرها شراب يضاف إلى الأدوية القابضة لتحليلتها.  
 وبذوره غسرية يحضر منها مطبوخات تستعمل موضعياً مريحة محللة، وتدخل في أنواع الفطرة  
 ويصنع منها في فرنسا مادة لتثبيت الشعر.

ويوصف السفرجل كدواء لتقوية القلب وانهاشه وللمصابين بسل الصدر، والأمعاء، والنزيف  
 المعوي والمعدّي.

ويفضل أن يستفاد منه كمفوق بدلاً من الاستفادة منه مباشرة كتمر، فإن منقوع السفرجل المغلي  
 يصلح شراباً مقوياً في حالات الهضم الصعبة، وللإسهال الناشئ عن وهن الأمعاء.  
 وذكره الحكيم داود في تذكرته فقال:

شجر معروف منابه بالشام والروم وهو قدر شجر التفاح إلا أنه أعرض ورقاً وأغلظ واعقد عوداً،  
 وشره يكون في حجم الرمان فأصفر عله حمل كالغبار يلزمه غالباً، وأجوده الكبير الهش الحلو الكثير  
 الماء.

وهو يذهب الوسواس والكسل وسقوط الشهوة والخفقان، وضعف الكبد واليرقان.

إذا أضيف إليه زهرة وشوي فإنه على الجوع قابض، وعلي الشيع مسهل لشدة عصره المعدة، وأن  
 ضمدت به الأورام حللها ويسكن العطش وحرقة البول ويطيب رائحة العرق.

(١) قال ابن منظور في اللسان مادة دثر: دَثَر الرجل: إذا غَلَّته كَثَرَة واستسنان.

قلت: والمراد أن الكبير زاهداً لحماً وشحماً حتى أن إلتهاها صارتا كبيرتين حتى أنهما ليعجزانها عن  
 القيام.

(٢) هذه مغالطة كبرى تذكر فيها أن السحاق أفضل من الزواج وامتنع ومن يقول هذا غير مغالط  
 بخادع كذاب مفتر مخالف للفطر مزين للباطل ومنكر للحق ومتعامي عن سبيل الهدى والرشاد، إذا  
 كيف يقوم الكون بالنساء بعضهن مع بعض فمن أين يأتي النسل، وإذا هي تخالف الفطرة فتعكس

أن هذه الصبية - ذكرت بالخير، تمنى لو كانت قالياً للأير، أو كموسى البلان<sup>(١)</sup> كل ساعة على شعرة جديدة لا تفارق حُسَيْنَتَهَا، تصب على سعيدة.

فيقول الأمير وصال: مثلك من لا يرضى عليّ بردي، فيقول: إي والله يا ولدي وإذا وقع التراضي، فلا بد من الولي والقاضي،/[٤٢/ب] فإن شئت بلا قاض وتضحك على العادة، فعرضه بالقيادة.

فيقول الأمير وصال: قد عزمت متوكلاً فبارك الله لي كما بارك لي في الأولى، وهذا الوقت اتصال محمود، فلا بد من إحضار العاقد والشهود، فيبتدئ ويقول العاقد: الحمد لله سائر العيوب، وعالم الغيوب، ومفرج الكروب، المؤلف بين القلوب، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله الصادق المحبوب صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الوجوب/[٤٣/أ] وهادي الأمة وكاشف الغمة، الذي سن النكاح، ودعا إلى الفلاح.

وبعد:

فإن النكاح والوصل سبب الخلود والذكر، ببقاء النسل، وهو العاصم من الأوزار، والدخول إلى النار، تناجه الأولاد، السادة الأنجاد يعمررون الديار، وينصرون بالإكثار،

مزايا الولد وتجعلها رزائل في حين أنا جميعاً نرى المرأة التي لم يرزقها الله تعالى بنعمة الولد يكاد يطيش صوابها فمنهن من تلجأ إلى الحيل الكفرية للحصول عليه طائفة أنها من سبل الانجاب، وهذه تقول إن الانجاب بلية ورزية وهم وغم ما بعده هم، وقذاره، وأرق، وتصف الرجل ووطاه للمرأة بما لا يحسن وصفه حتى أنها تصل به إلى درجة الحمير والبغال، فهل هو قول مقبول أو معقول، كيف وهن يفوين الرجال بل وهن في الغالب اللواتي يرادون الرجال عن أنفسهن بالحرركات والكلمات والأموال وعندنا أكبر مثال على ذلك زوجة العزيز الجميلة الثرية صاحبة السلطة، ويوسف عليه السلام الصغير، الفقير، الخادم، من راود الآخر عن نفسه، أنها مغالطة تغالط بها السذج وتخدع بها أنفسهم وتريد أن تخدع الآخرين ليهلكن معها عافانا الله وإياكم من أهوي والشطط، وهما هي في آخر الأمر نراها قد فقدت الاثنين معاً فلا هي زوجه ولا هي تجد من تساقفها.

(١) موسى البلان: يقصد موسى الخلاق يريد أنه تعرف في آخر المطاف بالخطأ التي وقعت فيه، ثم هي لا تتوب مما ابتليت به بل تود لو أنه دام لها حظها وجمالها وأنه كانت استمتعت به مع الرجال ولكن ليس ككل النساء بل تريد أن تكون في كل ساعة مع رجل غير سابقه، فهي في كل الحالات فاسدة الرأي والعقل والعمل، إذ لا يصح إلا الصحيح والصحيح هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الزواج الحلال المباح المقر للأحوال والأوضاع.

ويدرك هم الثأر، ويقال لهم العتار<sup>(١)</sup>.

والزوجة المباركة: هي الحافظة للفعال، والجامعة للمال، والمعدّة لحسن المآل، والموظّنة للطعام والممهدة للمنام، وهي مشتكى [٤٣/ب] الأحران، ومستودع الأسرار والإعسلان، والمساعدة على الأغراض، والمعللة للأمراض، والخليلة الصاحبة والناتحة النادية، والمسامرة الضجيجية، والمطية المطيعة<sup>(٢)</sup>.

(١) يبين أن النكاح أي الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تتبع لاستمرار ذكر الإنسان واتصال نسبة السليم العقيف الشريف الذي يفتخر به ولا يخجل منه يوماً من الأيام، وهو الوسيلة الوحيدة لبقاء النسل متسلسل الاتصال معروف الرحم والقربي والأعمام والأخوال والأصهار. والنكاح أي الزواج هو العاصم الوحيد للإنسان من الوقوع في المعاصي التي تجعله يتحمل من الآثام ما يوجب عليه العقاب في الدنيا بالخزي والعار والشتار، وفي الآخرة بدخول النار وغضب الرب الجبار.

والزواج له نتائج محبوب مقبول، هبة النفوس ومذهب للعبوس، ومفرج للقلوب، وقرة للعيون، وبغير الزواج لن يكون هناك ولد يفتخر به بل يتهرب منه، يذل به والده وتهان به والدته لا يواجه به مجتمع مستقيم إلا رفضه وبجه، وحقره وحقر من كان سبباً فيه وذمه وذم والديه، وتبرأ منه كما تبرأ منه والده من قبل المجتمع.

والزواج المستقيم ينجب السادة الأبطال الأحرار الأحيار يعمرن الكون ويعملون الفضيلة ويحاربون الرذيلة وينافحون عن الديار، ويردون كل غاصب غدار أو غاز متجرب على الجوار، ويجدعون أنف من جار وكلما كان عددهم أكثر هاهم الأعداد وتقوي هم الأنصار وشرف هم الصهار، وكثر فيهم الخير وأهل الاستشهار.

وهم يدرك الثأر الذي كان لك على عدوك فيردون إليك ما سلب منك بالقوة يوم ضعفك وترد الحقوق إلى أربابها وأصحابها ويعود الحق إلى نصابه ويقف الباطل بعيداً عن بابه، ويظل دائماً بهابه، ولا يفكر في اغتصابه.

وعلى هذا وذاك هم العترة أي ولد الولد، والأسباط، ويقال في المثل العامي: أعز الولد ولد الولد. فلماذا يحرم المرء نفسه هذه النعم يترك الزواج الحلال، ويهدر ماله فيما لا يعود عليه بفائدة ويعرضه للعار، وغضب الجبار؟

(٢) هذا الذي يعدده جانب من جوانب فوائد الزواج والزوجة المباركة لكن فوائد ومزايا وفضائل المرأة الصالحة المباركة لا تعد ولا تحصى فهي من نعم الله تعالى التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ فهي نعمة واحدة من نعم الله تعالى التي لا يمكن أن يعد الإنسان فضائلها ولا جوانب الخير فيها فمهما قلت في فضل الزوجة فلن أبني هذا الفضل وهذه النعمة حقها وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فقال: بأن حسنة الدنيا هي الزوجة الصالحة.

وهذا الأمير وصال مشكور الخصال، قد رغب في الاتصال بالبت المصونة، والذرة المكنونة، ضبة بنت مفتاح، على ما أصدقها في هذا النكاح، وهي مائة معجلة، وأربعة موحلة.

قل: قبلت هذا النكاح بهذا الصداق عصمك الله تعالى من الفراق والطلاق. فيقول / [٤٤/١] قبلت، ولبس ما عملت. فعندها تطلق أم رشيد البحور، وترش الماورد على الحضور.

فيقول الأمير وصال: لا بد من تدبير المال، وتجهيز الحال، على أي الليلة أجوع من زنبور<sup>(١)</sup>، وأفلس من طنبور. وينشد:

انظر جعلها هي حسنة الدنيا كلها فقد فضلها على المال وعلى الأولاد وعلى الصحة، وعلى كل شيء بعد الدين، نعم معه حق ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو متجاهل لحق المرأة أو الزوجة، وصدق من قال: هن مصاييح البيوت بل أقول: إن صلحن فهن مصاييح الدنيا.

(١) قال الدميري في حياة الحيوان في الزنبور: الذنبور: الدبر، وهي تؤنث، والزبابير لغة فيها. وربما سميت النحلة زنبوراً، والجمع زبابير. قال ابن قالوية في كتاب «ليس»: ليس أحد سمعته يذكر كلمة «الزنبور» إلا أبا عمرو الزاهد فإنه قال: كنيته أبو علي. وهو صنفان: جبلي وسهلي. فالجبالي: يأوي الجبال، ويعش في الشجر، ولونه إلى السواد، وبدء خلقه رودة، ثم يصير كذلك، ويستخذ بيوتاً من تراب كبيوت النحل، ويجعل لبيته أربعة أبواب لمهب الرياح الأربع، وله حمة يلسع بها، وغذاؤه من الثمار والأزهار، ويتميز ذكورها بكبر الجثة. والسهلي: لونه أحمر، ويتخذ عشه تحت الأرض ويخرج منه التراب كما يفعل النمل، ويختفي في الشتاء؛ لأنه متى ظهر فيه هلك، فهو ينام من البرد طول الشتاء كالمنمة.

ولا يدخر الفسوت للشتاء بخلاف النمل، فإذا جاء الربيع، وقد صارت الزبابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس تفخ الله تعالى في تلك الجثث الحياة فتعيش مثل العام الأول، وذلك دائماً. ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد في طبعه الحرص والشره يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم، ويطير منفرداً ويسكن بطن الأرض والجدران.

وهذا الحيوان بأسره مقسوم من وسطه، ولذلك فهو لا يتنفس من جوفه أليئة، ومتى غمس في الدهن سكنت حركته، وإنما ذلك لضيف منافذه، فإذا طرح في الخل عاش وطار... وقد أجاد الشيخ زهير الدين بن عسكر قاضي السلامة بقوله:

في زخرف القول تزيين لباطله	والحق قد يعتريه سوء تغيير
تقول: هذا بحاج النحل مدحه	وإن ذمت فقل: قبيء الزبابير
مدحاً وذمماً وما غيرت من صفة	سحر البيان يري الظلماء كائنور

أَمْسَيْتُ أَفْلَسَ مِنْ يَرْوَحُ وَيَقْتَدِي  
وَفِي مَسْنَدِي لَمْ يَحْوَ عَيْرِي قَاعِدًا  
لَمْ يَبْقَ فِيهِ سِوَى رَسُومِ حَصِيرَةٍ  
مَلَقَى عَلَى طَرَاخَةِ مَحْشُوءَةٍ قَمَلًا  
وَالْبَقَى أَمْثَالُ الصَّرَاصِيرِ خَلْفَهُ  
يَجْعَلُنَ جَسْمِي وَارِمًا فَتَحَالَهُ  
وَتَرَى بَرَاغِيثًا بِجَسْمِي عُلِقَتْ  
وَكَيْذَا الْبَعُوضُ يَطِيرُ بِرَيْسِهِ  
وَالْفَسَارُ يَرْكُضُ كَالْخَيُْولِ تَسَابَقَتْ  
يَأْكُلْنَ أَخْشَابَ السَّقُوفِ شَبِيهَ  
وَتَرَى الْخَنَافِسَ كَالزَّنُوجِ تَصَفَفَتْ  
دَهْمٌ إِذَا طَرَدَتْ أَرْتَكُ لِلْجَاحِجَةِ  
وَلَرُبَّمَا اقْتَرَنْتَ بِصَفَرٍ عَقَارِبَ  
وَيَقِيمُ لِي عِنْدَ الْمَسَاءِ زَبَانِهَا  
هَذَا وَكَمْ مِنْ نَاشِرٍ طَاوِي الْحَشَا  
وَكَذَلِكَ الْجَرْدُونَ صَوْتُ مِثْلِهِ  
وَكَأَنَّ نَسِيجَ الْعَنْكَبُوتِ وَيِئْتُهُ  
وَكَأَنَّمَا السَّزَنْبُورُ الْبَيْسُ حُلَّةُ  
وَإِذَا رَأَى الْخَفَاشَ ضَوْءَ دُنَالَةٍ  
حَشَرَاتٍ بِمِيتِي لَوْ تَلَقَّتْ عَسْكَرًا  
مَا فِي يَدِي مِنْ فَاقِنِي إِلَّا يَدِي  
فَإِذَا أَرَقَدْتَ رَقَدْتَ غَيْرَ مُمَدَّدٍ  
وَمُخْدَةٍ كَانَتْ / [٤٤/ب] لَأَمِ الْمَهْتَدِي  
شَبِيهَ السَّمْسَمِ الْمَتَسَبِّدِ  
مِنْ مَنَّهُمْ فِي حَشْوِهَا أَوْ مِنْجِدِ  
مِنْ قَرَصِهَا بِهِ كَلِوْنِ الْمُجَلَّدِ  
مِثْلُ الْمُحَاجِمِ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الْغَدِ  
فَإِذَا تَمَكَّنَ / [٤٥/أ] فَوْقَ عَرَقٍ بِقَصْدِ  
مَنْ كُلِّ جَرْدَاءِ الْأَدِيمِ وَأَجْرَدِ  
فَارَاتِ السَّنَجَارَةِ إِذْ حُدِّدَتْ بِمَرْدِ  
مَنْ كُلِّ سَوْدٍ أَدَهْمَسِي أَسْوَدِ  
فِي طَسْرَدِهَا، وَالْوَيْلُ إِنْ لَمْ تَطْسُرْدِ  
فِتَالَةٍ مِثْلِ / [٤٥/ب] الْحَمَامِ الرُّكَّدِ  
فَأَرَاهُ وَهُوَ كَوَاصِعِ الْمَتَشَهَّدِ  
يَسْبُدُو شَبِيهَ الْقَاتِلِ الْمَسْوَدِ  
فِي مَسْمَعِي صَوْتُ الزَّنَادِ الْمَصْلَدِ  
شَعْرِيَّةٌ مِنْ فَوْقَ مَقْلَةٍ أَرْمَدِ  
مَوْشِيَّةٌ أَعْلَامُهَا / [٤٦/أ] بِالْمَسْجَدِ  
عِنْدِي أَضْرَ بِضَوْنِهَا الْمَتَوَقَّدِ  
وَلَوْ عَلَى الْأَعْقَابِ غَيْرَ مُرَدَّدِي

قلت: ويبدو أن المثل المراد به أنه أجوع من زنبور لأنه يعيش الشتاء كله بلا طعام، وأفلس من طنبور حيث أنه لا يختزن طعاماً كالنمل.

هَذَا وَلِي ثُوب تَرَاه مَرْقَعاً      مِنْ كُل لَوْن مِثْل رِيْشِ الْهَدْمِ  
لَوْلَا الشَّقَاوَةُ مَا وَلَدْتَ وَلَيْتَنِي      إِذْ كَانَ حَظِّي هَكَذَا لَمْ أُولَدْ  
وَلَكَيْفَ أَرْضَى بِالْحَيَاةِ وَلَيْتَنِي      اسْمُو وَحَظِّي فِي / [٤٦/ب] الْحُضِيضِ الْأَوْهَدِ<sup>(١)</sup>

(١) ما أظرف هذا الشاعر وأجمله وإن كان يعني حظه بهذا الأسلوب الجميل الجذاب ويصف بيته هذه الأوصاف المهلكة الظرفية الوصف، لله در نصر الدين الحمامي المصري المتوفى سنة (٧١٢) هـ وقد وصف بيته ذاماً له كصحبنا هذا فقال:

دَارْ خِرَابٍ هَا قَدْ نَسَزْتُ      وَلَكِنْ نَسَزْتُ إِلَى السَّابِعَةِ  
طَرِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ مَسْلُوكَةٍ      مَحْجَتَهَا لِلْمُورَى شَاسِعَةٍ  
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ أَنِي أَكُونُ      هَا أَوْ أَكُونُ عَلَى الْقَارَعَةِ  
تَسَاوَرَهَا هَفَاوَاتُ النَّسِيمِ      فَتَصْفِي بِأَلَا أذن سَامِعَةٍ  
وَأَخْشَى هَا أَنْ أَقِيمَ الصَّلَاةَ      فَتَسْجِدَ حَبِيطَانَهَا الْفَرَاكَةِ  
إِذَا مَا قَرَأْتُ: (إِذَا زُلْزِلَتْ)      خَشِيتُ بِأَنْ تَقْرَأَ (الْوَاقِعَةِ)

وعلى غرار هذا الشعر قول علي بن محمود المبارك المتوفى سنة (٦٩٢) هـ إذ يقول في ذم داره:

دَارْ سَكَنْتُ هَا أَقْلَ صَفَاتِهَا      أَنْ تَكْثُرَ الْحَشَرَاتُ فِي جَنَابَاتِهَا  
الْخَيْرِ عَنْهَا نَازِحٌ مَتَبَاعِدُ      وَالشَّرِّ دَانٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا  
مِنْ بَعْضِ مَا فِيهَا السَّبْعُوسُ عَدَمَتُهُ      كَمْ أَعْدَمَ الْأَحْفَانُ طَبِيبَ سَبَاتِهَا  
زَنَابِيرُ تَسْعِدُهَا بِرَاغِيْثٍ مَتَى      غَنَّتْ لَهَا رَقِصَتُ عَلَى نَغْمَاتِهَا  
رَقِصٌ يَتَنَغِّصُ وَلَكِنْ فَاقَهُ      قَدْ قَدِمْتُ فِيهِ عَلَى أَخْوَاتِهَا  
وَهَا ذُبَابٌ كَالضَّبَابِ يَسُدُّ عَيْنَ      الشَّمْسِ مَا طَرَبِي سَوَى عُثَانَتِهَا  
أَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْفَنَاءِ مِنْ فَتْكِهَا      فَبِنَا وَأَيْنَ الْأُنْدُ مِنْ وَثْبَاتِهَا  
وَهَا خَفَانِيْشُ تَطِيرُ نَهَارَهَا      مَعَ لَيْلِهَا لَيْسَتْ عَلَى عَادَاتِهَا  
فَاقَتْ عَلَى سُرِّ الْفَنَاءِ      فَاعْجَبْ لَشِدَّةِ فَتْكِهَا وَثْبَاتِهَا  
وَهَا مِنَ الْجُرْدَانِ مَا قَدْ قَصُرَتْ      عَنْهُ الْعَتَاقُ الْجُرْدُ فِي حِمْلَاتِهَا  
وَلَهَا زَنَابِيرُ تَنْظُنُّ عَقَارِباً      لَا بَرَاءَ لِلْمَسْمُومِ مِنْ لِدَغَاتِهَا

فيقول طيف الخيال: يا أمير وصال، عهدتك: ذا مال، وجمال، وخيل، وبغال.  
 فيقول الأمير وصال: مال المال وحال الوحال، وذهب الذهب، وفضت القضة،  
 وسُلب السلب، وقرغت الكأس، بطون الأكياس، وبغت العفار في رشف العفار، وأما  
 فرس فقد أفر يد الأسقام، وأخلقت جدته مرور الأيام حتى بكيته بكاء عروة بن حزام<sup>(١)</sup>،

ولها عقارب كالأقارب رُتغ فينا حاننا الله لدغ حُماتها

كم هي طريقة الفكاهة فالمسلم لابد أن يأخذ حظة من الفكاهة حتى يدخل على العبادة وهو  
 سعيد النفس قدير العين قد أخذ حظه من الدنيا فيقبل على آخرته لينال قسطاً منها وافرأ فتكون  
 حياته ذات جناحين لا يطغى هذا على هذا ويحقق قول الله تعالى ﴿وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا  
 وَأَخْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فما المانع أن يدخل على أخيه السرور كما سر هو؟

(١) هو: عروة بن حزام بن مالك، أبو سعيد، العذري. ذكره محمد بن حبيب في كثر الشعراء ومن  
 غلبت كمنبته على اسمه بتحقيقي مع كتاب أسماء المغتالين (ت: ١٤٠)، وعلقت عليه هاشمه بقولي:  
 ذكره ابن حزم في «الجمهرة» (ص: ٤٤٩) في ذكره لبني غذرة بن سعد هُذَيْم،... وعروة بن  
 حزام بن مالك قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص: ١٤٥): هو من غذرة، وهو أحد عشاق  
 العرب المشهورين بذلك، وصاحبه عفراء، وكان قد نشأ معاً فسأل عمه أن يزوجه منه فكان  
 يسوفه إلى أن خرج في غير لأهله إلى الشام وخطب عفراء، فقالوا: ويحك ما ترك ذكر عفراء على  
 حال من الأحوال فلم يرع إلا بمعرفتها فبقي واقفاً لا بغير كلاماً حتى فقدها، فقال:

وإني لتعروني لذكرك روعة لها بين جلدي والعظام دسب

ومما هو إلا أن أراها فجاءة فأهت حتى ما أكاد أجيب

وأصرف عن رأبي الذي كنت أرتمي وأشي الذي عدت حين تغيب

ويظهر قلبي عذرها ويمينا عليّ فما لي في القسود نصيب

وقد علمت نفسي مكان شفائها فريباً وهل ما لا ينال قريب

لئن كان برد الماء أبيض صافياً إليّ جيئاً أنها لحبيب

ثم أحذه الهلاس حتى لم يبق منه شيئاً، فقال قوم هو مسحور. وقال آخرون به جنة وكان بالإمامة  
 طيبس يقال له: سالم فصار إليه ومعه أهله فجعل يسقيه الدواء فلا ينفعه، فخرجوا به إلى طيب  
 بحجر فلم ينفع بعلاجه، فقال:

جعلت لعرف اليمامة حكمة وعرف حجر إن ما شغباني

فما تركا من حيلة يعلمانها ولا سلوة إلا بها سفتاني



لأنه انتشر ذنبه وانتشر عصبه وكاد يسقط من ضعف قواه يحمل/[٤٧/أ] المقود والمخللاه، وأصبح السائس لا يقيمه من الزبل إلا كما يقيم المصاب، ولا يعرف مكانه لكثرة الألام والأوصاب، إن حزمه حزم طن قصب، وإن حسه فلا يرى إلا رأساً وذنباً، وإن مشى ارتعش وارتعش من المشش<sup>(١)</sup>، وما أبرحت تجري دموعه، وتنحي على الألم ضلوعه، حتى عميت عيناه، واصطكت يدها، فنظره المملول متأملاً، وأنشد مُتمثلاً:

قد كَمَّلَ اللهُ يردوني بمَقْصَةٍ      وشأنه بعد/[٤٧/ب] ما أعماه  
أسير مثل أسير وهو يعرج بي      كأنه ماش ينحط من درج  
فلن رماني على ما فيه من عرج      فما عليه إذا مات من حرج  
ولما مات هذا السيب، وضع قرآن الشمس للذنب، وعُد من رميم الخيل والبغال،

=

فقالا شفاك الله والله مالنا      بما حملت منك الضلوع يبدان  
وفها يقول:

ألا يا غرابي دمية الدار خُبراً      أبا اليبين من عقراء تتحبان  
فإن كان حقاً ما تقولان فانهضاً      بلحمي إلي وكريكما فكلاني  
قال النعمان بن بشير: بعثني معاوية مصداً على بني عذرة فصدقتهم، ثم أقبلت راجعاً فإذا أنا ببيت مفرد ليس فربه أحد، وإذا رجل بفنائه لم يبق منه إلا عظم وجلد فلما سمع وجي ترم بقوله:  
وعينان ما أوفيت نشرأ فتفظرا      بما فيها ألا مما تكفيان  
كأن فطاة علقّت بجناحها      على كبدي من شدة الخفقان  
قال: وإذا أخواته حوله أمثال الدمي فنظر في وجوههن، ثم قال:

من كان من أحوالي باكياً أبداً      فالسيوم لي أراي اليوم مقبوضاً  
يسمعني فإني غير سامعه      إذا علوت رقاب الناس معروضاً  
قال: فبرزن والله يضربن وجوههن، ويتنفن شعورهن، فلم أبرح حتى قضى فتيات من أمره ودفتنه.

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة مشش: المشش: ورم يأخذ في مقدم عظم الرضيف أو باطن الساق في نسبه، وقد مَشَّيت الدابة بإظهار التضعيف نادراً. قال الأحمر: وليس في الكلام مثله وقال غيره: ضَبَّ المكان إذا كثر ضبابه، وأَلَّل السقاء إذا خبث ريحه. قلت: والمراد أنه أصبح لا يقدر على المشي من شدة الضعف.

بزرمر يوم المقر الصاحبي، ضاعف الله فخره، وأطلع بالسعادة فجره أن أعرض عنه بما هو خير منه فقلت:

/[٤٨/أ] أيا وزيراً أعيذُ منصبه  
والماجد الفجر ذا الفخار ومن  
أصغ لشأني فإنه عجب  
دع ما حكوه عن وقعه القُرس  
برزون سوءٍ والناس تعرفه  
وكاع فيه البطار من صكك  
/ [٤٨/ب] ذو قرة في يديه من مَشَشٍ  
ومن خُنَانٍ<sup>(٢)</sup> قد فاح أو جرَدَ  
أرشل<sup>(٣)</sup> لكن يشينه مَعَلٌ<sup>(٤)</sup>  
مكلل الجيد والمسامع والذَّيل  
بُرَنس من كثرة الذباب إلى أن / [٤٩/أ]  
/ [٤٩/ب] وربما أوحلته بولته  
وهو إذا ما أغفلته  
هَذَا ولم أنس طبلخانسته  
تولمه من خطاسه بولته  
من كل عين بآية الكرسي  
حُلِّي بالفخار بحده وكسي  
وإن يكن ما أقول من هوسي  
بالأمس وخذ سرج وقعة القُرس  
ذا عرج بل أصم ذا خرس  
وضلة قد سعت على دحس  
أو كم في يديه أو فقس<sup>(١)</sup>  
أو جرب كالرسوم مندرس  
أسعى كثير الرياك<sup>(٢)</sup> ذو دَحَس<sup>(٣)</sup>  
بحمسر القفراد كالعُرس  
ظلمته معسثر من الشمس  
وإن يَسْبُل في التراب بنغرس  
كسر السرج لفرط التمرغ في الغلس  
تجيء بريح ولا فسا العُرس  
بين يدي في الطريق أو يسبس

(١) الفقس: نوع من التشنج.

(٢) الخنّان: داء يأخذ في الأنف (لسان).

(٣) السريك: ريكتان من القُرس: زنتان خارجة أطرافهما عن طرف الكند، وأصولهما مُثَبَّتة في أعلى الكند الواحدة منها ديكه (لسان).

(٤) الدَحَس: داء يأخذ في قوائم الدابة، وهو ورم يكون في أطرة حافر الدابة... وفرس دَحَس: به عيب (لسان).

(٥) أي سريع. (لسان).

(٦) به وجع في بطنه. (لسان).

/[١/٥٠] يجفل حتى من الشعير  
إذا رآه كلب غدا  
تحسبه جيفة، وحسبك  
وهو على هذه المعايير ذو خلق  
قالوا: أرحه فالركض ينحسه  
/[٥٠/ب] يتلو قواه والنازعات  
يعجز عن حمل تينة فإذا رأى  
حوى جميع الأمراض قاطبة  
فأنعم بتغييره على فلي وعد  
وانني ذلك الملى بشكر ربك  
/[٥١/ب] فلما رفعت إليه قصتي وقراها، وفهم مضمونها ومعناها، حباني بطرف  
يسبق الطرف يكاد أن يفوت مطامح بصره، وأن يقع من خفته على أثره، فأذهلني حسنه  
وحسن مهديه، فقلت: هذه القصيدة:

هل في الكرام لنيل كل طلاب  
فخر تفاخر بالجياد لدى الوغي  
أي كميت قد غدا في غرة  
أو أدهم قرن الحجول بغرة  
وكانما خلل السواد بجسمه  
أو سرق قد راق العيون بمنظر  
ذو أربع مثل الرماح تحملت  
عرف كعرف الأيل<sup>(١)</sup> تحت حمامه

مثل الوزير الصاحب الوهاب  
والجود وهي كريمة الأنساب  
مثل الكميت الصرف/[٥٢/أ] ذات  
كالصح في ذيل الدجى المنجاب  
فوق البياض قصيرة الأهداب  
كالبدر يبدو من خلال سحاب  
سرجاً وردفاً كالأشيب الراي  
ركبت لميل في/[٥٢/ب] متون سحابي

(١) قال السدميري في حياة الحيوان عن الأيل (١٧٦/١): ذكر الأوعال، والأيل لغة فيه، ويقال: هو الذي يسمى بالفارسية كوزن، وأكثر أحواله شبه بقر الوحش، وهو إذا خاف من الصياد يرمي نفسه من رأس الجبل، ولا يتضرر من ذلك. وعدد سني عمره عدد العقد التي في قرنه.

متناسب في الملك منسوب إلى      أبناء أعرج أو إلى السجواب  
أو لاحق أو ذي الرسوم      ورامل وحزيمة والورد والأعراب  
لا بل أجل من السُمَيْذَع مَحْتَدَا      أو ذو العقسال وقردلٍ وطلاب  
وابن النعمامة والقريظ وحرمل      وغزارة أو نخلسة وغراب  
والجود والمطال واليعسوب      والطيار والخطار [٥٣/١] بل وسكاب  
وقسام واليحموم والدرهاء      والشقراء والغبراء بعد نصاب  
نمير زاد المركب حسن شبابه      ويفوق وصف عرادة الأعراب  
بل طرف مولانا الوزير؛ لأنه      أضحي حرّاً تحت هذه الألقاب  
قمر حوافره تُرِيك أهلةً      وتخاله في البر لمع سراب  
فيقول طيف الخيال: أعريت، فأعربت [٥٣/ب] وعُبرت فاستعبرت، فأين هذه  
الأفراس؟ ولمن كانت من الناس؟

فيقول: أما الأعواج فهو فرس لبني هلال، ذكره ابن دريد<sup>(١)</sup> كان قيّداً لأوابد الصيد  
من بنات زاد الراكب. والبوات: لمضر. واللاحق: لعمر بن أعصر بن غيلان. ودواء  
الوسوم: لبني تميم. وزامل: لمرواس بن معاوية. وعميرة: لشيطان بن مديح. والورد: فرس

وإذا لسعته الحية أكل السرطان، ويصادق السمك فهو يمشي إلى الساحل ليري السمك، والسمك  
يفسب من البر ليراه، والصيادون يعرفون هذا فيلبسون جلده ليصدهم السمك فيصيدوا منه. وهو  
مولع بأكل الحيات يطلبها حيث وجدها، وربما لسعته فتسيل دموعه إلى نفرتين تحت عاجر عينه  
يسدخل الدمع فيهما فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع، فتتخذ دريافاً لسم الحيات. وموطنه:  
الهند والسند وفارس.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩٦/١٥): ابن دريد: هو: العلامة شيخ الأدب أبو بكر  
محمد بن الحسن بن دُرَيْد بن عثاية، الأزدي، البصري، صاحب التصانيف تنقل إلى فارس، وجزائر  
البحر، يطلب الآداب، ولسان العرب، ففاق أهل زمانه، ثم سكن بغداد وكان أبوه رئيساً متمولاً،  
ولأبي بكر شعر جيد... قال أحمد بن يوسف الأزرق: ما رأيت أحفظ من ابن دُرَيْد ولا رأته قرئ  
عليه ديوان قط إلا وهو يسابق إلى روايته يحفظ ذلك.

قلت: كان آية من الآيات في قوة الحفظ... قال أبو بكر الأسدي: كان يقال ابن دريد أعلم  
الشعراء، وأشعر العلماء.

توفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وله ثمان وتسعون سنة. عفا الله عنه.

عامر بن طفيل. والأعراب: فرس عبّاد بن زياد. والسميدع: فرس البراء بن غالب. ودواء العقال: من أولاد أعوج بن تعلبة. وفردل: لطفيل بن مالك / [٥٤/ أ] بن أوس. وابن النعامة: لعنترة<sup>(١)</sup>.

فإذا أردت تحقيق هذا النسب، فطالع في كتاب «المبتكر» لابن دريد في أسماء العرب فما هو إلا أن يراه معي، ويعلم إفلاسي وطمعي، وعرف أنه من الأصايل العناق، وأن عليه يدرك الثأر أيام السباق، فيبذل لي فيه ما لم يكن في ظني، وأقبضني الثمن وتسلمه مني فعسدت بهذا الرأي النحيس، أحير من حامل التيس<sup>(٢)</sup>، وعملت برأي دبير واستملائي الشيخ حجير، فتعرضت عنه بركوب الفرائش / [٥٤/ ب] وألقيت نفسي للهوان في نار الفرائش، وتخصّصت بركوب الأكفال واحتفلت بذلك غاية الاحتفال، وجلت عليها جسولان الفارسي بعيان الحصا، ولعبت بحوكان الأير في الحُصا إلى أن خلا كيسي من المال، ورآني المعشوق كذلك فصداً عني ومال، فرفضت صحبة المردان، وملت إلى معاشرّة النسوان لعلمي أن المرأة كلها رذاد، وهي قسمتي في الالتذاذ فعليك بالخلال، يا سيدي طيف الخيال، اتخذني عبدك، وأقرضني / [٥٥/ أ] شيئاً من عندك قال: فيضطر له طيف الخيال، ويقول: والله العظيم، لي ثلاثة أيام ما استطعمت بطعام، وامتحني، وأدخل لسانك في استي فليس تلقى غير سُرم<sup>(٣)</sup> نظيف.

(١) وبعد ذكره لأساء الخيول ونسبها إلى أسماء أصحابها وسواء كانت هذه الأسماء حقيقية أم من طيف خياله إلا أنه ذكر زاد الراكب هذا تعبير يطلق على جماعة من العرب ذكر بعضهم ابن حبيب في البحر (ص ١٦٠) بتحقيقي فقال:

أزواد الركب: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي، ومسافر بن أبي عمرو ابن أمية، وأبو أمية بن المقبرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وزمعة بن السود بن المطلب بن أسد. قلت: وهم قوم كان من صحبهم في سفر لا يحمل معه زاد لتكفلهم بالنفقة على من ركب معهم مهما كان عددهم أو غناهم.

(٢) قوله أحير من حامل التيس: هو مثل عربي يضرب لمن التبست عليه الأمور واختلفت عليه الأشياء ومن تلك الأمثال قولهم:

أحير من برغوث. وأحير من بقية في حقة. وأحير من صب. وأحير من الطير في الشبكة. وأحير من الليل. وأحير من ورل. وأحير من يد في رحم. وغير ذلك كثير، وأنا دائماً أقول: أحير من انقار في البلاص (والبلاص) هو وعاء فخار مخروطي الشكل يستعمله أهل صعيد مصر في حفظ العسل الأسود.

(٣) السُرم: فتحه الدبر، وفي لسان في مادة سَرمَ: روى الأزهري عن ابن الأعرابي: أنه سمع أعرابياً

فيقول الأمير وصال: ما فعلت بقماشك؟ وأين أناثك ورياشك؟ فيتنفس صعداً وينشد عند ذلك ويقول:

لم يبق عندي ما يباع ويشترى	إلا حصيراً قد تساوى بالثرى
وبقية السنطع الذي عبثت به	أيدي البلا [٥٥/ب] حتى تقطع وانهرى
نطع يريق دمسي بكثرة بقه	وتراه طوراً أسوداً أو أحمرأ
في منزل كالقبر قد شاهدت فيه	نكير يلقاني ومنكسراً
لو لم يكن قبراً لما أميت نسياً	فسيه حتى أنني لم أذكرأ
فالقبر أهني منزلاً إذ لم أكن	مع طيب مسكنه أطالب بالكرأ
لا فرق بين ذوي القبور وبين	من لا رزق يرزقه [٥٦/أ] سوى العيش
أف الغمر صار في ريعانه	مثل يود بأن يموت ويُقبرأ <sup>(١)</sup>
ولرب قاتلة أما من دخله	تغدو وقد أعسرت منها مؤسراً
شرف الهلال كماله في سيره	والماء أعذب ما يكون إذا جرى
كم مدبر لما تحرك عنده	بعد السكون ذوو العقول مدبرأ

يقول: اللهم ارزقني ضرساً طحوناً، ومعدة هضوماً، وسرماً ثوراً.. وقال الجوهري: السرُّم: مخرج النُّقل، وهو طرف المعى المستقيم. كلمة مولدة. وفي حديث علي: لا يذهب أمر هذه الأمة إلا على رجل واسع السرُّم ضخم البلعوم. السرُّم: الدبر، والبلعوم: الحلق.  
قال ابن الأثير: يريد رجلاً ضخماً شديداً.... قال: ويجوز أنه يريد به: أنه كثير التبذير والإسراف في الأموال والدماء، فوصفه بسعة المدخل والمخرج.

(١) رغم ما في هذه الأبيات من الأسى والحزن وشدة الشكاية وسوء الحال إلا أنه فيها من الوصف ما يعجز عن وصف مثله إلا القليل من الشعراء حيث وصف بيته بالقبر بل وفضل حال القبر على حال بيته ومع ذلك فهو فيه على ما يزعمون حياً يرزق فأين هي الحياة؟ وأين هو الرزق في هذه الحالة التي يصفها؟

إن الشعر حقاً لشديد التعبير عما يجيش في أنفس الناس، وإن منه فعلاً لحكمة، وأن منه لسحراً، ولياناً.

ثم يستمر في سرد قصيدته الهزلية الفكاهية الضاحكة الباكية على هذا النحو السالف من التهكم والشكوى والاستهزاء.

فأجبتها: سيرى ومكني واحد  
 إن المدائن وهي أوسع بقعة  
 بالله قد فقد السماح وأصبحت  
 ولقد سألت عن الكرام فلم أجد  
 حتى كان حديث كل أخ  
 إن كان حقاً ما يقال فإنهم  
 لم يُبني عندهم حديثاً طيباً  
 ومن المصيبة أن رزقي بينهم  
 فلئن ذممتهم لا يرعوي  
 فلاصبرن على الزمان وإنسي  
 فيقول الأمير وصال: حاشاك من هذا [٥٧/ب] الكلام، وحفظ الله كل من  
 حوى هذا المقام، من هؤلاء السادة الكرام، إلا أنني ما قدمت على زواجي إلا بعد  
 ضروري واحتياجي، إلا هرباً من القحاب، ووثوقاً بكرم الأصحاب، فاسمع شرح حالتي  
 وأعجب من مقالتي، ويقول:

قد تجاسر إذ كتبت كستابي  
 واستخرت الإله في طلب الحل  
 / [٥٨/أ] وأنفت الرقاد وحدي  
 لا أرى لي إذا خلوت أنيساً  
 طمعاً في مكارم الأصحاب<sup>(١)</sup>  
 رجاء له جزيل الثواب  
 وأنفسي وسط ثقي مطوقاً كالكلاب  
 في طعامي كلا ولا في شرابي

(١) هذا البيت بيت قوي حقاً يضاهيه قول القائل:

ذهب الذين يعاش في أكناهم وبقيت لي خلف كجلد الأجر

ويوافقه قول من قال إن المستحيلات أربعة: الخلل الوفي، والعناء، والقول، والقبل الأبيض ففي  
 غياب الخلل الوفي والصاحب المخلص تكون الحياة قائمة على النفاق فإن نصحت إنما تنصح من لا  
 يسمع، وإن شكرت شكرت من لا يستحق إلا الذم والقبح لا المدح (إلا أنك لا تضطرك نقول:  
 «دارهم ما دمت في دارهم» أو «أرضهم ما دمت في أرضهم». وهكذا قال كل مخلص بين من لا  
 يعرف الحق أو العدل أو المروءة أو الفضيلة.

ولو أني غَصِصْتُ في البيت وحدي  
لي عدو يقوم مني بلا رجل  
باكياً كالصاب أبكي عليه  
كل يوم أبكيه جليداً عليه  
طالما بت في السماعات إلا  
ولعمري قد كنت أتمس الدُّبُّ  
مثل درج وإبرة، وخيوط  
وعشقت الصغار، ثم تصاغرت  
كل ظلي يميت عاشقه بُكراً  
وصهرت في الحراف إلى  
ثم قامرت بينهم بنوى التمر  
ولعب الحمام فيهم فكم حَزْتُ  
كنت كالقار في فسادي فما أبرح  
ولقد كنت قبل ذلك مُفَرَّاً  
كم مرام فهمته حين وافت  
فوعدت الجواب سرّاً وأوعدت  
وتقنعت كالنساء وتأزرت  
ثم وافيتها عشاءً فقالت:

مِتُّ صبراً وما درى الناس ما بي  
شبيهه اغمير المراتب  
وعناء إصلاح حالي المصاب  
وعلى تلكم الأمور الصُّعَاب  
لقبوني باللائط السداب  
وآلاته معي في جسرابي  
ومقصي وبيضة وتراب<sup>(١)</sup>  
إلى أن رجعت في الكتاب  
إذا ما سقاه خمر الرصاب  
أن صرت فيه إمام لعب الكعاب  
وبالذِّك تسارة والطباب  
بصيد من طائسر قلاب  
فسيهم أدور في الأثقاب  
بكسابات عاهرات القحاب  
مع رسول بيضة وسداب  
أن أزور الحبيب بعد الغياب  
وغطيت لحيتي بنقابي  
هذه بنت جارتنا القصاب

(١) ما عدت من آلات أو أدوات إنما هي من الأدوات التي يستخدمها الدباب ليستعين بها في دبه على فريسته لئلا؛ فالجرب هو الوعاء الذي يحتوي على جمع أدوات الدب والدرج هو العلبة التي يحتفظ فيها الدباب بأدواته الدقيقة كالإبرة وغيرها، والإبرة هي بمثابة الدبوس الذي يشبك به السداب بينه وبين المدب عليه، والخيوط هو ما يبتدي به المدب إليه في ظلمة الليل والمقص هو ما يفرض به نوبه أو سرواله عند الفعل، والتراب هو ما يختبر به ما إذا كان قد نام أم لا، أو لينقلب المرء بنثره عليه على وجهه أو على جنبه إن كان نائماً على ظهره.



[٦٠/١] خاصموها وقد اتني عَضْباً  
لا تخافني أنا وأنتِ جميعاً  
فتراني حتى الصباح علي ما  
وتزوجت بالمخانيث أيضاً  
كل ذي الحية تخف إلى الخلق  
كل يوم يبدي عذراً جديداً  
يألف الذنن ثم يبلغ من أسفله  
كنت في حضنه مقيماً وقد كان  
فادعى الحمل من خراه وأبدي  
فأنه جمع المخانيث صباحاً  
وتلقوا خراه في خرق الخرا  
ثم وانفوا به إليّ وقد كاد  
ولقد كان يعتريني إنعاضي  
وأرى أن ذاك أسلم عقيبي  
وتراني إليهم أعلّسى  
ونكحت الكلاب أيضاً ولكن

ويك لا تقعدي على الأعتاب<sup>(١)</sup>  
دون روعي ننام خلف الحجاب  
أرتجي فيه توبة التواب  
بأولي الشيب منهم والشباب  
نصابي في غير وقت التصابي  
مستعاراً بصيغة وخضابي  
الأيسر فهو كالحراب  
طعامي من ذلك الاكتساب  
ألم الطلق كالنساء بانتحابي  
ثم غبوا له كلّوس الشراب  
ولفوه بعد في العنابي  
ينادي مما حكاني يا آبي  
فأعشى الأتبان بين الدواب<sup>(٢)</sup>  
للفتي في القُود والاقتراب  
بعد ربط الأحجار في الأذئاب  
في الفواخير تحت تلك القباب [٦١/ب]

(١) من الملاحظ أن صاحب طيف الخيال يذهب في خياله إلى إعادة من حاد عن الطريق المستقيم إلى جادة الطريق مع اعترافه بما كان قد اقترفه ليبين أن تلك السبيل معروفة لدى المؤلف وإن كان القارئ غافلاً عنها أو لا ينتبه إليها. فهو يقرأ له ناسياً أنه يعيش في طيف خيال المؤلف وكأنه يقرأ في قصة حقيقية يسردها المؤلف عليه من مدى حبك المؤلف لقصته الخيالية.

(٢) ثم بضم لحكاياته ما يفعله بعض الشواذ ممن يأتون الدواب كالحمير والبقر والغنم وغيرها من السدواب الأليقة، وهؤلاء قوم حقيقيون وإن كان سردهم في طيف خياله إلا أنه ربما كان يعرف أحد منهم أو حكى له عنهم فسرد ذلك ليبين لمن يعرف هذا الأمر لينتبه الناس إلى أموالهم ويعرف من يأتني ذلك في السر أن أمره يوماً ما سوف يفتضح فليحذر وليبادر بالتوبة قبل فوات الأوان.

غير أني قد كنت قصورت بُرْشاً  
 حَظِيراً عند ذاك كم كنت أتوقى  
 وإذا ما استبكت لم أرتج  
 وغشيت المناخ ليلاً  
 فتدليت خلفها وتعلقت  
 ولعمري لو لم تغب أسد الغاب  
 وطأت ما كان فيه أسر روح  
 لم يفتني فيه سوى عقرب دب  
 قسما بالمدام حين تجلست  
 بنت كرم كريمة الأم والأب  
 من رحيق مثل الحريق تسببت  
 وبمطر المززر التحين إذا ما  
 من توائي وواشني وحمصيص  
 واخضرار الحشيش يانعة اللون  
 / [١/٦٣] وبخصر شبيه رزقي دقيق  
 ما غشيت الدواب حتى رماني  
 والضرورات تلجئ المرء  
 وتراني إذا انقلب إليهم  
 مثل من قر من أذي الوكف  
 ثم صيرته لهسن في السرقاب  
 كل ناب في حدة غير ناب  
 غير ضربي لها على الأجناب  
 ونورت جمال الأعجام والأعرابي  
 بكفسي في عروة الأقتاب  
 لهويت وطء أسد الغاب  
 ذا حياة يدب فوق التراب  
 وزنسبور لَسَّاب  
 للندماء تسدور في الأكواب<sup>(١)</sup>  
 قد خبوها لعزها في الخواي / [٦٢/ب]  
 تتلأ في الماء ذات التهاب  
 كسروه لنا بكوم غراب  
 شهى في المنظر أو طبطب  
 تبدت في شامخات السروابي  
 ويردف شبيه جهلي رابي  
 كل خل بفرقة وعذاب  
 بالسرغم لما لا يلقي بالأداب  
 ذا ضلال وخيبة في انقلاب  
 في القُر إلى ماء مزراب

(١) على الرغم من هذا الفجور والجنون الذي يسوقه في هذه القصيدة فإنه أضاف إليه إشا أكبر منه ألا وهو إثم القسم بغير الله فإن هذا من الشرك وإن كان هازلاً أو مازحاً فعلى المرء أن يتنبه عندما يقسم، فلا يقسم بغير الله عز وجل، وعليه أن يتجنب الجنون والفجور قدر طاقته حتى يسلم في الدنيا والآخرة، وقسمه هنا بماذا إنه لا يقسم بغير الله وحسب بل بشيء مُحَرَّم.

أو كمن يستجير من لهب النار  
غير أنني قد تبعت إذ تبعت  
وانظروني إلى زمان قريب  
أي شيء ألدُّ من وصل خود  
لعبة من الكافور والمسك كنت  
ريقها يستنفع العليل وقد ينفع  
حبذا ظُرفها وقد هجع الناس  
قلت: هذه شمس يدور بها  
وإذا هللت رأيت هلالاً  
والسبه فرغت ثم تصدّيت  
شغلتي عن حب سُعدى ولبنى  
بالرمضاء في لظى شهرآب<sup>(١)</sup> / [٦٣/ب]  
لله فهو المهيمن السواب  
تجدوني قطباً من الأقطاب  
بشهود وعافل وكتاب  
أبصرتها فسال لعابي  
منها القليل في الأوصاب  
وقامت تسمنت باللباب  
ملك مولع بثقب السحاب  
طالعاً بين نسوة أتراب  
لزوم الصلاة والمحراب  
وفزار وزينب والهرباب<sup>(٢)</sup>

(١) هذا بيت يعارض به البيت المشهور الذي سار مسرى المثل القائل: «كالمستجير من الرمضاء بالنار». ثم أنه بعد أن ذكر من مضار هذه المعاصي ما ذكر أخذ بيد طيف الخيال إلى طريق الحق والرشاد والصواب ليعود به من متاهات المعاصي إلى سبيل الله وطريقه المستقيم فيظهر مزاجها هذا الطريق القويم الذي يأخذ بالإنسان إلى ربه ورضاه وسكون النفس وهدوئها واطمئنانها وسكبتها وراحتها واستقرارها فيعود كل شيء إلى نصابه وتنزّل الأمور، وتستقر الأحوال وتسير الحياة في خطها السوي الذي رسمه الله تعالى لها ولأهلها وينضحد الفساد وأهله ويستدير الزمان كهيئة يوم خلقه الله السموات والأرض، ويعود الإنسان إلى ربه ليكون مستقره في جنته ومستودع رضاه سبحانه ويفر من النار ومستودع غضبه عز وجل.

(٢) يريد أنه ينشغل بالخلال عن الحرام وإن كان غيرها في جمال من يضرب بين المثل في الحب: كسعدى، ولبنى وفزار، وزينب، والرباب وأشهرهن لبنى بنت الحباب الكعبية، وقد ترجم لها صاحب أعلام النساء ترجمة طويلة ومما قاله فيها: من ربّات الحسن والجمال كانت مدبرة القامة، شهلاء، حلوة المنظر والكلام، فاستقى قيس بن ذريح ماء من خيمة لبنى فسقته، وخرجت إليه به فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء، فقالت له: أتزل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم، فنزل بهم، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبن حر لا يطفأ فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروي.

ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها فسلم فظهرت له وردت سلامه ونحفت به فشكا إليها ما يجد وما يلقي من حبها، وشكت إليه مثل ذلك، فأطالت وعرف كل واحد منهما ما له عند

إن تعافيت فهي ذات انتقام وإن تشكيت فهي ذات انتحاب  
 فرعى الله من رأى ضعف حالي وحباني مساعداً في كتاب  
 وحماني من ارتكاب المعاصي وكفاني عذاب يوم الحساب  
 فلقد تسبت لا أرى لي شيئاً يستحق المزكاة غير نصاب  
 [١/٦٥] وهما أنا قد بسطت لكم يدي، وغادرتكم مقصدي. فتخرج أم رشيد  
 القوادة، وتقول: يا ولدي، وقع الفاس في الرأس<sup>(١)</sup>، فاعمل عمل الناس.

أما أنا فقد ودرت بالموادنات، وسرت في الشوارع مثل الضائعة، واطلعت من  
 الصامته ليلة الجمعة، فأكثري للجلال، ولو أنها عشرون شعة.

### وقد حكى:

زهر البستان، والمغنية الورد الطري الرئيان، والماشطة أم شهاب الدين الدمشقية،  
 والجلال في قاعة [٦٥/ب] المهتار في باب الترقية وأحمل في كُمك النقوط من الدراهم  
 والأنصاف والدنانير الخفاف، ولأ صفعونا بالذلاكس والخفاف. فيدخل ويخرج في زفة،

صاحبه، فأنصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها؟ فأبى عليه وقال: يا بني عليك  
 بإحدى بنات عمك فمن أحق بك، وكان ذريع كثير المال موسراً فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة.  
 ثم ساق القصة في استعانته بأمه على أبيه، وعدم جدوى ذلك، ثم استعانته بالإمام الحسين بن  
 علي بن أبي طالب. وبابن أبي عتيق ومعاوتتهما له حتى صارت زوجة له وعاشا مدة هائنين فيها  
 بالحب وراحة البال إلى أن جاء دور الحماة لتلعب لعبتها المعهودة من ذوات القسوة منهن وتغللهن  
 بأنفسه الأسباب للخلاص من زوجة الابن، وكانت علة أمه هي تأخر الإنجاب، وحدثت مشادة  
 طويلة بينه وبين أبيه في محاولة طلاقها منه وتسكبه بها وإصراره على عدم الزواج أو التسري عليها.  
 ثم كان ما كان من إصرار الأب على الهلاك بالشمس، وإصرار قيس على عدم الطلاق لخوف  
 هلاك محبوبته حزناً ووجداً عليه، ومكث الحال على ذلك عشر سنين إلى أن أرغمها على الطلاق  
 فكان المحذور، ثم كان من شأنهما ما كان من الحب والوجد والحياء والشعر الملحكة.

(١) هذا مثل عامي يسوفه الناس عندما يقع المحذور فيقولونه للتجلد والصبر والاحتمال على الواقع أو  
 الرضا به. فعلى من وقع فيما كان يحذر أن يحسن الخروج منه ولا يكثر اللوم لنفسه ولا لغيره  
 ولكن يفكر كيف يخرج مما هو فيه ولا يقول لو كان كذا لكان كذا، أو لقد كنت أقول لكم أن  
 هذا الأمر سيحدث ولكن يبحث عن مخرج لما صار فيه بأقل الخسائر أو بدونها، وهذه هي الحكمة  
 كما يقول المثل الآخر: لا تبتك على اللبن المسكوب، ولا تنزع حظك العاثر، ولكن كما قال المثل  
 الآخر: «اللي انكسر يتصلح»، وجد وخذ بالعزيمة.

وقدماه الشمع، والمغاني مصطفة، ومن خلفه التوقات والطبول، وهو راكب على فرس من أجمل الخيول.

ثم تخرج وتجلس بأدب وناموس، وتنزل المواشط لجلاء العروس، وتجلس عليه بالخلعة والشربوش، وتخطر مستورة الوجه بمنديل مذهب منقوش / [٦٦/١] فإذا كشفت عن وجهها الخمارية، تنهق نهيق الحمار، وشفائر كشفاقر الجمل، ولون كلون الجعجل<sup>(١)</sup>، أو أجفان مكحلة بالعمش<sup>(٢)</sup>، وخدود مضرجة بالبرش والنمش<sup>(٣)</sup>، وأسنان

(١) قال الديمري في حياة الحيوان في الجيم في الجعل: كصرد، ورطب، وجمعه جعلان بكسر الجيم وسكون العين، والناس يسمونه أبا جعلان، لأنه يجمع الجعر اليابس ويدخره في بيته. وهو دويبة معروفة تسمى الزعقوق، تعض البهائم في فرجها فتهرب، وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة، وللذكر قرنان. ويوجد كثيراً في مراح البقر والجواميس، ومواقع الروث، ويتولد غالباً من أختاء البقر.

ومن شأنه جمع النجاسة وإدخالها كما تقدم ومن عجب أمره أنه يموت من ريح الورد، ومن ريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش. قال أبو الطيب بصفه في شعره:

كما نضر رياح الورد بالجعل

ولم جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار، وله ست أرجل، وسنام مرتفع جداً وهو يمشي القهقري، أي يمشي إلى الخلف وهو مع هذه المشية يهتدي إلى بيته، ويسمى الكبيرتل وإذا أراد الطيران ينفش فيظهر جناحه فيطير.

(٢) العمش نساد في العين يجعل العين سائلة الدم دائماً وهو مرض مزمن، وفي لسان العرب في مادة عمش قال ابن منظور: الأعمش: الفاسد العين الذي تغشى عيناه، ومثله الأرمص، والعمش: أن لا تزال العين تستل الدمع، ولا يكاد الأعمش يبصر بها. قيل: العمش ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. ... والتعماش، والتعميش: التغافل عن الشيء.

(٣) وقوله خذ مضرجه بالبرش والنمش يريد ملطخة ممتلئة بالنقط التي نشينها من كل لون لا يزين الوجه وخصوصاً الخدين، وقد قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «برش»: البرش والبرشة: لون مختلف نقطة حمراء، وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك. ... وشاة برشاء: في لونها نقط مختلفة، وحية برشاء بمنزلة الرقشاء والبريش مثله، قال رؤية:

وتسركت صاحبتني تقريبـشي واسقطت من مُبرم بريـشي

أي فيه ألوان. والأبرش: لقب جليمة بن مالك، وكان به برص فكنوا به عنه. وقيل: سمي الأبرش لأنه أصابه حرق ففي فيه من أثر الحرق نقط سود أو حمراء. وقيل: لأنه أصابه برص، فهابت العرب أن تقول أبرص، فقالت أبرش. وفي التهذيب: وكان جليمة الملك أبرص فلقبته العرب الأبرش. والأبرش: الأرقط، والأنسر: الذي تكون فيه بقعة وأخرى أي لون كان... والبرشة: هو لون مختلط حمرة وبياضاً أو غيرهما من الألوان.

كأسنان التماسيح ونكهة تفوح كالمستراح<sup>(١)</sup>، ويد كيد الهون<sup>(٢)</sup>، وساق كساق البرزون<sup>(٣)</sup>.

فحينها كل عين<sup>(٤)</sup>، وزيتها شين<sup>(٥)</sup> وينشد ويقول:

لها البهار حدود والشقائق الحاظ ومبسمها/[٦٦/ب] في خضرة الآس  
قال: فعندما يراها الأمير وصّال يخر صريعاً من الاختلال. فيقول العروس بعد شخير  
ونخير: والله لقد أرجفتني، وفزعت بني بنتي الصغيرة. يا أم رشيد، ما له وقف الله أعماله؟  
فتقول: يا بني بني كأنه سكران أو بات البارحة سهران. فيخرج لها ابن بنت يتعوّذ من رؤيته  
الشیطان/[٦٧/أ] ويهرب من مجاورته المقيم في الأوطان، كما قال فيه القائل:

له صورة يستحسن القرد عنها على أن وجه القرد أجمل منظراً  
إذا ما ابتداني بالحديث حسبته يسوك من فرط التونة بالخرأ<sup>(٦)</sup>

(١) النكهة هي الرائحة أيًا كان نوعها، فمنها الحسن والقيح. والمستراح هو مكان قضاء الحاجة، وله عدة أسماء منها هذا، ومنها: بيت الراحة، وبيت الخلاء، والدورة، والمرحاض، وبيت الأدب، والكبانيه، والأبخانة، والدبليوسي (W.C). والمراد هنا أن رائحة فمه وحشمة لا تطاق حيث لم يراعها بالعناية والتعهد بالغسل والطيب واختيار أنواع المأكولات التي لا تصدر روائح كريهة كالقجل، والكرات، والبصل، والثوم.

(٢) الهون: هو الوعاء الذي يدق فيه وهو معروف وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة «هون» والمهاون والمهاون والمهاون: فارس معرب: هذا الذي يدمر فيه. قيل: كان أصله هاوون لأن جمعه هواوين مثل قانون وقوانين، فحذفوا منه الواو الثانية استقلالاً وفتحوا الأولى لأنه ليس في كلام "فاعل" بضم العين. قلت: والمراد: أن يده فصيرة غير متناسقة فتجعدة، وهو نوع من القدح والذم في اليد. ويد الهون هو ما يُدقُّ به ما فيه من شيء يراد طحنته.

(٣) البرزون فوق الحمار ودون الحصان، وهو إلى شكل الخيل أقرب غير أن أذناه مسترخيتان. وذكر البوصيري البرزون في حياة الحيوان فقال: في حرف الباء (ص ١٩٩/١): البرزون: بكسر الباء، وبالذال المعجمة، والجمع برازين، والأشئ برذونة، وكنته أبو الأخطل كني به لحظ أذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربي - وهو الذي أبواه أعجبيان.

(٤) مراده بهذه العبارة: أن لها عين غير مستقره وهي عين حسود تجمع بين عدم الاستقرار والشر الشديد الذي هو الحسد المفسد لما يقع عليه مما هو صالح أو نافع للناس.

(٥) يريد أن كل ما فيها لا يسر الناظر ولا السامع ولا اللامس ولا الشامم ولا المتذوق فهي شين في شين في شين أو هي شاذج للشين وعلم عليه، فازين ما يمكن أن يوصف به ما هو زين فيها بالقياس إليها هو أشين شيء في غيرها.

(٦) انظر لوصفه لابن بنت أم رشيد حيث يصف منظره من النكارة بما يعجز الشيطان عن وصفه من

فيسهش ويضرط، ويستلقني ويتحدث ويقول: يا دادني دود راستي، سرحيني  
ومشطيني، ومخطيني، وزوجني عني، حتى أزمرو وأغني وينشد ويقول:

/[٦٧/ب] أنا قد جئت وكفي فوق      فيقولوا السلامة يا حميزي  
عويلاً يا لسبني لا تأكلين      وغطني شوشتك لا ترجفيني  
وبالمما وباليف اشبعيني      معي ممّا وابنوا في كويزي  
فقولوا لي السلامة يا حميزي      تعايانا طفاني هات نحّي  
وقيل: يا مقيلي لا تحي      أنا التّشي ومالي غير دجي  
فخذ في النعّ وخي أو حروزي      وقولوا لي السلامة يا حميزي  
سعى جمعص على جانب لحاني      /[٦٩/أ] وأنا أمشي إلى المرحاض حاني  
فقومي ميمتي سسي      وجوزي وقولوا لي السلامة يا حميزي  
مسي يا ميمتي هـ و يوم طهـ وري       
خذني لي المودنات حولك وذودي      وقلبي ياصبعك رأس أيري  
وإلا فارطلي بيضي وروزي      وقولوا لي السلامة يا حميزي  
ثم يكشف جيزي عن مثل رأس البُحّي<sup>(١)</sup>، ويقول: يا بختي يا بختي خريت تحتي،  
فيشب إليه الأمير وصال، فبهشمه بالدبوس /[٦٩/ب] فيهرب الماشط والعروس،

الدّمامة والوضاعة والانساخ والقياحة. ويصفه الشاعر بأنه لم يصل حتى إلى درجة القُرود دمامة بل  
أن القُرد إلى جواه يظهر في أبهى صورة وأزين منظر مقارنة به هذا من ناحية المنظر الظاهر. فإذا  
اقتربت منه هالك ما يفع عليك من الرائحة الكريهة التي تنبث من فمه فما بالك بباقي أعضائه إنه  
يعطيك انطباعاً بأنك تقدم على جيفة كلب ميت.

(١) السبختي نوع من الإبل وقد ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبير في حرف الباء (ص ١٩٢/١)  
فقال: البخت من الإبل مغرب، وبعضهم يقول: هو عربي، والواحد الذكر بختي، والأنثى بختة،  
وجمعها بخاتي غير مصروف لأنه بزنة جمع الجمع... والبحاني: الجمال الطوال الأعناق. وعن ذكره  
في الحديث أو الأخبار المنسوبة إلى النبي ﷺ أورد ما ذكره مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن  
النبي ﷺ قال في صفة النساء اللاتي يأتين في آخر الزمان: «رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يجدن ربح  
الجنة، وإن ربحها ليجدن من مسيرة خمسمائة عام».

ويتفرقون، وهم خائفون. فيخرج طيف الخيال، فيقول له الأمير وصال: رأيت ما اعتمدته أم رشيد القوادة؟! ولكن الخير عادة، فأحضرها لي، واطلب الشيخ عفلق، فلا بد من ضرهم ولو أشق. فيقول طيف الخيال: أرجع إلى الله من قريب واترك عفلق، فهو متكل غريب. فيقول: لا بد من ضرهم وحق رأسي، وتربة تركاس جدي الساسي<sup>(١)</sup>. فيخرج إليه / [٧٠/أ] شخص قد ذهب منه الأطيان، وظهر عليه أثر الكبر وبان، لكنه قد خضب شيبه، وستر بالحناء عيَّه، فيضطر ساعلاً، وترنم قائلاً:

لله من شيخ جفائي أحبني وقد عاينوا من لحيتي فسح حيلتي  
أحمل شيبى صبغة بعد صبغة وصبغة رب العرش أحسن صبغتي  
وإذ شاب رأسي شاب عيشي شايب رماني بوادي ميتي في مِيتي  
/[٧٠/ب] وحاولت أن أخفي مشيبي فما خفي ويكفيك أني كاذب جوف لحيتي  
وسميت طاووس البلالبل إذ غدت مطوية كالريش لكن بكومتي  
وما شبت حتى شاب قلبي من الأسى وما نفرت البيض إلا وآنس شيبتي  
فأجري بياض الشيب دمعي صباية وقد يؤلم العين البياض بدمعتي  
فواعجباً منها بياضاً سودت به به عند بياض العيد أنواب صبوبي  
/[٧١/أ] وهبني له بالغش والتيل ساتراً فأين هوض للنكاح ورهْمَني  
وليصاحب صبيح المحيا وصبغة صبيغ الميحا نحوه النفس حَنَني  
أرائني غراباً في المهزلة أبقع على رأسه تنعاه كل صيحتي  
وقد لاح موسوماً من الشيب بعدما تعرّى شاباً كان أحسن حليتي  
فقال: لئن أصبحت من آل شية فما أنا من كلب ولا القوم أسوت  
/[٧١/ب] وما تاب لما شاب عن كل رية وأفلسح إلا بالتقيا وبسألني  
وما نام في الحمام إلا رأسته ممدد عريانا تصوره مِيتي

(١) عن لسان العرب في مادة «سبس»: ساسان: اسم كسرى، وأبو ساسان من كتاهم.

وقال بعضهم: إنما هو أبو ساسان. وقال الأليث: أبو ساسان كنية كسرى، وهو أعجمي.

وكان النعمان بن المنذر يكنى هذه الكنية أيضاً فرمى أراد بقوله هذا: لا وحق جدي الملك لا بد من فعل ذلك به.



وقد لاح مثل المركب المزفني  
وضيقت منافسه من كربة بعد كربتي  
الظما بمصر بما يروي به بعض علتي  
فساك أنوف الحاضرين بتنتني  
في صوف فرو مسلتي أغنام مكنتي  
تسوك من نتن الصباغ بخبريتي  
إذا فاح يسردي المسك في أرض تنبتني  
سعاد بوصل كان غير موقت  
فتي حذنا لولا ريال ورعشتي  
واحسبه لولا ارتعاش به فتى  
ولم ارتعش إلا لفطرط محبتي  
وأين على عصر الثمانين همتي  
فما وجدت شيئا سوى جلد خصيتي  
يعانديني في صورة المتعتتي  
كقنفذ حجر في مغايب شعرتي  
صقيل فقلت: النصر للمثبتي  
ملكك قيادي فأحسني الآن قلتي  
غررتني بسبغة شيب كالحشيم المفتي  
سائلها أي المواطن حلت  
فأية دار وطأت وأيتني  
وآه على أيام لهوي وكذني  
لكل فتاة كاعب الحسن طفلي  
جديدا لبسي لأجمل خلقتي

فيا قبحه إذا سال منه صديده  
وقد ضاق بالحمام ذرعا  
ويشرب من صفارة حالة  
رساح كاموات المבלات ماوما [١/٧٢]  
وأصبح للمقاضي في جنباتها فقال الذي  
وداح يناعي الغانيات كأنه  
على قلع في فيه مع بحر به  
وليلة زارتني على غير موعد  
فقمتم إليها ناهضا وكأني  
فقلت أما إن التصابي فظاھر  
فقلت لها: ذي رعشة الوجد والهوى  
ولما خلونا لم تجد لي همسة  
وأهوت إلى يسري لتمسك رأسه  
غدا ناحلا قد أغرته يد البلى [١/٧٣]  
نقلص لما رمت منه قيامه  
فقامت إلى عنقي بأدهم أعوج  
ونذيت فوق النطع فارثعت قائلا:  
تُرى ما الذي أذنبت؟ قالت:  
إذا هي حلت في يدي وتثيمت [١/٧٣ب]  
وإن لعبت ريح الدبور ببيتها  
فآه لأيام الشباب وطيبها  
وطيب ليال كنت فيها مفدا  
خلقت عذاري بعد أن ألبسته الصبا

إذا أعدلستني فيه عادلـة الصَّبَا يقول لها أيرى قد انعطت فاسكتي  
فإذا أتم الشيخ عفلق هذا الإنشاد، وأتلى على آخر هذا الإيراد. قال الأمير وصال: لا  
بد من ضربك بالسياط وإشهار هذا العجوز السوء في هذا الفسقاط، لينعظ بها إبليس،  
ويستوب العجوز من التصيب. فيقول طيف الخيال: ما هذا من أهل الملام، وما يحل في  
بلاد الإسلام والسلام، فإنه شيخ كبير / [٧٤/ب] وأحوال الأحوال تصف ضرير، وقد  
بلغ به التغافل والنسيان في غاية صار فيها حماراً في زى إنسان، فإنه شرب من درديس  
العجوز مائة رطل وعشرين كوزة، وقد شهد له اليوم الذي تشق عليه القلوب لا الجيوب.  
فحضر الشيخ عفلق شهوده الواضعين خطوطهم فيه، وهم السادة الفضلاء، ذوو  
العقول الصحاح، والألسنة الفصاح أدام الله لهم التوفيق، ولا عدل لهم في العدل عن  
الطريق / [٧٥/أ] يشهدون أن الشيخ الأهم يقطين الدولة فاشوش أبي المدفلق غير الدين  
عفلق، يسر الله معاصيه، وبارك في مخاصيه، ممن فاته الإقحام فهم، وأعياه الاقتحام، فحام  
ليس يدري من الجهالة من دور البيت في الجمال...<sup>(١)</sup> لوحظ شمس الهناء مشرقة لاذنت  
بالأفول، ولو لمس حب الفهم خاصية القول.

/ [٧٥/ب] قد قرأ في كتاب تأخير المعرفة وفصول الفضول، وتفقه فيها حتى ساوى  
بين المعقول والمجهول، ولم يفته من الكتاب العزيز سوى النصف والربع ومن سورة (يس)  
إلى الناس، وأتقن سوء الأدب إتقاناً وافياً وبحث بلسانه في الطبيعة بحثاً شافياً، حتى علم  
أن السياقوت من الجرع، وأن القرطم من الطلع، وأن الخل من التارنج، وأن القطايف من  
الإسفنح، وأن السمن من الشحم، وأن الزيت من الفحم، وأن الحرير من الأرجوان، وأن  
السمنسم من الباذنجان، وظن أن الخمر في القطف ثابت، وأن الذيفي باطن الثبن خردل  
نايت.

فهو أول ناقل عن غي باقل / [٧٦/أ] وآخر من حاجوا جحا، أجهل من تونس،  
وأشأم من طويس<sup>(٢)</sup>. فله من الحمار أذنه، ومن النسر ذهنه، ومن الثور قرنه، ومن الجمل

(١) بياض في المخطوط قدره ست كلمات تقريباً.

(٢) طُوسَيْس هذا هو: أبو عبد المنعم، وهو رجل يضرب به المثل في الشؤم، والخنث، فيقال: أخنث  
من طويس، ويقال: أشأم من طويس، وفي موسوعة الأمثال العربية (٢/ ٢٢١)، (٢/ ٢٨٤): هو  
من مخنثي المدينة، وكان يكنى بأبي عبد المنعم، وهو أول من غنى الغناء العربي، سمع قومًا من  
الفرس يفتنون، فأخذ طرائقهم وكان يقول: ولدت في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ وفطمت

دهنه، يعني غير ما قرأه، ويكتب غير ما وعاه، ويقرأ غير ما هو كاتب، كما يفرق بين القصب والخشب، ولا يميز بين الفضة والذهب، ولا يعرف النار إلا بإحراقها، ولا الملح إلا بعد مذاقها، وخطؤه بغير مرام، وصوابه رمية من غير رام، كما قال فيه الشاعر:

لو ختم خاتم الكنيسف به      ما وردته بنات ودان  
[٧٦/ب] ثم طال ما تشمس بالقمر، وتعشى في وقت السحر، وفتح حجره لسقوط الكواكب، وعلم زيادة البحر في ظهور المراكب، وربما مضغ مع الخبز قطعة من لسانه، وأذن في الصحراء غداً لسمع صوت أذانه، وحلم وهو قائم، ومشى وهو نائم، وفيه يقول الشاعر:

يضحك إبليس إذا ما بدا      لأنه عار علسي آدم  
فلذلك انتصر له صريع<sup>(١)</sup> الشاعر، وقال على لسان لسانه على سبيل شكواه هذه الأبيات:

عَضْدُ البُلْهِ عَمْدَةُ الأَذْبَارِ	[٧٧/أ] قل لَوَالِي الفسوق والفجار
ولـه من قـرونه كالصُّواري	والذي قد غدا سفينة جهل
غائباً حاضراً مع الحُضَارِ	أنا أشكو من زوجة صيرتني
قلت لهم: كفوا بالله عن صفع جاري	غبت حتى أنهم لو صفعوني
حين زادت بالدردبيس عياري	ملكنتني عيارة وعيار
في التساوي والليل مثل النهاري	فنهاري من البلادة ليل
فبالله أخبروني يا سادتي أين داري؟	دار رأسي عن باب داري
يا لقومي وأين مخ الحمار؟	أين مخ الجمال من طعم مُخي؟

في اليوم الذي مات فيه أبو بكر عليه السلام، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر عليه السلام، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان عليه السلام، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي عليه السلام، فأنا أشأم الناس. وقيل: أشأم من طونس. وورد ذكر هذا المثل في: شار القلوب (١٤٦)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٣٦)، والدرة الفاخرة (١/ ١٨٥ أو ١/ ٢٣٥)، المستقصى (١/ ١٠٩ و ١٨٢)، الميداني في مجمع الأمثال (١/ ٢٥٨ أو ١/ ٣٩٠)، الألفاظ الكثائية (٢٨٢)، شار القلوب (١٤٥)، وجمهرة الأمثال (١/ ٥٣٨)، واللسان (٦/ ١٢٧)، زهر الأكم (٣/ ٢٠٩)، الفاخر (ص ١٠٤).

(١) سبق ترجمته في أوائل الكتاب.

غفر الله لي بما رحمت للبحر  
 وتجردت للسباحة في الليل  
 أنا أنسى أي نسب فلا  
 ولكم قد رأيت في الجب شيخا  
 شيخ سوء كالثلج ذقنا ولكن  
 أشبه الناس بي وقد يشبه  
 لم يعظني منه سوى أنه  
 / [٧٨/ب] صاح مني إذ صحت منه جهاراً  
 فاعترائني منه غناء وناديت ما  
 أين ترسي وأين درعي؟ الحقيني  
 إن أمت في الغزاة كنت شهيداً  
 ثم أتخنت ذلك الجب ضرباً  
 وجرى / [٧٩/أ] لماء فاحسيت ولأ كنت  
 ولكم قد عصيت رحلي لرؤيا  
 ولكم قد رمت قلع ضرس ضروب  
 فأراني قلعت بعد عناء  
 ورحا حركتها لطحن فما ولت  
 / [٧٩/ب] وأنادي وقد ستمت من الرقص  
 أنا سطل الشر الحي لما أودع  
 أنا مثل الخروف قرنا ولكن  
 أنا كالبيان في قوامي وإن  
 أنا لو رمت للعلاج طبيباً

من البرد اصطلي بالنار  
 لعلمي به الزلال الجساري  
 يخش بسري مذاعة الأسرار  
 وهو طائي في الماء كالغبار  
 وجهه في سواده كالقار  
 التيس أخاه في عرصة الجزار  
 عبس مثلي وافتر مثل افتساري  
 بانستهار يسا صاح مثل انتهاري  
 كسنت أظسن اللصوص في الأديار  
 يا أم عمرو بصارمي من البتار  
 أو أعش كنت أشطر الشطار  
 بحسامي حتى هوى بانكساري  
 حسيت للأبصار في الأدبار  
 أوطأتني فيها على مسمار  
 بعدما ضر غاية الإضرار  
 واجتهادي القوي من أزراري  
 ضللاً أدور حول المدار  
 يا ترى أين منتهى مضماري؟  
 من عجة ومن أبزاري  
 همومي عُددت في الأقدار  
 أنردتني كنت في الحقيقة طار  
 ما قد تعدت ذكة البيطار<sup>(١)</sup>

(١) المراد بالبيطار هنا هو: ابن البيطار وهو: عبد الله بن أحمد المالقي، أبو محمد ضياء الدين المعروف

/[١/٨٠] بعد ما كنت عارفاً في ذكاء أن بابي من صنعة النجار

بابن البيطار، الأندلسي/، نزير القاهرة، وهو إمام النباتين وعلماء الأعشاب قالت صاحبة الموسوعة الذهبية في ترجمته: أوجد زمانه وعلامة العرب في معرفة النبات وتحقيقه واختباره، ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها. ولد في مالقة بأسبانيا في أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، درس في أشبيلية، وأخذ عن أساتذته أبي العباس بن الرومية النباتي، وعبد الله بن صالح، وأبي الحجاج وتشرب نباتها وعرف فوائدها وخصوصاً الطبية منها رحل إلى المشرق وعمره في العشرين زار خلالها المغرب وأقطار شمال أفريقيا وبضما مصر ومن ثم ساح في سوريا وبلاد الإغريق وإيطاليا وتركيا حيث تعرف على أنواع نباتات واجتمع بأكثر علمائها في علوم النبات وأخذ عنهم الشيء الكثير. قال عنه ابن أبي أصيبعة، وكان أول اجتماعي به بدمشق سنة (٦٣٣هـ) فرأيت من حسن عشرته وكمال مروءته، وطيب أعرافه وجودة أخلاقه وكرم نفسه ما يفوق الوصف، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء كتاب الأدوية لديسفور يدس فكنت أحد من غزارة علمه ودرايته في الأدوية المفردة ما لم أجده في غيره من العلماء.

نزل مصر، فقربه السلطان الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وجعله رئيساً لسائر المشايين وأصحاب البسطات وقد اعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش وعندما توفي هذا الملك في دمشق التحق بحاشية ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وكانت له مرتبة عالية في أيامه. ثم عاد إلى دمشق مرة أخرى حيث توفي سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) نتيجة تناوله عقاراً ساماً حسب رواية صاحب نفع الطيب.

وقد ترك ابن البيطار مصنفات أهمها: كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وهو المعروف بمفردات ابن البيطار... وهو مجموعة من العلاجات البسيطة المستمدة من عناصر الطبيعة: معاد، نباتات حيوانات، وقد جمع فيه بين وصفات القدماء من يونان وعرب، واختباره الشخصية، ورتبها على حروف المعجم...

كتاب المغني في الأدوية المفردة. يتناول فيه الأعضاء واحداً واحداً ويذكر طريقة معالجتها بالعقاقير وله: «ميزان الطب»، و«الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام» نقد فيه منهاج البان لابن جذلة. وكتاب: «الأفعال الغريبة والخواص العجيبة». وكتاب: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» أهم مؤلفات ابن البيطار جمع فيه معلومات يونانية وعربية في علم النبات والأقرباديين، ولاسيما مؤلفاته الخاصة المكتسبة من أبحاثه وتجاربه الشخصية التي كان يجريها بنفسه. وقد رجع إلى أكثر من ١٥٠ مؤلفاً وكتاباً وذكر فضل كل منها في موضوعه وقد وصف أكثر من (١٤٠٠) صنف من الأدوية المختلفة ما بين نباتي وحيواني ومعدي منها (٣٠٠) صنف جديد لم يتناولها أحد قبله من علماء النبات والأدوية، ووصفه دقيقة للغاية، وهو يذكر المترادفات كما يذكر ترجمتها بالإغريقية وبالفارسية، والبربرية والأسبانية.

فينادي طيف الخيال، ويقول: يا شيخ عقلق، ظهرت عليك دلائل الكبر، ورأيت في نفسك العبر. فيقول طيف الخيال: فما الذي بقي عندك من آلة النكاح، والعناق. فيقول: قليل من البصاق وأنشد/[٨٠/ب] وهو يقول شعراً:

يا معشر الناس حانني ربي	وصرت معه بهجملتي مُحلي
لا ذَنْبَ لي غير أن لي ذَنْبٌ	فتوره عند منيتي ذنبي
يفضحني كلما كشفت به	وكان أولى بسستره عني
كانه والأكسف ترطله	خريطة فُسرَّغت من الكُثْب
كم غادة أصبحت تعنفي فيه	وأخري تطليل في عَنِّي
/[٨١/أ] تقول أقرنتنا بلفظة منك	هَذَا المشوم يا رُبِّي
وصفت ما بي مما أكابده	إلى الحكيم المهذب الرحي
فقال يرد الوضوء شيخه	وليس يخفي هذا ظني
أرطله حتى تراه مختلجاً	وأدخله إن أردت في ثقبِي
فقلت: أخشى بأن تموت سداً	فإنه فاطس من الكرب
/[٨١/ب] من لي بأن ألقيه عادته	كالرمح عند الطعن في الحرب
يا من رماني هجره ملأ	كن آمناً أن رقدت في جنبي

فيقول طيف الخيال: لا بد من الحكيم بقطينوس فهو عندنا في رتبة جالينوس، وهو الذي باشر أبو دقماق الملقب بالمعين من بعد ما كان من كلاله لا يبين.

قال: فيكي الشيخ عقلق وينوح، ويشق وينق، وهو يقول:

/[٨٢/أ] ولبت بمثل ما ابتلى المعين بأير ممن صنع بأير من ضنا لا يبين تراه  
مثل جسم الشمع ليلاً بأدنى العراك في كفى تلين وكان يقده ألفاً قوباً وما هو اليوم في  
التشبيه نون إذا ما الفرج قابله تراه يصد دانه بغل حرون، ورب خويذة البدر وجهها يعار  
إذا أتيت منها الغصون لها سر مصون في فؤادي بروحي ذلك السر المصون أحاول وطأها  
وتسروم صفعي لصفعي، والزكاف له غبون، وتكشف عن غلظ الشفير الماء فيرقد عنده  
الأكبر الخوون إذا فقد أمراً نطاحاً بأير فقد يكفيه في الرأس القرون فبا لك مطلقاً بضاً شيقاً  
سميماً دون ملمة العجين/[٨٢/ب] له من جلنار الروض نضر حكاها في البياض الياسمين،

أسبيل الخند، مثل النهدي، صلب الجبين، فوق جبهته غصون، وتأذن عندما خوّضت فيها، تأخر أيها الشيخ الحزين، دع التزليق في أكناف فرجي ففرجي ما به ماء وطن، بهذا الأير تطلب وصل مثلي، وهذا الأمر شيء لا يكون.

فقلت لها: فديتك النفس هذا مريض كان أقرفة السمين، ورومان النهور له دواء فقد أودى به الداء الدفين، خذيه لاطفيه ولا تلي بكفيك إنه كفّ مهين، ينام على مخدات المخاص، ولا ترفع له أبدًا جفون. فقالت: كم أحرکه بكفي، ويرقد مثلما رقد الجنين. / [٨٣/١] فيقول علق: هذا الحكيم بقطينوس المعني ابن شديد، هو الذي قضت على يده زوجتي أم رشيد. فيقول: بالله ماتت؟ فيقول: نعم، وفات. فيقول الأمير وصال: يا ريس على أطلب الحكيم، لأسأله عن حالة العجوز بما هو به عليم. فينادي الحكيم، فيجيب: أعوذ بالله الشيطان الرجيم، من هذا الطارق في الليل الغاسق؟ ومن ذا الذي أزعجني من فراشي في الليل الغاشي؟ ومن أقامني من رقتي، وبعدها انهضم الطعام من معدتي حتى / [٨٣/ب] سقطت قوتي، وكذت من خفقان قلبي أن أقضي نحبي، وما جرت العادة أن تطلب الحكماء بالليل، إلا بعد أن تحمل له الكواغد، وتشد له البغال والحيل، ولم يعهد هذا من أيام الوباء والطواعين، والمرض مطرحين على مصاطب السدكاكين، وعلى أبوابنا الرخام والقوائيس بأيدي الخدام والجنائز في الجوامع، بالحلي النفائس، تحلى على الصفوف كالعرايس، والناس لا ينشف لهم دمعة، والمقربون لا يخرجون إلا بالقرعة، والغسل لا يستوفي الغسل / [٨٤/١] والحمال متقدم من ثقل الحمل، والحفار لا يوقر قبرًا، ولا يتحاشى ثيبًا ولا بكرًا، وقد شمل الإقليم ذلك الوباء، وعادت الأرواح والقوي كالحيا، والفروج معدومة، والشراب والحقن بأغلى ثمن، ما تصاب، فذكر الله بالخير تلك الأيام فما كانت إلا كالأحلام.

فيقول طيف الخيال: أنا ما طلبتك إلا لأسألك عن أم رشيد، باقية هي أم أباهاها السديد؟ فيقول: نعم يا ولدي، هلك في الفصل على يدي، وذلك أني دعيت على سبيل العادة إلى منزل / [٨٤/ب] معروف بالقيادة، وإذا أنا بعجوز قد ضربها الشيب، وزياها يدل على أنها تستحسن العيب، وحوها نساء حسان، مثل زهور البستان والنوافر العطشان، والورد الطري الريان، وقد ارتفعت ضجة القوم، وفتحت عينها الوستا<sup>(١)</sup> من

(١) الوسن: هو أول النوم أو مقدمته، قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «وَسَنَ».. جل وسان ونعسان بمعنى واحد. والسنة: نعاس يبدأ بالرأس فإذا صار إلى القلب فهو نوم، وفي الحديث:

النوم ورمقت بطرف يدمع، وأشارت بصوت لا يكاد يسمع، وقالت: أوصيك يا فلان بكفالة هذا المكان، وأن تعمر عافية، وتقيم للعشاق مقامي فيه، وتؤلف بين القلوب، وتجمع بين الحب والمحوب/[٨٥/أ] ولا تتوقف في أمر ولا تماكس فيخدر، وأن تفتح للزناة أبوابك المقفلة، وتأخذ الركاد عدوًا وقشقلة.

وأما أنتم يا معشر القُحَّاب، وعمارات هذه الرحاب عليكم يصدق المواعيد، والسعي إلى الحرثي ولو كانت ليلة العيد، وانسطن في مجالس العشاق، وبعن الوطاء ولو على الدواق. ثم نزلت بها جادة الموت، وفات فيها الفوت، فلما أردت الانصراف، قال لي من حضر من أولئك الطراف: يا طيب ما وصفت للمرحومة، ما تستحق به الأجرة، وجيت إلينا ونحن في فرج أخت ما نكره؟ فأردت الكاغذة<sup>(١)</sup>، فما وجدنا في جيحك فائدة.

فقلت: أما الدراهم فما أعطيتها، ولكني أبكي معكم وأرثيها، وأنشد هذه القصيدة وأصف معانيها، ثم رفعت صوتي منشداً في الجمع وقد ابتل الثرى بالدمع، وقلت شعرا:

ساعدونى بالنوح والتعديدي	عند فقد العجوز أم رشيد
فدموعي من عين ظهري عليها	من قيامي مصفرة/[٨٦/أ] وقعودي
نشفت بعدها دموع المخاص	وبكت عندها فخاب البُود
وخلت بعدها عراض المعاصي	بعدها كانت مشحونة بالفود
كم مقام أمسى كريماً بقوم	من بني الفضل والندى والجود
وكفاه من الندمى عليها	زُوجوا الماء بابنة العنقود
انعظوا والدجى عليها رواقاً	بأيور في قوة، كالحديد
واستغاثت ضحى بصاحبة الدار	فجاءت تجري كجمل البريد

«يسوق الوسنان» أي التائم الذي ليس بمستغرق في نومه. والوسن: أول النوم.... وامرأة وسني

ووسنات: فاترة الطرف شبت بالمرأة الوسني من النوم... وتوس المرأة: أنها هي نائمة.

(١) الكاغد والكاغذ كلاهما بمعنى واحد، وهو فارس معرب، والكاغذ تستخدم في البوادي العربية والصحاري وليبيا وبلاد المغرب بصفة زائدة والمراد به حافظة النقود سواء كانت من القماش أو الجلد، وقد تعارف على ذلك في مواطنهم أما في الحضر فلا يعرف والمعروف بدلاً منه الحافظة (المحفظة) (الشنطة) (البُك) (حقيبة اليد)، (شنطة اليد) وهكذا.



خلفها كل عادة تحجل الغصن  
 خذها للشقيق<sup>(١)</sup> أضحي شقيقاً  
 ولها أبيض السوالف صلباً  
 يتلظى فيه القمנד من الجمر  
 وجلتها عليهم كعروس بنكاح  
 من لجمع الجموع في جنّيس<sup>(٢)</sup> الليل  
 طال ما ألفت قلوب وما  
 وأنت للبنات وهي تنادي  
 تقبض الجدر لا تماكس فيه  
 [٨٧/ب] وترى للحريف صرخاً على لوطء  
 فاعنروا إن بكيت حزناً عليها  
 أي ست والهف نفسي عليها  
 فاندبها يا أم طوغان وابكي  
 وأغسلها ببول كل غوي  
 واجعلي شقة الأيور حنوطاً  
 إذا كان متمرراً باليهود  
 وكورد في غايّة الستوريد  
 أملس المتن ناعم الجلمود  
 بثغر عذب الرضاب برود  
 لكن بغير شهود  
 وطرد المنادم العريد  
 قد تفرّت بين مسلم ويهودي  
 أين منكم مسافر للصعيد  
 وتواني لوقتها الموعود  
 وتأتي بكل حسناء زودي  
 وبناي من فحتي وتنهيدي  
 ففقدت آخر الليالي السود  
 فقدها إن فقدها يوم عيد  
 أو بدردي<sup>(٣)</sup> التبيذ والتصميد  
 مع كافور جمعص بعض العبيد

(١) يريد القمر فهو شقيق الشمس يصف به خدها.

(٢) حنّيس الليل: أي ظلمته، قال ابن منظور لسان العرب في مادة «حنّيس»: الحنّيس: الظلمة. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. وفي حديث أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء جنّيس. أي شديدة الظلمة. ومنه حديث الحسن: وقال الليل في حنّسه. وليلة حنّسة، وليل حنّس: مظلم. والحنّاس: ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن ويقال: دحاس. وأسود جنّيس: شديد السواد، كقولك: أسود حالك.

(٣) الدردي: هو التنفل أو ما سفل أو ترسب في قاع الإناء كالزيت والخمر وما أشبهه من المشروبات ذوات الرواسب كالشاي والتعناع إلى آخره. وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة «درد»: دردي الزيت وغيره ما يتبقى في أسفل. وفي حديث الباقر: أتجعلون في النبيذ الدردي قيل: وما الدردي؟ قال: الرويّة. قال: أراد الدردي الخسيرة التي تترك على العصير والنبيذ ليتخمر. وأصله ما يركد في أسفل كل مائع، كالأشربة والأدهان.

وأدرجها على أيور النصارى مثل أنعمالهم بعيد الشهيد  
 وأحرقها ورود كل جنان في جحيم تقول: هل من مزيد  
 واحضري صحنه العجوز قحاًبا نادبات بكل زمير وعود  
 واجعلي قبرها بخراًة الحمام خلف المرحاض عند الوصيد  
 / [٨٨/أ] يا أم طوغان واندبها وغني يا ليلي الوصال بالله عودي  
 واذكريها بكل شر وبال كل يوم واهدي إليها وقودي  
 [٨٨/ب] فيقول طيف الخيال: يا أمير وصال، استغفر الله من هذه الخصال، وأعود  
 بعفو الغفار، من تحمل الأوزار، والعمل بعمل الأشرار، والإنابة أجمل، ونحن قوم شعراء  
 نقول ما لا نفعل، وينشد:

كل حيّ إلى الممات يصير ماله ساعة النزاع نصير  
 / [٨٩/أ] وزمان العمر الطويل إذا ما اختلف الليل والنهار قصير  
 أين عاد وتبع وشود ثمّ والرس وابن الربا وأين قصير  
 والسعيد الذي يرى طرق الرشيد بعين اليقين، وهو بصير

فيقول طيف الخيال: يا أخي يا أمير وصال، ما بقي غير الارتحال، وقد عزمت على  
 الحجاز ومرت بالحقيقة عن المحال، والمجاز، وقصدت غسل هذه الأيام بماء زمزم والمقام  
 / [٨٩/ب] ونويت زيارة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه  
 الكرام. فاجعلني نصب عينيك، وهذا فرق بيني وبينك ثم ينصرف.

تمت الباية الأولى تتلوه الباية الثانية وهي بابة عجيبة وغريبة

والحمد لله وحده..

## وبه نستعين

أجبت أيها الأستاذ الطريف، والماجن اللطيف [جابتك، فإياك أن تظن معني في الأدب واهية متوانية، وأنتيك بغريب، وألحقثك بمعجيب.

وهذه البابة تتضمن أحوال الغرباء المحتالين، وبني ساسان، والأدباء القوالين.<sup>(١)</sup>

فمتي دعيت إلى مجلس السرور والإيناس، فابداً عند جلي الستارة، بمدح من حضر من الناس، وغنّ باتفاق في عراق، شعر:

/ [٩٠/ب] يا ليلة فاقت الليالي بالأنس والسادة الموالي

فنظموا لاجتماع شمل جمع الثريا مع الهلال

لا برحوا موئل العطايا والفضل والنبذ والنوال

فيخرج شخص ويقول: عبدكم الكتيب، المعروف بالغريب، الذي أنابه الحنين، وغادره الأنين، قد تفارقت به الأمصار، ودار مع الفلك الدوار، بعد أوطان وأوطار، وينشد شعر:

غَيَّرَ صَرفَ الزَمان حالي فمال دهرِي تُرى ومالي

حتى كأنني له عدو يرشقتني منه بالنبال

/ [٩١/أ] أين زماني الذي تقضى؟ وأين جاهي؟ وأين مالي؟

وأين حُفي وطليسماني؟ وأين قيلي؟ وأين قالي؟

وأين عيشي؟ وأين طيشي؟ وأين مالي؟ وأين حالي؟

ونحن في فتية كرام لجارهم في الفخار عالي وقد درسوا

قد درسوا في الفسق من قديم فكهم لهم فيه من جدال

هم أرغب الناس في الفقاح<sup>(٢)</sup> اللذيذة الوطء للستعالي ذم

(١) القوالين: هم المداحين.

(٢) الفقاح: هي المرأة الحسنه المنظر الوسيمه القسيمه ذات البهاء الأخاذ.

وقال ابن منظور في لسان العرب مادة ففاح: امرأة ففاح بغيرها: حسنة الخلق حادرتة.

وقد يكون أراد به سعة فتحة الدبر فقد ورد في اللسان في نفسه المادة أيضاً قوله: والففحة: معروفة، قيل: هي حلقة الدبر، وقيل: الدبر الواسع، وقيل هي الدبر بجميعها، ثم كثر حتى سني كل الدبر ففحة. قلت: وعلى هذا فربما أراد أيضاً الأرداف.

عثت عندهم للوطء أحسن  
 فمنهم قط من حديث فيه  
 فقائل وطائي وقائل وطائسه  
 قائل حين طاح سكرًا  
 ونحن في مجلس بديع  
 جمع فيه من كل حسن قيم  
 فالراح في الراح والملاهي  
 وللملاهي بنا ضجيج  
 فالذفُ ذفُ ذفُ ذفُ ذفُ ذفُ  
 والحبك ثثن ثثن ثثن  
 وبيننا جمرة كسيرة  
 جيدة الطعم عتقتها  
 يديرها شادر رشيق  
 مورد الوجنتين حلوا سواه  
 قلت له إذ طال بعدي  
 دع الستجني فليست أسلو

فأين تلك الأيام وطيبها، وحسن الطافها وأعاجيبها؟

فرحم الله شيخنا ساسان، لقد كان رجلاً عظيم الشأن، قدوة الأدباء، وأنيس الغرباء  
 فجمع الله كل محب يسكنه، ورد الله كل غريب إلى وطنه «شعر»:

عجت وشأن الحب كل عجب  
 تباعدت الأجسام منا وإنما  
 أفارق خلاً بعد خُلْ كأنني  
 كأي من كل البلاد ومدمعي  
 إذا مات بالأشواق كل غريب  
 لنا جامع من تربة وقلوب  
 أفارق نجلي أو أخي ونسيب  
 على كل نادٍ باكياً بنحيب

على أنني لولا اغترابي لم أطب وما عاقلاً في بلدةٍ بفريب<sup>(١)</sup>  
 وحيا الله السادة الحضار عيون الأعيان نواظر التظار. اعلموا يا سادتي أنني من [٩٣ /  
 /] بني ساسان الذي قعدت لهم رمانة الزمان، وادغرثهم أيام الفراغ، والدانك والثلاع،  
 وضمي الخمار والشطيف، وصهو السماقين الهيف، وينشد ويقول:  
 لي رفاق منهم قططوا العظامي والقيل الزكا دجي والذرندي  
 وكويكات والخفنج وفرداح وسريان والجسبان المكذي

(١) الغربة أنواع، الحب أنواع، والمحبة أنواع، وقول الشاعر هنا أصاب من نفس شجون كثيرة من  
 المؤكد أن القلم لا بد أن يعجز عن وصفها وليس القلم وحده بل اللسان نفسه ولا يعرف تلك  
 المشاعر غير نفسي، وربما أحسها من عاش بعضاً مما وصفه أنشاعر فكيف بمن عاشها كلها بل  
 وأكثر منها بكثير، فكل أنواع الغربة عاينت وكل أنواع الحب لاقيت، وصنوف المحبة تعاطيت. وإن  
 الشطر الأخير من قصيدته كان هو الملاذ الوحيد لي وبه انصح كل من ابتلى بشيء من ذلك  
 فالعقل نعمة لا يمكن أن توصف كما أنه لا يمكن شكر وإحبه عليه، والعجيب أن كل عاقل وكل  
 جاهل وكل أحمق يظن أنه اعقل (إنسان وأحكم إنسان غير أن العقل يحكم عليه غير صاحبه أو  
 يعرف صاحبه نعمة الله عليه حين يرى نتائج تفكيره إذا لم ترده عندما يستخذه متوكلاً على الله  
 في هذه الغربة وتلك الوحدة وضيق اليد ونقل الظهر وقلة الناصر وذهاب الأمن وتربص الأعداء.  
 فها من ابتليت بما أسفلت عليك بأمرين هامين تنجو أو تسلو عما أنت فيه هما معرفة الله واستخدام  
 العقل وأمر آخر ثانوي أرى أن تركه أولى شاوَر من تق به ولا تعتمد مشورته إلا بعد أن تغلبها  
 كثيراً على كل الوجوه فربما ذلك على ما يضرك يقصد زاعماً أنه يهديك إلى الصواب، أه أه فإن  
 في القلب غصص لا غصّة.

ومع هذا فإني اعترض على البيت الثالث من القصيدة حيث لم يقع لي حل وفي هذا طبعي، ولا  
 أخ، ولا نسب مع أنني لي من الأولاد عدد كثير ومن الأخوة ما قارب الخمسة عشر أخ، والنسب  
 لم يفلح إلا في الزوجة فهي بلسمي في هذه الحياة الذي أتناوله كلما تكالبت عليّ الهموم والأحزان  
 والمصائب، فقد عوضني ربي فيها أيما عوض وأكرمني بها أيما كرم وسلاني بها أيما سلوى وأسعدني  
 بها أيما سعادة وهنأني بها أيما هناء وأراحني بها أيما راحة ومتعني بها أيما متعة، وصفها لي أيما  
 صفاء، وأخلصها لي أيما إخلاص ووفأها لي أيما وفاء وبارك لي فيها أيما بركة، فاللهم احفظها لي  
 وادمها عليّ وامنحها الصحة وعافها من أمراضها، وإن توفيتها فنوفها قبلي بقليل جداً يوم أو  
 يومين هذا منأي حتى أغسلها وأكفنها وأصلي عليها وأدفنها وأزورها مرة واحدة ثم ألحق بها هذا  
 أملي ورجائي منك فلا نحرمني يا الله، وإن زاد كرمك علينا فاجعله في بلدك الحرام لتدفن على  
 جوار أمها خديجة فهذه أميتها، إنك على كل شيء قدير، وأنت أكرم من سئل وخير من أعطى يا  
 رب.

وشر يميّط والقيب ورتلام وبحلاق والجمن القمّدي  
 / [٩٣/ب] يهطل الكد والسماقين بالقيس وما أن نكيفهم شرط مسردي  
 وتراني إن نشمت فرشني رمادي الفسرن سُحَّتًا وصحفتي تحت خدي  
 أنشدًا بالنار حتى ترى جسمي منها منقطاً كالقهد<sup>(٥)</sup>  
 وذلك لما حال الحال، وما المال، وبلى البال وذهب الذهب، وانقضت الفضة، وكثر  
 الهم والتعب، وانقطعت الحيلة والسبب، فقلت إذ قلت:

/ [٩٤/أ] سلّقت من صهوي لذ مقارمكم فمشنقت في الخيفاد من كان صاهيا  
 إذا ورد الجزار في النفيح شردت كمرًا لي التبريح يسدعا موالسيا  
 ولما لم يبق من يُستَر جاء نايله، رأيت الحيلة عليهم ولا الحاجة إليهم، فلما إلى  
 الراحة والكسل، وتركنا العمل، وانفردنا بالمداكاة والحيل، وتفرقنا إلى تلك الفرق ولم  
 يضرننا رغبة ولا فرقة، وأقدمت على وصف الطراش ورأيت الهوام كالحشاش فهطلنا  
 / [٩٤/ب] السقمون والكد، وعيينا الخيض<sup>(٦)</sup> والسكري، والذي يسعى ويكد، وقفينا  
 صباح الديوك، وكسبنا المردود، والمرافين والتوك، واطرحنا الاحتشام.

وهنا كمنا بمصر والعراق والشام، وتساوي عندنا الأساوي، وأذعينا أباطيل الحيل  
 والدعاوى، فطوراً أدعي معرفة الكيمياء، وآونة أثبت بالمطالب وعمل السيمياء، ووقنا  
 بالعزائم والتعاويد والتفوير ووقنا اكذب على الشقف لزوال الماء من البير، وطوراً أدعي  
 الحكم على ملوك الجان / [٩٥/أ] واستحضر مبططرون والشيصبان، وأخرج الزبد من  
 فمي كالصابون، ثم أنشكع كالجنون وربما هابرت العميان، وأورم أطرافي بالأزبارس،  
 وأتباكي بالكندس من الإفلاس إلا أني يا رئيس على ما أطلعتك على هذه الأسرار إلا وقد  
 غلب علسي عقلي عقار الخمار، وها أنا في هذا الوقت قد انقلبت جملة خوئي، وحية  
 وجهك، ثم الخرا في جوفي، ثم ينشد ويقول:

(٥) المفصود النمر فهو من نصيلته.

(٦) الخبيص طعام معروف وهو نوع من أنواع الحلوى، وفي لسان العرب في مادة «خبيص» الخبيص:  
 الحلواء المحبوسة معرزوق، والخبيصة أخص منه. وخبيص الحلوى يخبصها خبًا، وخبصها: خلطها  
 وعملها. والمخبصة: التي يقلب فيها الخبيص. والمخبصة كالملة يعمل بها الخبيص. قلت:  
 والخبيص: الخلط.

خراكم يا موالي في سُبَالِي  
 / [٩٥/ب] لأنني أنحس الثقلين طرّاً  
 فمبدئي من الكُثّاب عِلْقَا  
 ولما صرت بين الناس أُلْحَا  
 أدور على بيوت القُحُتْبِ ليلاً  
 جلد عميرة عندي إذا ما  
 كذاك الدّْب والتنكيس شغلي  
 وفي التاليف بين الناس شغلي  
 ضنيت من الغرام ولا دَوَالِي  
 رحيق في الكؤوس نرى حريقاً  
 فطوراً مُنْشِذَ شعراً بديعاً  
 وتنظرنني رسيلاً للمغاني  
 وكم أمسيت في الجولات سَطِلاً  
 وتحسب أن بي طرباً وحالاً  
 وأكل الفار والأمرار دأبي  
 حببت السوق أجردُ رأس كفتي  
 ورقصت الذباب وُعْذْتُ  
 وعلمت الكلاب الرقص مني  
 وعدت مغامراً في دار لص  
 وكم ناطحت بالكبشين نطحاً  
 ولكني رأيت العلم زيناً  
 وثبت وصرت في الفقهاء أقضي  
 ونظم الشعر صرت به فريداً

وأخوات القحباب علسي قدالي  
 وكل النحس يُعمل من مثالي  
 مع الصبيان أُعْرِفُ بالبدالي  
 تعلمت الفجور مع المحال  
 وألهو كساحمير وكالسبغال  
 عدمت الوطاء كالبكر الحلال  
 جهاراً في الزحام ولا أبالي  
 وإصلاح النساء / [٩٦/أ] مع الرجال  
 سوى ما راق من نبت الدوالي  
 إذا صُيْتُ مع الماء الزُّلالِ  
 وآونة أتشلق كالخيل  
 إذا غالزت أخسرى ذا دلالِ  
 مع الفقراء أرقص في الجبال  
 ومسا بي غير سودات الضلال  
 مع المنهار عنبر أو بِلَالِ  
 واجسي بالمشاغل والمحالِ  
 أجسي على فردٍ تعلّم من فعالي  
 وَهَسْتُ التواشز في السلال  
 بقص النرد في نحس الخصال  
 وألحيت الديوك إلى القتال  
 فعدت إلى المدارس والجدال  
 وأفتي في الحرام وفي الحلال  
 وطلت به على السمع الطوال

وعلم النحو فيه النصب فني  
وقطعت العروض بفاعلات  
وطببت الأنعام فكم أناس  
وداويت العيون فكم جفون  
وصرت من الفلاسف ذا نحل  
وفي الأعشاب والأسلاف علمي  
بأغسال من نظفة حرار  
وعدت إلى المقابر رب وعظ  
وألقيت الخناء وراء ظهري  
[٩٨/ب] فيخرج عجيب الواعظ ويقول: يا غنبر اطلب المقرئين والمنبر. فيحضر  
المنبر ويرفأ ويستفتح بعد التسليم بما يقرأه ويقول:

الحمد لله الذي جعل المزاج سلوة لهم والارتياح، ومفاتيح القلوب في الأشباح،  
وراحة الأرواح، أحمدته على حسن الأخلاق والتحبب إلى الخلقاء والرفاق، وصلاته  
وسلامه على الناطق صدقاً، الذي كان يمزج ولا يقول إلا حقاً، المنزل عليه ذو الجلال  
والتعظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وعلى آله عدد نعمه وأفضاله. (٢)

(١) المراد ابن البيطار وهو من هو في علم النباتات والأعشاب وقد سبق ترجمته قبل قليل، والمراد هنا  
هو إظهار أنه بالغ في كل أمر خيراً كان أو شراً حتى بلغ فيه الذروة، ثم جاء يعترف بذلك للأمير  
حتى يكون قد أبلغهم بكل صفاته وأحواله ليردوا فيه رأيهم بغير حيف ولا زيف.  
(٢) أراد به هنا السفطة أو الثروة التي لا فائدة فيها ولا منها لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ  
لُّجْوَئِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرٌ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وكذلك ما يكون منه جدلاً ليس  
إلا للجدل، وقد نهى الله تعالى عنه إلا في حالة إظهار الحق فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا  
بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

فكرة الكلام بما لا يفيد مضرة للإنسان وإرهاق لأذن السامع، ومثل من المتحدث وضياع للوقت  
بلا فائدة ومدة للخطأ. أما إذا كان الإنسان ألسناً فلا بأس في ذلك ما دام أنه يقوم بدور إيجابي  
في مسألة من المسائل الشرعية أو الحياتية أو الإصلاح بين الناس أو دعوتهم إلى الحق والخير،  
فاللحن هنا من نعم الله تعالى على المتحدث الداعي إليه، ولم يمل الانتباه من دعوت الناس إلى الله  
حتى أن نوح دعا ألف عام إلا خسين عاماً.



[إخواني:

استعِذ بالله من اللّسن/ [٩٩/١] واعلموا أن أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن، والدنيا دار أسف، ووجود وتلف، وصحة وسقم، وعافية وآلم، وينشد «شعر»:

لا تحمل الهم فما يظلم حكم القلم      فاهم فيه ثقل ومنه أصل السقم  
أين الذي بنى الهرم؟      وأين عـِـداد وإرم؟  
مرزقهم أيدي السبين      ومضوا إلى حيث لا أب ولا أم

فرحم الله من داوى آخرته بخلق زاته، وصرف أترجاه بما أراجحه. ولما كان/ [٩٩/ب] المزاج يذهب الأترج، ويقوم في التفريج مقام الراح، فاهوان بآبنة الدنان<sup>(١)</sup>، لاسيما اليوم القهوة أخفى ما يضر، أعز من الكبريت الأحمر، والانبساط يحمل بلا إفراط، فابسطوا الأمل، واعملوا مثل هذا العمل.

وأنتم معاشر الغرباء: وسائر بني ساسان الأدباء، احمّلوا الطلب، واستدّروا الحلب، واغتمنوا الاجتماع، فالفرقة واقعة، وتزودوا بالكيس قبل وقوع الواقعة، وروحوا الخواطر وخذلوا من/ [١٠٠/أ] المزاج قدر ما يعطي الطعام من الأملاح، وسيروا في البلاد، وانصبوا الشباك على العباد، فالغريب مرحوم، والمرء يسعى في الرزق والرزق مقسوم.

واعلموا رحمكم الله: أن من الفلاس تجتمع الدنيا والصدقة بالحبة هبة، لاسيما بلا تغشف والكسرة بنت الرغبة.

فاركبوا رحمكم الله قوارب الإلحاح، والبسوا دروع الوجوه الوقاح، وتعاموا مبصرين وتطارشوا سامعين، وتعارجوا فالسبق لذوي العرج، وتخارسوا/ [١٠٠/ب] ليخرج مستفتح باب الفرج، وركبوا على صحة جلودكم المسلوخة، واشربوا نقيع التين تصبح وجوهكم نضرة وبطونكم منقوخة، واحترقوا صفوف الجوامع، ولجّوا على الأخشان بالطلب في الشوارع، وليكن أفخر لباسكم الأشمال، وأكبر همكم جمع المال، فسيروا

(١) ابنة الدنان: يريد بها الخمر فهي التي لا تكاد ترح هذه الدنان، وبها توصف وبها تغنى الشعراء والمغنون. وهو هنا استعاض عن الخمر وكل مسكر بما هو مباح ومنه كالقهوة، والقهوة معروفة فلا بأس بشرها لا دينياً ولا طبياً فهي من المنبهات المباحة وهي حلوة المذاق مستساغة الطعم لطيفة الرائحة، وأنا نادراً ما أشرها حيث إني أرى أنه في مصر نوادي يقال لها «المقاهي» أمم ما يقدم فيها هو القهوة، مثل المشروبات الأخرى كالشاي، والحلبة والزنجبيل، والينسون والنعناع، والقرفة، والكاكاو، وما إلى ذلك من المشروبات التي لا حرمة فيها.

بهاتين تأمنوا من الإفلاس والدين فصحة العين بإنسانها، وصحة الإنسان بالعين<sup>(١)</sup> وينشد ويقول:

ولقد نصحتكم بكل لساني      ورويت هذا الشأن [١٠١/] عن سامان  
فلئن قبلتم ما أقول فإنكم      ألقى السورى عن موطن الحرمان  
كن آمنًا مما تخاف ذوي الغنى      واسقط واحكم عَهْدَ الهميان  
واجعل لوعدك حصنًا مانعًا      واطلب مهسات النقد والميزان  
وخذ الذي قد لاح نقدًا عاجلاً      فالوعد دهر نواب الحندان  
ثم يقول: من كساني من برد الشتاء بهجة، أسكنه الله جنته المزخرفة الرحبة، ومن طرحني [١٠١/ ب] بطليسان حشره الله مع الخور الحسان، ومن هابني بمطة فقد استكمل الطريق بشرطه.<sup>(٢)</sup>

قال: فإذا نال ما هناءه، وملا بالعطايا يُمنّاه فيخرج جريس الحوي وينشد ويتروى:

يا سائرًا في المروج والجبل      وخابطًا في السهول والوغي  
احذر برجليك أن تطأ بها      رؤوس الأفاعي وامش معتملي  
[١٠٢/] ثم يشير بيديه ويقول:

إن في هذه السلة سياط الأجال، وهلاك النساء والرجال، وهذا الناشر، بل الأسد الكاسر الهجام الحجام، بلية مصر والشام، والقتل، بل الموت المطل، ويل لمن رآه على التلاع، وفرش له عُرفه كالشراع، ونهشه بعضة على عضّة، بل يا سادة هذه الحية الرقطاء الرملية التي تضرب الجمل فيموت الجمال، وقد تندفن في الرمال سمها رسيل الموت، ونابها نائبة الفوت، وقد علمني الله تعالى من أجناسها [١٠٢/ ب] ثلاثانة وستة وستون

(١) فيما ساق من نصائح كثير من الصواب الذي يجب أن يكون أحيانًا فأحيانًا يجب أن تتعارض وأحيانًا يجب أن تتعاضد، وأحيانًا يجب أن تتخارص إلى آخر ذلك من الأمور لأن لكل مقام مقالًا كما قالوا، وقد تقتضي الحكمة ما ذكرت فيكون كما قالوا: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وقالوا: دارهم مادمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم. فعندما تنقلب الأوضاع ويصير أهل الحق في حالة من الضعف فيجب عليهم أن يصبروا على ذلك الأذى الذي يوجه إليهم أو إلى معتقداتهم حتى تنتهي تلك الموجة ثم: **هَإِنَّا لَنَنْصَرُّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا**.

ولكن هناك من قوله وإن برره فهو غير مقبول، وهو قوله: وليكن كل منك جمع المال.

(٢) يريد بقطعة من الأرض تركها له.

جنسًا، وأربعمائة وأربعة وأربعون نفرًا، فمنها الحديدي، والوردي، والرمادي والدخاني، والطحاوي، والفرد، والبركيل، والحاجري، والغسقي، والظراء، وأسود شاخ، وأبو خرزة، وأبو صرخة، وسحيمة الأرض، والصِّل، وأبو حمان، والحجامة والبخاخة، والطحانة، والشجاع، والفتالة، والغوالي، والدوانة، والعرييد، والطيّار،<sup>(١)</sup> ولولا خوف الإطالة لشرحت الجميع على التمام والكمال، ولكن خفت من الضجر والإملال، إلا أن هذه/ [١٠٣/أ] الحية الكبيرة المحصّلة، وهي والله من نبات الأصلة، طيارها واقع، وسها نافع، وهذه الأخرى هي الداهية المهلكة، ذات القرن الأحمر، والذنب الأتر، تحملها الحيات على الكواهل، وتأويها إلى المكان الذي هو غير أهل، خطفها برق لامع، وصفيها يقتل السامع، ورؤيتها تهلك الناظر. ووطء أثرها يدمي الحافر، وهذه الطيارة. وتلك الحسية الطفارة تسكن البر الأقفر، والمهمة الأغبر، نفسها يحرق الحشيش

(١) وبمناسبة ذكر الثعابين والحيات وأسمائها أذكر طرفًا مما ذكر في كتاب تهذيب حياة الحيوان للجاحظ عن الثعبان (ص ١٣٢، ١٣٣)، فقال تحت عنوان موت الحية وصبرها: يزعمون أن الحية لا تموت حتف أنفها، وإنما تموت بعرض يعرض لها. ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيء هو أصبر على جوع من حية؛ لأنها إن كانت شابة فدخلت في حائط صخر، فتتبعوا موضع مدخلها بوترد أو حجر، ثم هدموا هذا الحائط، وجدوها هناك مطوية وهي حية فالثابة تُذكرُ بالصبر عند هذه العلة. فإن هزمت صُفرت في بلنها، وأقنعها النسيم، ولم تشته الطعم، وقد قال الشاعر وهو جاهلي:

فابعث له من بين أعراض اللمم      لُيَمة من حنش أعمى أصمم  
قد عاش حتى هو لا يمشي بدم      فكلمنا أقصد منه الجوع شمم  
وهذا القول لهذا المعنى. وفي الوجه يقول الشاعر:

داهية قدم صُفرت من الكبير      صلُ صَفًا ما ينطوي من القصر  
طويلة الإطراق من غير خَفَر      كأنما قد ذهبت بها الفكر  
جساءه الطوفان أيام زَخَر

وقال تحت عنوان: النمس والثعبان: ثم قد يزعمون بمصر أن دوية يقال لها: «الشمس» يتخذها السناطور (حارس الحقل) إذا اشتد خوفه من الثعابين؛ لأن هذه الدابة تنقبض وتتضم وتتضائل وتستدق. حتى كأنها قُذْهَدَةٌ أو قطعة جبل، فإذا عضها الثعبان وانطوى عليها زفرت زفرة وأخذت بنفسها، وزحرت جوفها فانتفخ فتفعل ذلك وقد انطوى عليها، فتقطعه قطعًا من شدة الذخرة. وهذا من أعجب الأحاديث.

الأخضر/ [١٠٣/ ب] فسيحان من قهرها بهذا الدرياق، الذي شهد بفضلها أهل الآفاق، ثم يفتح حُق الدرياق على يديه، ويشير إليه ويقول:

هذا المخلص من النهوش، والعضاضى والساقى، ومن سائر الأمراض، ركبته من هذه الدواعى، من قرص الأشقىل والأفاعى، وأضفت إليه من الفلفل الأبيض، والأفيون، والبرشاشان، وزر الورد، والعارقون وسفعته برب السوس ودهن البلسان والزراوند، والزنجبيل، وحب البان واسقر دېوش، واسطو خودس،/[١٠٤/ أ] وفوتنج، وقراسيون، وأضفت إليه القسط، ودار فلفل، وكندر، وصمغ البطم، وسلنمة، وإذخر، وشادنچ هندي، وقردما، وزارتانچ، ولحية التيس، وخطباتا، وحب الغار، وحب البلسان، وأوقياقيا، والينسون، ودوقو، وسبكينچ، وحماما، ووج، وقنطريون.

جمعتها من كل ما يختار جمعه، وسحقت ما يختار سحقه، ونقعت ما يجب نقعه وعجنته بعسل النحل المنزوع الرغوة، وألقيته إلى الشمس أسبوعا بعد أسبوع، ثم رفعتة في إناء، مدهون/[١٠٤/ ب] وتركته حتى مضت عليه الأيام والسنون، فدونكم أيها السادة الإنادة، فنعم الرفيق أينما سلكتم، وفي اقتناء مثلها يهون. ما جمعتم وملكنم، ومن حضرني وما معه شيء من الحطام، أنا قانع بسكين أبري بها الأفلام، أو يقول: هذا القميص من ظاهر جسدي، أو وجود بمندبل أمسح به وجهي ويدي، اللهم لا تجعله ذخيرة للثيم، ولا تحل عليه إلا عقدة كل كريم.

ثم يقول: هاكم نفعمكم الله هذه الإنادة، ومساكم بالسعادة، وينصرف. / [١٠٥] أ] فيخرج عسيلة العاجيني، ويرفع على يده حُق من الأحقاف ويشير إلى تلك الأحاجين والطوافير، والطباق، وينشد:

يا من يذوق لتجربتي معاجيني      ومن يشكواه من شرِّ يُفاجيني

عندي ذخائر أصناف بحرية      وخزنتها في مصنونات المعاجيني

لصحتي كل يوم من يُجرِّها      كأن جسمي من داءٍ يفاجيني

ثم يقول: أين صاحب الحمضة في معدته؟ / [١٠٥/ ب] والحصا في كليته؟ وأين المحسر على حاله؟ والممتحن بارتزاء ذكره وانحلاله؟ دلوا على صاحب القولنج والأوس، والمتحسر ببوله المحبوس، أرشدوني إلى من أراد الحصى، ونقلته أوردة الخضا، هذا دواء صاحب المراقيا والخفقان، ومرض الكبد واليرقان، وهذا لوجع الطحال، وهذا لوجع الضرس، وهذا لمن يريد زيادة الباءة، وتصلب الذكر.

وهذا معجون اللثوث للباءة، وهذا زيت الورد الرحويني، ومرثبة، ومعجون المسك وما فيه/ [١٠٦/ أ] من الفرج وجوارش السفرجل<sup>(١)</sup> وأقاويه.

فاغتنموا رحمكم الله هذه المنافع بثمر شرة، أو خيارة مَرَّة، واقبلوا مني بها قبل أن تقولوا: كان هنا. فإذا أعياه ذلك الأسلاب فيخرج نباته العشاب، ويقول: قدم نباتة العشاب السحار، والعطار، خليفة دسقيروس، وسيط ابن البيطار، العارف بالأصول والفروع، والأوراق والأزهار، لأنني سافرت إلى السواحل، وسلكت فيها كل صعب ومأجل، حتى حصلت على ما في هذه/ [١٠٦/ ب] الأكياس والأجربة، على ما يشهد به القياس، وصحة التجربة.

وأنتم أرشدكم الله تعلمون علم اليقين وتحققون أقوال النقلة الصادقين: أن ما في الأرض من شجرة نابتة إلا ولها في الجسد منفعة ثابتة، وفيها ما ينفع بإذن الله ويضر،

(١) يقول العلامة ابن النفيس عن السفرجل في كتابه الموجز في الطب (ص ١٠٩): بارد في آخر الأولي، يابس في الثانية، هو زهرة قابض، وهو مقو مُدِرُّ يقوي الشهوة، ويسكن العطش والتنفل به على الشراب يمنع الحُمَار، ويسخ القوي البلغمي، ولعابه يلين من غير قبض، فينفع السعال ويلين قصبة الرئة، والإكثار منه يورث القولنج.

ويقول الدكتور عويضة في موسوعة اhamة المسماه بالموسوعة الغذائية (ص ١٩٣) عن السفرجل: إن أقرب الفواكه إلى الكمثرى هو السفرجل الذي يعتبر إحدى الفواكه الصيفية الشهيرة، ولكن صعوبة مضغه تجعله أقل حظاً في تناول من الكمثرى والتفاح.

وأصل السفرجل من جنوب أوربا، وهو من أعظم المحصولات في جنوب فرنسا، وهو نبات شجري شامه سكرية قابضة يحضر من عصيرها شراب يضاف إلى الأدوية القابضة لتحليتها. ويسذوره غروية يحضر منها مطبوعات تستعمل موضعياً مرخية، ومحللة، وتدخل في أنواع القطرة ويصنع منها في فرنسا مادة لتثبيت الشعر.

ويوصف السفرجل كدواء للقلب وانعاشه، وللمصابين بسيل الصدر والأمعاء والتزيف السعوي والمعددي، ويفضل أن يستفاد منه كمنقوع بدلاً من الاستفادة منه مباشرة كتمر، فإن منقوع السفرجل المغلي يصلح شراباً مقوياً في حالات الخضم الصعبة والإسهال الناشئ عن وهن الأمعاء.

وقد كتب عنه الحكيم داود الأنطاكي فقال: شجر معروف منابته بالشام والروم وهو قدر شجرة التفاح إلا أنه أعرض ورقاً، وأغلظ واعقد عوداً وشره يكون في حجم الرمان فأصغر عليه خذل كالغبار يلزمه غالباً وأجوده الكبير الهش الخلو الكثير الماء.

وهو يذهب الوسواس والكسل، وسقوط الشهوة والخفقان، وضعف الكبد واليرقان (إذا أضيف إليه زهرة وشوي فإن أكله على الجوع قابض وعلى الشبع مسهل لشدة عصره المعدة. وإن خدت به الأورام حللها. ويسكن العطش وحرقة البول ويطيب رائحة العرق.

ويحبس ويسدر، ويُسهر وينوم، ويفش ويؤرم من أصول وبزور وصموغ، وعصارت وزهور، أين حرارة السوج<sup>(١)</sup> من برودة الأفيون؟ وأين مرارة الكمون من حلاوة الأنيسون؟<sup>(٢)</sup> فسبحان خالق هذه الأضداد لإصلاح أمور العباد/[١٠٧/ أ] ومن هذا البلاء المفزع، وهذه حشيشة السلحفاة، والله العظيم للقبول والجماء. إلا أنني وحق فالحق الحب التوى ما أبخل عليكم بشيء من هذا الدواء، ولا أوقفكم لتصدقوا عليّ، ولا ترقوا بفضل حطامكم إليّ، إلا، لأريكُم عجائب هذه الصورة، وأعرفكم خواص هذه المستغورة، وما هما أنتى وذكر، قولوا: تعالي الله مبدع الصور الذي خلقها من الشجر، وكل من قلعها بغير عذرة تأذى، ومن استأصلها بيده تردى وأما أنا فحين بانَت أصولها في أوان حصولها،<sup>(٣)</sup> ربطتها في طنَب من الأطناب، وأوثقته/[١٠٧/ ب] في رقبة كلب من

(١) قال ابن النفيس في الموجز في الطب (ص ٩٤): وَج: حار يابس في الثانية، يُطلق الأخلاط الغليظة، ويدر البول، ويذهب صلبة الطحال، ويجلو ما يحدث في الطبقة القرنية، وينفع أوجاع الجنب والصدر، والمغص ويجلس في طبيخه لأوجاع الرحم. وقال محققه بهامش نفس الصفحة نقلاً عن معجم أسماء النبات (٥): وج: قصب الذريرة، والوج: ضرب من الأدوية.

(٢) أما عن الكمون والأنيسون فيقول ابن النفيس في كتابه الموجز (ص ١٠٠) عن الكمون: حار في الثانية، يابس في الثالثة، يطرد الرياح، ويثقل، وفيه تقطيع وتجفيف وقبض، ينفع من عسر البول ونفس الانتصاب، ويُثَقِّلُ الجرافات، ويفتت الحصى ويغش الرياح والنفع. وقال الأستاذ المعلق عليه بالهامش نقلاً عن المعجم الوسيط: الكمون نبات زراعي عشي حولي من الفصيلة الخيمية، يزوره من التوابل، وأصنافه كثيرة منها الكرمان، والنبطي، والحيشي والكمون الحلو هو الأنسون، والأرمن هو الكراويا.

وقال عن الأنيسون في نفس الكتاب (ص ٨٥): يُنَّس في الثالثة، وحرُّه في الثانية أو الثالثة على اختلاف قولي جالينوس يفتح سداد الكلى والمثانة، والرحم، والكبد، والطحال، ويُغش الرياح وخاصة مغلية، وينفع تهيج الوجه والأطراف، وينفع السُّبُل (السبل): معركة غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة في سطح الملحمة وظهور إنتاج شيء فيما بينهما كاللدخان. نقلاً عن هامش الكتاب من القاموس الزمزم. ويسكن الصداع والدوار بخوراً واستعاطاً. ومسحوقه بدهن الورد يُفَطَّر في الأذن فيسري ما يعرض لها من ضربة أو صدمة أو سقطة أو أوجاعها. وهو مُدر للبول والطست والرطوبة، ويسكن العطش البلغمي، ويكثر اللبن والمني، ويدفع ضرر السموم، وربما عقل البطن.

(٣) لم أتوصل إلى حشيشة السلحفاة هذه فيما بين يدي من الكتب فربما كانت حقيقة موجودة يحرفها أهل النبات، وأهل الطب، وربما كانت ضمن الخيال الذي يسوقه لنا فيروح في وصف فوائدها مناهب بعيدة من الخيال، وربما تكون حقيقة ويذهب إلى المبالغة في وصف فوائدها. وأما

الكلاب، ثم استدعيته بكسرة خبز من بعيد، فأهوى إليها ليأكلها فاقتلعها، ومات لصرختها، باسطاً ذراعيه بالوصيد، فسبحان من ألهم وعلم، ووقى وسلم، إلا أنكم يا سادة، سيقول قائل منكم: ما في هذه المندغورة من المنافع والفضائل؟

هذه منها حبة، تغلب البغض بحبة، وقيمة الذرة منها ذرة، أين الذي حفاه معشوقه؟ أو غضب عليه مملوكه أو صديقه؟ دلوا عليّ من غضب/ [١٠٨/أ] عليه السلطان، وتخبطه الشيطان، أرشدوا إلى من ضعفت قواه عن الوطاء والباه.

هذا دواء المصروع والمجنون، وهو لإخراج الجنين والمسجون، فاعرفوا ما تطلبون، ولا تتركوا الغالي وتفتشون على الدون، والعافية خير من المال<sup>(١)</sup> وما يأخذ مني إلا صاحب الدرهم الحلال، ثم ينشد ويقول:

عندي حشايش شتى      للناظرين رياضاً  
تلهي العيون وعادات      تسداوي الأمراضاً  
وليس بالسدر عنها      في بيعها معراضاً

/ [١٠٨/ب] فله من ترك الصحة بأيسر منحة، وغلب عقله هواه واقتني لأدوائه دواء، وأدخر الجليل بالقليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل فإذا عبأ توارى أو اختبأ.<sup>(٢)</sup>

قوله: ربطها في طناب من الأطناب، فالطناب في لسان العرب لابن منظور هو: حبل الخباء والسرادق ونحوهما. وأطناب الشجر، عروقها تتشعب من أرومتها.

(١) قوله: والعافية خير من المال. هذا قول صائب حكيم لأنه ربما ظن بعض السذج أن المال يبرقه خير من الصحة والعافية فهذا خطأ واضح وفهم هزيل، فإن صاحب المال ينفقه ليحصل على الصحة، وربما انفق ماله كله ولم يبل ما يتمناه فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى والمتحدث بأن المال يجلب الصحة فهو واهم، لأن الصحة أولاً هي التي تجلب المال، فإن عجزت الصحة ضاع المال لإصلاحها أو إعادة بعضها إن وفق الله الطبيب.

فيا من متعك الله بالصحة حافظ عليها ولا تهدرها فيما لا ينفعك في دينك أو دنياك فإنها نعمة أنعم الله بها عليك وأمانة بين يديك فلا تحملها ولا تستهتر بها فتندم حيث لا ينفع الندم.

(٢) ترى ما سبب قوله هذا: فإذا عبأ توارى واختبأ، أهو لكونه كذب على السامعين وباع لهم ما لا فائدة لهم به، ولا قيمة فيه فهو مجرد نصاب غرر بهم وأوهمهم بأنه يملك مفتاح السعادة والمنا والسرور، ويجلب عليهم راحة البال ويذهب عنهم الهم والغم والكرب والكدر والنكد، وشيخ المرض، أم لأن دورة قد انتهى حب سياق دوره في قصة طيف الخيال، ووجب خروجه من دائرة الضوء ليحل محله من عليه الدور، وهذه طبيعة القصة وطبيعة الحياة أن من ينتهي دوره فيحل =

فيخرج شخص ويقول: ما قدم مقدم المواسي صاحب المباحض والمواسي ذوي الهت والأشنق، والصامت والأخرف، والعدد والأسية والقمادين والغاشية، ومكاوي النوازل، وضافير الاستسقاء والبوازل والمقاريض والصباين والجاص والقطاطير، ومناشير العظام ومساح/[١٠٩/أ] السلخ العظام وكلبتان الزجوج، ومفاتيح الحلوq والقروج. أين صاحب وجع الأذنين؟ والإغماء من سنة وستين.

يا قسوم أما تعرفوني؟ وما أظنكم تجهلونني، أنا جراح القداح، أنا الذي أسلُ في الأرواح وأدملج الجراح. من في الأسية مثلي يحسن يمسك إمساك سنانيري أو يشمر الجفون تشميري أو يقدح في قدحي أو يجرح مثل جرحي أو يهزول العرق هزولتي الكروب، أو يكرهف<sup>(١)</sup> كرهفتي بالكسوب أو لأحد إقدامي؟ أو يتجرأ جرأتي على مسن/[١٠٩/ب] يكون قدامي؟ لأنني كنت أجمع الجموع، وأغزّ والدموع، الطاعن بالحت حصار الاخشان، مفرق الاتصال، بمصالح كالجوكان، أشد وآسى من حديد، وساعدي شديد، أكد المرة شرابي والكتاب كتابي، أبت قانون ابن ملجم، وغسل الدم بالدم، لا أخرج حتى أخرج، وعلى التبريح لا أبرح، وينشد:

لا تحقروني على ما في من صغر      إن البعوضة أدمت مقلّة الأسد  
[١١٠/] كم قد أعيت الألو، عجلت الحقوف، وكرعت الرُكيم، ورفسته فأصبح  
كالظليم وينشد ويقول:

إني امرؤ كاد الورى فهما      ولست ممسن يتقي وهذا  
وكلما أعميت مسن ناظر      قلت لكم إن الحديد أعمى<sup>(٢)</sup>

محله غيره.

(١) في لسان العرب لابن منظور مادة «كهرف»: المُكْرِهِفُ: الذكر المنتشر المشرف. واكْرَهَفَ الذكر: انتشر. والاكْرَهَفَاتُ: الانتشار، والمُكْرِهَفُ: لغة في المُكْفَهَرُ أو مقلوب عنه، وبيت كثير يروي بالوجهين جميعاً وهو قوله:

نشيم على أرض ابن ليلى مَحِلَّةٌ      عريضاً سناها مُكْفَهَرًا صَبْرُهَا

قال الأزهرى: المكفر من السحاب الذي يغلظ ويركب بعضه بعضاً. قال: والمكهر مثله.

(٢) هو يبالغ في وصف الشخص الآخر الذي يحل محل هذا الذاهب فيصفه بقوة العقل والبدن فهو يفهر من أمامه مهما كانت قوته أو سلطانه إما معتمداً على قوته البدنية أو الذهنية فهو ينظر إلى الصعاب بعين القطة ثم ينظر إليها أنسب لما فإن كانت القوة فهي موجودة، وإن كان العقل فقد



ثم ينصرف فيخرج حستون الميزون، فيمشي ويتقلب، وينثني كالعقرب ويقول: هذا خليع الشئوى، وهذا دولا ب الهوى، ثم يدق الطاسات، ويمشي بالبهامات، ويصعد / [١١٠/ب] على قطع الخشب المصفوف، ويقف بقدميه على السيوف، ويتقوس في ليله، ويأخذ الخاتم بجفونه، وينشد، وقد تورد خده، وذبل في أعناق القسي غصن قده،<sup>(١)</sup> وينشد ويقول:

هاك أمري وللمحدث شجون      فافتقدني فإنتني موزون  
بين خصري وبين ردفي فرق      مثل ردفي لسرقة لا يسبين  
وحق الذي حباني بالحسن      لأمر تحار فيه / [١١١/أ] العيون  
ما لصب يحيني غير صبا      من عيون تسيل منها عيون  
ولذا لي على القلوب اختلاس      وسيؤني لها الحسنون جفون  
فيقول معلمه: وقد كادت تزل قدمه: يا قوم هذا الطفل قد أقدم على الختوف، ووقف زمائنا على حدة السيوف، وأنا أقسم بغصن قده، ورماني بزه، لا أنزلته إلا بدرهمين، ولو أقام على هذه السيوف يومين.

/ [١١٢/أ] فيقول الميزون، يا أهل المروة، يا أهل الفتوة، تحيائي عليكم خذوني إليكم، وينشد ويقول:

أنقذوني بخفيف من عنائي وأسعفوني      واذكروني بيسير من عطاكم وخذوني

توفر له منه ما يجعله يقضي أموره في سهولة ويسر ومن عرف عن ذلك فقد عرف ومن لم يعرف فالآن يعرف بعد أن يظهر لهم من قوة شكله وشمته بالقوة البدنية أو القوة الذهنية أو العقلية مما يجعلهم يسلمون له القيا د ويسيروا وراءه دون إقناعهم، ومن له هذه القدرة الحقيقية في السيطرة على العقول والأبدان فله الناس تدان.

(١) وهذا الذي يذكره مؤلف الكتاب هنا نوع من أنواع الاستعراضات الرياضية التي تقدم في السيرك ونسبى «أكروبات». فالمؤدي لتلك الحركات يكون دائما على حذر لأنه دائما في دائرة الخطر، فهو تارة تراه مستقرا وأخرى تراه طائرا وغيرها تراه منطويا، وأحيانا تراه منتكسا، فهو يأتي من الحركات ما يجعل نفسك أو أعصابك في منتهى التوتر والخوف وأنت جالس تفرج عليه، ولقد أدى هذه الحركات قبل أن تراه أنت مئات بل آلاف المرات ولم يحصل له شيء غير أنك هول ما ترى ولأول مرة تجد أن أنفاسك متتابعة ودقات قلبك متلاحقة وعروقك نافرة وحرارتك زائدة وعيناك مغلقة محذقة زائغة وكأنه لن ينجو من الحركة التي هو فيها فكيف بالتي تليها؟! وهكذا.

فيُدعوهُ المعلم إليه من هَزَّة الشَّبَق شجرة كَرَمَة، ويُنالُه درهما من فَمِه،<sup>(١)</sup> وينصرف. فيُخرج شَعُونَ المَشْعَبَت وصدوفه وطلبه وبوقه، ويمد الصغير، ويحول الجردان الخشب ويَطِيرُ العَصافير/[١١٣/أ] ويدق الحبل ويدق الطبل، ويسل الحية مكان الحبل، ويزرع البستان، ويجعل التراب حنطة والنانجة بطة، ويثقب خد رقيقه، ويخرج الحبال من ريقه، ثم يدك المصراف ويذر على وجهه أنواع الألوان، ويقول شعون: خذ بالعيون، لا ينصر القائمون ولا القاعدون، وينشد:

خفيت عن الغرام فلا تراني وعشقتك في الحقيقة قد يراني  
عياناً ما أشاهد أم مناماً لقد أفسدت من/[١١٣/ب] وَلَه عياني<sup>(٢)</sup>  
ويقول: هذا من جراداك التركماني. ثم يتبعها بكعكة ويقول: هذا كعك غسل نحل  
بشمعة. / [١١٤/أ] فيقول رقيقه: هذا الجزاء يقمعه. ثم يقول: يا من أعجبه جذي  
وهزلي، إن عرفت الله عني لا تول، هات ولا عار على من أبطأ وأخلف الله على من  
أعطى ولا من أعطى ثم ينصرف. فيخرج هلال المنجم<sup>(٣)</sup>، وكتابه تحت رمله واصطربلاه،

(١) هذا يدلُّك على أن هذا اللاعب لم يزل بعد جهده الجهد من الرزق غير أقل القليل وقد استخرج له من رجل بخيل ولم يدفعه بدافع الشفقة أو رجاء الأجر، وإما أخرجه لشبق أصابه، واستخرج له هذا الدرهم بعد عناء شديد حيث أخرجه بقلع الضرس حيث أخرجه من فمه لشدة حرصه عليه وإمسأكه ماله إليه، وهو تعبير جميل أعطى المعنى من بعيد، ولكن كان فيه فن وجمال وكتابة وتعميق لحرص الحريص على المال، وكذا بذل الجهد للحصول عليه ولئن ينال صاحبه إلا ما قدر له منه، ولو كان من أحرص الناس عليه.

(٢) وهذه الحركات التي يأتي بها هذا الثاني نوع من خفة اليد التي يسميها بعض الناس سحرًا ويذاع كثير من مثل هذه الأمور في القنوات الفضائية، ويهرجها الأعاجم عن العرب، وهذا المذكور في طيف الخيال هنا يفعل نحوًا مما يفعله هؤلاء الناس من الترفيه والتسرية عن النفس غير أنه ليس في ذلك سحر، وإنما هي مهارة عالية في فعل ما يفعل وإظهار لنا فيها نرى على غير الحقيقة. ومشهور في زماننا هذا المسارح الهزلية أو الترفيهية التي تسمى بالمسارح الكوميديّة التي بعضها لا إسفاف فيه وهو يدعو إلى الترويح عن النفس فقط، وبعضها هازل ماجن كله إسفاف وبذاءة وأتلاف للقيم وتدمير للعقائد وإفساد للعرف والعادة القويمة.

(٣) المنجمون أنواع: فالمنجمون الذين هم يدعون علم الغيب والأخبار عما غاب وادعاء النفع والسضر، فهؤلاء الذين نهى الإسلام عن إتيانهم أو التصديق بكلامهم أو السماح لهم بإظهار باطلهم وحذر المسلمين من مصاحبتهم.

أمّا المنجمون بمعنى الفلكيون الذين ينظرون في الكون ويدرسون كواكبه ومجراته وإبراجه وأجرمه

ويقول:

سبحان من سبحت بشكر حمده وفضله ونعمه الأملاك، وسبّحت في بحر قدرته بالكواكب، وقد سيرها بين طالع وغارب وخصها بالدلائل على أحوال الخلائق، وجعل/ [١٤/ب] سعودها ونحوسها مختلفة باختلاف الدرج والدقائق، وصلى به على الموائد بالكتاب المبين، والوحي من رب العالمين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين. وبعد:

يا ساداتي الكرام، وأعيان العوام، كان في هذه السنة يحدث فيها حوادث ولها أحكام، وذلك أن الله تعالى يأذن للسحاب أن تتراكم وللبحار أن تتلاطم، وللرياح أن تهب، وللحشرات أن تدب، وربما اختلفت بعض الأسعار، وريح بعض التجار، ويدل على تقلبات أهل البوادي وجري السيول في كل وادي، ثم يأذن الله تعالى للبرق أن يلمع، وللغيث أن يهجم، فيا سعادة من خزن الذهب والفضة، ويا شقاوة من لا يملك من الحطام على قبضة<sup>(١)</sup> / [١٥/أ] فبشروا من أول اسمه قاف، وحذروا من أول اسمه كاف.<sup>(٢)</sup>

لكن يا سادة أريد منكم رجلين طالعهما واحد وخلقهما متضاد، لأتكم على الطالع الأصل والتحويل، وكواكب الزمان بالدليل، والحكم على دليل النفس والحياة، وهيلاج القمر

=

ويعرفون حركته وسكناته وسرعته ويطئه وما يستجد لهم فيه على مر السنين فهؤلاء علماء معتبرون محترمون شرعاً وعقلاً، فهم لا يدعون علم غيب وإنما ينبئون عن مشاهدات يشاهدونها وتسوّغات يتوقعونها بناء على مشاهداتهم، فليس فيهم ولا في علمهم شبه ادعاء علم غيب، ومن أدواتهم هذا الاضطراب الذي يستخدمونه في علومهم.

(١) إلى هنا وكلامه زين وإن كان فيه بعض المبالغة لأنّه لم يخرج عن إطار الشرع، فهو يذكر بالله تعالى خالق الليل والنهار وجري السحاب والأنهار، ويقلب الدهر ويرفع قوماً ويخفض آخرين، وليس في هذا ما يشين، فكلها أمور جاء بها الدين وجبل عليها المسلمون وهم بها يعتقدون، ويعلمون ألا دخل لهم إلا بسبب وهذا السبب قد يكون حلالاً أو ضلالاً فهم يفضلون ما أحل الله تعالى على ما حرام، وهم يتحرون مصادر أقوالهم حتى يكون دعاؤهم مستجاباً من رب الأرباب.

(٢) هذا أول فساد الكلام الدخول في الحلال والحرام والتعدي على شرع خير الأنام، ومعلوم علم حساب الحروف وعلم الأفلاك كالسرطان والجوزاء والميزان لكن ليس لهذه الأشياء في علم الغيب شيء ولا لها في الطالع الحسن أو التحس يد ولا دراية بشقاء ولا سعد وكذلك يستعمل طبايع الأشياء ويقسمون الحروف والأرقام إلى ترابي وهوائي ومائي وناري وما إلى ذلك من التقسيمات التي لا علاقة لها بالغيب من قريب ولا بعيد، وما شابه ذلك كله فهو مفسد للعقيدة، وبعيد عن الحقيقة ودجل وجدل وجهل وخبل، فعلى المسلم أن يعي ذلك جيداً ويحذر كل هذه الأنواع.

وبيت رجلاه، وأبين ما يقتضيه صاحب البيت والشرف والاتصال، والانفصال المنصرف، ثم يقول: أنت ما اسمك يا ولدي؟ وأنت أيضًا يا سيدي؟ نعم أبوه البهاء ابن هي في استنها بقي على ستة عشر، تبقي على أربعة في حساب أبي معشر يكون طالعك/ [١١٥/ ب] السرطان ورابعك الميزان أما [الأول] دليل النفس، فأنت لا شك نحس، ضعيف القدرة ولو ضعفوك ألف درة، طيب النفس، حسن الأخلاق، منقادًا قياد قليل الإشفاق، في فقاك علامة وفي فحكك شامة، وخرجت عينك مثل عين عمك الأحوال لكن أنت أدق رقة منه وأطول<sup>(١)</sup>.

وأما الثاني: دليل المال والحركات، فإنك تكون كريمًا مُبْدِل السُفرة، ولو ملكك ألف خيش ما أصبح لك فيها بعة.

وأما الثالث: بيت الأخوة والأخوات والنقل والحركات/ [١١٦/ أ] فيدل على أن المذكور منهم علوق، والإناث قحاب عاهرات.

وأما الرابع: بيت العافية فيدل على أن لا بد من المعونة، وتتصلح عواقب أمورك الملعونة.

والخامس: دليل الملابس فلا من خلعة بألف، ولبس جديد من الخلفاء والأولاد فلا بد أن ينفعوك، ولو خاصمتهم ضعفوك.

والسادس: دليل الأمراض، فعمر كـ مريض، ودواك التقيض.

والسابع: بيت النساء، فأنت منهن على حذر ولكن أحب إليك ملامسة الذكر.

والثامن: بيت الخوف/ [١١٦/ ب] والمواريث فإنك شوت موة المخانيث.

والتاسع: دليل المنامات والأسفار والديانات، فإنك تسافر وتتجو على يقطينة<sup>(٢)</sup>،

(١) هذا قول لا دليل عليه وهو رَصُّ ألفاظ بعضها إلى جوار بعض لا فائدة منها ولا معنى لها وما هي إلا تخريفات شيطان وجري وراء سراب تضع للعقيدة وفساد للديانات وخراب لدنيا الإنسان وآخرته حيث يرص الكاهن أو الدجال أو المشعوذ الكلمات إلى جوار الكلمات ويفضل ألا تكون مفهومات حتى يظن السامع أنه حي يوحى به إليه، ويريد أن يقول له أنت أدري بحالك مني فما قاله من المقال له وافقه عليه بأنه هذا هو السر المكنون والخبر المدفون وسر الخيل والخيول، ووقف الحمال الذي سيؤدي به إلى أسوأ مآل إن لم ينتبه، ومن لم يبع أن هذا المشعوذ ما هو إلا دجال يأخذ ماله ويفسد دينه، ويدمر آخرته، ويرد به في جهنم وبئس المآل.

(٢) سرق هذا القول من القرآن الكريم، وصاغه بأسلوبه الهزلي من قصة يونس عليه السلام حين أنجاه الله تعالى من بطن الحوت واستظل بظل شجرة يقطين أي شجرة فرع أو كوسة وهل كل من سافر وأصابته حادثة في طريق البحر لا بد أن ينجيه الله تعالى، وهل لا بد أن يجلسه إذا نجاه إلى شجرة

وربما عبرت محرصاً إلى المدينة.

والعاشر: بيت السلطان ترى أنك من بعض الأنعام، إما الحمار بأذنه، وإما التيس بقرنه، وهو دليل المعاش، فتكون قواد الجيوش، أو زبلكاش.<sup>(١)</sup>

وأما الحادي عشر: فإنه دليل العشرة، وأنك تجمع بين الرأسين بلا أجرة.

وأما الثاني عشر: دليل الأعداء والدواب والغلمان، وذوات الأنياب/[١١٧/أ] فإنك أي ما تذكر عدوك إلا بالخير، وما تحب إلا ركوب الأير.

وهذا ما دل طالعك هذه السنة، وهو طالع منحوس، فأكرم الطالع ولو بأربعة فلوس والحمد لله عالم الغيب وسائر كل عيب، وينصرف.

فيخرج عواد الدمياطي، ويرقص كالأجلد وعقله مخبل، ويضرب المرأة في المندل، ويشير إلى الكف النحاس، والصورة تجري في المرأة والبلورة، ويقول:

اللهم يا من له الأسماء الحسنى، وبأصاحب الآخرة والأولى، والعز الأسنى الذي/[١١٧/ب] أمات وأحيا، وأفقر وأغنى، وخلق الإنسان من نقطة إذا تُمنى، وكرمه بالإحسان والحسنى، أسألك بالاسم الذي رفعت به السماء، وأطلعت آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، إذا علمته الأسماء الحسنى، أسألك أن تصلي على سائر المرسلين خصوصاً على نبينا محمد وآله الطيبين، وأصحابه المتحابين إلى يوم الدين، آمين رب

السيقطين حتى يتم نجاته مما كان أصابه من البحر وشؤونه وهل طوال العام اليقطين موجود على شاطئ البحر.

إن هذا هو عين الحبل فضلاً عن الدجل، وما علاقة النمامات بالديانات والأسفار والمدن والأشجار. إن للنمامات علوماً مخصوصة تعبر بها حسب رؤيا الرائي وحاله هو صلاحاً وطلاخاً ومهنته وهيبته وبلاده وعبادته، وكل ذلك يعرفه المعبر من رؤيا الرائي لا بالغيب ولا بادعاء وحي يوحى به إليه إنما هو علم يفتح الله به على بعض الناس.

(١) قوله هنا يناقض قوله الأول وإن كنت لا أفهم كلمة: «زبلكاش» فكيف يقول له في أول الكلام «إنه نحس ضعيف القدرة ولو ضعفوك ألف ذرة». فكيف يكون نحساً وبنالاً من السلطان الأنعام ويصل إلى قيادة الجيوش فيكون في أعلى المراتب وهو نحس، قلن يصل إلى تلك الرتبة إلا بعد أن يمر بترتب عالية كثيرة قبلها يكون قد تقلب في نعمها كثيراً وصار فيها عمرًا مديدًا إلى أن يصل إلى مرحلة قائد الجيش أو على الأقل من قواد الجيوش فهذا خبل في خبل وطيف خيال كما وصف وقال، ولكنني أود بمناسبة الكلام أن أنه إلى تصحيح عقائد من يرون أن من يدعي علم الطالع أو السبخت أو الكف أو ما إلى ذلك ما هو إلا دجل وخبل وضياح للعقائد الصحيحة وإفساد للدين، ثم هو في آخر الأمر يطلب منه أربعة فلوس.

(١) العالمين.

اللهم أعزنا من همزات الشياطين ونزغات السلاطين، وأحرف عَنَّا كيد الحسود، ومكر [١١٨/أ] النساء، واليهود، وَحَصَّنَا بِحَصْنِكَ الحصين، وأفض علينا من بركات (طه) و (يس)، وانفع بما علمتنا إخواننا المسلمين، آمين آمين يا رب العالمين.

قال رسول الله ﷺ وفضِّلْ وُجِّدْ وَكُرِّمْ:

«مَنْ علمه الله علماً نافعاً وكنمه عن أخيه المؤمن، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، لا يزال يقيم في ذلك اللجام حتى يفرغ الناس من الحساب»<sup>(٢)</sup>.

وأعوذ بالله أن أكون من الأشرار البخلاء الفجار، فلذلك لا أبخل بما آتاني الله من العلم المكنون [١١٨/ب] والسر المصون، لأن الله تعالى أطلعني على خواص الحروف،

(١) يذهب بك طيف الخيال إلى المتناقضات في صراحة تامة ووضوح فهو يخرج لك عواد يرقص ويتحلى ويضرب المرأة في المندل ويشير إلى الكف النحاس فكل مثل هذه الأشياء تدل على أنه إما أراد أن يظهر لك من طيف خياله كيف أن خيالك يمكن أن يصور لك الرفيع وضيقاً والوضيع صعباً رفيعاً، وكل هذا بحثاً عن غي يصدقه فينتزه، ويستنزف ماله ويفسد عليه صحته، وهو يبدأ بالخيال ثم ينثي بالوعظ السليم حتى يغمر بك بأنني مسلم موحد، فتصدفه فيما يقوله لك فيما بعد، وهذا أسلوب خبيث جداً ينطلي دائماً على أهل التيار الإسلامي في مصر حيث يغري الفرد منهم بما يغري به من قول معسول فيصدق ما يقال له ويترك ما هو عليه من صواب.

(٢) قوله: وأفض علينا من بركات (طه)، (يس) من الأقوال المشهورة بأن لهما خصوصيات عن سائر أي أو سور القرآن خصوصاً (يس) وهذا قول شائع ولا أساس له من الصحة خصوصاً أحاديث الفضائل الشاملة على فضائل القرآن، وفضائل الملائكة، وفضائل الشهور وفضائل الأيام، وفضائل الليالي، وفضائل البلدان، وفضائل الصحابة إلى آخر ذلك من القول في الفضائل.

والصحيح أن القرآن كله منزل من رب العالمين، فلا فضل لأية على أية ولا سورة على سورة، وكله ميزان واحد. وكذلك البلدان غير مكة والمدينة والقدس وطور سيناء لما أحصاه الله تعالى به من خصوصيات منصوص عليها في القرآن. وكذلك الشهور والأيام والليالي لا تعرف فيها فضائل غير ما ذكر الله تعالى من فضل الأشهر الحرم، وفضل رمضان، وفضل ليلة القدر، والحج وما سوى ذلك فقول لا دليل عليه.

وأما فضائل الصحابة فلا فضل نعرفه إلا للأئمة الأربعة ثم بعد ذلك كلهم فضول لا تفرق بينهم وكلهم من رسول الله وإلى رسول الله يلتزم، وكلهم فحسبهم من خيرة خلق الله تعالى.

أما عن الحديث الذي ذكره فلم أقف على تخريجه فيما بين يدي من كتب وإن كانت علامات الضعف بل الوضع عليه لا تامة، ولا يحتاج إلى تدليل عليه وعلى المسلم أن يتحرى ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أقوال قبل أن ينسب إليه حتى يبرأ لدينه وتقى عقيدته من الشوائب وتصفو له عبادته وتستقيم علاقته بربه.

وأوقاف المئين والألوف، حتى جمعت في هذه الأوراق زبد العزائم، والأسماء والأوقاف، ومنافع الكتاب العزيز، وسطرت ذلك بالزعفران، واللازورد والذهب الأبريز ثم يخرج الحروز ويقول:

قولوا عند رؤيتها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،

ثم يفتح تلك المهارف/ [١١٩/أ] ويصفها صف النمارق، ويقول: أول ما كتب اليمين عرق الجبين بفضل بسم الله الرحمن الرحيم، كتب بعد الاسم الأعظم الذي تكلم الله به قولوا: عزَّ الله على القمر فأنار، وعلى الفلك فدار، وبعده خاتم سليمان عليه السلام، وكفَّ مريم، واتبعته بالحصن الحصين، وخاتم النبي عليه السلام، وحرز أبي دجانة الأنصاري، ومنطقة على، ودرقة حمزة.<sup>(١)</sup> وهذا باب للعين والنظرة، وللحما والحمرة، وباب

(١) قوله: كتب بعد الاسم الأعظم إلى موضع الإشارة لي عليه تعليق خاص باسم الله الأعظم والآخر خاص بالأسماء الواردة. أما بالنسبة لاسم الله الأعظم: فهذا قول شائع ولا أساس له من الصحة ومعلوم أن الله تعالى أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنی فقال: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا قول لا شك فيه ولا مراء ولا جدال.

أما القول فهو في كون الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ الذي أوله: إن لله تسعة وتسعون اسمًا... الخ ونحوه فهذا وأضرابه أحاديث ضعيفة لا يولخ بها وقد دخل في أسمائه أسماء لا يصح أن يوصف بها سبحانه، ودعوى اسم الله الأعظم هذه دعوة صوفية باطلة فكل أسماء الله تعالى عظيمة ولا خصوصية لاسم على اسم وأما قوله: وحرز أبي دجانة الأنصاري، فهذا أيضًا قول غير سليم، فما لأبي دجانه حرز غير الله تعالى وليس له ملاذ غيره وليس له توكل على سواه، وأما أبو دجانة فهو: سماك بن خرشة، وقيل: ابن أوس بن خرشة. متفق على شهوده بذكره، وعلى أنه استشهد باليمامة وأسد ابن إسحاق من طريق يزيد بن السكن: أن رسول الله ﷺ لما التحم القتال ذب عنه مصعب بن عمير يوم أحد حتى قتل وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراح.

وقيل: إنه ممن شارك في قتل مسيلمة، وثبت ذكره في الصحيح لمسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فأخذه أبو دجانة، فعلق به هام المشركين وأخرج الدولابي في الكنى من طريق عبيد الله بن الوازع عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير بن العوام عرض النبي ﷺ يوم أحد سيفًا فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا، فما حقه؟ قال: «لا تقتل به مسلمًا، ولا تفرَّ به من كافر» (الإصابة ص ٧/ ٥٧) وأما قوله: ومنطقة علي. فالإسلام لا يعرف التبرك بالآثار ولا البرادي والخرق ولا الحديد والشجر، وإنما يعرف التبعيد لله بما شرع الله وأخبر نبيه ﷺ وليس في ذلك منطقة علي ولا غيره.

للتشفقة والضربان. [١١٩/ب] وباب للمطحال والقاشية. وباب للتوايع في الأولاد. وهذا باب لإطلاق المحبوس وتخليص المهنون. وهذا باب للطاعة والقبول، ولمنع الحديد وركوب الخيل، ورمي النشاب.

[١٢٠/أ] ثم يقول: استأهل على هذا دينار، وأنا أخصّ عليكم بطريق الإيثار. أخلى منه درهماً لمن يقول: لا إله إلا الله، ودرهماً لمن يقول محمد رسول الله، ودرهماً يذوب مع النحاس والحديد والرصاص، يقطر في حذقة من يغش المسلمين، يقي درهم من الكتاب، لا، والله كلام الله لا يباع ولا يشتري، بل ثمن هذا الغلاف الأديم الطائفي لما حججنا وقفة الجمعة صبغت في سبع قرب مملوءة بماء زمزم، وأعطيتها للصناع خرزوها بالشريط، وهذه الخميلة الحرير والصوف إن كانت بدرهمين كثيرة أنا أوهبها بلاش، من قال درهم قبلت، ولا ثمن ولا ربع درهم، ونصف درهم، وربع حُلّ وأسبق حل، وأسبق يا أرض اشهدي ويا سماء اعهدي، ويا ملائكة ربي ليكفي، أي من أعطاني شهد الله ما قيمته درهم فرط قيراط أبيض، لك يا سيدي على [١٢٠/ب] رأسي أنت أيضاً كرامة.

أخرج فتوحك الساعة، تقولي لي: هات، أقول لكم: فات، وما بقي يتخلف عني إلا كريماً ما معه شيء أو من لا له في كلام الله نصيب، ومن أراد أن يرى بركته، يات الليلة

وأما عَلِيّ فهو علي بن أبي طالب العلم المعروف، والصحابي المشهور الذي تنازعت فيه الأمة، وانقسمت بسببه إلى شيعة وسنة وهو من كل ذلك براء وقد لقي ربه ولا يعرف ما شيعة وما سنة، ولقد فارق الدنيا وإن الذين لأمره واحد، ولو رأى ما يفعل ويقال باسمه اليوم لثبرا من الجميع ولجا إلى ربه يرجوه اغداية والبراءة.

والمنطقة هو ما يتمنطق به المرء من القماش أو الحبل أو الحزام أو ما شابه ذلك مما يربط على الوسط من الإنسان.

وأما قوله: «ودرقة حمزة». فأقول فيه كما قلت في منقطة علي، والدرقة هي الترس أو الدرع الذي يصنع من الجلد الخالص ليس فيه خشب ولا عصب وإنما هو جلد فقط، ولا أدري لماذا اختص منطقة على درقة حمزة، وادعاه أن لأبي دجانة حرز أو عصية هو قول باطل.

ويقول ابن منظور عن الدرقة في لسان العرب في مادة «درق»: الدرْقُ: ضرب من الترس الواحدة درقة تتخذ من الجلود. وقيل: الدرقة الحَجَفَة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب، والجميع دَرَقٌ وأدراق، ودراق. وأما حمزة فهو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وسيد الشهداء قتل يوم أحد وصلى عليه رسول الله ﷺ أكثر من سبعين صلاة قبل أن يدفن وما زال قبره يزار حتى اليوم في المدينة المنورة في موضع الموقعة.



على طهر، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات وينام فإنه يرى في منامه طلعة البشير النذير السراج المنير النبي محمد ﷺ. <sup>(١)</sup>

وفيه باب بعد ما قلته لمن أحب قومًا ما أحبوه، أو أرادهم ما أرادوه، خذ لي مهذين الأصبعين قليل من الجنة ما اسمها الجنة/ [١٢١/١] بل اسمها الجنة، حنت أبونا آدم في الجنة، وبيتها مع الكتاب ليلة الأحد.

وقوم قبل طلوع الشمس خذ بحمرة نار تكون طاهرة، وشق النار بسكينة والقي الجنة فيها، وقل: أطلقت، ولا تقل أحرقت تعذب الشخص ألفت محبتي في قلب أخي، أختي، زوجتي، مطلقتي، أستاذي، في الحلال، في ذمتي، في الحرام في ذمتك، وحق من شق الأشقاق، وأثار النور في الأحداث، ما أدخل الدخان يطل، والنار تخدم، إلا والمحبة قد انقلبت في قلب/ [١٢١/ب] المطلوب ببركة النبي صلوا عليه. <sup>(٢)</sup>

ثم يقول: وسأشرح لكم منافع نظمًا، وينشد:

ألا خير ما تسعى لتحصيله الورى      كتاب من الرحمن بالنور سطرًا  
كتاب كريم كافي الحظ شافيًا      يُجَلِّ وَيَعْلُو أن يسباع ويشترى  
وكم أرمد بالسحر قد كان أكمة      فلما رأى ما فيه بالنور أبصرا

(١) وهذا الذي يذكره أيضًا على الرغم من أنه طيف خيال إلا أن له في واقع الناس مجالاً وكثير منهم يتخذ تلك الأحراز ويعتقد أن ما دام ليس فيها شرك أو أساء غير معروفة أو كلام غير مفهوم فهو حلال، وهو توكل على الله تعالى. فأقول لهم: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

فهذا ليس مما آتانا الرسول الكريم وهو مما ناهانا عنه ﷺ، فكيف ينتفع أو يتبرك بما نهى عنه ولم يأمر به؟ فعلى المسلم أن ينته ولا يهتم بمنيق الكلام ورواقه، ولكن عليه بحقيقته وجوهره حتى يلقي الله تعالى على التوحيد الكامل الذي لا شائبة فيه.

(٢) وهذا من دجل الفعل والخبر عن سيدنا آدم عليه السلام لا يبرهان عليه ولا دليل، والجنة حنة لا فائدة لها سوى ما يستخدم له من علاج بعض أمراض الجلد وما يتزين به منها، وما عدى ذلك فهو جهل ودعوة إلى ضلال، واعتقاد في فساد، وإتلاف لإيمان المرء، وهدر لمال في غير منفعة بل لمضرة الدين، حيث إنك إن اشترت ذلك لكي تستخدمها فيما وصف لك فقد أضعت مالك ودينك معًا.

فعلى المسلم أن ينقي عقيدته ليلقي الله تعالى وهو مسلم خالٍ من كل نقیصة أو خالٍ من الشرك به خفيًا كان أو جليًا، سرًا كان أو علنًا.

عسد العلى في التمام جنة  
 / [١٢٢/أ] وَلَقَبْتُهُ الحصن الحصين؛ لأنه  
 وقد كان منصور اللواء مظفرا  
 لحصن نبي الله بسات مصورا  
 حامله أمسى به متأخرا  
 عزيزا مهيبا في القلوب موقرا  
 وهان لها الطلق الذي قد تعسرا  
 عيانا وقد فاضت من الدم أبحرا  
 وقد غدا به أمرها للعالمين ميسرا  
 / [١٢٢/ب] وأرملة عطلا من الزوج  
 فيا لك من حرزٍ أحرز النجح كله  
 وأن الذي قد ناله ملك قيصرا

ثم يقول: اعلّموا رحمكم الله أن الأسماء وروع، وليس معها ما يروع. <sup>(١)</sup> فيخرج شخص صغير من أولاده، ويسقط كالمصروع فيتجاهل عنه، والصبي قد أربدت شذاه وازورت عيناه، وهو بحاله المسكوع، وعيناه مغرغة بالدموع، فيقول له الرئيس علي: / [١٢٣/أ] يا حكيم هذا وقت ضامك، والاتقاع برقك وعزائمك. فيقول: أجل، فسيدين منه، ويقول: الوحي الوحي، العجل العجل الساعة الساعة، يأخذ حرزا من تلك الحرور، يمينه، ويضعه للصبي من فوق جبينه، ويقول، أقسمت عليكم معاشر الجن والشياطين، والأبالسة والمتمردين، من جنود أبي مرة <sup>(٢)</sup> الشيخ اللعين، إن كنتم من أرواح أشباح اليهود الناقضين للعهود، باهيا شراها أو وناي، أصباوت آل شذائي.

(١) الشعر، والتعليق بما بعده كله من نفس نوع ما سبق من الكذب والدجل الذي يستخدمه المشعوذون وما يدعونه من جلب الأرواح للعوانس أو للأرامل، أو المحبوب اغارب من عبوته أو الزوج النافر من زوجته أو عودة الغائب إلى بلده أو لإرضاء الغضبان وما إلى ذلك مما يتمناه كل إنسان لمن يريد من غائب أو مريض أو هارب أو شارد، فهذا أمل كل ملهوف وهو هدف يستغله كل مشعوذ ليصطاد به ما في جيب هذا الواله على من له وقد قلت منه زمامه.

(٢) أبو مرة كنية إبليس اللعين وهذه الكنية هي علم عليه يذكرها الكثير حتى صارت لصيقة به، وقد ذكروا أن لإبليس أسماء كثيرة وخصصوا لكل اسم صفة أو عملا فجعلوا لمن يعطل عن الصلاة اسماً ولمن يوسوس اسماً ولمن يدعو إلى الزنا اسماً، ولمن يدعو إلى السرقة اسماً، وهكذا جعلوا لكل عمل شر اسماً ونسبوه إلى إبليس، والإسلام لا يعرف عن إبليس أو الشيطان إلا ما ذكر الله تعالى له من أسماء سواء كان: إبليس أو الشيطان، وأما من ذهب إلى غير ذلك فقد أعظم القرية وبالف في ادعائه بعلم ما لم ينزل الله به من سلطان سواء خنزب أو غيره من الأسماء، أو الكنى.

وإن كنتم / [١٢٣/ب] من أرواح أشباح نصارى فبالذي ركب الحمار، وشذ السدبار، وعمل من الطين كهيئة الأطياف ونفخ فيه فطار. وإن كنتم من أرواح أشباح المحوس، فبالنار، والنور والظل والحرور، والظل الذي يدور.

وإن كنتم من أرواح أشباح المسلمين فبفضل بركات (طه) و (يس) وسيد المرسلين، أجيبوا عزائمي، واحفظوا ضائمي، لا ساء تظلمكم، ولا أرض تقلكم، الأرض بكم ترجف، والسماء بكم تقذف وبالذي أمر البرق فلمع، والسحاب فجمع، وكلم موسى / [١٢٤/أ] فأسمع، ونظر إلى الجبل فتدكدك الجبل من هيئته وتقطع.

أيها الجان اللابس هذا الإنسان، أخرج من الأنملة، وادخل في هذه المكحلة. فيعطس الصبي ويقول: يا حكيم دخل كله وما بقي منه إلا أقله، فيتوج منيطرون ويعبئ ما شاء من الزيتون وادفنها في هذه البقعة، ويفيق الصبي ويقعد وترنم وينشد «شعر»:

جمال وجهي يسبي بحسنه كل جنسي بحسن خلقي وخلقي  
/ [١٢٤/ب] ولطف قدي وأنسي<sup>(١)</sup>

وينصرف، فيخرج شبل سبع السباع وخلفه الأسد والأتباع، وهو متقاد بالسلاسل والأغلال، وهو يمشي بنمارة كالمختال، وأوفه كالمرتاب، وقد مرَّ غير خائف ولا مرتاب، وهذا وشبل السباع، وقنا يرود، ووقنا نجده، وقد ثقل عليه هوضه وهو مع ذلك ينشد ويقول:

انظروني يا سادتي كيف حالي في مدارات ضلغم قنثلي  
/ [١٢٥/أ] مائل حائر أروم رضاه كل يوم بذلة واحتمال  
ليس يغني عني إلا لأني سايس مطعمهم بلا إدخال  
وأنسا في يديه قطعة لحم فاعتقوني من رقعة يا موالي

(١) لقد أجاد مؤلف طيف الخيال ابن دانيال في وصف الشعوذة والمشعوذ حتى لكاد أن يكون واحدًا منهم فاستعمل ألفاظهم وتحرك بخياله حركاتهم وأضفى على الجو جوهم وملاء الموضوع بخورًا ودخانًا وكأنك تعيش بينهم، وتشعر شعور من يتعامل معهم وجعلك تهم معهم في جو من الدجل والخيل والشعوذة وتسمع ترانيمهم، وترى الكلمات وهي ترسم لك الصور المتلاحقة لما يريد أن يريك من براعته في تصوير الجو الذي يريد وكأنك تعيشه وتشاهده وتحسه بل وتشمه.

فيبادرون إلى إجابة طلبه، ويستعيزون من شر الأسد وغضبه. وينصرف.

فيخرج مبارك الفبال. وفيله ويغلو بالهندية قاله وقيله ويقول:

ط ككا طلندا أكندا كرواد اكرندا كرديا ودسا.

ثم يصدق هامسته بالكلاب الحديد، ويأمره أن يخدم جاثيًا كالعبيد/ [١٢٥/ ب]

فيخدم وينهض جاثلاً بزلومته في الطريق، ويتغازل وينشد الفبال بلسان طلق ذلق ويقول:

انظروا إلى الفيل في تهويل خلقته وأعجب الإتيقان صنع الخالق الباري

كفته قد بنيت عمداً على عمدٍ وقُبرت ظاهراً بالزفت والقاري

بل كالسفينة في نهر قد انقلبت وقد رمى ظهرها رامي بيكار

تخال من ورق القلقاس قد نبت أذانه إذ تراه عادياً جارياً

// [١٢٦/ أ] ثم يتولى مطرقاً ومعجباً بنفسه بتلك الزلومة<sup>(١)</sup> والصبيان ينادون من خلفه:

(١) ذكر الدير الفيل في حياة الحيوان الكبرى فقال: الفيل معروف وجمعه أفبال وفيل وفيلة قال

ابن السكيت: ولا تقل أفيلة، وصاحبه فيال. وكنيته: أبو الحجاج، وأبو الحرمان، وأبو دغفل وأبو كلسوم، وأبو مزاحم، والفيلة أم شبل، والفيلة ضربان فيل وزنديل وهما كالبخاني والعراب، والجواميس والبقر، والخنيل والبراذين، والجرذ والفار، والنمل والذرة، وبعضهم يقول: الفيل: الذكر، والزنديل: الأنثى وهذا النوع لا يلاقح إلا في يلاذه ومعادنه، ومغارس أعرافه، وإن صار أهلياً.

وهو إذا اغتمل أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه ولم يكن لسواه إلا الحرب منه، وربما جهل جهلاً شديداً. والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين وزمان نزوه الربيع، والأنثى تحمل ستين، وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسه ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين.

قال عبد اللطيف البغدادي: إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة، فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لأنها لا تلد إلا وهي قائمة، ولا فواصل لقوائمها، وتلد والذكر عند ذلك يحرسها ولدها من الحيات. ويقال: إن الفيل يحقد كما يحقد الجمل، فربما قتل سائمه حقدًا عليه. ويعظم تاباه، وربما بلغ الواحد منهما مائة من وخرطومه من غضروف، وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فمه ويقاقل بها.

ويصبح ليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي. وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها. وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب، ويفعل ما يأمره به سائمه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضاً والمقهور منهما يخضع للقاهر. ويطول عمره، فقد حكى أرسطو أن فيلاً ظهر أن عمره أربع مائة سنة، واعتبر ذلك الوسم. وبينه وبين السنور عداوة طبيعية حتى أن الفيل يهرب منه كما أن السبع يهرب

خالومة، زالومة. وينصرف.

فيخرج أبو العجب وجديهُ المذهب، ويشير إليه، فيحرك شرارِب قرونه بعداوة المذهب ثم يأمره أن يقوم على رجله، وأن يريه الولد الحلال بيديه ويرفع على الكرسي القطع الخشب، وينشد معرُضًا للطلب ويقول:

[١٢٦/ب] علّمت نياسا فأضحى ييدي

وصار بالنجم يحمي، وما عرفت

والتيس أرشد ممن لا يقبل التعليم

ثم يذهب وقد أوقر كفه، ثم ينصرف والجدي خلفه.

فتخرج الصائغة وثبات،<sup>(١)</sup> ومعها المشاريط والكاسات، وترفع صوتها وتقول: الصائغة يا بنات.

- هذا وقد ربطت المحلاة وقد أظهرت جيدها بالطوق، وصنوف المحلاة، وغرزت عصابتها بمككلات/[١٢٧/أ] الإبر، وتوشحت الخنز من الحرير، وكشفت عن ساق أبيض منقوش، وتشت بين زبول وخلخال منقوش فتتحرك لوصالها الدماء، وتكشف عن وجه أحسن صورة وألذ ماء وتقول: يا نور عيني أنشدني حسيني. ثم تقرع المسامع، وتمد صوتها في الشارع وتقول زَحَلْ وتدع الكَسَلْ: يا مشعر العشاق من لو ثبات إذا زعقت الصائغة: يا بنات أنا الذي أسبي عقول الرجال/[١٢٧/ب] ما بين أعطائي وغنج الدلال، وأطمع الناس بطيف الخيال، وأنا من الغرّ المها السابحات من دار في مصر أو في الشام، هذا اللّما من تحت ذاك الوشام مثل الأقاح أو مثل نشر الخزام، كخضرة الأس وخُسن النبات أنا العروس الكاملة يا خلي وكل شارع لي به مُجْتَلِي وما رأى ردْفِي وخصري خَلِي إلا فنى من فرط حسني/[١٢٨/أ] إلا ومات. أبصّ رُوحِي في بحاري الكؤوس، وإن غَشِي من أعانق وأبوس. وما أجوجو قط بمشراط وموسى، إلا بأحضان النّظبا الساحرات. فيصبو إليها من فيه دم، ولا يجاوزها ناظر ولا فم وينصرف.

فيخرج أبو القطط، والفار في السفط<sup>(٢)</sup> ويشير إلى هرة، ويترنم بإنشاد شعره ويقول:

من الديك الأبيض وكما أن العُقرب متى أبصرت الوزعة ماتت.

(١) في المخطوط: يا بنات والتصويب من السياق القادم.

(٢) السفط في لسان العرب في مادة سَفَطَ (ص ٢٠٢٧) السَفَطُ: الذي يُعْبَأُ فيه الطيب وما أشبهه من

أصلحت من شأنه الفساد      وقدت من طبعه/[١٢٨/ب] العناد  
 فإذا وهـر ولفـت حتـى      تألف الطـبع والـوداد  
 ثم يقول: أصعد يا أمير الطيارة وأحذر أن تعضك القارة، وأخرج له أنت يا سود  
 الأب، وأنت يا سنان الأشهب، وخذ أنت الروة الحمراء، وأنت القروة الصفراء، وأنت يا  
 سنان الغيط، الحقه يا سنجاب في الحبط، وقف أنت يا بليق على ظهره، وعضه يا أبا  
 الحدايا في جُحره، فيتمثلوني ما أمرهم، ويضحك لذلك من حضرهم، / [١٢٩/أ] ثم  
 يقول: يا ستار لا بلّاه الله هذا القار.

وينصرف فيخرج زعير الكلبي وكلابه، وجراه، وأصحابه، ثم يقعد وينشد ويقول:  
 تعلمت أخلاق هـذي الكلاب      ومن لي بأمثالها في الصحاب  
 وفاء وصبر وحسن الدمام      وذبحاً عن الخـل وقت الضراب  
 وتسهر إن نمت في قفـرة      وتحرسني من ضواري الذئاب  
 / [١٢٩/ب] كلاب ولكنها فضلت      على بعض قوم حشوا الثياب<sup>(١)</sup>

أدوات النساء. والسُّفَطُ معروف. قال ابن سبدة: السُّفَطُ: كالجواليق، والجمع أسفاط.  
 قلت: والمراد الوعاء، والمراد هنا في سياق الكلام كالفار المحبوس داخل الوعاء لا يجد لنفسه مخرجاً  
 ولا مهرباً فلا بد أنه ملاقٍ حتفه وواقع في يد الصياد الذي نصب له هذا الفخ الذي نصبه له،  
 ومرادها هنا أن من رآها لا مقر له من أن يقع في هواها.

(١) هذا موضوع شرحه يطول، وقد ألفت الكتب في ذم الأصحاب، وفي عدم وجودهم على الحقيقة  
 ومما قالوه في هذا الشأن أن أربعة من المستحيلات، أو أن المستحيلات أربعة:  
 الخلل الرومي، والعناء، والغول، والقبيل الأبيض.

وألفت كتب في تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب وهذا عنوان كتاب لأبي بكر المرزباني،  
 وقد أتعرض له وأنقل له بعضاً منه أثناء حديثي، وأنا أنقل لك الآن قول الإمام السيوطي من كتابه  
 الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصحاب الذي اختصره من كتاب شفاء الخليل في ذم الصحاب  
 والخليل لجمال الدين علي بن الظاهر الأردني المصري فيقول في الباب الثاني (ص ٢٤) تحت عنوان  
 أن الصديق غير موجود:

وقال الكندي: الصديق اسم على غير جسم.

وقال قال الفضل بن العباس: دلوني على رجل أسكن إليه في الرخاء والشدة، قيل له: تلك ضالة لا  
 توجد.

وقال الإسكندر: طفت الدنيا وما أعجزني شيء إلا وجَدان صديق صدوق.

وقال بعضهم: من ظن أنه وجد صديقاً صدوقاً فاقطع أنه مجنون.  
وقال آخر: من قال: أنه رأى صديقاً صادقاً، فاحتم على أنه كذاب.  
وقال بعضهم:

صاد الصديق، وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا  
وقد تحدث قوم باجتماعها وما أظنهما كانا ولا اجتماعا

وقيل لبعضهم: ما معنى الصديق؟ فقال: لفظ بلا معنى. وقيل لأعرابي: كيف أنسك بالصديق؟  
فقال: وأين الصديق؟ بل أين الشيء بالشيء بالصديق؟ والله ما يوقد نار الضغائن والدُّحُول (الثأر)  
في أخي إلا الذين يدعون الصداقة ويعانون النصيحة، وهم أعداء في مسوك الأصدقاء.  
وقيل لأبي النضر: لم لا تتخذ الأصدقاء؟ قال: حتى أتفرغ من الأعداء، وأطلب صديقاً من الجن،  
فإنه قد أعوزني في الإنس ... وبعضهم:

سعدنا بالصديق ولا نسرره على الأيسام يوجد في الأنام  
وأحسبه عمالاً أو رده على وجه المحاز من الكلام

ويقول في الفصل السادس تحت عنوان: أن الكلاب خير من كثير ممن يلبسون الثياب (ص ٤١):  
قال بعض الحكماء: من كان فيه ست خصال فهو إنسان كامل، وإن عدم واحدة منهم فقد عدم  
سلس الإنسانية، وإن عدم الكل فليس بإنسان، وهي الإنف، والحياة، والعقل، والأنفة، والشكر،  
والرجاء. قيل: وهذه كلها مجتمعة في الكلب.

أما الألف: فإنه يضرب ويجفي ويقصي ولا يرداد إلا قريباً ودنواً من أصحابه، وكفى شرفاً قصة  
أهل الكهف. وقال الشاطبي:

وقد قيل: كن كالكلب يقصيه أهله وما يتلصق في نصحبهم متبذلاً

وأما حياؤه وعقله: ففي قبوله الأدب وتصرفه عند الإشارة وغيره.

وأما شكره: ففي صبره على فقد صاحبه إذ هو يصحبه، وإن لم يجد ما يقوته، ولا يتركه ويتزعج  
إلى المواضع التي يجد فيه الخبز.

وأما رجاءه: ففي بصيصه بذنه وعقله.

ويقول المرزباني في كتابه الشهير: «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» ص ٢٦: والكلب  
أيديك الله، منافع كثيرة فاضلة على مضاره، بل هي غامرة لها وغاية عليها، ولم يزل القضاة،  
والفقهاء، والعباد، والولاة والنساک الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرونها اتخاذها  
في دورهم مع ذلك يشاهدونها في دور الملوك، فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها  
بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة وأن من كان أمر يقتلها في قديم الزمان إنما كان  
لمعنى، ولعله، وأن هذه الكلاب بمزول عن تلك.

وقال عمر بن الخطاب: من لا يعرف الأمور يقول: إن الكلب من السباع، ولو كان كذلك ما ألف

ألا أني بينهم يا سادة ريتهم على امتثال أمري، ورقصتهم على طاري وزمري. أين أنت يا قطيش الأظلم؟ وأنت يا دبوس الأظلم؟ أين هو طبق الورد، وسوار، وعكرش وعنابة، والشهالة؟ فيجأوه الكلاب بالعوي، وترقص على الإيقاع السوي.

فيقول: اغتصموا دعاء الكلاب وأعينوه يا ذوي الألباب، واستعينوا بأولي الكسر [١٣٠/١] والعظام، فتحن ضيوفكم، وضيف مثلكم ما يضام. فيخرج الوحش والدبة، وعصاته والركبة، ويضرب بها ضرب النواقيس، ويقول الزمر يا خيس، وينشد ويقول:

صحبة الذب علمتني الكفاحا وأرتني من الفساد صلاحا

الناس، واستوحش من السباع، وكره الفياض، وألف المجالس والديار، وكيف يكون كذلك وهو لا يرض لنفسه بالنوم، والربوض على الأرض وهو لا يرى بساطاً ولا وسادة إلا علاها وجلس عليها، وأيضاً فهو لا يجد إلى كل موضع جليل نظيف سبيلاً فيقصر عنه وتراه متحيراً أبداً أرفع المواضع في المجلس وما يصونه صاحبه. قلت (أي المؤلف): والكلب يعرف صاحبه وهو والسور يعرفان اسميهما، ومواضع منازلهما ويألفان موطنهما، وإذا طردا رجعا وإذا أجمعا صبرا، وإذا أهينا احتملا. ولكلب أيضاً فضائل: إتيانه وجه صاحبه ونظره إليه في عينيه، وفي وجهه وجه له، ودنوه منه حتى ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤلم ولا يؤثر وله تلك الأنياب التي لو أنشبهها في الشجر لأنثرت، قال بعض الشعراء:

أبها الثنائي الكلب أصغ لي منك سغاً ولا تكونن حيساً  
إن في الكلب فاعلمن خصالاً من شريف الفعال يعددن خساً  
وحفظ سر من كان عسنا ووفاء للذي يستحلده حرباً وحرساً  
وأتباع لمرحله، وإذا صار نطق الشجاع للخوف همساً  
وهو عون لنتائج من بعيد مستجيراً بفقره حين أمساً

قال أبو بكر الصديق: إن الرجل في البادية إذا ضل الطريق وهاته الليل نبح نباح الكلاب لتنبح كلاب الحي، فيتبع أصواتها حتى يصير إلى الحي. وقال في صفحة (٢٥):

ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخبر والنشر والمدح والذم حتى ذكر في القرآن وفي الحديث وفي الأشعار والأمثلة حتى استعمل على طريق الغال والطيرة، والاشتغافات للأسماء فمن ذلك: أكلب بن ربيعة. ومكلب بن ربيعة بن نزار. وكلب بن يربوع. ومكالب بن ربيعة بن قذار. وكلاب بن يربوع. ومثل هذا كثير.



لي خِلْ من الدباب غليظ الطبع جافٍ      يــــــصــدني حِجَا جــــا  
هذبته عصاي حتى عصاني      وأرته الأفراح/[١٣٠/ب] والأتراح<sup>(١)</sup>

ثم يقول: هذا مثنى السمنية، وهذا رقاد السكلانة. ثم يقول: من يقول من يصلي على المنتحب لا يولي وإن لم يكن لي فمن لي هائم بجنانه، أطل الله أعماركم، وعمر دياركم، وينصرف.

فيخرج الناتو، ودبادبه، وطرطون، وذوائبه ويهز المزاريق، ويكر مقبلاً ومديراً في الطريق، ويبتلى عينيه، ويفتح بأصابه شذقيه، ويهيج كالطلي، ويرقص ويغني على إيقاع الطبل، ويقول.

/[١٣١/]/ يا نانوا يا نانوا      يا نانوا يا نانوا

(١) الدب ذكي غير أنه يقبل التعليم بصعوبة بالغة على العكس من الكلب وإن كان وصف بالحمق فقالوا: أحق من دب.

وقد ذكر الدميري في حياة الحيوان الكبرى الدب فقال: الدب من السباع معروف، والأثني دبة، وكنيته أبو جهينة وأبو الحلاج، وأبو سلمة وأبو حميد، وأبو قتادة وأبو اللباس.

والدب يحب العزلة، فإذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذ في الغيران ولا يخرج حتى يطيب المساء، وإذا جاع يمتص بدبه ورجليه فيندفع عنه بذلك الجوع، ويخرج في الربيع كأسن ما يكون. وهو مختلف الطباع لأنه يأكل ما تأكله السباع، وترعاه البهائم، وما يأكله الإنسان ومن طبعه أنه إذا كان ألوان السفاد خلا كل ذكر بأنثاه، والذكر يسافد أنثاه مضجعة على الأرض، وتضع الأثني جسورها قطعة لحم غير ميز الجوارح فتهرب به من موضع خرقاً عليه من النمل، ومع ذلك تلحسه حتى تميز أعضائه ويتنفس.

وفي ولادتها صعوبة وربما أشرفت على التلف حالة الوضع، وزعم بعضهم أنها تلد من فيها. وإنما تلده ناقص الخلق تشوقاً للذكر وحرصاً على السفاد، ولشدة شهوتها تدعو الأدمي إلى وطئها. والأثني إذا انهمزت دعت جراءها بين يديها فإذا اشتد خوفها عليها صعدت بها الأشجار وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التاديب لكنه لا يطيع معلمه إلا بعنف وضرب شديد.

قائدة: قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في آخر كتاب الأذكياء: هرب رجل من أسد فوقع في بئر، فوقع الأسد حلقه فإذا في البئر دب، فقال له الأسد: منذ كم لك ها هنا؟ قال: منذ أيام وقد قتلتني الجوع، فقال له الأسد: أنا وأنت نأكل هذا الإنسان وقد شبعنا، فقال له الدب: فإذا عاودنا الجوع ماذا نصنع؟ وإنما الرأي أن نحلف له أننا لا نؤذيه ليحتال في خلاصنا وخلاصه، فإنه على الحيلة أقدر منا، فحلفا له، فشبث حتى وجد ثقبا فوصل إليه، ثم إلى الفضاء فنخلص وخلصهما.

ومعنى هذا: أن العاقل لا يترك الحزم في كل أموره ولا يتبع شهوته لاسيما إذا علم أن فيها هلاكه بل ينتظر في عاقبة أمره ويأخذ الحزم في ذلك.

غزلان السودان إنسان الإنسان      لو عاش الصبيان غيري ما ماتوا  
دعنا نتمرر بكر أو بسكر بامهتار      عنبر في كبدي هاتو  
لولا ذي الإفسرار مع سان الفار      ما أصبح مهتار بهوي ستانو  
صفي لي الطيطاب عيشي قد طاب      لا كان الحلاب إدنا أوقاتو  
غنّ لي يا جاموس في حان بادوس

واملاً بالقادوس/[١٣١/ب] وامسح  
شرب الجندوبة أحمر كالطوبة      من جدد توبة ياما قد فاتو  
ثم ينصرف.

فيخرج ميمون القراد وفستانه وقروده ونسنامه ويقول: أناكم الشيخ طبل طبل،  
وزمر زمري، ورقص قردي، وينشد ويقول:  
قردي يكاد من التفهم ينطق

ويكاد من حُسن رشاقه يعشق  
ما حاذ داراً في ذراها طاولا

إلا وكاد بسقفها/[١٣٢/أ] يستعلق  
بسطوا سطا الخدم الخصي متاقفاً

ويظلل يرفص تارة ويصفق  
وعليه من زغب الكلاب ملابسا

بل فرو سنجاب عليه ونيفق  
وإذا جلست فشمعتي في كفه

وهو الحريص بأنها لا تحرق  
وبسه اكسابي بالذي علمته

من بعد ما ذبح الجدي الأبلق  
ورأى الذي صنعت يدي في ذبحه

فانقاد لي/[١٣٢/ب] فسيما أقول ويسبق

ثم يرقص بالتحقيق والطرطور، ويدور على الحبل وينشد بليق ويقول: بالله عليك يا  
ميمون رقص السمينة كيف يكون؟<sup>(١)</sup>

فرج عليك من قد حضر      ثم التفتف هذي الأكر  
والبس سراقوح التسر      وارقص لنا كالموزون  
وأجمع قطيعان الزبون

ثم يقول: يا سرة الناس/ أجمعوا لمن رزقه من هذا القرد، وهذا النسناس. ثم  
[١٣٣/أ] ينصرف فيخرج وناب التجاري، وحباله والصاري، ثم يتمشى على الحبل بقباقبه  
والناس لوقوعه في ارتقابه، ويصفق بيديه والأنظار شاخصة إليه، وينشد ويقول:

صناعة باللطف لا بالقوى      وسقطني لم يرجى منها دوا  
أدركت غايات العلاء صاعداً      ومن شأني عجباً فاستوا  
خفة جسم طار من لطفه      سبحان من يمسكني في الهوا  
[١٣٣/ب] ثم يخسر هابطاً كالشهاب، ويتعلق بإبهامه بطنب من تلك الأطناب،  
فتزوغ إليه الأبصار، وتخفق قلوب الحضار.

ثم يقول: يا سادة ما أقدمت على هذا الخطر إلا لأنفوز منكم ببعض الوطر، ولو متُّ  
مكاني، ما أقصرتم بتجهيزي وأكفائي، فرحم الله تعالى من رآني بعين لطفه وتأمل طرفي  
ولو رشح بقطرة من خلفي، فإذا فتح الجيب وانهل السيب، قُبِلَ الأرض وقال: قد أدَّتْ  
الفرض، ثم ينصرف<sup>(٢)</sup>.

(١) معروف أن للفرد قدرة عجيبة على التمثيل والتقليد والتشبيه، وهو ذو قدرة عالية على التعلم،  
ولهذا نجد أن كثير من الناس اتخذ من تعليمه سبباً في جلب الرزق فهم يسرون به في بعض  
الشوارع أو يجوبون به القرى والنجوع يعرضون قدرته على التقليد والتشبيه ويجمع حولهم  
الصبيان وبعض الشباب لمشاهدة تلك العروض ويدفعون إليهم بعض النقود نظير هذه الأفعال التي  
يفعلها القرد والتي قام بتدريسه عليها صاحبه، وتقديراً لهذا العرض الشيق الذي شاهدوه منه فهو ينام  
ويقوم ويتحرك كما يأمره صاحبه ويرقص ويلبي كل الأوامر في سهولة ويسر وطاعة فائقة لا  
يعصي له أمراً مهماً كان.

(٢) وهذا العارض لقدرة على السير على الحبل وإتيانه بعض أعمال ما يسمى في عصرنا بالأكروبات  
نرى منه كثيراً في الشوارع خلاف المسارح فهم قوم يقومون بحركات عجيبة وغريبة فمنهم من

فيخرج جرّاح المتبلّ وعقله مُخْبِل، وقد [١٣٤/أ] خزم أنفه، وجرّ بالموسى كفه،  
ويقول: هات يا أُملي، ويجرح نفسه، ويقول: يا لعلّي وينشد ويقول:

كل صعب على هواكم يكون      وجنوني بمن هويت جنون  
يعجز الصبر من تصبر قلبي      واحتمالي مسا رقتة العيون  
جلّدي هكذا التمزيق جلّدي      وسيوفي لها الجفون جفون

ثم يقول: وحق الذبيح، والأنزع الجريح، إذا لم أجد لي مواسي، جزيت على صوبي  
هذه المواسي وقطعت كتفي وأرميت [١٣٤/ب] أنفي أو قطعت لحمي تقطيع الشواء  
اعتمادًا في ذلك على هذا الدواء المكرم لمن عنده حمار مكسور أو جمل معقور أو فرس  
معقور، فهو مجرّب في لحمي، فخذوا هذه الإفادة، وصيدي، وحق الله جرادة، ثم  
ينصرف<sup>(١)</sup>.

فيخرج مشاعلي المحمل، وقد زين بأصناف الرياحين المشعل، وهو جائل في ميدانه،  
يفتخر على أقرانه، وينشد ويقول:

لا ودخـان المـشـعـلي      وضـوئه المـشـتـعل  
وعـرفـه الـذـي سـرى      يسـزري بعـرف المـنـدل

ياكل الزجاج، أو ينثي العملات المعدنية بين مرفقه وعضده، ومنهم من ينام على السيوف، ومن  
ينام على المسامير ويدق على صدره ويطنه بالمطارق الكبيرة القوية ليتفتت ما فوقها من صخور  
ولا تؤثر فيه تلك السيوف أو المسامير ومنهم من يربط بالحبال والسلاسل ويأوتق ما يكون  
الإيقاق ثم ينحل بسهولة ويسر، ومنهم من يقفز من بين النيران، ومنهم من يلعب الثعبان إلى آخر  
ذلك من الحركات والأفعال الغريبة ليكتسب قوته من الحاضرين والمُشاهدين فواضح أن هذا من  
قديم الزمان إلى الآن وإن كان ذكره المؤلف في طيف الخيال فقد كنا نراه ونحن صبيان صغار.

(١) غريب هو الاحتشال على جلب القوت والربح والترزق فانظر إلى أي مدى قد يصل الجهد  
بالإنسان والتضحية من أجل لقمة العيش وصدق الله العظيم حين قال في كتابه الكريم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، فهذا من الكبد وأي كبد يتكبد الإنسان من أجل أن يعيش بعيدًا عن السرقة  
أو الابتزاز وكسب يفتن في جلب القوت بالكلام بالعمل وباللعب والزراعة وبالحرّوب، والسفر  
وبالطيران، والتعليم وبكل وسيلة يراها أنها قد تحقق له البقاء في هذه الحياة في كرامة دون أن يبد  
يده ليتسول، قالهم قنعنا بما رزقنا ووسع لنا في أرزاقنا واحفظ لنا ديننا وكرامتنا آمين.

ما مشلها في الأسئل <sup>(١)</sup>	/[١٣٥/] في صعدة من أسئل
في سسلها والجسل	تزرهو بسلار رفعست
في علمسلنا والعمسل	ليس لنا ممسل نسلأل
بمالسلنا لم نسلبخل	نحن الككرام في الـورى
مثل اللسلواء المسلبل	نيرانسلنا مـرفوعة
مفتخسلرأ لمسلوا ولي	وكم بسلنا وال غسلدا
كسلنا بسلباب المسلنزل	نهابسله الـناس إذا
مسلابسله من وجسل	نحبسله من العسلدا
في جسلنج لسليل السلبل	وكم هسلديسلنا نائلها
بسله ظسللام ينجلسل	بكل سلور سلاطع
لـسلنو قسلر لميتلسل	مسلشاعلأ كائلها
في المسلشرق أو في الظسلسل	كم مثل عسلين الـشمس
لسلسانه كالمنسلصل	من كل نادل شسلت غسلدي

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة: «أسل»: الأسل نبات له أغصان كثيرة دفاق بلا ورق. وقال أبو زياد: الأسل من الأغلات وهو يخرج قضباناً دفاقاً ليس لها ورق ولا شوك إلا أن أطرافها محددة، وليس لها شعب ولا خشب، ومنبته الماء الراكد، ولا يكاد ينبت إلا في موضع ماء أو قريب من ماء، واحدته أسلة، تتخذ منه الغرابيل بالعراق وإنشا سي القنا أسلاً تشبها بطوله واستوائه.. والأسل الرماح على التشابة في اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه، والواحد كالواحد. والأسل: النيل، والأسلة شوكة النخل. وقال أبو حنيفة: الأسل عيدان تنبت طووالاً دفاقاً مستوية لا ورق لها يعمل منها الحصر والأسل: شجر. وقال: كل شجر له شوك طويل فهو اسل وتسمى الرماح أسلاً.

وأسلة اللسان طرفه.. وفي كلام عليّ: لم نجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم.

وفي حديث مجاهد: إن قطعت الأسلة فبين بعض الحروف ولم يبين بعضاً يحسب بالحروف. [يريد في القصص].

أي تقسم دية اللسان على قدر ما بقي من حروف كلامه التي ينطق بها في لغته، فما نطق به فلا يستحق ديته، وما لم ينطق به استحق ديته.

لفظـــــــــــــــــه كالعـــــــــــــــــل	عذب الدلال والمقال
يجيبــــــــــــــــها بفســــــــــــــــير ملــــــــــــــــل	بحسب الألفـــــــــــــــــواق
ســــــــــــــــائل مــــــــــــــــستهل	يقول للمسلم قــــــــــــــــول
محتــــــــــــــــرم مــــــــــــــــجمل	مولاي يسا خــــــــــــــــير فــــــــــــــــني
مســــــــــــــــواد نور المــــــــــــــــقل	ما شعبة الشوق وما
يحقق مــــــــــــــــولاك عــــــــــــــــلى	جذلي بما عــــــــــــــــودتني
جئــــــــــــــــتكَ بالتوســــــــــــــــل	فليســــــــــــــــي بــــــــــــــــذا شــــــــــــــــوقي
بالعــــــــــــــــطال المتــــــــــــــــبدل	هات أخلف الله عــــــــــــــــليك
امرأة مــــــــــــــــن لا جاد لي	وجوف بحراه أــــــــــــــــست أــــــــــــــــست
تحف رأــــــــــــــــى العــــــــــــــــنسل <sup>(١)</sup>	على قفا عــــــــــــــــنق فــــــــــــــــذاك
ذو وقــــــــــــــــار مــــــــــــــــفضل	وإن يكن مــــــــــــــــن النــــــــــــــــصارى
بــــــــــــــــبيعة وهــــــــــــــــيكل	يقول: يسا قــــــــــــــــسيس كــــــــــــــــل
الــــــــــــــــولد المــــــــــــــــكــــــــــــــــل	بــــــــــــــــريم البــــــــــــــــتول أم
إلا لــــــــــــــــســــــــــــــــه الأوــــــــــــــــل	يطرس رأس كــــــــــــــــيسة لــــــــــــــــل
الكرس قــــــــــــــــبل الذوــــــــــــــــل	ومرقص الســــــــــــــــذي لــــــــــــــــه
بطــــــــــــــــركاً يــــــــــــــــوم ولي	أعني بــــــــــــــــه الأســــــــــــــــكندري
أو مــــــــــــــــتى الأفــــــــــــــــضل	بــــــــــــــــر يوحنا أو بــــــــــــــــلوقا
جاء تــــــــــــــــبع للرســــــــــــــــل	وأندراوس الســــــــــــــــذي أتــــــــــــــــى
أو ســــــــــــــــداوس المرــــــــــــــــسل	بــــــــــــــــر بولــــــــــــــــوقاوس
ذي الــــــــــــــــوقار الأكــــــــــــــــمل	بحق ســــــــــــــــعان وــــــــــــــــوما

(١) العنسل قال عنه ابن منظور في لسان العرب في مادة «عنسل»: قال الأزهري: الليث: العنسل: اللقاة القوية السريعة. وقال غيره: النون زائدة أخذ من عسلان الذئب، أنشد الجوهري للأعشى:  
وقد أفضح الجوز جوز الفلاة بالحسرة البازل العنسل

بيولس مسع التلاميذ  
 بنظمة الدرة في  
 جذلي وكن لي مسعدنا  
 وذقن من يسردني  
 أو بضرط امرأتي التي  
 أو تحت بنت سفع  
 وإن يكن من اليهود  
 يقسول نارين اليهود  
 يسا نور سيف الكبيس  
 بنجل عسيران كلهم الله<sup>(١)</sup>  
 بالعشر كلمات السني  
 بنص تورا تولا  
 أو بالأساطير السني  
 وبأل يعقوب وإسرائيل  
 جذ بفلس أحمر  
 ولا تـ بخلن ولا  
 تحسبني حبشي أنا  
 قرقاع في لحيتـه  
 ويرى هذا صاحبي  
 خي خي أخذت يا  
 يا شفع ثقب است الهوى  
 آخر على دكانه  
 أولى الترس  
 سفرة الأبسطل  
 يا أملي يا أملي  
 في جعص المكـتل  
 ضراطها كالطـبل  
 سطح فـرجها بمنزلي  
 رئيسا ذا جـدل  
 في اليهود الأول  
 بالقـديم الأزل  
 رب المـنجل  
 نودي بها في الجبل  
 شئت على التوسـل  
 نفسـيرها لم يجهـل  
 بالترسـل  
 كجمـرة في مـشعل  
 مطـل مطـل البـخل  
 لا وعلى لا وعلى  
 جيرانك دقن البيتلي  
 وكل امير مـبغل  
 لسان أقلل المـعتدل  
 مطاقـب للمـبولي  
 فـذا مـلاك العـمل

(١) المراد نبي الله موسى عليه السلام.

هَذَا وَكَمْ حَشٍ بِرَجْنَا	أَرْضُهُ بِأَمْعُول
كَأَنَّـنَا فِي جـَوْفِهِ	فَعَلَّ السَّوَاءَ الْمَسْهَل
صـَـنَعْنَا مَحْمُودَةً	وَهُوَ كَبْطَنِ الْمَمْتَلِي
وَإِنْ تَجَسَّدَ عَرْتُـنَا	عَلَى حِمَارٍ أَرْجُلُ تَدَم
تَدْمَعُ عَيْنَاهُ كَمَا أَنْ	قَدْ كَحَلَّتْ بَغْلُفُـل
فَسَنَحْنُ بِالسُّدْرَةِ عَن	فَدَالَهُ لَمْ نَعْدُل
تَقُولُ قَوْلًا يَزْعَجُ الْأَسَاع	ذَاتِ الْـثَقْل
هَذَا جِزَاءَ كُلِّ مَنْ	يَقُولُ مَا لَمْ يَفْعَلْ
وَفِي النَّدَاءِ كَمْ قَدْ أَمَرْتُ	السَّنَاسَ فِي الْمَسْتَقْبَلِ
مَعَاشِرَ النَّاسِ اعْلَمُوا	كَذَا وَلَمْ يَنْ لَمْ يَفْعَلْ
فَلَا يَسْلُ مَا يَلْتَقِي	مَنْ السَّيْذِي قَسَالِ لِي
كَذَا يَنْهَادِي أَنْ يَضِيعَ	صَائِغٍ مَسْنِ رَجُلْ
مَنْ دَلَّهِ عَلَيْهِ كَمَا	فِيـنَاهُ بِالْخَلْسَلْ
مَعَ الثَّوَابِ يَا بَنِي	الْخَلَالِ وَالتَّقْضَلْ
وَنَسْلُخُ الْمَيْتَةَ مَنْ	ثَمُورٍ يَكُنْ أَوْ جَمْلْ
كَيْمًا تَصِيرُ جُـنَّةٌ	مَنْ الْأَذَى لِلـرَّجُلِ <sup>(١)</sup>
فَمَا تَرَى فِي السَّنَاسِ مَنْ	ذَاكَ سَوَى مَنْتَعَلْ
وَكَمْ نَقَمْنَا لِحُدُودِ اللَّهِ	مَنْ ذِي الْخَمْلِ
مَنْ كُلِّ لَصِ طَارِقٍ	مِثْلَ السَّبَالِ الْمُنْتَزَلْ

(١) من المعروف أن هناك بعض الناس يقومون بسلخ جلد الميتة من حُمْرٍ أو مَالٍ يحل أكله أو مَا يحل أو نفق دون أن يدرك بتسييل الدم أو بدون أن يحل. فيقوم هؤلاء القوم بسلخ تلك الدواب ليتخذوا من جلودها أحذية (نعلاً) أو غرايل بعد أن تغدقاً دقيقاً تصير فيه الجلود بمثابة فئائل أو شرائح مثل الخيوط ناعماً ثم يقومون بتجفيفها أو تقديدها ثم يصنعون منها الغرايل الكبيرة. كما يصنعون منها الأحزمة وغير ذلك من المصنوعات الجلدية العديدة.



أعرف بالمدار من السسكان بالتحليل  
يسمو إلى المدار سمو السراكب المنسقل  
أدخل في السضيق لها من نفس متصل  
ثبت الجنان فهو لا يقلق من تحليل  
يدب مثل النحل في البيت على تمهل  
يفشي النسيم موهنا مثل النسيم الشمال  
حتى إذا ما زال ذبل ستره المنسبل  
جئناه والوالي بكل حارس كاهل  
يمسكه فيغسدي كالفرس المشكل  
فتارة يفصل بين كفاه والمفصل  
وتسارة بصلبه إن كان رُب مقستل  
وفي القمار بالفصوص أمرنا كالممثل  
تلوح في أكفنا كالجواهر المفصل  
فذاها مستريح يعقبها له ولي  
وذاها قد قمروه وهو ذو تذل  
يقول يا ليت قنعت باكتسابي الأول  
ولم أكن في منصي أظنني لم أعزل  
كانهم النجوم في تغيرها للذول  
وكنم لنا تجارة في خير نسبت خضل<sup>(١)</sup>

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «خضل»: الخَضِلُ والخاضِلُ: كل شيء تراه يترشش من

نداه فهو خضل قال دكين: أسفي براوق الشباب الخاضل.

وفي الحديث: «خطب الأنصار فيكوا حتى أخضلوا لحاهم» أي بلوها بالدموع يقال: خضل وأخضل إذا ندى، وأخضلته أنا، وفي حديث عمر لما أنشده الأعرابي:

يا عمر الخير جزيت الجنة

حشيشة لسون العذرا      من فسوق خذ صقل  
 مغربر مبرر      محمص لنا قلبي  
 أو نربكه بدار في      الكحول للمنسطل  
 نبيعها إن رخصت      للناس ببيع السنبيل  
 نحن بنو ساسان في<sup>(١)</sup>      ملوكها ذات الحلبي  
 صفاتنا هاتيك في      نفطيلها والجميل  
 اخترت قصيدة      تغني عن السطول  
 / [١٤٠/١] بالجليلين عزنا      عسالي الذرا في الموصل  
 يشرف فسيها شرف      الشمس بسبرج الحميل  
 وأسأل الله سوا      ساجد مستهل  
 تجاوزا عني في      هذا الخطأ والخطيل

فإذا أتت صفاته وملا مخلاته انحرف وانصرف.

فيخرج عساف الحادي يزّم راحلته وينادي شعراً:

يا رب البيت وبالمقام      بلغ سلامي للنبى التهامي  
 حادي السرى رفقا على الأعلام      ليشتفي قلبي/[١٤٠/ب] من الغرام

فبكى حتى اخضلت لحيته. وفي حديث النجاشي: فبكى حتى أخضلت لحيته. في حديث أم سليم قال: خضلى قنازك أي ندي شعرك بالماء والدهن ليذهب شعثه، والقنازع خُصَل الشعر.

فالمراد: نبت نضر أخضر زاهي باهي يشرح الصدر

(١) بنو ساسان هم ملوك فارس، قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ٥١١): وهذه قطعة من نسب الفرس: آخر ملوك الفرس: يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن أبرويز بن هرمز بن كسرى بن أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن هرام جور بن يزدجرد الأنيم بن هرام بن سابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسی بن هرام بن هرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك وهو من بني ساسان بن بهمن، أخي دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بسناشب أول من أظهر دين المانوية ابن لهراس. وليزدجرد آخر ملوك الفرس عقب بهرو.

رفقاً قليلاً سائق البوازل<sup>(١)</sup> فهذه طيبة والمنازل  
 ثم يقول: يا دليل من ليس له دليل، يا حامل المقلين بالزاد القليل، رزقنا الله وإياكم في  
 هذا العام، الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه السلام، ورزقكم الوقوف بعرفة،  
 والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار بأعقاب منى، والتهلول بين الصفا والمروة والشرب من  
 بئر / [١٤١/أ] زمزم، والتوضؤ من سقاية العباس.  
 وبعد عشرة أيام يقول لك الحادي أو الجمال: هذي قباب قباء<sup>(٢)</sup> في هذا النخيل،  
 هذا قبر المصطفى، ثم ينشد ويقول:

كيف انتهت قلبي إليك يطلع

ولشمس وجهك في ضميري مطلع

يسا موضع الوجناء عندي لم يكن

أبدًا لغيرك في فوادي موضع

إن كنت يمممت الحجاز فمقلتي

وادي العقيق ودمع عيني ينبع

/ [١٤١/ب] ما كنت أحسب قبل توديعي لكم

أني لقلبي في الحمـول أشـبع

(١) البازل: هو البعير الذي فطرنا به (أي أنشئ) لمرور هاني سنين من عمره، وقد ذكر البازل  
 الدميري في حياة الحيوان الكبرى فقال: هو البعير الذي فطرنا به ذكرًا كان أو أنثى، وذلك في  
 السنة الثامنة، والجمع بُزَل، وبوازل. وروي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: استقرض بكرة  
 فرَدُّ بَازِلًا وقال: «حيركم أحسنكم قضاء».

والمسرد من قول الشاعر هو المدح لأنواع مراكب القوم المتوجهين إلى زيارة قبر النبي ﷺ والثناء  
 عليها وعليهم وتشيرهم بسلامة الوصول إلى المدينة المنورة والنزول بها آمنين.

(٢) يريد بقباء: قباء هو المسجد المعروف بمسجد قباء والذي يقال أن النبي ﷺ كان يذهب إليه كل  
 يوم سبت ليصلي فيه، ومعروف أنه أول مسجد بني في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ، ويقال أن  
 صلاة فيه تعدل عمرة، وكل الحجاج والمعتمرين يقصدونه بالزيارة، وقد جدد هذا المسجد في  
 هذه الأيام وصارت عمارته من أفخم عمارات المساجد، ويجد الداخل إلى هذا المسجد راحة  
 نفسية غريبة جدًا لم أعدها في غيره من المساجد بعد مسجدي مكة والمدينة، فلا أدري أهذا  
 شيء خاص بي أم يجد ذلك الإحساس غيري من الناس. فאלله أعلم.

تغمدو البلاقع منكم مأهولة

ودياركم لما رحلتم بقلع

ثم ينصرف.

فيخرج غريب ويقول: يا علي كيف رأيته يعلي وينشد ويقول:

والله لولا خشية الملاك لقلت لا ينقطع المقال

ما فيه من مستغرب الأمثال لكن إخواني ذور الأفضال

/[١٤٢/أ] قد حاولوا حقيقة الخيال والزموني ذاك بالسؤال

فعمت إذ ذاك بامتثال مستغفراً ربي ذا الجلال

لي ولوالدك الشيخ دانيال

ولولا أن الإطالة داعية إلى الملل لأظن عندكم. وقال: وما اعتق وما استقال،

فلذلك اختصرت من الاختصار واعتذر من الحضار.<sup>(١)</sup>

وينشد/[١٤٢/ب] منيب:

فلاني وفني، وشأني معاً غريب غريب، غريب غريب

تمت الباية الثانية تتلوها الباية الثالثة

من طيف الخيال، وهي باية:

«الصانع اليتيم والعاشق المتيم»، والحمد لله وحده..

\*\*\*

(١) يسبين المؤلف هنا أنه إنما ألفه تنقيذاً لرغبة طالع أو طالين لهذا الفن وأقاربه بأنه اختصر فيه على قدر ما قدر له أن يختصر وطبعاً معروفاً أن مجال الخيال واسع خصوصاً عند الأدباء والشعراء فهذا ديدنهم وميلاتهم.

قد أجبت أيها الأستاذ البديع والماجن الخليع، والأستاذ المعلم، والمنطيع المترجم، سؤالك الثالث، وخضت معك خوض الحارث وارتحلت لك هذه البابة، كرماً للإجابة، وضممتها طرفاً من أخبار المحيّن. وطرفاً من الغزل الذي هو السحر المبين، وطرفاً من الملاعب، وطرفاً من المحون، العجيب الغريب، فإذا دعيت إلى مجلس صدر من صدور أهل/[١٤٣/ب] الزمان فأجلني وغني في أصفهان شعراً:

قل لـسـادات الزمان	لا يـرحـمـنـي أـمـان
وبقيـتم في سـرور	ما تـبـقـى النـيران
ثم بهـرج شخص قد هـيجه الغرام، وأذابه الأرق <sup>(١)</sup> حتى نحل جسمه ورق، فيبكي بانتحاب ويتأوه باكتئاب، وينشد ويقول:	
أهل الغرام تجمـعوا	وتوسـلوا وتـخـضعوا
دُقـوا لأبـواب الإجابة	بالـدعاء لـتـسمـعوا
/[١٤٤/أ] موتوا تـعـيشوا في الهوى	وتـمـزقوا وتـفـطـحوا
وخـذ حـديث مـتـمـيم	عـن مـن سـبـاه أو دـعـوا

(١) ظاهرة النخافة أو التحول تصاحب عادة نوعين من الناس ويجمعها حظ واحد وإن كانا متباينين ألا وهو الحب والصنفان هما العباد والعشاق. فهذان النوعان من الناس تراهما دائماً ذابليّن صامتين رقيقين مذرّفي الدمع مرهفي الحسّس منخفضي الصوت معزليّ الناس في حالة شرود أو غياب عن واقع الناس مستغرقين في عالمهما شبه غائبين عن الوعي في حين أنّهما متعمقان فكراً فيما يشغلها فلا هما بدنيا الناس منشغلان ولا لحظاهما ناظران ولا آملاّن ولا عنها سائلان ولا بأخبار غيرهم مهتمان ملك عمرو أو هزم زيد إنا مههما من تعلق به قلبهما، وإن حاولت أن تفتحهم عليهما عزلتها أو تدخل عليهما عالمهما أخرجاك سريعاً بكلمات قليلة، إما بعدم المبالاة أو بجيبك أحنهما إجابة مسكنة أو تريحك أو يشعرك ببلهك أو بله لبهيك عنه بما يشغلك لتترك له ما هو فيه يستمتع به أو يغمه. فهما لا ينامان إذا منا ولا يفرحان إذا فرحنا ولا يحزنان إذا حزنا فهما إنسانان لا إنسانان وأدمايان لا آدميان هما كتلة من مشاعر مرهفة حساسة، ولو دخلنا عالمهما وسعنا لنا أن ندخل لوجدنا شخصين رقيقين هادئين ناعمين مرهفين لينين طيبين خريّن جوادين مضحيين نبيلين كريمين باذليّن لأغلى ما يملكان في كرم لا نظير له.

ولو سمعنا لكلامهما لظن الكثير منا أنّهما مجنونان وما هما من جنون ما هما إلا الحب الحقيقي الصافي الخالص النقي هذا في مجاله وذلك في مجاله جعلنا الله ممن يجه وينشغل به أمين.

صَبَّ سَاءَ دَمَوْعِهِ      عَمَّنْ صَبَّهَا لَا يَقْلَعُ  
لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَعْظَمُهَا      مِمَّنْ جَسَمُهُ تَتَقَعَعُ  
وَادِي الْعَتِيقِ يَجْفَسُنْهُ      وَالدَّمْعُ مِمَّنْهُ يَنْجَبُ  
يَا لَأَتَمِّي مَا فِي فُرَادِي      لِلْمَلَامَةِ مَوْضِعُ  
لَا فِي سَسَلَوْى لَا وَلَا      فِي وَصَلِ جَنَسِي مَطْمَعُ  
إِنْ الْمَتَسِيمِ مِمَّنْ إِذَا      هَجَعَ السُّورَى لَا يَهْجَعُ

[١٤٤ ب] ثم يقول: آه، آواه، وأحبابه، وأقرباءه! المتيم المسكين! ذبح بغير سكين، من أطلق ناظره، أتعب خاطره من أبذل نفسه للملكة، فليصبر على سوء الملكة، والعاشق كل شيء عدوه البرق يُورِّقُهُ، وهبوب الرياح تقلقه، وإذا دنا الليل منه قرَّ النوم عنه. ثم يعدد وينوح في هوى، وهو يكي ولا يرعوي، وينشد ويقول: <sup>(١)</sup>

أهكذا كل أحبي وجد يكون      أم أنا وحدي به هذا الجنون؟  
مَنْ مُعِينِي وَمَعِينِي أَدْمَعِي؟      وَعَيُونَ الصَّبِّ لِلصَّبِّ عَيُونَ  
/ [١٤٥ أ] مَنْ الْأَتْرَاكُ أَحْوَى أَحْوَر      لِحِظَةٍ فِيهِ فَتُورُ وَفُتُونُ؟  
لَسِنَ الْأَعْطَافِ قَاسَ قَلْبِهِ      آه لَوْ كَانَ لَدِي شَكْوَى يَلِينُ  
أَنَا مِنَ الْخَاطِظَةِ أَوْ قَدِهِ مَيَّتْ      مَيَّتْ إِمَّا جَرِيحُ أَوْ طَعِينُ  
قَدْ خَلَّتْ مِنِّي نَسِيمَاتُ الصَّبَا      فَلِهَذَا تَنَشِّي مِنْهُ الْغُصُونُ  
يَا حَامِمَاتِ الْكَرَى هَلْ مَسْعَدُ      لِي مِنْكُمْ لِمَشْرِقٍ أَوْ حَزِينُ؟

/ [١٤٥ ب] ثم يقول: أيها السادة مُسَيِّمٌ بالسعادة، ولا بليتم بعشيق متدلل، عبدكم الهائم المتيم في الصائغ البيتيم، الذي قد فتن الألباب وأغلق على الملاح الباب، ذي القوام الأهيف، والخصر المخطف، والطرف الأدعج الأوطف، والردف الوافر، المردف،

(١) هذا الشعر من أشعارهم، يوضح شيئاً من حالهم الذي وصفت سالفاً فهو يحكي في شعره حالة ويتساءل هل أنا وحدي هكذا كالجنون أم أن أهل الحب كذلك؟ هل يعذره من يراه أم يلومه؟ هل لو رأى محبوبه بعيونه سيكون له مؤيداً أم معارضاً؟ فهو يرجو ممن يراه أن يلتصق له العذر لأن ما أصابه من محبوبه يراه أنه ليس بشيء هين وأن فراق الجفون للنوم أو فراق النوم للجفون ليس أمراً يده بل هو خارج قدرته وإرادته وهو من فعل هوى المحبوب فكيف يلام على ما لا يملك؟

والجبين الأبلج، والطرف الأدعج، والثغر المفلج، الذي خده الورد، وغذاره البنفسج الكامل الأوصاف، القليل الإنصاف،<sup>(١)</sup> كأن أول الولوع به، والتعثر في طلبه:

[١٤٦/١] إني مررت بقاعة العلاج، وعلى باها تراجم أفواج بعد أفواج، وقد تجرد من قباه وقد أهدت به عيون رقباه، وقد أقعده مناقيره المائة والخمسين. والعاشق يعوذ ب: (طه) و (يس). وقد تناثرت عليه الدراهم والدنانير، وأقبل بوجهه كالقمر المنير، فلما رأيته خطف قلبي وأذهل لبي فارتجلت هذا الموشح فيه وفايقت في إبداع قوافيه<sup>(٢)</sup>.

### «موشح»

غصن من البان منمرا قمرا يكاد من لينه إذا خطا يقعد

أسمر كالسمهري معندل

ولحظه كالسنان منصقل

نشوان من خرمه الصبا ثمل

(١) هو يصف معشوقه بكل كامل من الأوصاف من شعر رأسه إلى أخمص قدمه، وهو لا يرى فيه عيباً ولا شيئاً بل يراه زيناً زيناً كأنه خلق كما يشاء أو كما يريد محبوه، كما قالوا قديماً في المثل العامي: «مراية الحب عمياء»، قالوا: «القرود في عين أمه غزال» وقالوا: «لكل فوله مسوسة كيال أعمى»، وقالوا في المثل العربي: «حبك الشيء يعمى ويصم».

وقد يكون المحبوب جميلاً فعلاً كما حكى لنا القرآن في قصة يوسف عليه السلام إذ رآته امرأة العزيز غابة في الحسن والجمال، وأقرتها على ذلك كل من كانت لامتيا على تعلقها به.

فليس للجمال حد يوصف به يقيس عليه الحب ولكن هو تعلق يحدث بين الحب والمحبوب وقد نرى نحن أن محبوبة لا يتمتع بأي شيء من أنواع الجمال ولكنه في عينه كما أسلفت القول.

(٢) هنا بدأ يحكي قصته معه وكيف حدث تعلقه به وكيف رآه وأين رآه وسعادته بعثوره على ضلته وفوزه بالكنز الذي كان ينشده، ثم بعد أن يحكي لنا حكايته معه يبدأ بمدح لنا فيه بذلك الموشح الذي يذكره ليعدد لنا شعراً وصفه كما سبق وعده لنا ثراً فهو لا يكتفي بما قال بلهو لا يمل ذكره شعراً ولا نثراً، ولا ليلاً ولا نهاراً مع من يعرف ومن لا يعرف مع من يحب ومع من يكره هو لا يملك إلا أن يحدث عن محبوه بإرادته وخارجاً عن إرادته فهو شيء لا يمكنه التحكم فيه فعلى العاقل أن يعذر العاشق أيّاماً كان نوع عشقه شريعياً كان أو مادياً، وليعلم أن محاولة علاجه في الغالب ستوء بالفشل ما لم يدركه الله برحمته ويكون حبه له وفيه استجابة فاللهم اجعلنا من محبيك آمين.

عريد دلاً عليّ إذ نفر      كذاك في الناس كل من سكر عريد  
 حملت وجداً كسردفه عظماً  
 وحرت نظراً كخصره سقماً  
 لو أن ما بي السصخر لانهدا  
 والوجد شيء لو حُمِل الحجر      أيسره من هواه لانفطر أو انهدا  
 عيناه مثنوى الفستور والسقم  
 قد زلزل من سطاها<sup>(١)</sup> قدمي  
 سيفان قد جردا لسفك دمي  
 إن أنكرت قتلتني وقد شُهرَا      فهما دمي فوق خده ظهر أيشهد  
 بديع حسن سبحان خالقه  
 مسك ذكي الششدا لناشقه  
 أبيض ثغر يسبدي لعاشقه  
 شمل عذار يُحير الشعرا      وقود شعر يستوقف/ الزمر أسود [١٤٧/ ب]  
 لا تغرني يا عذول بالعذل  
 فإني من هواه في شغل  
 وانظر إلى ما به الحب يُلي  
 لو عبد الناس قبله بشرا      لكان من حسنه بغير مرء يُعبد

(١) السطط: طول في الرجلين، وقد قال، ابن منظور في لسان العرب في مادة سطط:

في اتشذيب: قال ابن الأعرابي: السُّطُّ، الظلمة والسُّطط، الجائرون. والأسطُّ من الرجال: الطويل الرجلين. أ. هـ قلت ثم ذهب يسوق وصف معشوقه على أبي ما يرى منه أو على أبي ما يتخيل أنه فيه أو على أبي ما يتمنى أن يكون عليه أو على أبي أمه وأمانيه، فالزبن كله في محبوه، والشين كله قد فارق معشوقه وهذا دبدن كل عاشق أو محب، لدرجة أنه أراد أن يرفعه إلى درجة العبودية لو جاز له ذلك.



وجدًا أذاب الحشا فحرقني  
وسيل دمع جرى ففقرني  
لكنه بالدماء خلقتني

فكدت أمسي بالدمع منحدرًا      وذاك أبي بقيت/[١٤٨/أ] منكسرًا مفردًا

مع أن هذا الغلام قد بلبل الأبواب طرفه الشجي، وعذاره البنفسجي خصه وأنا موصلي الدار، لا أدق إلا الأبواب الكبار. فيخرج شخص دميم<sup>(١)</sup> ويقول: أنا غلامكم العديم، ويضرب بصفير، ويتبع تصفيره بشخير ويقول: يا متيم خانتك الاعتقاد، وتبدلت بالياسمين شوك القتاد،<sup>(٢)</sup> وعرضت عرضك للعرض ودأويت المريض بالمرض، وقابلت ذا الطعان بطعانك، وقابلت/[١٤٨/ب] سنانه وهبك قد نلت الوطر، فما أيران تحت لحاف أخضر، فلا تغتر بخلافي، فشر ناشر يؤذيك أو ينقرك نقر الديك، وأين أنت من خشف الأرام الشهد المرام، الصادق في غنجه، المنصف في دخله وخرجه، الذي ترضيه اللقمة، وتحطه للطمعة، الصغير سنه الكامل حسنه، وأين لحم الخروف من الكبش

(١) هو يأتي من خياله بالشخص وضده، فمرة يأتي به غاية في الحسن والجمال والكمال والدلال والرفقة والنعومة والسلاسة والجزالة والبهاء والنور والدلع والسرور والتجلي والحيور والمرح والهناء، والسعادة والفرح إلى آخر ذلك من صفات الجمال والكمال.

ومرة أخرى يأتي به كما سنرى على العكس من ذلك تمامًا بؤسًا وفقرًا ومرضًا وهزالًا ودمامة ونكارة وقباحة وبذاءة إلى آخر ذلك من ألقاظ وصفات القبح والشين المضادة دائمًا للزين وهو يهيم بك في هذين العالمين المتناقضين حتى تشعر أنك تعيش واقعًا لا شك فيه ولا مر به وما ذلك إلا لتسكنه من مادته التي يستخدمها في إقناعك وأسلوبه السهل السلس.

(٢) القتاد: شجر شائك صلب شوكة أمثال الإبر، وفي لسان العرب لابن منظور قال في مادة «قتد»:

القتاد: شجر شاك صلب له سنفة وجناه كجناة السمرب ينبت بنجد ونهام، واحدته قتادة.

... وقال أبو حنيفة:.. القتاد: شجر له شوك أمثال الأبر، وله وريقة غبراء، وشرة تنبت معها غبراء كأنها عجمة النوى.

قلت: والسذي شاهدته منه أنا في صغري في الريف المصري الذي كنت أعيش فيه وهي عزبة العاقولة: مركز مغاغة- المنبا هو عبارة عن شجيرة صغيرة في حجم الكرنب المتوسطة الحجم خضراء اللون لها ورق دقيق أقل من ورق السيسبان، وهي عبارة عن كتلة شوكية ترمتها عبارة عن حبة مستديرة في حجم حبة الفول وهي عبارة عن كتلة شوكية هي الأخرى إذا جفت أمكنك فكها فتجدها عبارة عن حركة لولبية أو سلك قد استدر حول بعضه فكون حبة داخلية حبوب سوداء في حجم حبة البركة وهي بذرتها، وكنا نسميها العاقولة.

الصوف، وهل يُدَارَك الرمي إلا بالفراريح من المرق وما أكلت اللوزة بقشرها/ [١٤٩] /  
 / [١] إلا للطافتها، ويجلدها تبلع الصيرة،<sup>(١)</sup> وليس كذلك السمكة الكبيرة. وينشد  
 ويقول:

قالوا: عشقت صغير؟ قلت ويحكم

إن الصغير ثقيل في الموازين

إن الصغير كزهر الروض تنشق غصنا

وترجوه مسن خير الرياحين

عذب المرافف حلو الدل ذو شب

لدين المعاطف في حُسن وفي لين

مع أن الصغير رأيته مني يخجل وبغضب/ [١٤٩/ ب] فتحتني من وجناته التفاح  
 المخضب، ومتى أتى من المكتب، فمداد عذاره اللازوردي في خده المذهب، لا يحظى  
 بوصائه إلا السفيد وأما ليلة إدخاله، فتلك ليلة العيد.  
 فيقول له المقيم: فض الله فاك ولا سلمك ولا كفاك عود حيرتك بالمشائي.

واعلم أن العذار هو الجمال الثاني، وأين الهلال من قمر الأبدار؟ وأين الرمان المنتهي من  
 الجلنار؟<sup>(٢)</sup> وهل يفضل البلع على التمر؟ ومن أين للحصرم لذة الحمر؟ والتينة الصغيرة لا تؤكل

(١) الصيرة: هي نوع صغير جدًا من السمك يقال لواحدته: صيرة، والجمع صير، ويتخذ هذا السمك  
 لأمرين: إما للتلميح ليصير ملوحة تؤكل كقموس مالخ وهو فاتح للشهية، ويدعو أكله للكثرة من  
 شرب الماء. وإما أن يتخذ كرزعة للسمك أي يربو في أحواض كبيرة أو ما يسمى في عصرنا  
 بالمزارع السمكية أو البحيرات المعدة لذلك أو داخل مزارع الأرز، فتكون منه الأسماك الكبيرة  
 بعد فترة.

(٢) الجلنار: هو زهر الرمان الذكر، وقيل: أنه زهر الرمان البري، هذا نقلًا عن منهاج الدكان  
 للإسرائيلي (ص ٢١٧). وفي الموجز في الطب لابن النفيس (ص ٩٢): الجلنار: بارد في الأولى،  
 يسابى في لاثانية يشد اللثة، ويقوي الأسنان، وينفع نقت الدم، ومن السحج، ويُذمل الجراحات  
 والقروح العتيقة.

وفي المعجم الوسيط: الجلنار: زهرة الرمان.

وفي معجم أسماء النبات (١٥١) الرمان الأمليس لا عجم له، نوره يسمى الجلنار. والمراد أن  
 الفرق كبير بين الشيء وأصله أو مبتداه ومنتهاه.

لما فيها من طعم/ [١٥٠/أ] العفوصة، ولا تسع أكثر من بعوضة إلا أنني مع هذا الصبي الملعوس، والعلق المحشش، في عذاب مذاب؛ لأنه مشرح كذاب، وأنا من أيام قائم ببالي أن أشلشه بالفولاذ، وقلت دعها تفي إلى قضاء الله الثَّاقِذ، وارتدت، وستر الله أن أقع مع هذا العلق في وحله، فلما وقع الطرف في الطرف، بَهِت فلم انتطق ولا بحرف، ووجه العاشق رقيق، فرجعت إلى قلب عليه شقيق.

فبالله عليك، ما رأيت معشوقي اليتيم/ [١٥٠/ب] وغلame بيرم، فوالله ما أعرف من غلمانة إلا صنائع إحسانه، وهو لهذا الغلام كالقود واللجام، كيفما أداره دار، وأينما سار به سار، وإلى حيثما أماله مال يكاد من رقة ألفاظه يجمع بين الهدى والضلال، وأما يوم زلقة الحمام، فلولا ملاطفته لذقت الحمام، فكيف الوقوف على قصته؟ قلت: شرح حالي في زنكلا.

شعر:

شاع أمري في زلقة الحمامسي

وسعتم حديثه ني/ [١٥١/أ] الأيام

كان ما كان وانقضى

غير أن زلفتني من عجائب الأيام

جزت من مدة بحمام باب الخرق

والصبح غمره للظلام

فرايت الحبيب يخطر بالدل

كغصن الثَّاقِيلِيسين القسوام

قد تعثر مثلي الحسام إذا جرّد

القبيل من قراب الحسام

لاح في مئزرين من مئزر الشعر

ومن شعره كبد الستام

وعلاه من لولو الرشع<sup>(١)</sup> سباط  
ولكن صحت بغير نظام  
حين نمت مكتومة الحال عنه  
خسيرا عن عذاره النمام  
حلف السورد أن خديه أهى منه  
اذ ظلله رزاز الغمام  
ثم اندت فتائل المسك من كافور  
أعطاف حسن ذاك القوام  
وتبدي من سندس البدر في روضه  
حسن وورد خديه نامي  
كاد من رقة يذوب مع الماء  
ويجرى من فوق ذاك الرخام  
ثم أهوت يد لمسرح بالمشط  
إلى صبح فرفه لانتقامي  
ثم طفرة بالقلوب كما شاء  
وولوعي بحسبه وهيامي  
وبجفني إن شاء ماءً طهوراً  
وسلوا عن صابي الحمام  
ثم لما حلوا المناشف ضاعت  
أرجا عند نشرها في الزحام

(١) لولو الرشع: يريد العرق أو حبات العرق أو قطرت العرق المنحدرة من على جبينه وخده.

فاتهمنا مزين الحال أعني عنبراً  
 دون سائر الخــــدام  
 أخذ الماء من مجاريه بالطف  
 وحسباً محبةً بالسلام  
 إيهـا ذا الحمـام أنت نعيمي  
 وجحيمي وصحتي وسقامي  
 كل جام<sup>(١)</sup> بك الحلاوة فيه  
 هل ترى حسنه سوى الحمامي  
 هاك مستوقداً من الوجد في قلبي  
 طول المدى لفرط غرامي  
 كم جرت أدمعي لمحرك لكن  
 ما درى لومي ولا لؤامي  
 وتعثرت خلفه في خروجي  
 والأماني تزلّ بالإقدام  
 فرآني ملقاً لديه صريعاً  
 فرفقني برفوة الأقسام  
 فتعاشيت عن غرامي  
 وقبـلت يديه بذلة واحتشام  
 يا لها زلقة جبرت بها قلبي  
 وإن كسرت جميع عظامي  
 فاستمعها يا ذا الفضائل مني  
 كعقود الحباب فوق المدام

(١) الجماء: وعاء من فضة.

بين جد من الملجون وهزل

وحلال من سحرها وحرام

ثم وضعت يدي من ردفه على تلك الراية وتمتيت جُرعة من تلك الجاية. فقال لي: يا  
مقيم رويدك فما كل زلفة زلاية ثم اخترق الزحام، وتركني ملقى في الحمام.

ولولا الأديب البصير/[١/١٥٤] حملني في الحصر واستخرجني من السرداب  
وسقاني كأسًا من الشراب، فطست من كرب الحمام، وذقت الحمام، فلما انشقت إهابي،  
ولبست ثيابي أنشدت أقول:

إذا افتحرت بالمكرمات بنو مصر

رأيتك بين الناس أجدر بالفخر

وأنت الذي أمست مناقب فخره

يحار بها في حسن أوصافها فكري

فإنك ذا النادي السندي لقاصد

كثير رماد القدر مرتفع القدر

ويسطر للطرار كفًا نديسة

ووجهك وضاح السنًا حسن البشر

وما زالت والرمح الطويل تهزه

يميناك تحت النقع والبيض والشمر

وتأخذ أسلاب الرجال وإنسه

لسلب فتى لم يأت ذلك على غدر

وكم لك من مشمولة قد عصرتها

معتقة للشرب طيبة النسشر

بعاطيكها كل ابن حسن إذا

بدا بدا مُردف الأرداف مختصر الخصر

وبيتك بيت لم يزره مُدئس

فيرجع إلا وهو منه على طهر

وكم شبت يا قوئاً إليك وجوهراً

لرئته حتى نسبت إلى أمر

وأقسم أنني عن مديحك عاجز

ومن أجل ذا وافيت نحوك ذا عذر

فيخرج من الباب بيرم فيقول: يا سيدي المتيم قد مشيت الأمور وانشرت الصدور، ومهسا أتى مع اليتيم، وأبقى أقرأ على أذنه، [١٥٥/ب] وأعمل على عقله، وذهنه حتى

لانت عواطفه، وحتت معاطفه، وقال لي تحياتي يا بيرم يا بيرم، حقيقاً يعشقتي المتيم؟

فقلت: والذي أنزل الكتاب يحبك عدد الرمل والحصى والتراب، وهو والله أشفق عليك من والدك، إن جالسك آنسك، وإن مددت رجلك كبسك،<sup>(١)</sup> وإن نمت في الليل غطاك، وأي شيء طلبت منه أعطاك، وأنت بحمد الله شاب مليح، أديب فصيح كامل الأدب والعقل منتصف في الخرج [١٥٦/أ] والدخل، مالك نظير ولا مثيل وأنت شامه في أولاد حان السيل ونظاري بشطاري صاحب حديد، وبأس شديد، ومقابرتك مائة وخمسين بالقبان وأنت من الشطار الأعيان، قد وفقت للكلام، وسبق رهنك على يد حكيم الحكام، فلا أحد يقدر عليك، ولا أحد إلا وهو ناظر إليك ومن ذا الذي يمد قوسك أو يلف ترسك؟ ومن ذا الذي أرشق منك في حلقة الثفاف، أو يسبقك للأكرة في الالتفاف، أم لأحد [١٥٦/ب] أفره من سنانك في الصباح، أو أقوى من كبشك أو ثورك في النطاح، أو أشطر من دبكك في النقار، أم أسبق من طيرك في الأطيار.

والصحيح أن كل ما للمليح مليح، فتحقق، وأعلم أن ما عمل هذه الملاعب مثل عبدك المتيم، فلو أنك أقبلت عليه، ونظرت إليه نظرة الرضى، ومددت إليه، فكان فرجك على الملاعب، وأوقفك منها على كل عجيب وغريب فلا شيء ترميه بالجفاء وهو من إخوان الصفاء وخلان الوفاء.<sup>(٢)</sup>

(١) يريد ذلك ليذهب متاعب جسمك.

(٢) يسمى هذا الذي يصلح ما فسد بين العشقين أو المتحابين بالرسول أو السفير، والسفير هذا شروط ووظائف وواجبات وعنه يقول ابن حزم في كتابه اللطيف طوق الحمامة (ص ٣٥): ويقع في الحب بعد هذا حلول الثقة وشام الاستئناس [إدخال السفير، وبيع تخيرة، وإرتياده واستجادته واستغراهه (حذقه ومهارته) فهو دليل عقل المرء، ويده حياته وموته وسره وفضيحته بعد الله تعالى. فينبغي أن يكون الرسول ذا هيعة، حاذقاً يكتفي بالإشارة ويقرطس عن الغائب، ويحسن من

ف[١٥٨/أ] يقول المقيم: فعلى أي شيء كان منصرف الحال، والحديث والعلق  
ركبك حيث؟

فيقول: يا بيرم، والله ما فارقته إلا وهو قد لان، وصار خلاف ما كان فيرقص المقيم من  
الفرح، ويحضر البطانة والقدح، ويرقص سكرًا وعشقًا ويقول: هذا البليق:  
يا الله يا الله، محلاك يا صغير

يا نقاوة الأحمال يا محمير  
دع عذارك الأحضر أيش هو خلفا  
هو بماء الورد يا أخى يسقى  
أيش كان لو كان لي منه فرد شقا  
/[١٥٨/ب] ما رأيي مخلوق لو ني أصفر

يا نقاوة الأحمال يا محمير

ذات نفسه، ويضع من عقله ما أغضبه باعته ويؤدي إلى الذي أرسله كل ما يشاهد على وجهه  
فكانما كان للأسرار حافظًا، وللعهد وفيا فتوعًا ناصحًا.  
ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعته بمقدار ما نقصه منها، وفي ذلك أقول شعرًا منه:  
رسولك سيف في يمينك فاستجده حسامًا ولا تضرب به قبل صقله  
نمن يك ذا سيف كهام فضره يعود على المعنى منه بجهله  
وأكثر ما يستعمل المحبون في إرسالهم إلى من يحبونه إما خاملاً لا يؤبه له، ولا يهتدي للحفاظ منه  
لصباه أو لحيته رثة أو بذاذة في طلعه وإما جليلاً لا تلحقه الظنة لنسك يظهره أو لسنٍ عالية قد  
بلغها. وما أكثر هذا في النساء ولاسيما ذوات العكاكيز والتسابع والثوبين الآخرين. وإني لأذكر  
بقسرية التحذير للنساء المتحدثات من هذه الصفات حيثما رأيتها أو ذوات صناعة يقرب بها من  
الأشخاص، فمن النساء: كالطبيبة والحجامة، والراقصة، والدالة، والماشطة، والناتحة، والمغنية،  
والكاهنة، والمعلمة، والمستحقة والصناع في المعزل والنسيج، وما أشبه ذلك. أو ذا قرابة من  
المرسل إليه لا يثب على عليه.

فكسب منيع سهل هذه الأوصاف وعسير يُسر وبعيد قُرب، وجموع أنس، وكم داهية دعت الحجب  
المصونة والأستار الكثيفة والمقاصير المحروسة والسدد المضبوطة لأرباب هذه النعوت، ولولا أن  
أنبه عليها لذكرتها ولكن لتقطع النظر فيها وقلة الثقة بكل واحد، والسعيد من وعظ بغيره، وبالضد  
تعمير الأشياء. أسبل الله علينا وعلى جميع المسلمين ستره ولا أزال عن الجميع ظل عافيته.



صرت أنا في عشقي فمسبك دايـسر  
 لم أجد من كسري فيك جايـسر  
 ولقد صار لي فيك حائر  
 ولكم عاشق فيك قد تحير

يا نقاوة الأحمال يا عـمير  
 فإلتفت إليه اليتيم، ويقول: والله العظيم يا متيم لقد أخلفت عرضاً، وصيرتني من  
 قومي على وجل، ومن صبيان الحسينية على خجل. فيتأوه المتيم، ويعدد ويرفع صوته،  
 وينشد مولياً:

/ [١/١٥٩] / تيمتني وبقيت معك في حيرة

يا من ترك قصتي بين الوري سيرة  
 نحن ما نعبد به بالخبز والجيرة لا بألف الغير مالي طاقة العيرة  
 ثم ينشد ويقول:

يا بدر الدجى فرجي حالاً وحـمال  
 من أجلـك قد رجعت في رق حـلال  
 قد دُبتُ بهجرانك فسـسارحم تلفـي  
 وأعطسـف ودع الجفـسا ومـا قـليل وقـال  
 فيجيبه اليتيم ويقول:

/ [١/١٥٩ ب] / أقسمت بمن صير  
 لا أدرك مـسـنـن في بحر عشقي هلكـا  
 دع يغسـرق مـن تبـحر حـتى اسـتـيكا  
 ما يـرحم مالـك إذا العـبيد بكـا  
 فيجيب المتيم لليتيم ويقول:

للعشق علامات وللصبر خلال

إن ينظره من الضنا رق حلال

أصبر الحبيب جال بالصيد وصال

لولا المهجران ما خلا قط<sup>(١)</sup> وصال

فيجيب المتيم ويقول:

[/١٦٠/] أمست خيالاً للضنا لست أزار

أبكى أسفاً وما خلا قط مزار

عطشاي جووى حار وعيناه غزار

فيجيبه اليتيم ويقول:

ما مثلي بالمحال من ينخدع والعاشق إن ألح لم ينستفع

والطامع ما يجدي عليه الطمع ما ينفع ذا الغرام إلا القطع

فيجيبه المتيم ويقول:

(١) المهجر نوعان: هجر جفا وهجر دلال. والأول من أراد ما يصيب المحب ويهلكه، وأما الثاني فهو

نوع من إشعال وتهيج المحب وربطه بمحبه وهو بمقدار إن زاد عنه ربما جاء بضده.

ويقول ابن حزم في المهجر في طوق الحمامة (ص ٦٦): ومن آفات المحب أيضاً المهجر، وهو على

ضروب: فأولها هجر بوجه تحفظ من رقيب حاضر، وإنه لأحلى من كل وصل، ولولا أن ظاهر

اللفظ وحكم التسمية يوجب إدخاله في هذا الباب لرجمت به عنه ولأجلته عن تسطيره فيه.

فحينئذ ترى الحبيب منحرفاً عن محبه مقبلاً بالحديث على غيره معرضاً بمعرض لئلا تلحق ظنته أو

تسبق استراتيجته. وترى المحب أيضاً كذلك ولكن طبعه له جاذب، ونفسه له صارفة بالرغم، فتراه

حينئذ منحرفاً كمقبل وساكتاً كناطق، وناظراً إلى جهة نفسه في غيرها.

والمذاق الفطن إذا كشف بوجهه عن باطن حديثهما علم أن الخافي غير البادي، وما جهر به غير

نفس الخبير، وأنه المشاهد الجالبة للفتن والمناظر المحركة للسواكن الباعثة للخواطر، المهيجة

للمضمائر، الجاذبة للفتوة. ولي أبيات في شيء من هذا أوردتها، وإن كان فيها غير هذا المعنى على

ما شرطنا منها:

وسر أحشائي لمن أنا مؤثر وسر أبنائي لمن أنا حبيب

فقد يُشرب الصاب الكريه لعله ويترك صفو الشهد وهو محب

وأعدل في إجهاد نفسي في الذي أريد بغير الفوص في البحر بطلب

وأصرف نفسي عن وجوه طباعها إذا في سواها صح ما أنا راغب

/ [١٦٠/ب] مالي إلا ديكي أبو العرف صاح

الفنان في الديوك نفسراً وصياح

قد مد إلى السنفار عرفاً وجناح

أقبله فما عليك في ذاك جناح

فيقول اليتيم:

لا تذكر ديكت صباح، حتى يري ديكي القيم صباح، الذي ما فاته في الديوك أحد،  
وهو لذلك بيضة البلد، وينشد ويقول:

ديكي هذا من الهنود جئاً ومن بأسه الشديد

إن كان مسنقاره يطار فإن رجليه من حديد

/ [١٦١/أ] كأنما عسره عقيق يزهو على ورده الخدود

له إذا حاجه نقسار من خصمه وثبة الأسود

يخطر إذا سار في دجاج كسيّد سار في عبيد

يؤثر بالجدود من يسراه وجوداً للمستفيد

كفيت في ديكي المفسدا يحسنه نظيرة الحسود

فيخرج ديك اليتيم، ويتلوه ديك المقيم، ويخطو الزهوى، على يد الحكم زهبون،  
وينشد ويقول:

أهلاً وسهلاً بطلمعة الديك

كانه عسرة الصعاليك

أتى بتاج كأنه ملك

بين دجاج مثل الممالك

يلمع مثل الحرير مع التبر

على منكبـيه محبوك

رياشه إذا يسير من ذنب

كانه الصالح بين رزيك

ومن شقوق الأفصاص تنظره

شسيه كسرى خلف الشبايك

ويل لـديك أئسى يناقره

لسوهم في همـه بتحريك

فإنه يستيح من دمه

ما لم يكن مثله بمسفوك

فسيقف الحكم بينكما بعصاه وينقره به في قفاه، فيأخذ لنفسه بالأهبة ثم يتدي قبل

كلامه بالخطبة فيقول:

الحمد لله فالق الإصباح، وملهم الديك لإقامة الأذان بالصياح، الذي توجه بتاج

من/[١٦٢/أ] تحقيق، ويعرف من الشقيق، وألبسه الطيلسان المدبج، وأقامه في صورة

الملك المتوج وخصّه بالكرم والإيثار، وميزه بذلك على جميع الأطيّار، وفضله بالذب عن

الحريم، ومقاومة الغريم<sup>(١)</sup>.

(١) معروف من أخلاق الديك الكرم والإيثار فهو يؤثر الدجاج الذي يرعاه على نفسه ويحميه من كل خطر يحدث به، ويؤدب كل دجاجة تشذ عن القطيع، وذكر الدمير الديك في حياة الحيوان الكبرى، فاطال في ذكره فمما ذكر في ترجمته أن قال: الديك ذكر الدجاج، وجمعه ديوك وديكة وتصغيره دويك وكنيته: أبو حسان، وأبو حماد، وأبو سليمان، وأبو عقبة، وأبو مدلج، وأبو المنذر، وأبو نيهان وأبو البقطان، وأبو برائل (والبرائل الذي يرتفع من ريش الطائر في عنقه وينفشه الديك للقتال، وقيل: إنه للديك خاصة) ويسمى: الأنيس المؤانس. ومن شأنه أنه لا يحتوي على ولده ولا يالف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة، وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله.

وفيه من الخصال الحميدة: أنه يسوي بين دجاجة، لا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادراً. وأعظم ما فيه من العجائب: معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يفادر منه شيئاً سواء طال أو قصر، ويوالي صياحه قبل الفجر، وبعده. فسبحان من هداه لذلك. ومن غريب أمره: إذا كانت الديكة بمكان. ودخل عليها ديك غريب سفته كلها. وقد أجاد أبو بكر الصنوبري في مدحه حيث قال:

مفرد الليل ما يالوك تفريداً      من الكرى فهو يدعو الصبح مجهوداً

والصلاة والسلام، والتحية والإكرام، على سيد المرسلين، ورسول رب العالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فمكافحة الأقران لا تختص بنوع من الحيوان، وأحسن ما يتفرج عليه السوقة والملوك، مناقرة الديوك؛ لأنها مفصلة ومناضلة، ومقاومة، ومنازلة، [١٦٢/ب] وهذا السديكان، قد وقفنا للاصطدام، وجسرا على الأقدام، فمن قَدَّم المنقار، وتأخر إلى القرار، وحب على العادلة ما يقرر، وليس إذا عاد إلى المعلوم يذكر فيقول: كبر الله يا صباح، وأعيذك أنت يا صباح ثم يتناقران على ذلك المثال، وجاري عادة الخيال. ويستعفي ديك اليتيم من النقار، ويتدئ بالهرب والفرار.

فيقول اليتيم: والله ديكى ما انهزم، ولا على الفرار عزم، وإنما حضر الوقت المعروف للأذان فانصرف [١٦٣/أ] من الملعب إلى تسبيح الملك الديان، وهذه عادة هذا الديك المبارك الهامة، وقبالة وقدامه ولئن فرَّ ديكى من صباح، فدونك وكبشي في النطاح، وكل لاعب يعرف كبشي الذي كأنه الأسد الوحشي، يكاد ينطح نطح البروج، ويهدم بقرنه سد بأجوج ومأجوج، ثم يشد ويقول:

بحرمة ما في الحوض قمر الدجا      دليل على أن النجوم به حرجا  
ما غالبت به الجسد، ولا ذهبت فرونه بشحم الأسد [١٦٣/ب] ولا علقت في رقبته الحروزة، ولا كسرت والدي بالماء المرقى في وجهه الكوزة، فاطلبوا لنا حكم الحكام.

---

لما تطرب هز العطف من طرب	ومد للصوت لما مده الجيد
كلايس مطرفاً مرخ ذوائبه	تضاحك البيض من أطرافه السودا
حالي المقلد لو قيست قلاكده	بالورد قصر عنها الورد توريدا
وفي تاريخ ابن خلكان في ترجمة محمد بن معن بن محمد بن حماد المنعوت بالمعتصم من قصيدة مدحه بها أبو القاسم الأسعد ابن بليطة في صفة الديك:	
كان أنوشروان أعطاه تاجه	وناط عليه كف مارية انفرطا
سعى حلة الطاووس حسن لباسه	ولم يكفه حتى سعى المشية البطا

فينادي الرسيل: يا حكم، ويهون ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، عدنا من المناقرة بدواء الريش، ورجعنا إلى ثقالة الشكايش، هات يا مولانا أين الرهان؟ وعند الامتحان بكرم المرء أو يهان أليس كلام كل قرن يعرف بقرنه؟ ومن يزمر لا يُخبي ذقنه، من فيكم يقابل هذه الدعوى ويقابل هذا الرشا الأحوى/[١٦٤/أ] ومن سبق وقال: يا حكم وجب، رجوت له الغلب.

فيخرج له اليتيم، ويقول: يا حكم الحكام آتَى حتى على كبشي هذا كثير الكلام بكبش من الكباش المشهورة بالإفدام، وما هو يقطع العد كبسي نطح الجبال وما رد. ثم يخرج كبس المقيم قداح أبي السين، ثم ينشد إذا تقابل الكبشين ويقول:

كبشنا لم يكن لغير النطاح وهو قرن بالقرن شاكي السلاح  
إليته كالجفن في الشكل والدوف سنان والأسنان هي الرماح  
فيخرج حرفوش يقال له: وحشي فيقول:/[١٦٤/ب] له اليتيم: قل لي كبشي، فيقول:

كبشكم فارة من المستراح فأبصروا مستعلماً بالسلاح  
ينطح الطين ما يؤثر فيه وهو كالريش في مهب الرياح  
ثم تخرج أمه ورعبتها في يدها، ومعها مبخرة للعين والتبطل، ثم تنظر إلى كبش ابنها وتطيل النظر، ثم تقول: يا كبش ولدي، وقطعة من كبدي، بتسع فلفلات، ثلاثة شرقية، وثلاثة مغربية، وثلاثة من بحيرة طبرية.

فقلت: إلى أين تذهبن يا حياة القلوب والمؤلفة بين المحب والمحبوب؟ قالت: أفلفل قلوب الحساد/[١٦٥/أ] وأجري دموع الأضداد، وأراد العين والنظرة، والسرودة والكسرة من سبق نجح، ثم يتהלل وجهه بالفرح، وتقول: يا حكم زيهون، هذا كبش ابني هو صغير، حروف، ما كنت أفرط له في الصوف، وكنت أبرم منه شملات الأرجوان، وأفاخر بها ملوطة سرجوان، ربيت قرونه بالدلال، حتى صارت مقرونة كالهلال، وسمنت إليته وحسنت حليته، وكان في ابتداء الحال، أهدها إلى ابني عشيقه الكحال يعمل شواء، وكنا من السبع سواء، فما هان/[١٦٥/ب] على ولدي ذبحه، وأعجبه لعبه ونطحه واستخدم له الحدّام، وكابدة به العبيد والحُدّ حتى عادت قرونه من الصّوان، وصارت قوائمه من البهرمان، وصوفه من الأرجوان، وعينه من الخرع، وحصاة كالصّدع فهتمته همة فكفاه الله شرّ عين الحسود.

فيقول الحكم زيهون: قد اجتمع الناس ووقع الفاس في الرأس، وجمع الطحن<sup>(١)</sup> ووجب الرهن. ثم يقف بين الاثنين: وحشي، وابن الشين، ويقبل بين الكشين ويقول: الحمد لله الذي أحل الغنيمة/ [١٦٦/ أ] وجعلها أي في الثَّعم من أسنى النعم، والذي جعل الكيش أصلاً في التناج، والقيم في الذب عن النعاج. أحسده حمداً طيب اللين، وأعوذ به من القهر والغبن، وأرفع به الجبن والنحل، وأسترشه للقول والعمل، وأصلي على سيدنا محمد إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وعترته<sup>(٢)</sup> أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين.

وبعد:

فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، وفي هذا الملعوب يمتحن الطالب والمطلوب، ويعرف الغالب من المغلوب، ويقف ذوو/ [١٦٦/ ب] الأعرام على الأقدم لتعلم المصاهرة ثم يناطح بين الكشين عادة الخيال في ذاك الحال، فينهزم كيش اليتيم. ويقول: يا ريس على نطحه على المقاتل، أعطاني ظهره وانهزم، ومن شابة أباه فما ظلم،<sup>(٣)</sup>

(١) جمع الطحن: يريد صعوت القتال والمركة المشند على أقوى ما يكون كصوت الرحي وهي تدور على أسرع وأقوى حالاتها، ومنه المثل السائر القائل: أسمع جعجعة ولا أرى طحناً، ومنه قولهم أسمع صوت ولا قوت. وقولهم أسمع جعجعة ولا أرى طحناً المراد به ما لي أسمع أصواتاً عالية مستداخلة، وكان هناك معركة قوية حامية ولا قتلى ولا دماء ولا صرعى ولا هزيمة ولا نصراً وهو مثل يضرب لمن بعد لا يقي، ولمن يرتفع صوته منذراً متوعداً ولبس أكثر من ذلك إذ هو لا يفعل شيئاً مما يتوعد به أو يهدد. وفي لسان العرب في مادة «جعجع»: الجمع جعجعة صوت الرحي ونحوها.

(٢) هذه لفظة يستعملها الشيعة دائماً قاصدين آل البيت النبي ﷺ من نسل فاطمة رضي الله عنها وعلى كرم الله وجهه، وقد يستعملها بعض الناس أو بعض الخطباء عن غير تشيع لآل البيت وإنما يقصد المدح والثناء على آل بيته ﷺ ووفاء لفضل وشرف وكرم رسول الله ﷺ وكرم آل بيته. وهي لفظة لا بأس بها ما لم تكن يقصد التشيع المقيت، والتفريق والتمييز لا يحبه الإسلام ولا يقره بل يحاربه وينهى عنه إذ أنه يعرف أن أكرم الناس عند الله أتفاهم مهما كانت درجة قربه أو بعده من النبي ﷺ.

(٣) هذا مثل مشهور يضرب لمن أجاد أو ساء وكان له من سابق أهله من هو على شاكلته في العمل سواءً كان أباً مباشراً أم أباً بعيداً أي أحد أجداده. فمن أحسن وكان له من أبائه أو أجداد محسن قالوا هذا المثل تقديراً لفضل الأب أو الجد والحقوا الأجر بالأول والدعاء له والثناء عليه. وكذلك من أتى فعلاً قبيحاً أو مذموماً وكان له أب أو جد فعل أنعالا شائنة ذكروه بذلك ذمًا له ولعنة عليه.

وهو كقول الأثر المشهور: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن

وانكسرت عينه القوية، وعصبيته الجمهرية وضربت وفسا.

فينظر إليه المتيم ويقول: سألته أن يأخذ الكبش رأساً ورجلين، وأزيدة عليه كبشين لعله يسمح لي بلمته، أو يَمُنَّ علي بكلمة.

/ [١٦٧/ أ] ثم يعطف وجهاً ويقول: أين بعد ذا العلق، أقبل أقدامه، وأحط الفضلة قدامة، ثم أحلف عليه بكل يمين، أن يقل من الكمران والسكين، وهو بسلامته ما يعزل عَنِّي بالسلا، ولا بأيسر ملام، ثم يكي التيم وينشد مواليا:

\*والك متيمٌ دع التسطيع لا أضعك\*

\*وفي مهالك غرامي والجفا أوقعك\*

\*فالعشق عندي يُحطِّك والجفا يرفعك\*

\*فدع محالك وقابلني بما ينفعك\*

/ [١٦٧/ ب] فيقول له المتيم:

يا مالك روحي، ثم مالي وقاتلي، وممرض، وممرض، وطبيبي ومعذبي، بعد أنك أما ترى خفوق فؤادي وقلقي، وسهادي، وينشد ويقول:

لو لم يكن قلبي بحبك مبتلي

ما بات طرقي بالسُّهاد منقلا

يا من أظعت به الغرام تولُّها

وعصيت من ولهي عليه العُذلا

انظر ترى برتع المودة ماخلا

يا هاجري والعيش بعدك ما خلا

أنت الذي أكدت أسباب الهوى

وتركتني بعد المودة مهملا

وجعلت ما بين التواصل فترة

ومعين دمعني للعوازل مرسلا

ويلاه من وجدي عليك

وآه من قلقي عليك فعلت أو لم أفعلا



ما ضر لو حيّيتني بتحية

أو لم تمنّيني الوصال فعلاً

أمعذبي بدلاله وملاله

أأنت مثلي بالجفا أتيتلا

[١/١٦٨] يا سائلي عن حالتي في حبه

وتحول جسمي والضنا تُكفّي الـبـلا<sup>(١)</sup>

(١) الضنى: من مراحل الحب، وهو يصيب المحب والمحبوب على حد سواء وإصابته المحب أقوى من أصابته المحبوب إذا كان المحبوب لا يبادل المحب المشاعر نفسها أو بعضاً منها.

وعن الضنى يقول ابن حزم في طرق الحماسة (ص ١٠٠): ولا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل إما بين وإما هجر وإما بكتمان واقع لمعنى من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والتحول، وربما أضجعه ذلك.

وهذا الأمر كثير جداً موجود أبداً، والأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل ويميزها الطبيب الحاذق والمتفكر الناقد، وفي ذلك أقول:

يقول لي الطبيب بغير علم	تداوى فانت يا هذا عليل
ودائسي ليس يدبر به سرائي	ورب فادر ملكك الجلـيل
أأكتمه ويكشفه شـهيق	يلازمني وإطـراق طـويل
ووجه شاهدات الحزن فيه	وجسم كالخيال ضن نحيل
وأنت ما يكون الأمر يوماً	بلا شك إذا صح الدليل
فقلت له: أبـن عـي قلـيلاً	فلا والله تعرف ما تقول
فقال: أرى نحولاً زاد وجداً	وعلىـنك الـتي تشكو ذبول
فقلت له: الذبول تبعـل منه	الجوارح وهي حـتى تستحيل
وما أشكو لـمـر الله حـمى	وإن الحـر في جـسمي قـليل
فقال: أرى الـتفاناً وارتقـاباً	وأنكـاراً وصـمناً لا يزول
وأحسب أنها السوء فأنظر	لنفسك إنها عرض ثقيل

يا متيم دع المحال، وأعلم أن كبشي أصيب بالعين والنظرة، وما كل مرة تسلم الجرة، لكن عندي في بستاني الخور، نور غلب كل نور في الساحل، وما رآه نور من الثيران، إلا أصبح كالساحل، لسو ناطح نور الزهرة ما حمل جوزة، وأعوج السرطان من هيته، هذا الأسد، وصار قرنه كالمدبر، نشأ في بستان أخضر نضر، ليله نهاره/ [١٦٩/أ] وظله أشجاره، وأرضه سما الزهر لا الزهر، وسوق أشجاره قائمة، بجلاجل من لجين النهر، لا تمل أغصانه من الالتفات، ولا العناق، ولا تفتر أطياره من الغنا خلف سائر الأوراق، وناسجة أكرات الذهب، وصوالج الزمر وتسنهب، ومشمشه كجلاجل التبر في قباب الزبرجة وبلح نخله كقلوب من الفيروزج، قُمَعَت بالعسجد، إلا أن هذا الثور، أصبح من هذا الطور، وأصبر على العمل بدلي رُحل أن أقبل على قرنه/ [١٦٩/ب] يَحُت الأرض بقرنه، وإن ناديت يا خيس أقبل كالخيس.

فيقول المتيم:

ما أظنك رأيت ثوري جمعة، ولا تصل إلى شدة بأسه بشمة، هذا غزالي، وقرنه هلال، لو نطح الجمل، خرى الجمل. يا حكم زيهون، أين الزهور، الذي قحم وباح؟ هذا وقت النطاح.

قال: فيقوم الحكم من فوره، ويأتي كل منهما بثوره، ويقف الحكم خاطبًا، ولمن حضر مخاطبًا، فيقول: الحمد لله الذي جعل في السماء بروحًا مخصوصة بالدورة،/ [١٧٠/أ] وجعل شرف الشمس بالحمل والقمر بالثور، الذي جعل البقر لعمارة البلاد، والمدائب في أرزاق العباد، وأودع ألبانها الشفاء، ولحومها الداء، ليكف عن ذبحها الأكل، ويقتني منها من أطيب المأكَل، وخصّ بالشجاعة ذكورها، كما خصّ بالجين...<sup>(١)</sup>.

أحده سبحانه على ما ألهم وعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

فما للذمّيع من عيني يسيل  
إلا في مثل ذا بُهت التبييل  
إلا في مثل ذا ضلت عُقول  
فروع الثبت إن عكست أصول  
سواه يُبرئ ما لدغت كفيل

فقلت له: كلامك ذا محال  
فأطرق باهتًا مما رآه  
فقلت له، دوائي منه دائي  
وشاهد ما أقول يُرى عبائي  
وتبريق الأناعي ليس شسيء

وبعد:

فهذا كلامي لمن حضر من ربيعة ومضر، ما كل بيضاء شحمة، ولا كل حمراء لحمه،  
وبعد/[١٧٠ب] الكسرة تكون الثصرة، الحروب سجال وللقتال أبطال، ولا بد من  
المطالبة والصبر والمروءة والمغالبة، والكرُّ قوة، والله تعالى يهب لمن يشاء النصر تهباً  
للذي تهباً، فيدار الثوران، ويقبلان ويدبران، ويتخاوران، ويقتتلان.

قال: فينكسر ثور المتيم من قرنه، وينهزم من قرنه، ويخر صريعاً على أذنه، وقد  
انحطم أنفه وانخلع كتفه، فعند ذلك تغبط عصبة المتيم لليتيم فرحاً، ويصفقون، ويرقصون  
مرحاً، ويؤخذ من/[١٧١أ] الرهان، ويقعد عند رأسه ويعدد وينوح في أصفهان،  
شعر:

على فقد ثوري لي البكاء يزيد

ودمعي من أجفائي عليه يزيد

رزيت بذئ القرنين بأساً ونجدةً

له عدد من سطوة وعديد

وذئ أربع قد قمعت بزبرجد

وهسيهات تحكي ما أقول عمود

مضى وهلال الأفق تاج بقرنه

ومن شفق درع له وعقود

/[١٧١ب] فلو أنه في حنيس<sup>(١)</sup> الليل لاح لي

لقلت هلال قد أظلم وعيد

وفي الجوز من روقيه شبه

وناقه عقيق ونظم الودع فيه عقود

(١) حنيس الليل: هي ظلمته، وقد قال ابن منظور في لسان العرب في مادة حَنَّس:

الْحَنِيسُ: الظلمة. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. وفي حديث أبي هريرة: كنا عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء حنيس. أي شديدة الظلمة. ومنه حديث الحسن: وقام الليل في حنيسه ليلة حنيسية ولسيل حنيس: مظلم. والحناس ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن ويقال: دحاس. وأسود حنيس: شديد السواد كقولك أسود حالك.



وما حاز من تحت الجوائز مثله

وسر قينة مسك تفروح وعود<sup>(١)</sup>

ثم يقول: يا ريس علي هذا الثور ما بقي ينفع ولا بقي لي في حياته مطمع، وسأجعل من/ [١٧٣/أ] لحمه خواناً<sup>(٢)</sup> للإخوان، فأدعو إليه من أصحابي كل مواف وخوان.

ثم يقول: أين هو تعاشير الجزائر، وأعوانه السلاخون، اطلبوا لي أبا جعران وغلمانه الطباخين فيبادرون إلى ذبحه وسلخه، وتقطيعه وطبخه ثم يُمدّ الطعام، ويحضر بواطي المدام.

ثم يقول: لا تمنعوا من الدخول أحدا من الناس لاسيما عند استجلاء الكأس، فلعل أن بسمع معشوقي اليتيم هذه الوليمة، والهمة العظيمة، ويرايني على هذه الحالة، فيصبو/ [١٧٣/ب] إليها لا محالة.

ثم يفتح الأبواب، وتحلو الكؤوس والأكواب وينجز المجلس بالعود والندة، ويغني في زبر وكيد شعراً:

يا نديمي باكرا الخمارا

واشربها صهباء صرفا عقار

عتقاء أنست محائله الحمار القصار

مما قيد عتقت أعصارا

وصفت أن يكن خليفة غل

للنداما وإن تحاول نسا

(١) هذا الشعر بديع جميل رسم فيه الشاعر صوراً جميلة وشبه فيه تشبيهات بدبعة ومائل فيه تشيلات مبهرة فأجاد أهما جودة وجمع فيه بين جمال اللفظ وجمال الطبيعية وجمال الزراعة والصناعة وصفاء الليل وهدأته وصخب النهار بما فيه من حركة عامة وحركة نواعير وسواقي وهي تدور وتن وتبكي المنيب وما في السماء من أبراج وكواكب فجاء شعراً جيداً رقيقاً ممتعاً أخذاً بالنفس أخذاً شديداً، ذاهباً فيها بين رحابة الأرض وجمالها وآفاق السماء وبدائع خلق الله فيها من ليل وشفق وغسق وأهله ونجوم وشمس وأبراج وما إلى ذلك من بدائع الكون الذي صنعه علام الغيوب.

(٢) الإخوان: هو نطح أو فرش بفرش في الأرض كاللبساط ويجلس عليه أو يكمل عليه وهو للأكل أشهر، ولكن يجلس عليه بعض الناس وهو مشهور عند القدماء، ولكن في زماننا هذا يطلق على أمثاله من هذه البسط: السجاد أو الموكيت أو الفرش، أو المشاية، أو الدواسة، أو الحاصرة، أو المفرش، وما إلى ذلك من الألفاظ المعاصرة التي كانت قديماً تسمى: النطح.



فَسَقَانِي لِلزَّبِيبِ كَأَسَا  
أَحْلَى مَذَاقًا مِّنَ الْخَمِيرِ  
فِي عَصِيَّةٍ مِّنَ زَبِيدِ سَوْدٍ  
دَامُوا إِلَيْنَا بِكُلِّ خَمِيرٍ  
يَلِذْنِي كَلِمًا حَشَوْنِي حَشَوِ  
المَحْشَوَاتِ فِي ظَهْرِ  
وَزَبِيدَةِ الْقَوْلِ أَنْ رُوحِي  
أَحْسَنَ مِّنَ طَلْعَةِ الْقَمِيرِ  
طَوِيلَ لَوْ قَامَ خَلْفَ ظَهْرِي  
حَتَّى وَلَوْ نَالَنِي بِأَيْسَرِي

ثم يقول: يا نسيم طيب الله عيشك، وبرد خيشك، وكثر خيرك، وكبر أيرك.  
فيقول نرجسه المخنث: يوم سلامتك يا ابن الحرة عدوك، ومن يريد لك عترة لو  
حصرت/ [١٧٥/ب] أنفاسي، وقد ولدت الغليظ العاصي، وأنا في صحبة دكشاب  
الأسطولي، وأدميتي بطولي، وكان عندي من خواتي الظراف المخائنة ستاتي: حويزة،  
ولويزة، وقويزة، وسنبلة، وشبيلة، وفلفلة، ونواشر الرومية، وبلطية النوسية، ونحيلة  
المطرية، وجوانة شيل القصرية، ودلال الحلبية وكمال المغربية، وسمانة الربيعية، وشهيدة،  
وهنيذة، وفهيدة، وجنيذة.

ومنهم من رجاهم المطلعين على أحوالهم:

أبو/ [١٧٦/أ] الكمر وغير الذكر، وعميرة، والمخروط، وطيلوس، وأبو الروس، وأبو  
قرموط وزكيل، والقيشلاني، والأقرع، والقيرواني وأبو القصير، وشر الكبارة. يا خضير،  
ولسزوم، وأبو دندول، وحشوبات، وغرمول، ورأس شيء يا مغمض ودافني على الفخذين  
مغلقة مشغولة بطلقي مقلقة، وقد تعسر خلاص بين شكالي والمخاص، حتى أتاني الفرج،  
وانحدر الجعص الغليظ الكربر، وخرج، واسترحت من أكل فلانا/ [١٧٦/ب] الحبوب،  
أو السفرجل والبلوط والخرونوب<sup>(١)</sup>، كل هذا بسلامتك بعدما نصبت، وملأت

(١) ذكر ابن النفيس هذه الحبوب في الموجز في الطب فقال في السفرجل (ص ١٠٩):

الكيران، وطحننت وعجنت، وقرصت، وأحضرت الفواكه والشمع، والبحور، والأبية، والتفل، والخمور جمعته من غزل كفيفات، وعرق كينفاتي، ولولا قرب عهدي بهذا النفس، خليتك تخطيطي هذا المهراس؛ لأن العاشق إذا استفرغه الجماع هدأ وصار كالشبعان بين الجياح.

وقال بعض المحدثين: عليكم بصحبة المختئين، فإنهم إن تكلموا ضحكتم وإن [١٧٧/أ] غنوا طرئتم، وإن ناموا وطأتم.

فاسقني يا متيم هذا الكبير فإني مدمن على شربه في المواخير، وأقدر أنكب عليه وأشربه للأخير.

فيقول المتيم: يا نرجسه مهما طلبت أعطيناك وإن نمت غطيناك.

فيرقص طرباً في المقام حتى يرقد وينام فيخرج شخص أمرد كالقضيبي الأملد، حصب السبدن ظاهر السمن. فيقول له المتيم: من أنت يا قوت القلوب، ومنية المحب والمحبوب؟ فيقول: أنا أبو السهل صاحب الخرج [١٧٧/ب] والدخل عبرت مع الشيب، وقصدت أن أدخل من الباب، لما سمعت فيه من طيب الأغاني، وقهقهة القنائي، وحسن المثالث والمثاني، فإن عندي فضولا، وما أقعد إلا على الأصول، فيقول المتيم: على الرحب والسعة، وطيب الورود والمشرعة. فيُسر، ويفني، وينشد، ويقول<sup>(١)</sup>:

بارد في آخر الأولي، يابس في الثانية، هو وزهره قابض، وهو مقوٌ مدبر، يقوي الشهوة، ويسكن العطش، والتنفل به على الشراب يمنع الحمار، ويمنع القيء البلغمي، ولعابه يلين من غير قبض، فينفع السعال، ويلين قصبة الرئة والإكثار منه يورث القولنج. وفي هامش الصفحة المذكور تعليقا عليه منه: وهو شجرة له ثمر غاطي كان يستعمل لتلين الصدر.

وقال في السبلوط (ص ٩١): بارد في الأول يابس في الثانية، رديء ينفع من نفث الدم، ورطوبة المعدة، يعقل البطن، وينفع قروح الأمعاء والسجج وقال في (ص ١١٩) الخرنوب: قابض، عاقل للبطن، يمنع سيلان الطمث، وهو رديء للمعدة لا ينهضم وخلطه رديء ثقیل. وقال المعلق على الكتاب بالهامش تعليقا على الخرنوب: الخرنوب: كتثور والخرنوب شجر بريء شوك، ذو حمل كالتفاح لكنه يشع وشاميه ذو حمل كالخيار شنبّر إلا أنه عريض، وله رب وسويق. وفي الوسيط: الخرنوب: شجر له ثمر طويل كالقثاء الصغار إلا أنه عريض، وهو حلو يؤكل، وله حب، واحده خروبة.

(١) هذا بيت أصابه حكمة وهي قولهم: الصدر الضيق يهدم ما بينه العقل الواسع، فنعم لا تضيق السبلاد بسكانها ولكن تضيق بظلم الظالم وجور الحاكم وقهر السلطان وقلة عدالة التوزيع فيضيع



أنا الصبور لحمل الظلم والألم  
 وأوسع الخلق في البرجان من كرم  
 لا أمتنع الضيف رفدي من أطايب ما عندي  
 / [١٧٨/أ] ولو زار في داجي الظلم  
 أطيع مستبصراً خلا على سعة  
 شتان ما بين خل مبصراً وعمى  
 لا زلت أوسع خلق الله من شر  
 لطفاً وأقوم من ساق على قدم  
 ثم يقول ابن خشقك المحاشف، ومعشوقك المتصائف، وينشد ويقول:  
 سَجَانِي وَأَبْكَانِي هَيَامِك فِي الْهَوَى  
 غدا ضيق الأخلاق فيه خفوق  
 وحقك ما ضاقت بلاد بأهلها  
 ولكن أخلاق / [١٧٨/ب] الرجال تضيق  
 فينشد المتيّم ويقول شعر:  
 بليت بضيق الأخلاق قاسي  
 فدمعي وهو جاري فيه جاري  
 وكم في الأرض من حسنٍ ولكن  
 عليك لـشقتي وقع اختياري  
 فيقول أبو السهل:

---

الضيف ويفر في بلاد الله طالباً عيشاً وأماناً وراحة بال واستقرار أحوال، فلو أن الناس تصافت  
 قلوبهم لوسعت ديارهم واستراحت أحوالهم وتوسعتهم أماكنهم وإن كانت ضيقة، ولكن هيئات  
 هيئات أن تجد تلك المدينة الفاضلة التي يعيش الناس فيها في أمن وأمان وراحة واستقرار، وسعة  
 عيش ومحبة ومودة وصفاء وسعادة ومرح.

اسقني بالهنيات فلإني هنا أبات فبشرب حتى يميل من السكر رأسه، ويقع على وجهه،  
وينحل لباسه. فيخرج شخص أهيف مخطف كأنه/ [١٧٩/ ١] الغزال أو الأسر العسال.  
فسيقول له المقيم: من تكون؟ فيقول: عبدك بذال المشهور بالبدال، نير المتاملة، منصف  
المعاملة القليل الجفا الكثير الوفا.

يا مقيم خذني بديلاً إليك، فالدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، إحسان وخسارة،  
وكما تدين تدان، وكف الأمرد مثل كفة الميزان، كلما ثقلته أخرج لك اللسان، وينشد:

تمتع بعيش من زمان السصبا الفاني

ودعني فحلسي بالصدود رماني

/ [١٧٩/ ب] فلي لفته نحو الحبيب كماله

إلى التفاتات ذي بـذاك كفـاني

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى

ولإني وإياهما لمخـ تلفاني

ثم يقول: هات الكأس، قد وقف النعاس، ودعني من ذكر معشوقك الصلف، الغادر،  
المنحرف، وخذني بديل، ولا تدخل على العمى بدليل، قل هذا قد مات واعمل بعمل  
صاحب المقامات، وينشد:

وكنتُ كما كـال لي

على وفاء الكـيل أو بخـسه<sup>(١)</sup>

[١٨٠/ أ] ولو كان هنا جادته، وربما بادلتها، قد مضى بدل من الليل، ونحن قد صرنا  
بالويل، فيسقيه المقيم حتى يرتوي، ويشبع، وينام على أربع.

(١) هذا رجل منصف فهو لا يعمل بالفضل بل هو آخذ بالفرض ولو كانت الأمور على ذلك لزانت  
الحياة وساد القانون وتساوى الناس وعمت العدالة واستقرت الأحوال فهو يقول أنه سيحسن إلى  
من أحسن إليه، وفي لمن وفي له وفي الوقت نفسه لا يزيد في ذلك فضلاً.

وهو كذلك سوف يرد الصاع صاعاً لمن أساء إليه أو غدر به، ولن يتعدى فهو ينتقم بقدر ما بغى  
عليه أو بقدر ما تعدى عليه، ولا يزيد على ذلك فهو آخذ بالقصاص لا بالعفو والصفح الجميل.  
وهذا حق وعدل ولا بأس فيه، وإن كان ظاهره الجفاء إلا أنه لا يظلمك شيئاً من حقه وبأخذ ما  
عليك لغيرك كاملاً.

فيخرج شخص آخر فيقول له اليتيم: من أنت تكون، يا مخجل الفضون؟ فيقول أنا  
البحيش ابن الخناقة من صبيان الزلافة ما لكم زلقتم هذا المكان، يرشح الدنان، وما تدد  
من نجاسة الجزار، ولا أحب عشرة الأشرار، ولا أقدر أعاشر إلا بري الدار، ولا أشربه إلا  
بمقدار، والصغير من أوجعته [١٨٠/ب] رأسه، وضافت من الأقداح الكبار أنفاسه،  
وينشد ويقول:

يُلَيِّقُ مَا أَكْبَرُ مُتَاعَكَ يَا عَمِّي

شُوشِي شُوشِي أَحَا يَامِي

أَقْشَعُ بَرَا أَيْشُ جُوشُ

دَعُو يَدَلِّيهِ لِلشُّوشُ

وإلا ادفعوا عند الحشا

ولا تـمـزق بـوصـمـي

أنا صغير ما حُلِّي

يسا بور عيجز قـمـ صـلي

[١٨١/أ] وانظر لعمي في أكلي

ما تـدخـل في اللقـمـة فـمـي

حـكـك وزلـق وشـيـع

وأرجع نظيف مـنـي واقـنـع

وأما لجـوشُ إلا يولـع

فإن جـوشُ شـيـء يعمـي

ولكني لما سمعت هذا الفرح، وحسن الناطية والقده، فتجسست بين هذا وهذا.  
وأبو سهل قام وتعرى، فلعبت برأسه حتى يقوم إلى البيت، وهو ملقى من السكر  
كالميت، وأين هو معشوقك اليتيم الذي عليك يتعمى، وعلى غيرك يترامى، ولكن ما كل  
كف [١٨١/ب] يضرب يوم الرهان، ولا كل ظهر يصبر على طعان الأقران. فيسقيه  
اليتيم بالقده الصغير، فيرقص ويغني ويكاد من سكره يطير وينشد ويقول:

راقب الله في إني صغير لا تكن لي عملاً فوق وسعي

لا تسمني بالنصب جرُّ بخفضٍ وتمتع بالسُّمِّ في كل رفعي  
ثم يقع من سُكره على قفاه، وينام ويستر بكمه فاه.

فيخرج شخص آخر، وينظر نظر المرتاد، ويقول: أنا عبدكم الجلال، صاحب  
الرَّاحة الحلي، والمعيشة القشلا، مستحضر الوجوه/ [١٨٢/ أ] الملاح، ولانط  
الأشباح في الأرواح، جامع الرقيق، ومالك التوسيع والضيق المنزه عن تقاذير  
الغسل، ومخالطة الخرى والبول، المغبوط بالقناعة، المتصرف في وطء الجماعة،  
يقظان في أحلام، وجلده للذة لا للأيتام، وفني الوطء المرسل في الحمام،  
والدفلة في الزحام، معزل عن جدة الحدود، والزاني المجلود، أنال الغرض وأنا  
أمشي، وأتتهزّه عن المحيط والحشي فذيلي مرشوش، ومنديلي منقوش أقرب  
البعيد، واستحضر من أريد/ [١٨٢/ ب] وينشد ويقول:

إذا نكح الرجال نساء قوم وصار المهر في أيدي الفريقي  
عمدت إلى يدي فنكحت بكرًا وأما مهرها عندني فريقي<sup>(١)</sup>

فاحضر يا متيم معشوقك على نجافيه، واجلد عميرة، وقل: هذي فيه، فإنك بها يكن  
شبقك، ويبرد قلقك، ثم ينشد، ويقول شعر:

إذا غاب من هوى ولم تلاقك تلاقيه  
فضع ضمناً على فرد ومثّل شخصه فيه  
قال: فيجوزه الطرب من القهوة، ثم يقع من/ [١٨٣/ أ] شدة الشجوة.

فيخرج آخر فيدق الباب، ويقول: غلامكم نهبان الدياب، مرتكب الأهوال مساهر  
الليالي الطوال، طفي القناديل بالدرج الورق الخفيف الوطء إذا السراويل افتق، يستجلب

(١) هذا المتحدث والمقاتل هذين البيتين إما هو مكنٌ عن فعل العادة السرية أو ما يسميه العرب قديماً  
بجلد عميرة، فهو يقول إنه يفعل ما يريجه ولا يخرج منه فهو لا يجلد ولا يرحم ولا يعزر ولا يلام،  
ويستمتع بمن يريد متى أراد وإن كان من يريد بعيداً فهو يثال منه غرضه دون أن يؤذيه أو يكلفه  
شيئاً ولا مهراً ولا شهوداً ولا كلفة ولا قيوداً.

وساق خبره في أسلوب شيق واضح خفي جلي مبهم مرح جاد هازل مازح ساذج خبيث، وهو  
أسلوب أجاد فيه المؤلف أيما أجاداً ووفق أيما توفيق.

الريق بالسماق<sup>(١)</sup> إذا جف، وإبراد الماء إذا طف، ملاحظ الغلام، والمهتدى إليه بخيط البلفك في الظلام، وناثر الرمل لامتحان النيام، خَلَّالُ التُّكُّك، والمخَّي في السماعات تحت الذِّكِّ، أدب من الكرى على أبناء الورى، أُحْلَ العقد، ولو كانت من / [١٨٣/ ب] مَسَد، وأدب على الولد ولو كان في حجر والده، وأخرجه ولو كان على ساعده، وينشد:

أدب دبیب النملة في الليلة الظلماء      على هاجري ظلما وأستجلب الظلماء  
وأبلغ أغراضی بلا وزن درهم      ولا اختشي ضرباً ولا أتقي شتاً  
فيقول المتيم: الحافظ الله، لا نوم بعد اليوم، ثم يسقيه المتيم حتى يزول عقله وينعقد نقله، فينام في مكانه، وهو ينطرح على خوانه.

فيخرج شخص آخر ويقول: / [١٨٤/ أ] ملوك زباد الشُّشِّي يا مسلمين أقرأوا نفسُي، قم يا متيم طأ نفل لك شيء، فقد استغرق القوم في النوم، وسكن ذلك الرهج، حتى كأنهم قد شربوا من البنج، وجارت عليهم فصوص الأقداح، ومهدلتهم سرششدره الراح ما هذا الطريح من سكرة النكاسة كأنه من الساسة، فاسقني بسكرة الرد، وثب

(١) السماق: شجر ينبت بالجبال خصوصاً جبال الشام وله شرة شديدة الحمرة لازعة الطعم شديدة الحموضة.

قال ابن منظور في لسان العرب: السُّمَّاق بالشديد: من شجر القفاف والجبال، وله شر حامض عناقيد فيها حب صغير يطبخ حكاها أبو حنيفة، قال: ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلا مكان بالشام. قال: وهو شديد الحمرة.

قال في التهذيب: وأما الحبة الحامضة التي يقال لها - العَبْرَب فهو السُّمَّاق الواحدة ساقفة. وقدر السماقية، وتصغيرها سُمَيْمَقَةٌ وَغَيْرِيَه بمعنى واحد.

وذكر ابن النفيس السماق في كتابه الموجز في الطب (ص ١٠٨) فقال: السماق بارد في الثانية، يابس في الثالثة، قابض مقو، ساد، يعقل ويمنع النزف، ويجلب الصفراء إلى الأحشاء ينفع الداحس (فرحة أو شره تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر) ويمنع تزيد الأورام الحبيثة من القروح، ويسكن وجع الأسنان وأكائها، ويسكن العطش ويدبغ المعدة، ويشهي ويسكن الغثيان، وبحس الطمث، ويسود الشعر.

وفي هامش الكتاب قال محققه: استعمل أوراقه دباغاً وبذوره تابلاً، وينبت في المرتفعات والجبال.

من الجرد على السد، وينشد ويقول:

إذا غلبت عقلي المسدام رأيتي

طريحا أعني جان يداولي لمن أهوى

[١٨٤/ب] وأصبح مشكور الخصال لأنني

عكف على حكم الفراق بلا دعوى

فيسقيه إلى أن يطرب ويمثل من السكر رأسه ويغلب.

فيخرج شخص آخر فيقول له المقيم: من أنت أيها الطارق في الليل الغاسق؟ فيقول:

وايلي إن لم تعرف، أنا سلهب الطفيلي، مفرق شمل الزبادي، وخطاف اللحم من

الأيادي، مسكور حلوى الصحون والعامل بأضراس على الطاحون، ممشش الدجاج

المطحن، وذنب الخروف المسمن/[١٨٥/أ] الصابر على حرارة الطعام، والمتجلد على

ضرب الهام، وقادة الحجاب والخدام، ولآج الدور، وعالم غيب ما في القدور، غريق

الأدهان، ووكال الأوز والدجاج السمان، ذو الكيس المشمع، والبنان المقمع، الذي لا

يشع ولا يقنع، وينشد ويقول:

لا بَطْـيِب الثـرِيد والمـرق

والسبـقـل والخـل حـين يـندفـق

ولا أهـاب الطـعام لو بـك من نـارٍ

ولو كـنت مـنـه احتـراق

[١٨٥/ب] ولوة لم أخف عضة على كبر اللقمة

حـتى أـكـاد أـتـنـق

ولا أهـاب الغـلمان إن غـضـبوا

مـنى وزاد الحـديث والحـنـق

أدك في الدُّلـق مـا أـردـه

ولو أروح بالـدق كلـه مـرق

فيقول له المتيم: فرغ والله الطعام، فهل لك في شيء من المدام؟  
فيقول: إيه، فيسقيه إلى أن يصصره ويرميه.

فيخرج شخص مهول الشكل زائد في الشرب والأكل، ويصرخ، صرخة عظيمة يوقظ النيام ويصحهم من سكرة المدام. فيقول له المتيم من أنت؟ فيقول: أنا ملك الموت، الذي لا يفوته فوت مُقصر الآمال، ومكثر المخاوف، ومقرب الآجال وموقف الأعمال، الذي يذهب به الحال والمال، هادم القصور، ومعمّر القبور، ومسلم الولي المالك إلى مهاوي ماله. فيقول المتيم: هل من قبول للتوبة. فيقول: باب التوبة مفتوح، فدونك والتوبة ما دام فيك روح، قبل اختلاسها، [١٨٦/أ] وتعطيل أنفاسها.

فيقول المتيم: اللهم يا ذا الجود، ومالك الوجود، أسألك بالخوض المورود، وبالرحمة الواسعة، وبالمغفرة الشاملة الشاسعة، رب إني ظلمت نفسي، وضليت في ظلمات حسي، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي ولوالدي، إنك علام الغيوب، وغفار الذنوب، وإليك تتضرع وتتوب، وأشهد أن لا إله إلا أنت، خالقني، وغوثي وغياثي، ورازقي، وأشهد أن عمداً عبدك ورسولك، وحبيبك [١٨٧/أ] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وأشهد أن الله هو الغفور، وإن الله يعث من في القبور. ثم يتوجه المتيم للقبلة، ويقضي نجه، ويلتقي بربه، ويتبه القوم من النوم. ثم يزول ذلك الحال، ويتفرقون خوف النكال. ثم يحمل المتيم على المغتسل، ويغسل ويكفن ويصلى عليه، ويدفن.

تمت الباية الثالثة بما فيها من كتاب:

«طيف الخيال»

وصلى الله على سيدنا محمد

[١٨٧/ب] نجز الكتاب المبارك، المعروف بـ«طيف الخيال» لابن دانيال، بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، غفر الله لكاتبه، ولمالكه ولمن نظر فيه، ولجميع المسلمين وفرغ من كتابته في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمان مائة.

برسم الخزانة الكريمة العالية المولوية الأميرية الكثيرة الناصرية

سيدي محمد بن الحباب العالي المولوي / [١٨٨ / ١] السيفي طشبيغا الثمري المملوكي  
الأشرفي، أدام الله سعادته، وبلغه من خيري الدنيا والآخرة سؤاله وإرادته بمحمد وآله  
والحمد لله وحده وصلاته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله  
وصحبه الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين..

وحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) قال محققه أبو إسلام سيد بن كسروي بن حسن: وقع الفراغ من تحقيقه يوم عيد الفطر من سنة ١٩٢٧ هـ الموافق ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٦ م، سألنا الله تعالى العفو والعافية، ومصلياً ومصلماً على سيدنا رسول الله ﷺ، راجياً من الله تعالى حسن الختام بالموت على دين الإسلام آمين وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين.



# فهرس المحتويات

## وسائل طيف الخيال في الجء والمزل

٥	مقدمة المحقق
٩	ترجمة الشريف المرتضى
١٢	ترجمة بهاء الدين المنشئ
١٤	ترجمة ابن ءانيال
١٦	منهج التحقيق
١٦	وصف مخطوط بهاء الدين المنشئ
١٧	وصف مخطوط ابن ءانيال
١٨	وصف مخطوط الشريف المرتضى
١٩	صور المخطوطات

## الكتاب الأول طيف الخيال

٢٩	مقدمة المؤلف
٨٩	(ما أخرج المؤلف من شعره وهو في طيف الخيال)
١٢٩	[خاتمة]

## الكتاب الثاني رسالة الطيف

٣	وما توفيقي إلا بالله
١٤	[وصف الحديث]
٣٧	[قولهم في الليل]
٤٩	[ما قالوه في طول الليل وقصره]
٦٣	[وصفهم لريق الحبيب]
١٠٩	[وصف الليل مع الاتصال]
١١١	[قولهم في قصر ليل الوصال]
١١٤	[خاتمة الكتاب]

### الكتاب الثالث رسالة الطيف في الجد والهزل

٣	مقدمة المحقق .....
٦٧	وبه نستعين .....
١٤٥	فهرس المحتويات .....



# RASÂ'IL ṬAYF AL-ḤAYĀL

(Three books in apparition)

*by*

AI-ŠARĪF AI-MURTAḌĀ

*and*

BAHĀ'UDDĪN AL-MUNŠI<sup>Ṣ</sup>

*and*

MUḤAMMAD IBN DĀNYĀL

*Edited by*

Sayyid Kisrawi Ḥasan